

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

اللّٰهُمَّ اكْفُنْهُ عَنِ الْجَنَّةِ

لَا يَرْجِعُ إِلَيْهَا

إِنَّمَا أَنْهَا كُوْنَةً

لِمَنْ أَنْهَا لَهُ مَوْلَانًا

لِمَنْ أَنْهَا لَهُ دَارَانًا

لِمَنْ أَنْهَا لَهُ حَمَدَانًا



PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY



32101 012793392

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*

H. Hāshimī al-Khātī

مِنْهَا حُجَّ الْبَرَائَةُ

فِي شَرْحِ هَجَّاجِ الْبَلَاغَةِ

لِمُؤْلِفِهِ

الْعَلَافَةُ الْمُحْقَنُ الْحَجَّ مِنْ أَجْبَابِ الْهَاشِمِيِّ الْخُوَيْيِّ قَدِيسِيِّهِ

عنى بِتَحْمِيَّحِهِ وَتَهْذِيهِ الْعَالَمِ الْفَاضِلِ: السَّيِّدُ ابْرَاهِيمُ الْمِيَانِجِي

الطبعة الرابعة

الجزء الخامس

مركز فروش

التاسُّرُ:



مَنشُورَاتِ دِارِ الْهِجَّرَةِ
إِرَان - وُثْمَة



موسٰن و مسٰنی صاڑی ترالن - ۱۳۹۰
تهران و تجارت مسٰنی مسٰنی ۵۳۸۵۹۹

طبع في المطبعة الإسلامية بطهران

2264
1067
754
1985
جع ٥

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

ومن خطبة له عليه السلام وهي الرابعة والستون من
المختار في باب الخطب

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَمْ تَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالًا فَيَكُونُ أَوَّلًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ
آخِرًا، وَيَكُونَ ظَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِنًا، كُلُّ مُسَمَّى بِالْوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَلِيلٌ
وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرُهُ ذَلِيلٌ، وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ، وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرُهُ
مَمْلُوكٌ، وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلِّمٌ، وَكُلُّ قَادِيرٍ غَيْرُهُ يَقْدِيرُ وَيَعْجزُ،
وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ يَصْمَمُ عَنْ لَطِيفِ الْأَصْوَاتِ، وَيُصْمِمُ كَبِيرُهَا،
وَيَذَهَبُ عَنْهُ مَا يَعْدُ مِنْهَا، وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرُهُ يَعْمَى عَنْ خَفِيِّ الْأَلْوَانِ
وَلَطِيفِ الْأَجْسَامِ، وَكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرُهُ غَيْرِ بَاطِنٍ، وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ
غَيْرُ ظَاهِرٍ، لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ، وَلَا تَخَوَّفْ مِنْ عَوَاقِبِ

زَمَانٌ ، وَ لَا سْتِعَانَةٌ عَلَى نَدِّ مُتَأْوِرٍ ، وَ لَا شَرِيكٌ مُكَافِرٌ ، وَ لَا ضَدٌ مُنَافِرٌ ، وَ لِكِنْ خَلَائِقُ مَرْبُوبُونَ ، وَ عِبَادُ دَاخِرُونَ ، لَمْ يَحْالْ فِي الْأَشْيَاءِ فَيُقَالَ هُوَ فِيهَا كَايْنٌ ، وَ لَمْ يَنْأَى عَنْهَا فَيُقَالَ هُوَ مِنْهَا بَايْنٌ ، لَمْ يَؤْذِهِ خَلْقُ مَا أَبْتَدَأَ ، وَ لَا تَذَبَّرُ مَا ذَرَ ، وَ لَا وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ ، وَ لَا وَلَجَتْ عَلَيْهِ شَبَهَةٌ فِيهَا قَضَا وَ قَدَرَ ، بَلْ قَضَاهُ مُتَقْنٌ ، وَ عِلْمٌ مُحَكَّمٌ ، وَ أَمْرٌ مُبِرْمٌ ، الْمَأْمُولُ مَعَ النَّقْمِ ، الْمَرْهُوبُ مَعَ النَّعْمِ .

اللغة

(صمت) الاذن صمماً من باب تعب بطل سمعها ويسند الفعل إلى الشخص أيضاً فيقال صم يضم صمماً و يتعدى بالهمزة فيقال أصمه الله ولا يستعمل التسلاتي متعدياً و (الند) المثل و (المثاور) من الثبوران وهو الونب والهيجان يقال ثاوره مثاوره ونواره وانبه و (المكافر) في أكثر النسخ بالباء المثلثة وفي نسخة الشياطين المعترلي بالموحدنة و معناها ماقرب ، يقال كافر وهم فكشروهم غالباً لهم في الكثرة فغلبوا عليهم ويقال كابرته مكابرته غالبتة مغالبة و عاندته و (الدّاخِر) الذليل و (اده) الامر يؤده انقله و (ذره) خلق و (المبرم) كالمحكم لفظاً و معناً

الاعراب

لفظة غير في الموارد التّمامية إما بالرفع كما في أكثر النسخ على أنها صفة لكل ، وإما بالتنصب كما في بعض النسخ على الاستثناء أو على أنها حال مما اضيف إليه كل ، و العامل معنى الإضافة كما هو مذهب البعض في غير المغضوب حيث قال بكلونه حالاً من الذين وأنه عمل فيه معنى الإضافة ، ولكن خلائقه أو بتخفيفه لكن والغائه عن العمل و رفع ما بعدها على كونه خبراً لمبتدأه ممحض ، قالوا : و حق لكن أن تقع بين كلامين متغايرين معنى بالمعنى و الاتبات ، ولا يلزم التغاير اللفظي

(٤)

المختار الرابع والستون

(جـه)

إذ يقال جاء زيد ولكن عمروأ لم يجيء ، وقد يقال زيد حاضر ولكن عمر وَأَغَايِب ،
ولا يلزم أبداً أن يكون بينهما تضاد حقيقي بل التنافي بوجه ماقال تعالى :
«إِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ»

فإن عدم الشكير لا يناسب الأفضل ، بل اللائق به ان يشكير ، و كلام أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْمُبَارَكَةُ من هذا القبيل ، قوله فيقال : في الموضعين بنصب المضارع و انتصابه بعد فاء السibilية مع تقدم النفي قاعدة كلية ، و قضاه متقن خبر لمبتدأه و هكذا ما بعده ، و قوله المأمول مع النقم أيضاً خبرأ هو المأمول والمرهوب .

المعنى

اعلم أن هذه الخطبة الشرفية مشتملة على نكارة طيبة من العلوم الاليمية
متضمنة لجملة من الصفات الكمالية

الأولى ما اشار إليه بقوله (الحمد لله الذي نعم يسبق له حال حالاً فيكون أو لا قبل أن يكون آخرأ ، ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً) والمستفاد منه شيئاً الأول أنه سبحانه متصف بالاولية والآخريـةـ الظاهريةـ والباطنيةـ الثاني أن أتصفه تعالى بها ليس على نحو السبق واللحوق والقبليةـ والبعديةـ

أما الأول فقد أشير إليه في سورة المهدـ قال سبحانهـ

«هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخرُ وَالظاهِرُ وَالباطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»

وأختلف في معنى هذه الصفات فقال الصديق في التسويـهـ : هو الأولـ بغير ابتداءـ ، والآخرـ بغير انتهاءـ ، و الظاهرـ بـ آياتـهـ التي أظهرـهاـ من شواهدـ قدرـتهـ و آثارـ حكمـتهـ و بـ إثـنـاتـ حـجـتـهـ التي عـجـزـ الخـلـقـ جـمـيعـاـ عنـ إـبـدـاعـ أـصـفـرـهاـ و إـنـشـاءـ أـيـسرـهاـ و أـحـقـرـهاـ عندـهـمـ كماـ قـالـ عـزـ وـ جـلـ :

«إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ»

فليس شيءـ منـ خـلـقـهـ إـلـاـ وـهـوـ شـاهـدـ لـهـ عـلـىـ وـحـدـانـيـتـهـ منـ جـمـيعـ جـهـاتـهـ وـأـعـرضـ تـبارـكـ وـعـالـىـ عـنـ وـصـفـ ذاتـهـ وـهـوـ ظـاهـرـ بـ آـيـاتـهـ مـحـتـجـبـ بـذـاتـهـ

(ج)

في ذكر جملة من الصفات الالهية

(هـ)

و معنى ثان أنه ظاهر غالب قادر على ما يشاء ومنه قوله غز وجل : فأصبحوا ظاهرين ، أى غالين لهم

و الباطن معناه أنه قد بطن عن الأوهام وهو باطن لا يحيط به محيط لأنّه قد أتى تقدم الفكر فجنس عنه ، وسبق العلوم فلم يحط به ، وفات الأوهام فلم يكتتبه ، وحارث عنه الأ بصار فلم تدركه ، فهو باطن كل باطن ، ومحتجب كل محتجب ، بطن بالذات وظهر بالأيات ، فهو الباطن بلا حجاب والظاهر بلا اقتراب .

ومعنى ثان أنه باطن كل شيء أى خبير بصير بما يسرّون وما يعلّون ولكل ما ذر ، وبطانة الرّجل وليجته من القوم الذين يدخلهم ويدخلونه في دخلة أمره ،

والمعنى أنه عالم بسرائرهم لا أنه عز وجل يحيط في شيء يواريه وفي مجمع البيان : هو الأول أى أول الموجودات ، وتحقيقه أنه سابق لجميع الموجودات بما لا يتناهى من تقدير الأوقات ، لأنّه قديم وماعداه محدث والتقدم يسبق المحدث بما لا يتناهى من الأوقات ، والأخر بعد فناء كل شيء لأنّه يفنى الأجسام كلها وما فيها من الأعراض ويبقى وحده

و قيل الأول قبل كل شيء بلا ابتداء ، والأخر بعد كل شيء بلا انتهاء ، والظاهر سويعالي الغالب على كل شيء ، فكل شيء دونه ، والباطن العالم بما بطن فلا أحد أعلم منه عن ابن عباس

و قيل : الظاهر بالأدلة والشواهد ، والباطن الغير بكل شيء وقيل : معنى الظاهر والباطن إنّه العالم بما ظهر ، والعالم بما بطن وقيل : الظاهر بأدله والباطن من احساس خلقه وقيل الأول بلا ابتداء ، والأخر بلا انتهاء ، والظاهر بلا اقتراب ، والباطن بلا احتجاب وقيل الأول ببره إذ هداك ، والأخر بعفوه إذ قبل توبتك ، والظاهر باحسانه وتوفيقه إذا أطمنه ، والباطن بستره إذا عصيته عن السدى

و قيل الأول بالخلق ، والأخر بالرّزق ، والظاهر بالحياة ، والباطن بالإماتة عن ابن عمر وقيل : هو الذي أوّل الأول وأخر الآخر وأظهر الظاهر وأبطّن الباطن عن الضحك وقيل الأول بالأزلية ، والأخر بالأبدية ، والظاهر بالأحدية ،

والباطن بالصَّمْدِيَّة عن أبي بكر الوراق وقيل إنَّ الواوَات مفتوحة والمعنى هو الْأَوَّل والآخر والظاهر والباطن ، لأنَّ من كان منا أولاً لا يكون آخراً ، ومن كان ظاهراً لا يكون باطناً ، عن عبد العزيز بن يحيى وقيل هو الْأَوَّل القديم ، و الآخر الرَّحِيم والظاهر الحكيم ، والباطن العليم عن يمان

وأمَّا الثاني فتحقيقه ما ذكره الشَّارح البحرياني وهو أنَّه ثبت أنَّ السُّبْق والمقارنة والقبليَّة والبعدية أمور تتحقَّق في الزَّمان لذاته وتتحقَّق في الزَّمانيات به وثبت أنَّه تعالى منزه عن الزَّمان إذ كان من لواحق الحركة المتأخرة عن وجود الجسم المتأخر عن وجود الله سبحانه كما علم ذلك في موضعه ، لاجرم لم تتحقَّق ذاته المقدَّسة وما لها من صفات الكمال ونحوه الجلال شيء من لواحق الزَّمان ، فلم يجز إذن أن يقال مثلاً كونه عالماً قبل كونه قادرًا أو كونه قادرًا قبل كونه مريداً أو كونه حيَاً قبل كونه عالماً ولا كونه أولاً للعالم قبل كونه آخرًا له قبليَّة وسبقًا زمانياً

بلى أن يقال إنَّ القبليَّة والبعدية قد يطلق بمعانٍ آخر كالقبليَّة بالشرف والذَّات والفضيلة والعالية ، وقد يبينا أنَّ كلَّ ما يتحقَّق ذاته المقدَّسة من الصفات فاعتبارات ذهنية تحدُّ ثواب العقول عند مقاييسه إلى مخلوقاته وهي ، من تلك الاعتبارات لا تفاوت أيضًا بالقبليَّة والبعدية بأحد المعانٍ المذكورة بالنظر إلى ذاته المقدَّسة فلا يقال مثلاً : هو المستحقُ لهذا الاعتبار قبل هذا الاعتبار أو بعده وإنَّ لكنَّ كمال ذاته قابلاً للزيادة والنقصان ، بل استحقاقه بالنظر إلى ذاته لما يصبح أن يعتبر لها استحقاق وجهاً بالنظر إلى جميعها دائمًا

فلا حال يفرض إلَّا وهو يستحق فيه أن يعتبر له الْأُولَى والآخِرَة معاً استحقاقاً أو لِيَ ذاتياً ، لا على وجه التَّرتِيب وإن تفاوتت الاعتبارات بالنظر إلى اعتبارنا وهذا بخلاف غيره من الأمور الزَّمانية ، فإنَّ الجوهر مثلاً يصدق عليه كونه أولاً من العرض ولا يصدق عليه مع ذلك أنه آخر له حتى لو فرضنا عدم جميع الاعراض وبقاء الجوهر بعدها لم يكن استحقاقه للأعتبرين معاً بل استحقاقه لاعتبار الْأُولَى

و قال الصّدّير الشّيّرازي في شرح الكافي : هو الْأَوَّلُ وَالآخِرُ لَا نَهِيَّ عَنْهُ كُلُّ
شَيْءٍ وَغَایيَتِهِ ، وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ لَا نَهِيَّ ظَهُورُهُ مُنْشَأً بِطُونَهُ بِلَ حِينَيَّةٌ ظَهُورُهُ بِعِينَهَا
حِينَيَّةٌ بِطُونَهُ ، فَهُوَ الظَّاهِرُ مِنْ حِينَيَّةٍ هُوَ الْبَاطِنُ ، وَالبَاطِنُ مِنْ حِينَيَّةٍ هُوَ الظَّاهِرُ
وَالثَّانِيَّةُ أَنَّ (كُلُّ هَمْسَيٍّ بِالْوَحْدَةِ غَيْرِهِ قَلِيلٌ) وَالْمَرَادُ بِذَلِكِ أَنَّهُ سَبْحَانَهُ
مَعَ اتِّصافِهِ بِالْوَحْدَةِ لَا يَتِصَّفُ بِالْقَلْمَةِ كَمَا يَتِصَّفُ بِهَا غَيْرُهُ مِنَ الْمُتَّصَّفِينَ بِالْوَحْدَةِ
يَبَيَّنُ ذَلِكُ أَنَّ الْوَحْدَةَ قَدْ يَطْلُقُ وَيَرَادُ بِهَا الْوَحْدَةُ الَّتِي هِيَ مُبَدِّهُ الْكَثْرَةِ وَهِيَ
الْعَادُ وَالْمُكَيَّالُ لَهَا سُواهُ ، كَانَتْ فِي الْمُتَّصَّلِ كَالذِّرَاعِ الْوَاحِدِ وَالْفَرْسَخِ الْوَاحِدِ يَعْدَانُ
بِوَحْدَتِهِمَا الْأَذْرَعُ وَالْفَرَاسِخُ الْكَثِيرَةُ ، أَوْ فِي الْمُنْفَصِلِ كَالْعَشْرَةِ الْوَاحِدَةِ وَالْمَائَةِ الْوَاحِدَةِ
يَعْدَانُ الْعَشْرَاتِ الْكَثِيرَةِ وَالْمَائَاتِ الْكَثِيرَةِ ، وَهِيَ أَشْهَرُ أَقْسَامِ الْوَحْدَةِ ، وَقَدْ يَطْلُقُ
وَيَرَادُ بِهَا الْوَحْدَةُ النَّوْعِيَّةُ وَالْوَحْدَةُ الْجِنْسِيَّةُ ، وَهِيَ الْوَحْدَةُ الْمُبَهَّمَةُ الَّتِي يُوصَفُ بِهَا
الْأَنْوَاعُ وَالْأَجْنَاسُ وَالْأَبْهَامُ فِي الْجِنْسِ أَشَدَّ وَهِيَ غَيْرُ الْوَحْدَةِ بِالنَّوْعِ وَالْوَحْدَةِ
بِالْجِنْسِ لَا نَهِيَّ مَعْرُوفُ هَاتِينِ الْكَثِيرَيْنِ مِنَ الْأَشْخَاصِ وَالْأَنْوَاعِ وَمَعْرُوفُ الْوَحْدَةِ الْجِنْسِيَّةِ
وَالنَّوْعِيَّةِ الْمُعْنَى الْوَاحِدِ الْمُبَهَّمِ

إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَنَقُولُ : إِنَّ الْوَحْدَةَ بِالْمَعْنَى الْمُذَكُورَةِ لَا يَجُوزُ اتِّصافُهُ تَعَالَى
بِهَا إِمَّا الْأَوَّلُ فَلَا نَهِيَّ الْوَحْدَةَ بِالْمَعْنَى الْمُذَكُورَ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكَثْرَةِ الَّتِي هِيَ
عَادٌ لَهَا وَالْقَلْمَةُ وَالْكَثْرَةُ مِنْ أَوْصَافِ الْمُمْكِنِ وَإِمَّا الْآخِرُ فَلَا نَهِيَّ الْوَاجِبُ سَبْحَانَهُ
لَا يَكُونُ نَوْعًا وَلَا جِنْسًا وَلَا يَنْدَرِجُ تَحْتَ نَوْعٍ وَلَا جِنْسٍ ، لَا نَهِيَّ ذَلِكَ كَلَهُ مِنْ خَصَائِصِ
الْإِمْكَانِ ، وَلَمَّا كَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَتَصَوَّرُ مِنَ الْوَحْدَةِ إِلَّا الْمَعْنَى الْأَوَّلُ بِلَ لَا يَفْهَمُونَ
مِنْ كُونِهِ تَعَالَى وَاحِدًا إِلَّا هَذَا الْمَعْنَى لِأَجْرِمِ جَعْلِ نَفْهَرَةِ عَنْهُ مَخْصُوصًا بِالذِّكْرِ
دَفْعًا لِمَا يَتَوَهَّمُونَ وَإِبطَالًا لِمَا يَزْعُمُونَ.

روى الصّدّيق في التّسْوِيد بِاسْنَادِهِ عَنْ شُرِيعِ بْنِ هَانِي ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : إِنَّ
أَعْرَابِيًّا قَامَ يَوْمَ الْجَمْلِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَقُولُ إِنَّ اللَّهَ
وَاحِدٌ ؟ فَحَمَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَقَالُوا : يَا أَعْرَابِيًّا أَمَا تَرَى مَا فِيهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ تَقْسِيمِ
الْقَلْبِ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام : دَعْوَهُ فَانَّ الَّذِي يَرِيدُهُ الْأَعْرَابِيُّ هُوَ الَّذِي نَرِيدُهُ مِنْ

(٨)

المختار الرابع والستون

(ج)

الْقَوْمُ، نَمَّ قَالَ : يَا أَعْرَابِيِّ إِنَّ الْقَوْلَ فِي أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : فَوِجْهَاهُ مِنْهَا لَا يَجُوزُ أَنْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ وِجْهَاهُ يَشْتَانُ فِيهِ .

فَأَمَّا الْلَّذَانِ لَا يَجُوزُ أَنْ عَلَيْهِ قَوْلُ الْقَائِلِ وَاحِدٌ يَقْصِدُهُ بَابُ الْأَعْدَادِ، فَهَذَا مَا لَا يَجُوزُ لِأَنَّ مَا لَاتَانِي لَهُ لَا يَدْخُلُ فِي بَابِ الْأَعْدَادِ، أَمَّا تَرَى أَنَّهُ كُفَّرٌ مِنْ قَالَ ثالِثَةَ، وَ قَوْلُ الْقَائِلِ هُوَ وَاحِدُ مِنَ النَّاسِ يُرِيدُ بِهِ النَّسْوَعَ مِنَ الْجِنْسِ فَهَذَا مَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ تَشْبِيهٌ وَ جَلَّ رَبُّنَا عَنْ ذَلِكَ وَ تَعَالَى .

وَ أَمَّا الْوِجْهَانِ الْلَّذَانِ يَشْتَانُ فِيهِ قَوْلُ الْقَائِلِ : هُوَ وَاحِدٌ لَيْسَ لَهُ فِي الْأَشْيَايَ شَبِهٌ كَذَلِكَ رَبُّنَا، وَ قَوْلُ الْقَائِلِ إِنَّهُ أَحَدٌ الْمَعْنَى يَعْنِي بِهِ أَنَّهُ لَا يَنْقُسمُ فِي وِجْدَ وَ لَا عَقْلَ وَ لَا وَهْمَ وَ كَذَلِكَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ .

(و) الثَّالِثَةُ أَنَّ (كُلُّ عَزِيزٍ غَيْرِ ذَلِيلٍ) قَدْ يَفْسُرُ العَزِيزَ الَّذِي هُوَ مِنْ أَسْمَائِهِ سِبْحَانَهُ بِأَنَّهُ الَّذِي لَا يَعْدُ لَهُ شَيْءٌ أَوِ الْغَالِبُ غَيْرُ الْمَغْلُوبِ .

وَ قَالَ فِي التَّوْحِيدِ الْعَزِيزُ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَهُوَ قَاهِرُ الْأَشْيَايَ غَالِبٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ، وَ قَدْ يَقُولُ فِي الْمَثَلِ مِنْ عَزِيزٍ أَيْ مِنْ غَلْبٍ سَلْبٍ ، وَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ حَكَايَةٌ عَنِ الْمُخْصَمِينَ وَ عَزَّ نِي فِي الْخَطَابِ، أَيْ غَلْبِنِي، وَ مَعْنَى ثَانِ أَنَّهُ الْمَلِكُ وَ يَقُولُ لِلْمَلِكِ عَزِيزٌ كَمَا قَالَ أَخْوَةُ يُوسُفَ لِيُوسُفَ : يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ، وَ الْمَرَادُ يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ .

أَقُولُ : وَ الظَّاهِرُ أَنَّ الْمَعْنَى الثَّانِي أَيْضًا مَا خُوذَ مِنَ الْأَوَّلِ ، وَ عَلَيْهِ فَالْعَزِيزُ فِي الْلِّغَةِ هُوَ مَطْلُقُ الْغَالِبِ، فَإِذَا اسْتَعْمَلَ فِي اللَّهِ سِبْحَانَهُ وَ وَصْفَنَاهُ بِهِ الْغَالِبِ الْمَطْلُقِ أَعْنَى الْغَالِبِ غَيْرَ الْمَغْلُوبِ، وَ إِذَا وُصِّفَ بِهِ أَحَدُ مِنَ الْخَلْقِ فَالْمَرَادُ بِهِ الْغَالِبُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ دُونَهُ وَ إِنْ كَانَ مَغْلُوبًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ وَ ذَلِيلًا بِالْقِيَاسِ إِلَيْهِ وَ يُوضَحُ ذَلِكُ أَنَّ السَّحْرَةَ قَالُوا :

« بِعِزَّةِ فَرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْفَالِبُونَ »

فَوُصِّفُوا فَرْعَوْنُ بِالْعِزَّةِ وَ قَدْ صَارَ مَغْلُوبًا لِمُوسَى وَ ذَلِيلًا عِنْدَ إِلَهِ مُوسَى مَقْهُورًا تَحْتَ قَدْرَتِهِ .

(و) الرابعة أنَّ (كلَّ قويَّ غيره ضعيف) القوة هي مبدأ الأفعال الشاققة وإذا وصف الله بها فتعود إلى تمام القدرة وإذا نسبت إلى غيره فالمراد بها القوة الجسمانية كثافة البطش المعروفة من المخلوقات ولا يصح نسبتها بهذا المعنى وإليه سبحانه وإذ البرهان قائم على أنَّ كلَّ قوَّةً جسمانية متناهية محتملة للزيادة والنقصان فيحتاج إلى محدد يحدُّدُها فيقوِّي عليها ويقهرها على الحد الذي لها ، وتلك القوة الأخرى أيضاً إنْ كانت متناهية كان حكمها كذلك إلى أن ينتهي إلى قوَّةً غير جسمانية ولا متناهية دفعاً للتسلسل أو الدور ، وأيضاً ما يحتمل الزِّيادة كالآعداد والأجسام والمقادير والحركات والأزمنة وما يتعلَّق بها كالقوى والكيفيات فهي ناقصة أبداً غير تامة ، وكلَّ ناقص يحتاج إلى إكمال وكمال فلا يكُون قدِيمًا واجباً لذاته.

إلى ذلك أشار أبو جعفر الشافعي عليه السلام في رواية الكافي بقوله : و كذلك سمعنا ربنا قويا لا بقوَّةِ البطش المعروفة من المخلوق ، ولو كانت قوَّته قوَّةُ البطش المعروفة من المخلوق لوقع التشبيه و لا تحتمل الزِّيادة ، و ما احتمل الزِّيادة احتمل النقصان ، وما كان ناقصاً كان غير قدِيم ، وما كان غير قدِيم كان عاجزاً.

(و) الخامسة أنَّ (كلَّ مالكٍ غيره مملوك) إذ كلَّ ما سواه مستند إلى وجوده وفي تصريف قدرته و هشيتها نافذ فيه أمره ، جار فيه حكمه ، فهو المالك للكل بالاستحقاق وعلى الاطلاق والكل مملوك له وإن صدق عليه في العرف أنه مالك بالقياس إلى من دونه وما في يده .

(و) السادسة أنَّ (كلَّ عالمٌ غيره متعلم) إذ علمه عين ذاته و علم غيره يحتاج إلى التعلم من الغير والاستفادة منه ، ثم الغير من الغير إلى أن ينتهي إلى علمه سبحانه .

(و) السابعة أنَّ (كلَّ قادرٌ غيره يقدر و يعجز) لأنَّ قدرته عين ذاته فيستحب على العجز وأمَّا قدرة غيره وهي القوَّةُ الجسمانية المنبشة في الأعضاء المحركة لها نحو الأَفاعيل الاختيارية المقابلة للعجز تقابل العدم والملائكة في خارجة عن ذات

ال قادر قابلة للوجود والعدم ، فإذا القادر المطلق هو مستند كل مخترع اختياراً ينفرد به و يستنقى فيه عن معاونة الغير وليس هو إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ، وأَمَّا غيره من المتصفين بالقدرة فهو وإن كان في الجملة صاحب قدرة إِلَّا أَنَّ قدرتها ناقصة لتنا و لها بعض الممكـنات و قصورها عن البعض الآخر، لأنَّه بالذات مستحق بالعجز و عدم القدرة وإنما استحقاقه لها من وجوده تعالى فهو الفاعل المطلق الذي لا يعجزه شيء عن شيء ولا يستعصى على قدرته شيء

فإن قلت : فهل يقدر أن يدخل الدُّنيا كلها في بيضة لاتصغر الدُّنيا ولا يكبر البيضة ؟

قلت : لا ، ولابد منه نقص على عموم القدرة ، بيان ذلك على ما حققه بعض علمائنا المحققين أنَّ معنى كونه قادراً على كل شيء أنَّ كُلَّما له مهيئة إمكانية أو شيئاً تصورية فيصح تعلق القدرة به ، وأَمَّا الممكـنات فلا مهيئة لها ولا شيء حتى يصح كونها مقدورة له تعالى ، وليس في نفي مقدوريته نقص على عموم القدرة بل القدرة عامة والفيض شامل والممكـنة لا ذات له وإنما يخترع العقل في وهمه فهو ما يجعله عنواناً لا من باطل الذات كشريك الباري واللامشي ، واجتماع النقيضين أو يركب بين معانٍ ممكـنة آحادها تكـيـباً ممكـنة ، فإنَّ كلاً من المتناقضين كالحركة والسكنى أمر ممكن خارجاً و عقلاً ، وكذا معنى التـكـيـبـ والاجتماع أمر ممكن عيناً و ذهناً وأَمَّا اجتماع المتناقضين فلا ذات له لا في الخارج ولا في العقل ، لكن العقل يتصور مفهوم اجتماع النقيضين على وجه التـلـفـيقـ و يجعله عنواناً ليحكم على افراد المقدـرة بامتناع الوجود و كون الكـبيرـ مع كـبرـهـ في الصـغـيرـ من هذا القبيل .

إذا عرفت ذلك ظهر لك أنَّ إدخال الدُّنيا على كـبرـهاـ فيـ البيـضاـ معـ بـقـاءـ البيـضاـ علىـ صـغـرـهاـ أمرـ محـالـ ، وـ المـحالـ غـيرـ مـقدـورـ إـذـ لـذـاتـ لهـ وـ لـاشـيـئـةـ .

وـ إـلـىـ ذـلـكـ وـقـعـتـ الاـشـارـةـ فـيـماـ روـاهـ الصـدـوقـ فـيـ كتابـ التـسـوحـيدـ باـسـنـادـهـ عـنـ أـبـيـ عـبدـ اللهـ طـلاقـ قالـ : قـيلـ لـأـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ يـاـ اللهـ يـاـ اللهـ : هـلـ يـقـدرـ رـبـكـ أـنـ يـدـخـلـ الدـنـيـاـ فـيـ

بيضة من غير أن يصغر الدنيا أو تكبر البيضة ؛ فقال ﷺ : إنَّ اللَّهَ تبارك و تعالى لا يناسب إلى العجز والذي ذكرت لا يكون .

فإنْ مقصوده ﷺ إنَّ مَا سأله الرَّجُلُ أَمْرٌ مُمْتَنَعٌ بِالذَّاتِ مَحَالٌ وَالْمَحَالُ غَيْرُ مَقْدُورٍ عَلَيْهِ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

ومثله ما رواه أيضًا مسنداً عن أبي عبد الله عليه السلام أنه جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : أقدر الله أن يدخل الأرض في بيضة ولا يصغر الأرض ولا يكبر البيضة ؟ فقال : ويلك إنَّ اللَّهَ لَا يوصُفُ بِالْعَجْزِ وَمَنْ أَقْدَرَ مِمْنَ يُلْطِفُ الْأَرْضَ وَيُعَظِّمُ الْبَيْضَةَ .

فإنَّ هذه الرَّوَايَةَ هَذِهِ عَلَى أَنَّ إِدْخَالَ الْكَبِيرِ فِي الصَّغِيرِ غَيْرُ مُمْكِنٍ إِلَّا بِأَنَّ يَصْغِرَ الْكَبِيرَ يَنْحُوا التَّكَانِفَ وَالتَّخْلُلَ وَنَحْوَهُمَا، أَوْ يَعْظِمَ الصَّغِيرَ، وَأَنَّ تَصْغِيرَ الْأَرْضِ إِلَى حَدٍّ تَدْخُلُ فِي بَيْضَةَ أَوْ تَعْظِيمُ الْبَيْضَةِ إِلَى حَدٍّ يَدْخُلُ فِيهِ الْأَرْضَ غَايَةَ الْقَدْرَةِ .
(و) الثامنةُ أَنَّ (كُلُّ سَمِيعٍ غَيْرِهِ يَصْمُعُ لَطِيفَ الْأَصْوَاتِ وَيَصْمِمُهُ كَبِيرَهَا وَيَنْدَهِبُ عَنْهُ مَا بَعْدَهُمَا) بِيَانِ ذَلِكِ أَنَّ السَّمِعَ عِبَارَةً عَنْ قُوَّةٍ مُوَدَّعَةٍ فِي الْعَصْبَيْنِ الْمُفْرَوِشَيْنِ عَلَى سطحِ باطِنِ الصَّمَاخِينِ كَجُلْدِ الطَّبْلِ النَّاسَافَدَيْنِ مِنْ الدَّمَاغِ إِلَيْهِمَا بِهِمَا يَدْرُكُ الْأَصْوَاتُ، وَالصَّوْتُ عِبَارَةٌ عَنْ هِيَةٍ فِي الْهَوَاءِ حَاصِلَةٌ مِنْ تَمْوِيْجِ النَّاسِيَّ .
مِنْ حَرْكَةٍ شَدِيدَةٍ مُسْبِبَةٍ عَنْ قَرْعٍ أَحَدِ الْجَسَمِيْنِ فِي الْآخِرِ الَّذِي هُوَ مَسَاسٌ عَنِيفٌ ، وَعَنْ قَلْعٍ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخِرِ الَّذِي هُوَ تَفْرِيقٌ عَنِيفٌ بِشَرْطِ مَقْوِمَةِ المَقْرُوعِ لِلقارعِ وَالْمَقْلُوعِ لِلقلَاعِ .

فِي الْأَوَّلِ يَنْقُلُ الْهَوَاءَ مِنْ بَيْنِ الْجَسَمِيْنِ بِشَدَّةٍ ، وَفِي الْثَّانِي يَلْجُجُ بِيَنْهُمَا بِشَدَّةٍ وَيَحْصُلُ مِنْ اِنْفَلَاتِهِ وَلَوْجَهِ تَمْوِيْجٍ وَحَرْكَةٍ عَلَى هِيَةٍ مُسْتَدِيرَةٍ نَحْوَهُمَا يَتَصَوَّرُ عِنْدَ وَقْوَةِ الْحَجَرِ فِي الْمَاءِ فَإِذَا انتَهَى ذَلِكَ التَّمْوِيْجُ إِلَى الْهَوَاءِ الَّذِي فِي الْأَذْنِ يَحْرُكُ ذَلِكَ الْهَوَاءَ الرَّاكِدَ حَرْكَةً مُخْصُوصَةً بِهِيَةٍ مُخْصُوصَةٍ ، فَتَنْفَعُلُ الْعَصِيبَةُ الْمُفْرَوِشَةُ عَلَى الصَّمَاخِ عَنْ هَذِهِ الْحَرْكَةِ وَتَدْرِكُهَا الْقُوَّةُ السَّائِمَةُ وَيُسَمِّيُ هَذَا الْادْرَاكُ سَمِعاً .

إذا عرفت ذلك فنقول : إن إدراك هذه القوّة للأصوات مشروط بأن يكون الصوت قريباً لا بعيداً جداً ، وأن يكون مع قربه على حد الاعتدال أى لا يكون قوياً كثيراً ولا ضعيفاً كذلك ، لأنّه إذا كان ضعيفاً لا يحصل بسببه تموّج الهواء كما أنه لو كان بعيداً لا يصل الهواء المتموج إلى الصمام ، و عند قربه و قوته ربّما يحدث الصمم لشدة قرّره للصمام و تفرّق اتصال الروح المحامل لقوّة السمع عنه بحيث يبطل استعدادها لتأدية القوّة إلى الصمام .

إلى الأول أشار ^{عليه السلام} بقوله : يضم عن لطيف الأصوات ، تشبيه العجز السامعة عن إدراك الصوت بخفاها و ضعفه بالصمم والثاني بقوله : و يذهب عنه ما بعد منها وإلى الثالث بقوله ويضمّه كغيرها .

ولما كان الله سبحانه و جلت عظمته منزهاً عن الجسمية و آلات الجسم و كان سمعه عبارة عن علمه بالمسموعات على ما حققناه في شرح الفصل السادس من فصول الخطبة الأولى لاجرم اختص الأوصاف المذكورة أعني العجز عن إدراك الضعف والصمم بسماع القوى و عدم التمكن من إدراك البعيد بمن كان لهذه الآلات واستحالـت في حـقه سبحانه إذـ العلم لا يتفاوتـ بالـنسبةـ إـلـىـ الـقـرـيبـ وـ الـبـعـيدـ وـ الـضـعـيفـ وـ الشـدـيدـ :

« لِمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنُهُمَا وَمَا تَحْتَ التَّرَىٰ
وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السَّرَّ وَأَحْفَىٰ ». »

(و) التاسعة أنَّ (كلَّ بصير غيره يعمي عن خفيّ الألوان و لطيف الأجسام) والظاهر أنَّ المراد بالألوان الخفية الألوان الغير المدركة بالابصار لانتفاء شرط الادراك وهو الضوء ، و يقابلها الألوان الظاهرة وهي التي يدركها البصرة ، وعلى هذا فيكون كلامه ^{عليه السلام} دليلاً على بطلان القول بعدم وجود اللون في الظلم.

توضيح ذلك أنَّ الشیخ الرئیس و أتباعه ذهبوا إلى أنَّ الألوان غير موجودة

بالفعل في حال كونها مظلمة معللاً بأنّا لانزهاها في الظلمة فهو إما لعدمها أو لوجود عائق عن الابصار والثاني باطل لأنّ الظلمة عديمة والهواء نفسه غير مانع من الرؤية كما إذا كانت في غارة مظلم و فيه هواء كلّه على تلك الصفة فاذ اصار المرئ مستنيراً رأيته ولا يمنعك الهواء الواقع بيته و يينك.

ورده المتأخرون بأنه لاشك أن اللون له هوية في نفسه وأنه يصح كونه هرئياً فلما وجد الضوء هو هذا الحكم ، وبالجملة للجسم مراتب ثلاثة استعداد أن يكون له لون معين ، وجود ذلك اللون بالفعل ، و كونه بحيث يصح أن يرى فلم لا يجوز أن يكون الموقف على وجود الضوء هذا الحكم الثالث لا أصل اللون .

إذا عرفت ذلك فنقول : إنّ معنى قوله : هو أن كلّ بصير غيره تعالى لا يمكن له إدراك الألوان الخفية أي الألوان في حال كونها مظلمة لانتفاء شرط الإدراك الذي هو الضوء كما أنّ الأعمى لا يمكن له إدراكها لانتفاء قوة الإيصاله ، فكنت عن عدم إدراك البصائر لها بالعمى لشبهه بالأعمى في مشاركتهما في عدم التمكن من الإدراك ، وإن كان عدم التمكن في حق الأول من جهة انتفاء الشرط وفي الثاني من جهة انتفاء الآلة التي أعني البصر هذا.

و لعل المراد من لطيف الأجسام الرقيقة القوام كالبعوضة والذرة و نحوهما ، ولما كان بصير يته سبحانه عبارة عن علمه بالمبصرات حسبما حلقنا أيضاً في شرح الفضل السادس من فصول الخطبة الأولى ، اختصر العجز عن إدراك الألوان الخفية والأجسام اللطيفة بغيره سبحانه وأما هو سبحانه فلا تفاوت في علمه بين الخفي والجلي واللطيف والكيف.

« وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقَطُ مِنْ وَرْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ». هذا ويشهد بما ذكرته في تفسير معنى السميع والبصير والجسم اللطيف مارواه

في الكافي عن محمد بن أبي عبد الله ، رفعه إلى أبي هاشم الجعفري ، قال : كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فسألته رجل فقال : أخبرني عن رب تبارك و تعالى له أسماء و صفات في كتابه إلى أن قال : فقال الرجل : فكيف سميَنا ربُّنا سميَنا ؟ فقال : لأنَّه لا يخفى عليه ما يدرك بالسمع ولم نصفه بالسمع المعمول في الرأس ، وكذلك سمَّيناه بصيراً لأنَّه لا يخفى عليه ما يدرك بالبصر من لون أو شخص أو غير ذلك و لم نصفه بصر لحظة العين ، و كذلك سمَّيناه لطيفاً لعلمه بالشيء ، اللطيف مثل البعوضة وأخفى من ذلك و موضع النشوء منها والعقُل والشهوة للسفاد والجذب على نسلها و اقام بعضها على بعض و نقلها الطعام والشراب إلى أولادها في الجبال والمفاوز والأودية والقفار.

قال بعض شارحي الحديث يعني أنه يعلم أعضاء البعوضة كالجناح والرجل والعين ، و قواها كالسمع والبصر ، وأحوالها كالادراك والإرادة والشهوة والمحبة والشفقة والالفة والغضب والنفقة والعداوة ، وأفعالها كالحركة والسكن والسفاد ونقل الطعام والشراب إلى الأذلاء وغير ذلك من أمورها كموتها و حياتها ونفعها وضرها وآجالها ومقادير أعمارها وأرزاقها وغيرها من لطائف صنعه ودقائق خلقه ، فهو تعالى لطيف لعلمه بلطائف الأمور .

(و) العاشرة أنْ (كلَّ ظاهر غيره غير باطن وكلَّ باطن غيره غير ظاهر) يعني أنَّ من الممكنت ما هو ظاهر جلي لا يتتصف بالباطون والخفاء كالشمس والقمر ونحوهما و منها ما هو باطن خفي لا يتتصف بالظهور والجلاء كالهيبولي وعدم وما تحت الشري ، وأما الله الحي القديم العظيم الشأن فهو متتصف بالظهور والباطون معاً ، فهو في كمال ظهوره باطن وفي غاية بطونه ظاهر ، بل هو أجلِّ الأشياء وأظاهرها ، و منتهي ظهوره صار سبباً لخفائه .

و تحقيق ذلك على ماحققته صدر المتألهين وأو ضنه بالمثال تقريراً للأفهام و تشخيصاً للأذهان هو : إنما إذا رأينا إنساناً يكتب أو يخطِّ كأنَّ كونه حياً عالماً قادرًاً مريدًاً عندنا من أظهر الأشياء ، و هذه الصفات أجلِّ عندها من سائر صفاتِه

الظاهرة والباطنة إذ لا نعرف بعضها كشهوته و غضبه و خلقه و صحته و مرضه، ونشك في بعضها كمقدار طوله و عرضه ولون بشرته وغير ذلك، وأما حياته و علمه و قدرته وإرادته فأنه جلي عندنا من غير أن يتعلّق الحس الظاهر بها لأنّها غير محسوسة بشيء من الحواس الظاهرة و ليس عليها مع هذا الوضوح والجلاء إلا دليل واحد وهو الكتابة أو الخياطة.

وأماماً وجحد الله تبارك و تعالى و قدرته و علمه و إرادته و حياته فيشهد له جميع ما في الكون ، و كلّما نشاهد أو ندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر و مدر و نبات و شجر و حيوان و أرض و سماء و كوكب و بحر و برق و نار و هواء بل أول شاهد عليه أنفسنا و أوصافنا و تقلب أحوالنا من الصغير والكبير و القوة والضعف والصحة والسيقم والرضا و الغضب و الفرح و الحزن و المحب و البغض والشهوة و الكراهة و الاناة و الإرادة و الرغبة و الرهبة و الرجاء و اليأس إلى غير هذه .

وأظهر الآشیاء في علمنا أنفسنا ، ثم أحوالنا و محسوساتنا باحدى الحواس ثم مدر كاتنا بالعقل وال بصيرة ، وكلّ واحد من هذه المدر كات له دليل واحد شاهد واحد ، وجميع ما في العالم شواهد ناطقة و أدلة شاهدة بوجود خالقها ومد برها و دالة على علمه و قدرته و لطفه و حكمته ، فأنه كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا و ليس لها شاهد إلا حرفة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور شيء داخل نفوسنا و خارجها إلا و هو شاهد عليه ، و مامن ذرة إلا تبادى بسان حالها أنه ليس وجودها ولا حركتها بذاتها و أنها تحتاج إلى موجود ومحرك .

فإذا علمت هذا فنقول : لما لم يبق في الوجود مدرك ولا محسوس ولا معمول ولا حاضر ولا غائب إلا وهو شاهد على وجوده معروف لعظم ظهوره فانهيرت العقول و دهشت عن إدراكه فان ما يعجز عنه فهم عقولنا له علتان أحدهما خفائه في نفسه كالبهلوى والعدم والزمان والحركة والعدد والنسبة وغيرها والثانية غایة جلائه ووضوحيه و قصور القوّة الادراكية كمثال نور الشمس و بصر الخفائن ، فان بصره

ضعيف يبهره نور الشمس في النهار إذا أشرقت و لهذا إذا امترج الضوء بالظلام و ضعف ظهوره أبصر بالليل.

فكذلك عقول البشر ضعيفة و جمال الحضرة الالهية في غاية الاشراق و نهاية الشمول والاستغراق حتى لم يشدّ عن ظهوره ذرّة من السماوات والأرض ، فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب بشدة ظهوره و اختفى عن البصائر باشراق نوره .

و أيضاً الأشياء قد يستبان بأضدادها و ما معه وجوده و شموله حتى لا ضد له كأصل الوجود عسر إدراكه ، فلولا غروب نور الشمس ولا احتجاج له عن بعض مواضع الأرض لكننا ظننا أن لاهيّة في الأجسام إلا سطوحها وألوانها ، ولكن لما غابت الشمس و اظلمت بعض المواقع أدركنا تفرقة بين الحالين و عرفنا وجود النور بعده عند الغروب ، و لو لعدمه ما كنا نطلع عليه إلا بعسر شديد هذا مع أن النور أظهر المحسوسات والله سبحانه أظهر الأشياء وبه ظهرت الانوار كلها ، ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لأنها مرت الأرض والسماء و لأنعدمت الأشياء كلها و بطل الملك والملكون ، ولادركت به الفرق بين الحالتين ، ولو كان بعض الأشياء موجوداً به و بعضها موجوداً بغيره لادركت التسقّف في الدلالة ، ولكن وجوده دائم في الأحوال و دلالته عامة على نسق واحد في الأشياء ، فلا جرم أوردت شدة الظاهر خفائه.

(و) الحاديه عشر انه تعالى (لم يخلق ما خلقه لتشدید سلطان ولا تخوف من عواقب زمان ولا استعانا) منه (على نـ) و نظير (مثـ) أي مواب (ولا شريك) و مثل (مكانـ) أي متعرّض للغلبة (ولا ضدـ منافـ) أي مسارع إليه بالمعادات ، والمراد بذلك كله بيان أن الله سبحانه ليس لفعله داع وغرض غير ذاته ، وأشار إليه ينفي أقسام الدواعي والأغراض و ما يلحقها من العوارض والحالات . والبرهان على ذلك أنه تعالى لو فعل لغرض لا يخلو إما أن يكون وجود ذلك الغرض و عدمه بالنسبة إليه على سواء أولايكون كذلك ، والأول باطل وإنـ لكن

حصول الغرض له دون عدمه ترجيحاً من غير مرجح، والثاني أيضاً باطل لأنهما إذا لم يستويا في حقه تعالى كان حصول الغرض أولى به من لا حصوله فحيستنيكون ذاته يستفيد من فعله غرضاً معتبراً في كماله ويكون بدونه فقد كمال و عادم مقصود فيكون ناقصاً في ذاته تعالى عن النقصان علوًّا كبيراً.

كيف وكلَّ كمال للمعلوم فأنَّما حصل له من جهة علة الموجبة فلا يمكن أن يرجع المعطى للكمال إلى أن يستفيد من مستفيده شيئاً من الكمال الذي أفاده له؛ فقد علم علماً كلياً أنَّ العلة الفاعلة ليس لها غرض ولا مقصود صحيح في مفعوله ، بل ان كان غرض و مقصود للعالى فلابدَ أن يكون ذلك له فيما هو أعلى و أجلَ منه ، فلا التفات للعالى إلى السُّافل بل إلى ما هو أعلى منه و إذ ليس للأَوْلِ تعالى ما هو أعلى منه لأنَّه أعلى العالى و مبدئ المبادى فليس لفعله غاية غير ذاته ، ولله محبة و ابتهاج بالقصد الأوَّل إلا لذاته الذي هو منبع كلَّ خير و كمال ، وبتوسط ابتهاجه يحبّ و يريد ما يصدر عن ذاته بالقصد الثاني لأنَّ كلَّ ما يصدر عن المحبوب محبوب بالتبع . فان قيل: ليست أولوية الغرض بالنسبة إلى ذاته تعالى ، بل بالنسبة إلى مخلوقاته و عباده ، فيكون غرضه تعالى في فعله الإحسان إلى الغير و إيصال المنفعة إليه .

قيل: حصول الإحسان إلى الغير أو المنفعة أو أي شيء كان ولا حصوله إن كانا بالنسبة إلى ذاته على سواه عاد حديث الر جحان بلا مرجح ، وإن كان أحدهما أولى به عاد حديث الاستكمال بغيره والنقصان في ذاته ولكن فيه تأمل تعرف وجهه في شرح الخطبة المأة والخامسة والثمانين في التنبية الذي في ذيله، وتمام التحقيق في كون أفعاله تعالى معلمة بالأغرابن يأتي إن شاء الله هناك هذا .

و إذا عرفت أنه سبحانه لا يفعل لغرض ظهر لك أنَّ خلقه الخلق لم يكن ليتشدد سلطان ، ولا خوف من عواقب زمان ، ولا غير ذلك مما ذكره عليه السلام و ما لم يذكره ، إذ كلَّ ذلك أغراض زائدة على ذاته مضنفاً إلى قيام الدليل القاطع على نفي هذه الأغراض المخصوصة المذكورة و راه الدليل العام الذي ذكرنا و هو : أنَّ تشديد السلطان إنما يحتاج إليه ذو النقصان في ملكه و الضعف في

سلطنته، ولما كان تعالى شأنه هو الغني المطلق في كل شيء عن كل شيء، وكان كل ماءدها مقحوراً تحت قدرته نافذاً فيه حكمه بالإيجاد والابقاء والافتاء، لم ي يحتاج في سلطانه إلى أحد من خلقه.

وأما التخوف من عواقب الزمان فلأنه الضرر والانتفاع وما يتحقق مما من الخوف والرجاء وغيرهما إنما هي من لواحق الممكناة القابلة للنقصان والكمال وما هو في معرض التغير والزوال في الذات والصفة والفعل، وواجب الوجود بحسب جميع الجهات وجوب بلا إمكان وجود بلا عدم وتمام بلا نقص، فلا يمكن أن يكون غرضه من الإيجاد دفع ذلك الخوف عن نفسه.

وأما الاستعانة على الصد والنند والشريك فلأن الاستعانة هو طلب العون من الغير وهو من لوازم الضعف والعجز وهم من تناهي القوّة والقدرة، فإذا ضعف ولا عجز لكماله سبحانه قوة وقدرة فلما يتصور في حقه الاستعانة: و أيضاً لا ضد له ولا ند ولا شريك حتى يحتاج في دفعهم إلى الاستعانة، لأن كل شيء هو مخلوق له، والمخلوق لا يكون ضدأ لخالقه ولا ندأ ولا شريكاً، بل المخلوقات يكون بعضها بالنسبة إلى بعض على هذه الصفات والله سبحانه منزه عن صفات المخلوقين و خواص المحدثين .

وإليه أشار بقوله (ولكن خلائق مربوبون وعباد آخرون) يعني ولكنهم خلائق مربوبون لهم رب قاهر و عباد آخرون لهم معبد غالب فهم مقهورون مملوكون محتاجون إلى ربهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشو رأ .

والثانية عشر أنه تعالى (لم يحلل في الأشياء فيقال هو فيها كاين، ولم ينأ عنها فيقال هو منها باين) يعني أنه سبحانه أقرب إلى الأشياء من كل قريب ولكن لا بحلول فيها، وأبعد منها من كل بعيد ولكن لا بمباهنة عنها، وذلك لأنّه تعالى جعل لكل شيء حدّاً محدوداً وليس له حدّاً ونهاية فلما يكون حالاً في موضع أو محلّ وإلا لكان وجوده فيه واحتياصه به كاختصاص الحال بالمحل والمتمكّن بالمكان، وذلك

محال في حقه إذ هو خالق الم محل والمكان فيلزم افتقاره إلى ما يفتقر إليه وهو محال . وأمّا آنـه ليس بنـا عن الأـشيـاء أـي بـعـيد فـلـانـه لو كان بعيداً لـزـم أن يكون مـبـاـيـناً مـنـهـا زـايـلاً عـنـهـا ، وـذـلـكـ أـيـضاً مـمـتـنـعـ . لأنـ قـوـامـ الأـشـيـاء بـوـجـودـهـ سـبـحـانـهـ وـماـ يـتـقـوـمـ بـهـ وـجـودـ الشـيـءـ لاـ يـكـونـ بـعـيدـاً عـنـهـ ، وـقـدـ مـضـىـ تـحـقـيقـ الـكـلـامـ عـلـىـ ذـلـكـ مـمـاـ لـاـ مـزـيـدـ عـلـيـهـ فـيـ شـرـحـ الـفـصـلـ الـخـامـسـ وـالـسـادـسـ مـنـ فـصـولـ الـخـطـبـةـ الـأـوـلـىـ عـنـ بـيـانـ لـمـعـنىـ قـوـلـهـ : وـمـنـ قـالـ فـيـمـ قـدـ ضـمـنـهـ ، وـقـوـلـهـ : مـعـ كـلـ شـيـءـ لـاـ بـمـقـارـنـةـ وـغـيـرـ كـلـ شـيـءـ لـاـ بـمـزاـيـلـةـ ، فـقـدـ كـرـ

والثالثة عشر آنـهـ (لمـ يـؤـدـهـ) أـيـ لمـ يـقـلـهـ وـلـمـ يـعـيـهـ (خـلـقـ مـاـ اـبـدـهـ) وـاـخـتـرـعـ (وـلـاـ) يـكـلـهـ (تـدـبـيرـ مـاذـرـهـ) وـبـرـهـ (وـلـاـ وـقـفـ بـهـ عـجـزـ عـمـاـ خـلـقـ) حـتـىـ اـكـتـفـىـ بـمـاـ خـلـقـ وـلـمـ يـخـلـقـ أـزـيـدـ مـنـ ذـلـكـ (وـلـاـ وـلـجـتـ) أـيـ دـخـلـتـ (عـلـيـهـ شـبـهـةـ فـيـمـاـ قـضـاـ وـقـدـرـ بـلـ) اـيـجـادـهـ مـاـ أـوـجـدـ بـاـقـيـضـاءـ تـامـ وـحـكـمـةـ بـالـغـةـ وـقـضـاؤـهـ (قـضـاءـ مـتـقـنـ) خـالـ عنـ التـزلـزـلـ وـالـاضـطـرـابـ (وـعـلـمـ مـحـكـمـ) بـرـىـهـ مـنـ فـسـادـ الشـكـ وـعـرـوضـ الشـبـهـ وـالـغـلـظـ (وـأـمـرـ بـمـبـرـمـ) مـوـنـقـ لـاـ يـحـتـمـلـ الزـيـادـةـ وـالـنـقـصـانـ وـالـمـقـصـودـ بـذـلـكـ كـلـهـ تـنـزـيـهـ تـعـالـىـ عـنـ صـفـاتـ الـمـخـلـوقـينـ وـتـوـضـيـعـ ذـلـكـ مـحـتـاجـ إـلـىـ تـحـقـيقـ الـكـلـامـ فـيـ مـعـنـىـ الـجـمـلـاتـ الـثـلـاثـ أـمـاـ الـأـوـلـىـ فـالـمـقـصـودـ بـهـ آنـهـ تـعـالـىـ لـاـ يـلـحـقـهـ فـيـ خـلـقـهـ نـقـلـ وـإـعـيـاءـ وـتـعبـ وـكـلـ كـمـاـ قـالـ تـعـالـىـ :

«أَوَلَمْ يَرُوا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْنِي بِخَلْقِهِنَّ

بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ إِلَىٰ إِنْهَىٰ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» .

وـقـالـ : «وـ لـاـ يـؤـدـهـ حـفـظـهـمـاـ وـهـوـ الـعـلـىـ الـعـظـيمـ» .

وـإـنـمـاـ لـمـ يـلـحـقـهـ الـأـمـورـ الـمـذـكـورـةـ لـأـنـ خـلـقـهـ سـبـحـانـهـ وـاـيـجـادـهـ وـتـدـبـيرـهـ لـيـسـ بـتـوـسـطـ آـلـةـ جـسـمـانـيـةـ وـلـاـ استـعـمـالـ رـوـيـةـ نـفـسـانـيـةـ حـتـىـ يـطـرـئـهـ التـعـبـ وـالـانـفعـالـ وـالـشـقـلـ وـالـكـلـالـ ، بـلـ فـعـلـهـ الـاـفـاضـةـ وـصـنـعـهـ الـاـبـدـاعـ النـاشـيـ عنـ مـعـضـ عـلـمـهـ وـإـرـادـتـهـ ، وـ نـحـنـ لـوـكـنـاـ بـحـيـثـ لـوـجـدـ مـنـ نـفـسـ عـلـمـنـاـ وـإـرـادـتـنـاشـيـهـ لـمـ يـلـاحـقـنـاـ مـنـ وـجـودـهـ تـعـبـ وـانـفعـالـ

لَكُنَا نحتاج في أفعالنا إلى حركة و استعمال آلة ، على أنَّ علمنا و إرادتنا زيادة على ذاتنا ، فَاللهُ تَعَالَى أَوْلَى بِأَنْ لَا يَلْحِقَهُ تَغْيِيرٌ مِنْ صُنْعِهِ وَإِنَّمَا قَالَ : خَلَقَ مَا ابْتَدَى لِيَكُونَ سَلْبًا لِلْأَعْيُّاهُ عَنْهُ أَبْلَغَ إِذْ مَا بَتَّدَى مِنَ الْأَفْعَالِ يَكُونُ الْمَشْقَةُ فِيهَا أَنْتُمْ إِذَا أَفْعَالْتُمْ مَا يَكُونُ بِسَبِيلِ اعْتِيادِ الْفَاعِلِ أَقْلَى اتِّعَابًا وَإِعْيَاءً ، وَتَدْبِيرُهُ تَعَالَى لِمَا ذَرَهُ يَعُودُ إِلَى تَصْرِيفِهِ لِجَمِيعِ الْذَّوَاتِ وَالْأَفْعَالِ وَالصَّفَاتِ تَصْرِيفًا كُلْيَا وَجُزِيًّا عَلَى وَفَقْ حُكْمَتِهِ وَعِنْيَاتِهِ مِنْ غَيْرِ مُبَاشَرَةٍ

وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَالْمُرَادُ بِهَا أَنَّ وَقْفَهُمْ مَا خَلَقَ وَأَكْتَفَاهُ بِمَا أَوْجَدُ لِيَسْ بِعِجزِهِ عَنِ الْأَيْدِي وَفَتُورِهِ بِسَبِيلِ مَا خَلَقَ مَاسِوَاهُ ، لِأَنَّ الْعَجَزَ وَالْفَتُورَ مِنْ جِهَةِ تَنَاهِي الْقُوَّةِ الْجَسْمَانِيَّةِ وَانْفَعَالِهَا وَتَأْثِيرُهَا مَمْتَأْيِمَانِهَا فِي التَّأْثِيرِ وَهُوَ مَنْزَهٌ عَنِ جَمِيعِ ذَلِكِ وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَاشارةُ إِلَى كَمَالِ عِلْمِهِ وَامْتِنَاعِ طَرِيَانِ الشَّبَهَةِ عَلَيْهِ فِي مَقْضِيَاتِهِ وَمَقْدِرَاتِهِ ، وَذَلِكُ لِأَنَّ الشَّبَهَةَ إِنَّمَا تَعْرُضُ الْعُقْلَ فِي الْأَمْرِ الْمُعْقُولَةِ الْصَّرْفَةِ الْغَيْرِ الْمُضْرُورَيَّةِ بِصَحِيحَةِ الْوَهْمِ ، لِأَنَّ الْوَهْمَ لَا يَصْدِقُ حُكْمَ الْعُقْلِ إِلَّا فِي الْمَحْسُوسَاتِ لَا فِي الْمُعْقُولَاتِ فِي عَارِضِهِ وَيَدْخُلُ الشَّبَهَةُ عَلَيْهِ فِي الْمُعْقُولَاتِ الْمُحْضَةِ وَلَا يَصْدِقُهُ ، فَالْعُقْلُ حَالٌ اسْتِفْسَالِهِ وَجَهِ الْحَقِّ فِيهَا يَكُونُ مَعَارِضًا بِالْأَحْكَامِ الْوَهْمِيَّةِ ، فَإِذَا كَانَ الْمُطْلُوبُ غَامِضًا فَرِبَّمَا كَانَ فِي الْأَحْكَامِ الْوَهْمِيَّةِ مَا يَشْبِهُ بِعُضُّ أَسْبَابِ الْمُطْلُوبِ فَيَتَصَوَّرُ النَّفْسُ بِصُورَتِهِ وَيَعْتَقِدُ لِمَا لَيْسَ بِمِبْدَهُ مِبْدَهُ ، فَيَنْتَجُ الْبَاطِلُ فِي صُورَةِ الْمُطْلُوبِ وَلَيْسَ بِهِ .

وَلَمَّا كَانَ الْبَارِي جَلَّ شَأنَّهُ مَنْزَهًا عَنْ صَحِيحَةِ الْقُوَّى الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْأَبْدَانِ الَّتِي رَئِيسُهَا الْوَهْمُ وَكَانَ عَلَمَهُ لَذَاتَهُ لَمْ يَجِزْ أَنْ يَعْرُضَ لِقَضَائِهِ وَلَا لِقَدْرِهِ وَصَمَةُ شَبَهَةٍ أَوْ يَدْخُلُ عَلَيْهِ شَكٌّ وَرِيبٌ ، لِكَوْنِيَا مِنْ سَوَارِضِ الْعُقْلِ الْمُقْتَرَنَةِ بِهَا ، وَلِهَذَا قَالَ :

قَضَاءٌ مُتَقْنٌ ، وَعِلْمٌ مُحْكَمٌ ، وَأَمْرٌ مُبِرِّمٌ ، أَيْ لَيْسَ فِي قَضَائِهِ تَزْلِزلٌ وَتَلْعِشٌ ، وَلَا فِي عِلْمِهِ إِمْكَانٌ شَبَهَةٌ وَتَرْدُدٌ ، وَلَيْسَ لِأَمْرِهِ رَادٌ وَمَانِعٌ

الرابعة عشر انه تعالى هو (المأمول مع النقم المرهوب مع النعم) يعني أنَّ العبد لمَّا كان حال نزول البلية وحل حلول النّقمة يستغفر له سبحانه ويدعوه ويأمله وينزع

إليه لدفع البلينة ورفع الرُّزْيَة ، كان هو المأمول له مع النَّقْمَ كما أنه حال إفاضة النَّسْعَةِ والعلْيَةِ يستعد بالغفلة للاعراض عن شكرها ، فيكون عند ذلك أهلاً لأن ينزل عليه بوادر النَّقْمة من الله سبحانه كأنه هو المزهوب منه مع النَّعْمَ فهو المأمول والمزهوب معاً ، وما عاده فعلول نقمته غير مجتمع لامل رحمته ، وقيام نعمته معاند لشمول رهبته ، فلا مأمول ولا مرهوب في كلا الحالين سواه ، ولا ملجاً ولا منجاً إلا هو ، وإلى هذا المعنى ينظر شعر الشَّارح المعتبرلي :

وحق فضلك ما استيأسـت من نـعـمـ
تسـرـى إـلـى وـإـنـ حـلـتـ بـيـ النـقـمـ
وـلـاـ أـمـنـتـ نـكـالـاـ مـنـكـ أـرـهـيـهـ

الترجمة

از جمله خطب آن حضرت است در بیان صفات کمال و نعوت جلال الهی میفرماید که : حمد و تنا خداوند معبود بحقی را سزاست که پیشی نگرفته است مراورا حالی برحالی تا اینکه باشد اول پیش از آنکه باشد آخر و باشد ظاهریش از آنکه باشد باطن ، هر نامیده شده بوحدت که غیر اوست مشخص است بصفت قلت ، و هر عزیزی که غیر اوست موصوفست بصفت ذات ، و هر صاحب قوتی که غیر اوست ضعیف است و حقیر ، و هر مالکی که غیر اوست مملوک است و عبد ، و هر عالمی که غیر اوست متعلم است و آموزنده ، و هر قادری که غیر اوست گاهی قادر میشود و گاهی عاجز ، و هر صاحب سمعی که غیر اوست عاجز است از ادراك آوازهای آهسته و کریکند اورا آوازهای بزرگ ، و میرود ازاو آوازهای دور ، و هر صاحب بصری که غیر اوست کور است از رنگهای خفی وینهان و از جسمهای لطیف و رقيق القوام ، و هر ظاهری که غیر اوست غیر باطن است ، و هر باطنی که غیر اوست غیر ظاهر است ، بلکه اوست ظاهر و باطن و آشکار و نهان

از همه گان بـيـ نـيـازـ وـيـ هـمـهـ پـيـداـ
نيـافـرـيدـ آـنـچـهـ كـهـ آـفـرـيدـ آـنـراـ بـجـهـهـ تـقـويـتـ سـلـطـنـتـ وـنـهـ اـذـبـرـايـ خـوفـ اـزـ عـاقـبـتـ زـمانـهـ
وـنـهـ بـوـاسـطـهـ يـارـيـ خـواـستـنـ بـرـدـفعـ هـمـتـايـ بـرـجـهـنـدـ وـنـهـ بـرـدـفعـ شـريـكـ غـلـبـهـ كـشـتـهـ وـنـهـ

بردفع ضد مفاحرت نماینده، ولكن آنچه که خلق شده اند خلقانی هستند پرورش یافتنگان، و بندگانی هستند خوارشدگان، حلول نکرده است خدا در چیزها تا گفته شود که جاصل است در آنها، دور نشده است از آشیا تا گفته شود که از آنهاست جدا، عاجز و سنجین نگردانید اورا آفریدن آنچه که ابتدا کرده او را در ایجاد و نه تدبیر و اصلاح حال آنچه که آفریده اورا، و باز نداشت اورا عجز و ناتوانی از آنچه که خان فرمود، و داخل نشد بر او شببه در آنچه که حکم کرده و تقدير نمود

بلکه حکم او حکمی است محکم واستوار، و علم او علمی است بغايت پايدار و امر او امریست مستحکم وباقراز، اميد گرفته شده است او در حال نقمت و بليه و ترسیده شده است ازا در حال نعمة و رفاهیت

و من كلام له عليه السلام و هو الخامس والستون من المختار في باب الخطب

كان يقول لأصحابه في بعض أيام صفين وهو اليوم الذي كانت عشيته ليلة الهرير على ما نسبة الشارح المعترض إلى كثير من الروايات أو اليوم السابع من الحرب، وكان يوم الخميس سابع شهر صفر على ما استطلع عليه في رواية نصر بن مزاحم بسنده الآتي عن أبي عمر قال: إنَّه خطب هذا اليوم فقال:

مَعَاشُ النَّاسِ أَسْتَشْعِرُ وَالْخَشِيَّةَ، وَتَجَلِّبُو الْسَّكِينَةَ، وَأَعْضُوا عَلَى النَّوَاجِذِ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِسُيُوفِ عَنِ الْهَامِ، وَأَكْمَلُوا الْأَلَامَةَ، وَقَلَّقُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلْهَا، وَالْحَاطُوا الْخَزَرَ، وَأَطْعَنُوا الشَّزَرَ، وَنَافَحُوا بِالظَّبَاءِ، وَصَلُو السُّيُوفَ بِالْخَطَا، وَأَعْلَمُوا أَنْكُمْ بِعَيْنِ اللَّهِ وَمَعَ ابْنِ عَمِ الرَّسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَعَاوَدُوا الْكَرَّ، وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرَّ، فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الْأَعْقَابِ،

(جـه)

في تعليم رسوم الحرب والاشارة إلى كيفية القتال

(٤٣)

وَنَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ، وَطَيْبُوا عَنْ أَنفُسِكُمْ نَفْسًا، وَامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشِيًّا
سُجْجًا، وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوادِ الْأَعْظَمِ، وَرَوَاقِ الْمَطَبِ، فَاضْرِبُوا
ثَبَجَهُ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كَسْرِهِ، قَدْ قَدَمَ لِلْوَثْبَةِ يَدًا، وَآخَرَ
لِلنَّكْوَصِ رِجْلًا، فَصَدَمَهُ حَتَّى يَتَجَلِّي لَكُمْ عُودُ الْحَقِّ وَآتُوكُمْ
الْأَعْلَوْنَ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ.

اللغة

(المعشر) الجماعة و (الشّعّار) من الملابس ما يلى شعر الجسد و (تجلبوا)
مثل تدحرجو ما خوذ من الجلباب بالكسر وهو القميص أو ثوب واسع للمرأة دون
المخلقة أو المخلقة (١) أو الخمار أو ثوب كالمقنعة تغطي به المرأة رأسها و ظهرها
وصدرها ، وفي المصباح انه ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء ، وقال ابن فارس ما
يغطى به من ثوب وغيره والجمع الجلابيب
و (السکينة) الوقار في الحركة و الثاني في السير و (غضّضت) اللقمة
وبها و عليها أمسكتها بالأسنان و (النواجد) جمع ناجذ وهي أول الأضراس
تنبت بعد البلوغ والحمل و كمال العقل ، وقيل الاضراس كلها نواجد ، وقيل هي الضواحك
التي تبد و عند الضحك ، وعن البارز النواجد للإنسان والحافار وهي من ذوات الخفة
الأنبياء و (نبأ) السيف عن الضرورة بتقديم النّون على الباء نبوأ من باب قتل رجع
من غير قطع فهو ناب و نبا السهم عن الهدف لم يصبه و (الهام) جمع هامة وهي
رأس كل شيء .

و (اللام) باللام والهمزة الساكنة على وزن تمرة الدرع وقيل جمع آلات
الحرب و (القلقلة) التحرير و (الغمد) بالكسر جفن السيف و (سل) السيف
اخراجه من الغمد و (لحظه) بالعين ولحظت إليه لحظاً من باب نفع راقبته، ويقال

نظرت إليه بهؤخر العين عن يمين و يسار وهوأشد التفاتاً من الشزر و (الخزر) بفتح الخاء والزاء المعجمتين مصد خزر العين خزر امن باب تعجب صفرت وضاقت ، والموجود في النسخ الخذر بسكون الزاء ولعله لاما لحظة السجعة الثانية و (اطعنوا) بضم العين من باب قتل وبالفتح من باب نفع

و (الشزر) بالفتح فالسكون الطعن عن اليمين و اليسار ولا يستعمل الطعن تجاه الانسان شرراً قيل أكثر ما يستعمل في الطعن عن اليمين خاصة و (المنافحة) المضاربة والمدافعة و (الظبا) جمع ظبة بالتحفيف وبضم الظاء فيهم أحد السيف و (صلوا) أمر من وصل الشيء بالشيء جعله متصلا به و (الخطا) جمع خطوة بالضم فيما و (الكر) الرجوع و (الاعقاب) إما جمع عقب بالضم وبضمتين أى العاقبة أو جمع عقب ككتف أو عقب بالفتح أى الولد و ولد الولد و (الستحاج) بضمتين السهل و (سوداد) الناس عامتهم .

و (الرواق) ككتاب الفساطط والفتة وقيل هو ما يبين يدى البيت و (المطنب) المشدود بالأطناب و (ثيج) الشيء بالتحريك وسطه و (كمن) من باب نصر وسمع استخفى و (كسر) الخبراء بالكسر الشقة السفلية ترفع احيانا وترخي اخرى و (الونبة) الطفرة و (النکوص) الرجوع و (الصمد) القصد و (انجلي) الشيء و تجلّى أى انكشف و ظهر و (وترت) زيد أحقه واتره من باب وعد نقصته

الاعراب

عاشر الناس منصوب على النداء ، والخزر والشزر صفتان لمصدرين محددين في اي الحظوظ اخذا او اطعنوا طعنا شرراً ، واللام للغمد وطيبوا عن أنفسكم نفسيا يقال طاب نفسى بالشيء و طبت به نفساً إذا لم يكرهك عليه أحد وتعديته بعن لضمرين معنى التجاوز ، ونفساً منصوب على التمييز و لذلك وحده لأنّ حق التمييز أن يكون مفرداً مع الأمان من اللبس ، قال البحرياني : والمراد بالنفس الاولى الرأيلة بالقتل وبالثانية النفس المدببة لهذا البدن ، وصمدأ صمداً منصو بان على المصدرية و العامل محفوظ و التكرار للتساكيد والتحريض ، و الواو في قوله :

وأتم الأعلون للحال

المعنى

اعلم أن المراد بهذه الخطبة تعلم رسوم الحرب وآدابها والإرشاد إلى كيفية المحاربة والقتال، إذ في مراعاتها واللازمات عليها رجاه الفتح والظفر من الله المتعال قوله (معاشر الناس استشعروا الخشية) أى اجعلوا الخوف والخشية من الله سبحانه شعاراً لكم لازماً على أنفسكم لزوم الشعارات على الجسد (وتجليبي السكينة) أى اتخذوا الوقار والطمأنينة في السير والحركة غطاء لكم محيطاً بكم إحاطة الجلباء بالبدن.

(وغضوا على النواجد) وهذا الامر إنما محمول على الحقيقة لأن العرض يورث تصلب الأعضاء والعضلات فتكون على مقاومة السيف أقدر ويكون تأثيره فيه أقل، ويشهد به ظاهر التعلييل بقوله (فاته) أى العرض (أننا للسيوف عن الهم) وإيماناً كنایة عن شدة الاهتمام بأمر الحرب أو الصبر و تسکین القلب وترك الاضطراب فاته أشد أبعاداً لسيف العدو عن الرأس وأقرب إلى النصر (وأكملوا اللامة) والمراد باكمالها على التفسير الأول أعني كونها بمعنى الدروع هو أن يراد عليهما البيضة والسواعد ونحوهما ، وعلى التفسير الثاني اتخاذها كاملة شاملة للمجسد (وقلقلوا السيف في أغمادها قبل سلها) ليسهل السبل وقت الحاجة ، فإن طول مكتنها في الأغماد ربما يوجب الصدأ فيصعب السبل وقت الاحتياج (والمحظوظ بالخزر) لأن النظر بمؤخر العين أمارة الغضب كما أن النظر بتمام العين إلى العدو علامه الفشل (وطعنوا الشزر) لأن الطعن عن اليمين والشمال يوسع المجال على الطاعن وأكثر المناوشة للخصم في الحرب يكون عن يمينه وشماله ، ويمكن أن تكون الفائدة أن احتراز العدو عن الطعن حداه الوجه أسهل والغفلة عنه أقل (ونافحوا بالظبا) قيل : المعنى قاتلوا بالسيوف وأصله أن يقرب أحد المقابلين إلى الآخر بحيث يصل نفع كل منهما أى ريحه و نفسه إلى صاحبه ، و قيل : أى ضاربوا بأطراف السيوف و فايدته أن مخالطة العدو و التقرب الكثير منه يشغل عن

التمكّن من حربه ، وأيضاً لا يُؤثِّر الضرب مع القرب المفرط كما ينفي (و صلوا السيف بالخطا) يعني إذا قصرت السيف عن الضربية فتقديمها تتحققوا ولا تصروا حتى يلحقكم العدو ، وهذا التقدّم يورث الرعب في قلب العدو ، وإلى ذلك ينظر

قول حميد بن ثور الهلالي :

وصل الخطأ بالسيف والسيف بالخطأ إذا ظنَّ أَنَّ المرءَذَا السيف قاصر
وقال آخر :

صل السيف إذا قصر بخطوتنا يوماً و نلحقها إذا لم تلحق
و قال آخر :

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها حتى تناول ما نريد خطانا (١)
و إذا السيف قصر طولها لنا
وقال رابع :

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فتضارب
و روى عنه عليه السلام أنه قيل له في بعض الغزوات : ما أقصر سيفك ؟ قال عليه السلام :

اطوله بخطوة (واعلموا أنكم بعين الله) يراكم ويسمع كلامكم ويعلم أعمالكم ويشهد أفعالكم ، وهذا تمييز للنهى عن الفرار وتنبيه على أنَّ الله سبحانه ينصرهم ويحفظهم (و) أنه يجب عليهم التثبت والثبات (مع ابن عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الذي طاعته كطاعة وحربه كحربه (فعاودوا الكرو) أي الحملة والرجوع عند التحريف للقتال
أو التحذير إلى فتنة أو عند الفرار جبنا لو اتفق

و المراد لا تقصرروا على حملة واحدة للیأس عن حصول الغرض بل عاودوا واحملوا كرّة بعد أخرى (واستحيوا من الفرّ فانه) أي الفرار قبيح من جهتين :

إحداهما أنه (عار في الأعقاب) يعني أنه عار في عاقبة الأمر ويتحدّث الناس به في مستقبل الزمان ، هذا على كون الأعقاب جمع عقب بالضم ، وأما على كونها جمع عقب بفتح العين فالمعنى أنه عار في أولادكم يعيرون به بعدكم ومن هناروي أنَّ لعرايضاً رأى رجالاً من أولاد أبي موسى الأشعري يمشي ويتبعه ختر في مشيه ، قال :

ماله كان أباً غلب عمرو بن العاص في التحكيم

(و) الجهة الثانية أَنَّهُ (نار يوم الحساب) أَى يوجب استحقاق النار لكونه من المعاصي الكبيرة كما يشير إِلَيْهِ قوله سُبحانه: «وَمَنْ يُولَّهُمْ يُوْمَئِذٍ دُرْبَهُ إِلَّا مُتَحْرِّفًا لِقَتْلٍ أَوْ مُتَحِيمٍ إِلَى فَتَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغُضْبِ مِنَ اللَّهِ وَمَا ذِيْهِ جَهَنَّمُ وَبَشَّسَ الْمَصِيرَ» (وطيبوا عن أنفسكم نفساً) أَى طَيِّبُوا أَنفُسَكُمْ مَعْجَازِينَ عَنْ نَفْوِكُمُ الْزَّاَلَةَ وَوَطَنُوا قَدْوَبَكُمْ عَلَى بَذْلِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَارْضُوا بِهِ لِلْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ وَالْمَذَاتِ الدَّائِمَةِ (وَامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشِيَّا سَهْلًا) سَهْلًا بِدُونِ تَكَلُّفٍ

(وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ) أَى مَعَظَّمُ الْقَوْمِ الْمُجَمِّعِينَ عَلَى مَعَاوِيَةِ (وَالرِّوَاقِ الْمُطْنَبِ) ارَادَ بِهِ مَضْرِبَ مَعَاوِيَةِ وَكَانَ فِي قَبَةِ الْعَالِيَةِ بِأَطْنَابِ عَظِيمَةِ، وَحَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَصَنَادِيدِهِمْ مَأْةُ أَلْفٍ كَانُوا تَعَاهَدُوهُ أَنْ لَا يَنْفَرُجُوا عَنْهُ أَوْ يَقْتَلُوْا (فَاضْرَبُوهُمْ ثَبِيجَهُ أَى وَسْطَهُ (فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كُسْرَهُ)) الْمَرَادُ بِالشَّيْطَانِ إِمَّا مَعَاوِيَةُ أَوْ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ، وَإِطْلَاقُ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمَا لِشَبَاهِهِمَا بِالشَّيْطَانِ فِي الْاَضْلَالِ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ سُبحانَهُ، وَالْاَظْهَرُ أَنَّ الْمَرَادَ بِهِ مَعْنَاهُ الْحَقِيقَى لِأَنَّ الْمَعَاوِيَةَ كَانَ بَارِزًا فِي الصَّدْرِ لَا كَامِنًا فِي الْكَسْرِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِبِيَانِ جَبِينِهِ وَلَا يَنْفَافِي إِرَادَةِ الْحَقِيقَةِ قَوْلُهُ (قَدْ قَدَمْ لِلْوَثِيقَةِ يَدًا وَأَخْرَى لِلنَّكُوصِ رِجْلًا) لِأَنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنْ رَفِقَاءِ مَعَاوِيَةِ وَأَصْحَابِهِ كَانَ يَشْبُهُ لَوْنَبَوْهُمْ وَيَرْجُعُ بِرَجُوعِهِمْ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَرَادَ بِوَثِيقَتِهِ طَمْعَهُ فِي غَلَبةِ أَصْحَابِ مَعَاوِيَةِ وَتَحْرِيصِهِ لَهُمْ عَلَى الْقَتَالِ، وَبِالنَّكُوصِ مَا يَقْبَلُهُ (فَصَمَدَ أَصْدَمًا حَتَّى يَنْجُلِي لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِيقَةِ) أَى اقْصَدُوهُمْ قَصْدًا وَاصْبِرُوا عَلَى الْجَهَادِ إِلَى أَنْ يَظْهُرَ لَكُمْ نُورُ الْحَقِيقَةِ .

قال المجلسي : عمود الحق لعله للتشبيه بالفجر الأول ، وفيه اشعار بعدم الظهور لا كثرة القوم كما ينبغي (وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ) أى الغالبون على الأعداء بالظفر أو بأنكم على الحق (وَاللَّهُ مَعَكُمْ) لَا نكم أنصاره (وَلَنْ يَتَرَکُمْ أَعْمَالُکُمْ) أى لا ينقصكم الله جزاء أعمالكم و هذه اللفظة اقتباس من الآية الشريفة في سورة محمد وهو قوله سُبحانه :

«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ شَمَّ مَأْتُوا وَمُمْ كُفَارُ

فَلَنْ يَغْرِيَ اللَّهُ لَهُمْ فَلَا تَهْنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنُ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمْ أَعْهَالَكُمْ».

نكلمة

هذه الخطبة مروية في البخار من كتاب بشارة المصطفى عن إبراهيم بن الحسين البصري ، عن محمد بن الحسين بن عتبة ، عن محمد بن أحمد بن مخلد ، عن أبي المفضل الشيباني ، عن محمد بن مقل ، عن محمد بن أبي الصحباني ، عن البزنطي ، عن أبيان بن عثمان ، عن أبيان بن تغلب ، عن عكرمة مولى عبدالله بن العباس رضي الله عنه قال : عقم النساء أن يأتين بمثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ما كشفت النساء ذيولهن عن مثله ، لا والله ما رأيت فارساً محدثاً يوزن به لرأيته يوماً ونحن معه بصفين وعلى رأسه عمامة سوداء وكأن عينيه سراجاً سليط يتقدان من تحتهما يقف على شرذمة يخصهم حتى انتهى إلى نفر أنا فيهم وطلعت خيل لمعاوية تدعى بالكتيبة الشهباء عشرة آلاف دارع على عشرة آلاف أشہب ، فاقشعر الناس لها لما رأوها وانحاز بعضهم إلى بعض فقال أمير المؤمنين عليه السلام :

فيم النخع والخنج يا أهل العراق هل هي إلا أشخاص مائلة فيها قلوب طائرة لومسها قلوب أهل الحق لريتهما كجراد بقعة سفتها الريح في يوم عاصف ، إلا فاستشرعوا الخشية فتجلبيوا السكينة وادرعوا الصبر وغضوا الأصوات وقلقلوا الأسياف في الأغماد قبل السلة وانتظروا الشزر واطعنوا الوجر وكفحوها بالظبا وصلوا السيف بالخطأ ، والنبل بالرماح ، وعاودوا الكر واستحقوا من الفر فانه عاد في الأعقاب ، ونار يوم الحساب ، وطبووا عن أنفسكم نفساً ، وامشووا إلى الموت مشية سمحجا ، فانكم بعين الله عز وجل ومع أخي رسول الله

وعليكم بهذا السرادي الأول ، والرافق المظلم ، فاضربوا ثيجه فإن الشيطان راقد في كسره نافش حضنه مفترش ذراعيه ، قد قدم للونية يداً وأخر للفنكوس رجالاً ، فصمداً صمداً حتى يجعلى لكم عمود الحق و أنتم الأعلون والله معكم ولن

يتركم أعمالكم ، ها أنا شايد فشدوا باسم الله حم لا ينصرون
 ثم حمل عليهم أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى ذريته حملة وتبغه خويلة
 لم تبلغ المأة فارس فأجالهم فيها جولان الرّحى المسرحة ببقالها ، فارتقت عجاجة
 منعنتي النظر ، ثم انجلت فأثبتت النظر فلم نر إلا رأسا نادراً ويداً طايحة ، فما كان
 بأسرع أن ولو مددرين كأنهم حمر مستقرفة فرت من قصورة ، فإذا أمير المؤمنين باليمن
 قد أقبل وسيقه ينطوف ووجهه كشقة القمر وهو يقول :

« قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا يمان لهم أعلمهم ينتهون » .

وردتها في البحار أيضاً من تفسير فرات بن إبراهيم بسمه عن ابن عباس نحوه ، ولا
 بأس بتفسير بعض ألفاظها الغريبة

فاؤول «السلبيط» الزيت «والنخع والخنع» الذُّلُّ والخضوع «والمائلة» القائمة
 أو المتمثلة بالمشبهة بالانسان وفي بعض النسخ مائلة من الميل أي عاولة عن الحق
 فيها «قلوب طايرة» أي من الخوف و «سفت» الرحيم التراب بالتخفيذ ذرته و «القيعة»
 الأرض المستوى و «الوجر» بالجيم و الراء المهملة قال في القاموس أو جره الرحيم
 طعنه به في فيه و «المكافحة» المضاربة والمدافعة تلقاه الوجه و «النبال بالرماح»
 أي ارمومهم بالنبال فإذا قربتم فاستعملوا الرماح والعكس أظهر أي إذا لم تصلوا الرماح
 فاستعملوا النبال كأنكم وصلتموها بها فيكون النسب بالفقرة السابقة و «الاول»
 الأسود صورة أمعنا كالمظلم

«ناوش» حضنيه في بعض النسخ نافج وهو الأظهر لأن الأول غير مناسب
 للمقام يقال نفجت الشيء رفعته وكفى به عن التعظم والتكبر و «شد» في الحرب يشد
 بالكسر حمل على العدو « و حم لا ينصرون » عن ابن الأثير في النهاية في حديث
 الجهاد إذ أتيتم فقولوا حم لا ينصرون ، قيل معناه اللهم لا ينصرون ويريد به الخبر لا
 الدعاء وإلا لقال لا ينصروا مجزوما ، فكانه قال والله لا ينصرون ، وقيل إن السور التي
 أولها حم سور لها شأن فنبه أن ذكرها لشرف شأنها مما يستظره به على استنزل

النصر من الله ، وقوله لا ينصرفون كلام مستأنف كأنه حين قال قولوا حم قيل ماذا يكون إذا قلناها قال لا ينصرفون

و « الخويلة » إما تصغير الخيل على غير قياس أو تصغير الخول بمعنى الخدم والخشم و « التفال » جمله تبسط تحت رحى اليد ليقع عليها الدقيق ويسمى الحجر الأُسفل تقابلاً بها و « العجاجة » الغبار و « ندر » الرأس سقط و « طاح » يطوح ويطيح هلك و أشرف على الملائكة و ذهب و سقط و « القسورة » الأسد و « سيفه ينطف » أى يقطر دمًا و « الشقة » بالكسر القطعة المشقوقة و نصف الشيء فإذا شقَّ .

تدليل

قدمضي طرف من وقائع صفين في شرح بعض الخطب السابقة ، فذكرنا في شرح الفصل الثالث من فصول الخطبة السادسة والعشرين كيفية ارسال أمير المؤمنين جرير ابن عبدالله البجلي إلى معاوية بالرسالة وكيفية بيعة عمرو بن العاص لمعاوية ، وفي شرح كلامه الثالث والأربعين تفصيل قصة جرير و مكالماته مع معاوية و يأسه من بيعته حتى رجع إلى العراق و انجر الأمر إلى حرب صفين ، وفي شرح الخطبة الثامنة والأربعين كيفية خروج أمير المؤمنين عليهما من كوفة متوجهًا إلى صفين ، و في شرح الخطبة الواحدى والخمسين نزوله عليهما بصفين و غلبة أصحاب معاوية على الشريعة و فتح الفرات ، وفي شرح الخطبة الخامسة والثلاثين قصة ليلة الهرير وكيفية التحكيم إلى آخر الحرب .

فأحببت أن أورد هنا بقية تلك الواقعة وهي من فتح الشريعة إلى ليلة الهرير لافتتاح المقام ذلك و ليكون شرحنا ذلك مشتملاً على تمام تلك الواقعة ولو اجمالاً و يستغنى الناظر به عن الرجوع إلى غيره ولا يشد عنه جمل تلك الواقعة .

فأقول : روى المحدث العلامة المجلسي في البحار والشمارح المعتزلية جميعاً من كتاب صفين لنصر بن مزاحم أنه وصل أمير المؤمنين عليهما إلى صفين لثمان بقين من المحرم من سنة سبع و ثلاثين .

قال نصر : و لم يأمرك أمير المؤمنين الماء بصفين ثم سمح لأهل الشام بالمشاركة

فيه والمساهمة رجاء أن يعطفوا إليه واستمالة لقلوبهم فإظهاراً للمعذلة وحسن المسيرة فيهم ، مكث أياماً لا يرسل إلى معاوية ولا يأتيه من عند معاوية أحد واستبطأ أهل العراق إذنه لهم في القتال وقالوا : يا أمير المؤمنين خلفنا ذرارينا ونسائنا بالكوفة وجيئنا إلى أطراف الشّام لنتخذه وطننا ، ائذن لنا في القتال فإنَّ الناس قد قالوا قال **عليه** ما قالوا ؟ فقال قائل منهم إنَّ الناس يظنُون أنك تكره الحرب كراهية الممات وأنَّ من الناس من يظنُ أنك في شكٍّ من قتال أهل الشّام .

أقول : فأجابهم بجواب مرّ ذكره فيما سبق وهو الكلام الرابع والخمسون .
قال نصر : فقال **عليه** ومتى كنت كارها للحرب قط إنَّ من العجب حبِّي لها غلاماً ويفعلها وكراهتي لها شيخاً يدعى نفاد العمر وقرب الوقت وأما شكري في القوم فلو شكلت فيهم شكلت في أهل البصرة فوالله لقد ضربت هذا الامر ظهراً وبطناً فما وجدت أن يسعني إلا القتال أو أن أعصي الله ورسوله ولكنني استأني (١) بالقوم عسى أن يهتدوا أو يهتدي فيهم طيفة فإنَّ رسول الله **عليه** قال لي يوم خير : لأنَّ يهدى الله بك رجالاً واحداً خير لك مما طلت عليه الشّمس .

قال نصر : فبعث على معاوية بشر بن عمرو وسعيد بن قيس وشيمث بن رباعي فقال ائتوا هذا الرجل فادعوه إلى الطاعة والجماعة وإلى اتباع أمر الله سبحانه وتعالى ، فقال شيمث يا أمير المؤمنين الانضم معه في سلطان توليه إيه و منزلة يكون له بها اثر عننك إن هو بيعك ؟ قال : ائته الآن والقوه واحتجموا عليه وانظروا ما رأيه في هذا ، فدخلوا عليه فابتده بشر بن عمرو بن ممحصن فحمد الله وأثنى عليه وقال :

أمّا بعد يا معاوية فإنَّ الدّنيا عنك زائلة وإنك راجع إلى الآخرة وأنَّ الله مجازيك لعملك ومحاسبتك بما قدمت يداك ، وإنْ شئ انشدك الله أن تفرق جماعة هذه الأمة وأن تسفك دماءها يبنها .

فقطع معاوية عليه الكلام فقال : فهم لا أوصيت صاحبك ؟ فقال : سبحان الله إنَّ صاحبي ليس مملوك صاحبِي أحق الناس بهذا الامر في الفضل والدين والسابقة في

الاسلام والقرابة من الرّسول ، قال معاوية فتقول ماذا ؟ قال : أدعوك إلى تقوى ربك
و إجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق فانه أسلم لك في دينك و خير لك
في عاقبة أمرك قال و بطل دم عثمان لا و الرحمن لا أفعل ذلك أبداً .
فذهب سعيد بن قيس ليتickle فبدره شيش بن ربيعى فحمد الله و أثنى عليه

ثم قال :

يا معاوية قد فهمت مارددت على ابن محسن انه لا يخفى علينا ماتطلب إنك
لاتجد شيئاً تستغوي به الناس ولا شيئاً تستميل به أهواهم إلا أن قلت لهم قتل امامكم
مطلوباما فلما نطلب بدمه فاستجاب لك سفلة طغام رذال ، وقد علمنا أنك بطأت
عنه بالنصر وأحييت له القتل لهذه المنزلة التي تطلب ، و رب هبتع أمراً و طالبه
يحول الله دونه وربما أُتي المتنفس أهنيته وربما ملؤتها ، و والله عالك في واحدة منها
خير ، والله إن أخطاك ما ترجو انك لشر العرب حالاً لئن أصبت ما تمني لاصب
حتى تستحق صلی النّار ، فاتق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه ولا تنسا
الأمر أهله .

فحمد معاوية الله و أثنى عليه و قال : أمّا بعد ، فان أول ما عرفت به سفك
وبخفة علمك قطعك على هذا الحسيب الشريف سيد قومه منطقه ثم عتبت بعد فيما
لأعلم لك به ، ولقد كذبت ولو ظلت أيها الأعرابي الجلف الجافي في كل ما وصفت ،
انصرفوا من عندي فإنه ليس يعني و ينكم إلا السيف و عصب .

فخرج القوم و شيش يقول : أعلينا تهول بالسيف أما والله لنعجلنه إليك ،
قال نصر : خرج قرآن أهل العراق و قرآن أهل الشام فعسكروا في ناحية صفين
في ثلاثة ألاف .

قال : و عسكر علي عليه السلام على الماء و عسكر معاوية فوقه على الماء ، و مشت
القراء بين علي و معاوية ، منهم عبيدة السليماني ، و علامة بن قيس النخعي ،
و عبد الله بن عتبة ، و عمار بن عبد القيس فدخلوا على معاوية فقالوا : يا معاوية ما
(ج٤)

الذى تطلب ؛ قال : اطلب بدم عثمان ، قالوا : مم من طلب بدم عثمان ؟ قال : أطلبه من علي ، قالوا أو علي قتله ؛ قال : نعم هو قتله وأوى قتلتة ، فانصرفوا من عنده فدخلوا على علي و قالوا : إن معاوية زعم أنك قتلت عثمان ، قال : اللهم لكذب على لم أقتله .

فرجعوا إلى معاوية فأخبروه فقال : إن لم يكن قتله فقد أمر وما ، فرجعوا إليه و قالوا : يزعم أنك إن لم تكن قتلت يدك فقد أمرت و ما لئت على قتل عثمان فقال : اللهم لكذب في مقال ، فرجعوا إلى معاوية فقالوا : إن علي يزعم أنه لم يفعل ، فقال معاوية : إن كان صادقا فلقدنا من قتلة عثمان فانهم في عسكره و جنده وأصحابه و عضده فرجعوا إلى علي فقالوا : إن معاوية يقول لك إن كنت صادقا فادفع إلينا قتلة عثمان أو مكتنا منهم ، فقال لهم : إن القوم تأولوا عليه القرآن و وقعت الفرقة و قتلوا في سلطانه و ليس على ضربهم قود فخصم على معاوية .

قال لهم معاوية : إن كان الأمر كما تزعمون فلم ابتز الأمر دوننا على غير مشوّنة منا و مم من همنا معنا ، فقال : علي عليكم السلام إن الناس تتبع المهاجرين والأنصار وهم شهود للمسلمين في البلاد على ولاتهم و امرائهم و امراء دينهم ، فرضوا بي و بايعوني ولست استحل أن أدع ضرب معاوية يحكم على هذه الأمة و يزكيهم و يشق عصاهم ، فرجعوا إلى معاوية فأخبروه بذلك فقال : ليس كما يقول بما من هوننا من المهاجرين والأنصار لم يدخلوا في هذا الأمر ، فانصرفوا إليه عليكم السلام فأخبروه بقوله ، فقال : ويحكم هذا للبيهقيين دون الصحابة و ليس في الأرض بدري إلا وقد بايعني و هو معى وقد أقام و رضى فلا يغرنكم من أنفسكم و دينكم

قال نصر : فراسلوا بذلك ثلاثة أشهر ربيع الآخر و جماديين و هم مع ذلك يفرغون الفرغة فيما بينهما و يرجف بعضهم إلى بعض و يحجز القراء بينهم . قال : فرغوا في ثلاثة أشهر خمسا و ثمانين فرغة كل فرغة يرجف بعضهم إلى بعض و يحجز القراء بينهم لا يكون بينهم قتال .

قال نصر : خرج أبو أمامة الباهلى و أبو الدرداء فدخلوا على معاوية فقالا : يا

معاوية على متقاول هذا الرّجل فوالله لو أقدم منك سلما وأحق هنك بهذا الْأَمر وأقرب من رسول الله فعلى متقاوله؛ فقال: اقاتلهم على دم عثمان وأنه آوى قتلته فهو ولو الله فليقدرنا من قتله وأنا أول من بايعه من أهل الشّام.

فانطلقو إلى علي فأخبروه بقول معاوية فقال عليه السلام: إنما يطلب الذين ترون فخرج عشرون ألفاً وأكثر متسللين الحدود لا يرى منهم إلا الحدق فقالوا: كثنا قتله فان شاؤوا فليرموا ذلك منـا، فرجع أبو أمامة وأبو الدرداء فلم يشهدوا شيئاً في القتال حتى إذا كان رجب وخشى معاوية أن يتبع القراء علينا أخذ في المكر وأخذ يحتال للقاء.

قال: فكتب في سهم من عبدالله الناصح أنتي أخبركم أن معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات فيغرقكم فخذلوا حذركم، ثم رمى بالسهم في عسكر علي فوقع السهم في يد رجل فقرئه ثم أقره صاحبه فلما قرأه قرئ الناس وقرئه من قبل وأدبر قالوا: هذا أخ لنا ناصح كتب إليكم يخبركم بما أراد معاوية فلم ينزل السهم يقراء ويرتفع حتى رفع إلى علي عليه السلام.

وقد بعث معاوية مأتي رجل من العملة إلى عاقول من النهر بأيديهم المزور والزمل يحفرون فيها بحیال عسكر علي، فقال علي: ويحكم إن الذي يعالج معاوية لا يستقيم له ولا عليه إنما يريد أن يزيلكم عن مكانكم فاتهروا عن ذلك دعوه، فقالوا له والله يحفرون والله لنرتحل وإن شئت فاقم، فارتخلوا وصعدوا بعسكرهم همّياً وارتحل علي في آخريات الناس وهو يقول:

فلو أني أطعت عصمت (١) قومي
إلى ركن اليمامة (٢) أو شام
ولكني متى ابرهت امراً
منيت بخلف آراء الطغام (٣)
قال فارتخل معاوية ونزل بعسكر علي الذي كان فيه، فدعاه علي عليه السلام الأشتر

١- وروى عصبت بذلك منه.

٢- اليمامة ناحية من العجاجان واليمن والشام على فعال الشامي كاليمان، بحار.

٣- الطغام بالتين المعجمة - أو غاد الناس.

قال : ألم تغلبني على رأيي أنت والأشعث برأيكما ، فقال الأشعث أنا أكفيك يا أمير المؤمنين ساداوي ما افسدت اليوم من ذلك ، فجمع كندة فقال لهم : يامعشر كندة لاتضحيوني اليوم ولا تخذلني فانـما أنا قارع بكم أهل الشـام ، فخرجوا معه رجالـة يمشون و بيده رمح له يلقـيه على الأرض ويقول ، امشوا قيس رمحـي هذا ، فيمشـون فلم يزل يقيـس لهم الأرض بـرمحـه و يمشـون معـه حتـى أتـى معاوـية و سـط بنـي سـليم واقـفا على المـاء ، وقد جـاهـه أدـانـي عـسـكرـه .

فاقتـلـوا اقتـالـا شـدـيدـاً عـلـى المـاء سـاعـة و انتـهـى أـوـايـلـ أـهـلـ العـرـاقـ فـنـزـلـوا ، وأـقـبـلـ الأـشـترـ في جـنـدـه من أـهـلـ العـرـاقـ فـحـمـلـ إـلـى مـعـاوـيـة وـالـأـشـعـثـ يـحـارـبـ في نـاحـيـةـ أـخـرـى فـانـحـازـ مـعـاوـيـةـ في بـنـيـ سـلـيمـ فـرـدـ وـجـوهـ إـبـلـهـ قـدـرـ ثـلـاثـ فـراـسـخـ ، نـمـ نـزـلـ وـوضـعـ أـهـلـ الشـامـ أـنـقـالـهـمـ وـالـأـشـعـثـ يـهـدرـ وـيـقـولـ اـرـضـيـكـ ياـ أمـيرـ المـؤـمـنـيـنـ وـقـالـ أـشـترـ ياـ أمـيرـ المـؤـمـنـيـنـ قـدـ غـلـبـ اللـهـ لـكـ عـلـى المـاءـ .

قال نصر : و كان كلـ واحدـ منـ عـلـيـ وـ مـعـاوـيـةـ يـخـرـجـ الرـجـلـ الشـرـيفـ فـي جـمـاعـةـ وـيـقـاتـلـ مـثـلـهـ وـكـانـواـ يـكـرـهـونـ أـنـ يـزـاحـفـواـ بـجـمـيعـ الـفـيلـقـ مـخـافـةـ الـامـتـيـصالـ وـالـهـلاـكـ ، فـاقـتـلـ النـاسـ ذـاـ الـحـجـةـ كـلـهـ فـلـمـ اـنـقـضـيـ تـدـاعـواـ إـلـىـ أـنـ يـكـفـ بـعـضـهـمـ عـنـ بـعـضـ إـلـىـ أـنـ يـنـقـضـيـ الـمـحـرـمـ لـعـلـ اللـهـ أـنـ يـجـرـيـ صـلـاحـاـ اوـ اـجـتمـاعـاـ ، فـكـفـ النـاسـ فـي الـمـحـرـمـ بـعـضـهـمـ عـنـ بـعـضـ .

قال نصر : حدثنا عمر بن سعد عن أبي المجاهد عن المدخل بن خليفة، قال : لما توادعوا في المحرّم اختلفت الرسل فيما بين الرجلين رجاء الصلاح، فأرسل عليٌّ إلى معاوية عدي بن حاتم، وشبّث بن ربعي، ويزيد بن قيس، وزياد بن حفصة فلما دخلوا عليه حمد الله تعالى عدي بن حاتم وأتني عليه وقال أمّا بعد : فقد اتبناك لندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وامتنا ويحقن دماء المسلمين ندعوك إلى أفضل الناس سابقة وأحسنهم في الإسلام آثاراً، وقد اجتمع له الناس وقد أرشدهم الله بالذى رأوا وأتوا فلم يبق أحد غيرك وغير من معك ، فابتئه پا معاوية من قبل أن يصيبك الله وأصحابك بمثل يوم الجمل

فقال له معاوية : كأنك إنما جئت متهدداً ولم تأت مصالحاً هيئات يا عدي
أبي لابن حرب ما يقع (١) لي بالشئآن ، أما والله إنك من المجلين على عثمان
وإنك لمن قتلتوني لا رجو أن تكون من يقتله الله

فقال له شيبت بن ربيعه وزياد بن حفصة وتنازعوا كلاماً واحداً : أتيناك فيما يصلحنا
وإياك فأقبلت تضرب لنا الأمثال ، دع مالا ينفع من القول و الفعل وأجبنا فيما يعنينا
وإياك نفعه .

وتكلم يزيد بن قيس فقال : إنما لم نأتك إلا لنبلغك الذي بعثنا به إليك ولنؤدي
عنك ما سمعناه منك ولم ندع أن ننصح لك وأن ذكر ما ظننا أن لنا فيه عليك حجحة
أو أنه راجع بك إلى الألفة والجماعة ، إن صاحبنا من قد عرفت وعرف المسلمين
فضله و لا أظنه يخفى عليك أن أهل الدين و الفضل لا يعدلونك بعليه ولا يساوون
بينك وبينه ، فاتق الله يا معاوية و لا تخالف علينا فائنا والله ما رأينا رجلاً قط أعلم
بالتسقى ولا أزهد في الدنيا ولا أجمع لخصال الخير كلها منه

فحمد الله معاوية وأنى عليه وقال : أمّا بعد فأنكم دعوتم إلى الجماعة والطاعة
فأما التي دعوتم إليها فنعم ساهي وأمّا الطاعة لصاحبكم فانا لا ترضي به إن صاحبكم
قتل خليفتنا وفرق جماعتنا وأوى ثارنا وقتلتنا ، وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله فنحن
لا نرد ذلك عليه أرأيت قتلة صاحبنا ألسنتهم أصحاب صاحبكم فليدفعهم
إلينا فلنقتلهم به ونحن نجيئكم إلى الطاعة والجماعة

فقال له شيبت : ايسرك بالله يا معاوية إن أمكنت من عمّار بن ياسر فقتلته ؟ قال :
وما يمنعني من ذلك ، والله لو أمكنني صاحبكم من ابن سمية ما أقتله بعثمان ، ولكن
كنت أقتله بنائلة مولى عثمان ،

فقال شيبت : و إله السماء ما عدلت معدلاً و لا الذي لا إله إلا هو لا يصل
إليك قتل ابن ياسر حتى يشد الرهام عن كواهل الرجال ، و تضيق الأرض الفضاء

١- القاعدة تحريك الشىء، الياس الصلب مع صوت مثل السلاح وغيره والشنان جمع السن

وهي القربة اليابسة وهم يحركونها اذا ارادوا حرث الابل على السير لتفريع فسريع، بحار

عليك بما رحبت .

فقال معاوية : إذا كان ذلك كانت عليك أضيق ثم رجع القوم عن معاوية فبعث معاوية إلى زياد بن حفصة من بينهم فأدخله عليه فحمد معاوية الله وأنتى عليه ثم قال : أمّا بعد يا أخا ربّي قطع أرحامنا وقتل إمامنا وأوى قتلته وإنّي أسألك النصرة عليه باسرتك وعشيرتك ، ولك على عهد الله وميناقه إذا ظهرت أن أولئيك أى المصرين أحبيب .

قال زياد : فلما قضى معاوية كلامه حمدت الله وأنتى عليه ثم قلت : أمّا بعد فانتى لعلى بيضة من ربّي وبما أنعم الله على فلن أكون ظهيراً للمجرمين ، ثم قمت فقال معاوية لعمرو بن العاص وكان إلى جانبه : ما لهم غضبهم الله ما في قلوبهم ما قبلهم إلا قلب رجل واحد

قال نصر : وبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري إلى علي وشرجيل بن السّمط ومن بن يزيد فدخلوا عليه ، فتكلّم حبيب وحمد الله وأنتى عليه وقال أمّا بعد فإن عثمان بن عفان كان خليفة مهدياً يعمل بكتاب الله وينبئ إلى أمر الله فاستقلتم حياته واستبطأتم وفاته ، فعدوتم عليه فقتلتموه ، فادفع إلينا قتلة عثمان لقتلهم به ، فإن قلت إنّك لم تقتلته فاعتزل أمر الناس فيكون أمرهم هذا شورى بينهم يول الناس أمرهم من أجمع رأيهم عليه .

فقال له علي عليه السلام : ومن أنت لام لك والولادة والعزل والدخول في هذا إلا من اسكت فانتك لست هناك ولا بأهل لذاك ، فقام حبيب بن مسلمة وقال والله لتراني حيث تكره ، فقال علي وما أنت ولو أجلبت بخيلك ورجلك اذهب فصوّب وصعد ما بدالك فلا أبقى الله لك إن أبقيت ، فقال شرجيل بن السّمط إن كلّمتك فلعمري ما كلامي لك إلا نحو كلام صاحبي فهل عندك جواب غير الذي أجبته ؟ قال : نعم ، قال فقله ، فحمد على الله وأنتى عليه ثم قال أمّا بعد

فإن الله سبحانه بعث محمداً صلوات الله عليه وآله وسلامه فانقضى به من الضلاله ونعش به من الملائكة وجمع به بعد الفرقه ، ثم قبضه الله إليه وقد أدى ما عليه فاستخلف الناس أبا بكر ثم

استخلف أبو بكر عمر ، فأحسنا السيرة و عدلا في الأمة وقد وجدنا عليهمما أن توليا
الأمر دوننا و نحن آل الرسول وأحق بالأمر فغفرنا ذلك لهم ، ثم ولى أمر الناس
عثمان فعمل بأشياء عابها الناس عليه فساء إليه ناس فقتلوه

ثم أثأني الناس وأنا معتزل أمرهم فقالوا لي : بايُع فَأَيْمَتْ عَلَيْهِمْ ، فَقَالُوا إِلَيْهِ
بَايُعْ فَإِنَّ الْأَمَّةَ لَا ترْضِي إِلَّا بِكَ وَإِنَّا نخاف إِنْ لَمْ تَفْعَلْ تَفْرِقَ النَّاسَ ، فَبَايُعْهُمْ فَلَمْ
يُرَعَى إِلَّا شَقَاقَ رَجُلَيْنِ (١) قَدْ بَيَاعَا وَخَلَافَ مَعَاوِيَةَ إِيَّاهُ الذِّي لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ لَهُ سَابِقَةَ
فِي الدِّينِ وَلَا سَلْفَ صَدْقَ فِي الْإِسْلَامِ ، طَلِيقَ بْنَ طَلِيقَ ، وَ حَزْبُ مِنَ الْأَحْزَابِ ، لَمْ
يَزِلْ اللَّهُ وَ لِرَسُولِهِ عَدُوًّا هُوَ وَأَبُوهُ حَتَّى دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ كَارِهِينَ مَكْرِهِينَ
فِيَاعِجَابَكُمْ وَلَا تَقِيَادَكُمْ تَدْعُونَ إِلَى «أَهْلِ» بَيْتِ نَبِيِّكُمُ الَّذِينَ لَا يَنْبَغِي شَقَاقُهُمْ وَلَا خَلَافُهُمْ
وَلَا أَنْ تَعْدُلُوا بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ إِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسَنَةِ نَبِيِّكُمْ
وَإِمَانَةِ الْبَاطِلِ وَإِحْيَا مَعَاوِيَةَ الدِّينِ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُلَّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ
وَمُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ .

فقال له شرجيل و معن بن يزيد : أشهد أن عثمان قتل مظلوماً فقال : لا أقول
ذلك ، قالا : فمن لا يشهد أن عثمان قتل مظلوماً فتحن منه براء ، ثم قاما فانصرفا
فقال علي :

«إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْقِيَّ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدَّعَاءَ إِذَا وَلَوْا مُدْبِرِينَ
وَمَا أَنْتَ بِهِادِي الْفُقِيرِ عَنْ ضَلَالِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ
مُسْلِمُونَ» .

ثم أقبل على أصحابه فقال : لا يكن هؤلاء في ضلالتهم بأولى بالجحود منكم في حكمكم
وطاعة إمامكم ثم مكث الناس إلى انسلاخ المحرر فلما انسلاخ واستقبل الناس
صفراء من سنة سبع وثلاثين بعث على نفراً من أصحابه حتى إذا كانوا في عسكر
معاوية بحيث يسمعونهم الصوت قام مرند بن الحرف (يزيد بن العارث خ) الخيمي

فناذى عند غروب الشمس : يا أهل الشام إنَّ أمير المؤمنين علياً وأصحاب رسول الله يقولون لكم : إنما والله لم نكف عنكم شكافي أمركم ولا إبقاء عليكم وإنما كفينا عنكم لخروج المحرم ، وقد انسلاخ ، وإنما قد نبذنا إليكم على سواه فإنَّ الله لا يحب كيد الخائنين ، قال فسار الناس إلى رؤسائهم وأمرائهم .

قال نصر : و أمراً رواية عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبي الزبير أنَّ نداء ابن مرند الخشعري كانت صورته : يا أهل الشام إلا إنَّ أمير المؤمنين يقول لكم . إنني قد استأنيت لكم لتراجعوا إلى الحق و تنبوا إليه احتججت عليكم بكتاب الله و دعوتكم إليه ، فلم تتناهوا عن طغيان ، ولم تجيبوا إلى حق ، فأنني قد نبذت إليكم على سواه إنَّ الله لا يحب الخائنين

قال : فسار الناس إلى رؤسائهم وخرج معاوية وعمرو بن العاص يكتبان الكتاب ويعيّنان العسّكر ، وأدقدوا النّيران وجاءوا بالشّموع وبات على ليلته تلك كلّها يعيّن الناس ويكتب الكتاب ويدور في الناس ويحرّضهم

قال نصر : فخرجوا أول يوم من صفر سنة سبع و ثلاثة و هو يوم الأربعاء فاقتتلوا ، وعلى من خرج يومئذ من أهل الكوفة الاشتـر ، وعلى أهل الشام حبيب بن مسلمة فاقتتلوا قتالاً شديداً جل النــهار ، ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض ثم خرج في اليوم الثاني هاشم بن عتبة في خيل ورجال حسن عددها وعدتها ، فخرج إليه من أهل الشام أبو الأغور الســلمي ، فاقتتلوا يومهم ذلك ، تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال ثم انصرفوا وقد صبر القوم بعضهم لبعض

وخرج في اليوم الثالث عمــار بن ياســر وخرج إليه عمــار بن العاص فاقتتل الناس كأشد قتال كان ، وجعل عمــار يقول : يا أهل الاسلام أتــريدون أن تــنظروا إلى من عاد الله ورسوله وجاهدهما وبغى على المسلمين وظاهر المشركون فاما أراد الله أن يظهر دينه وينصر رسوله أتــي إلى النبي فأسلم وهو والله فيما يرى ذاهب غير راغب ، ثم قبض الله رســوله ، وإنما والله لنعرفه بعد ادــاة المسلم و مودــة المــجرم ، ألا وإنــه معاوية فقاتلوه والعنــه ، فــانــه من يطــفى نور الله ويظــاهر أعدــاء الله

قال : و كان مع عمّاد زيد بن النضر على الخيل فامرها أن يحمل في الخيل فحمل
فصبروا له ، و شد عمار في الرجالة فأزال عمرو بن العاص عن موقفه و رجع الناس
يومهم ذلك .

قال نصر : و حدثني أبو عبد الرحمن المسعودي ، عن يونس الأرقم ، عن
حدّثه عن شيخوخ بكر بن وائل ، قال : كنا مع عليّ بصفين فرفع عمرو بن العاص شقة
خميصة سوداء في رأس رمح فقال ناس : هذا لواء عقده له رسول الله ، فلم يزدواج تون
حتى وصل ذلك إلى عليّ فقال : أتدرون ما هذا اللواء إنْ عمرًا أخرج له رسول الله
هذه الشقة فقال : من يأخذها بما فيها ، فقال عمرو ما فيها يا رسول الله ؟ فقال : لا
تقاتل بها مسلماً ولا تقر بها من كافر ، فأخذها فقد والله قربها من المشركين و قاتل
بها اليوم المسلمين ، والذي فلق الحبة وبراءة النسمة ما أسلموا وأكثُرُهم استسلموا وأسرُوا
الكافر ، فلما وجدوا أعواضاً ظاهرة

قال نصر : فاما اليوم الرابع فان محمد بن الحنفية خرج في جمع من أهل العراق
فاخرج إليه معاوية عبيد الله بن عمر بن الخطاب في جمع من أهل الشام ، فاقتتلوا ،
ثم إن عبيد الله بن عمر أرسل إلى محمد بن الحنفية أن اخرج إلى أبيارذك ، فقال : نعم
ثم خرج إليه فبصر به ماعلي عليه فقال : من هذان المتيارزان ؟ قيل : محمد بن الحنفية
وعبيد الله بن عمر فحرر دابته ثم دعا محمداً إليه فجاهه فقال أمسك وابي فامسكتها
فمشى راحلا بيده سيفه نحو عبيد الله وقال له : ابارذك فهلم إلى قال : لا ابارذك ، ثم
رجع إلى صفة فرجع عليه قال ابن الحنفية : يا أبت لم تمعنى من مبارزته
فوالله لو تركتني لرجوت أن أقتلها ، قال : يابني لو بارزته أنا لقتلته ولو بارزته أنت
لرجوت لك أن تقتلها وما كنت آمن أن يقتلتك ، فقال : يا أبت أتبرز بنفسك إلى هذا
الفاسق اللئيم عدو الله ، والله لوأبوه يسألك المبارزة لرغبت بك عنه

قال نصر : وأما اليوم الخامس فانه خرج فيه عبيد الله بن العباس فخرج إليه
الوليد بن عقبة فأكثر من سببني عبد المطلب وقال : يا ن عباس قطعتم أرحامكم وقتلتم
إمامكم فكيف رأيتم صنع الله بكم لم تعطوا ما طلبتم ولم تدركوا ما أملتم ، فأرسل

إِلَيْهِ أَبْرَزَ إِلَىٰ فَأَبْيَ أَنْ يَفْعُلُ ، وَقَاتَلَ أَبْنَ عِيَّاسَ ذَلِكَ الْيَوْمِ قَتَالًا شَدِيدًا نَمَّ
اَنْصَرُوا وَكُلُّ غَالِبٍ

وَخَرَجَ ذَلِكَ الْيَوْمِ سَمْرَةُ بْنُ أَبْرَهَةَ بْنُ الصَّبَاحِ الْحَمِيرِيِّ فَلَحَقَ بِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي
نَاسٍ مِّنْ قَرَاءِ أَهْلِ الشَّامِ فَفَتَّ^(١) ذَلِكَ فِي عَضْدِ مَعَاوِيَةَ وَعُمَرِ بْنِ الْعَاصِ
وَقَالَ عُمَرٌ : يَا مَعَاوِيَةً إِنَّكَ تَرِدُ أَنْ تَقْتَالَ بِأَهْلِ الشَّامِ رَجُلَّاهُ مِنْ مُحَمَّدٍ
قِرَابَةَ قَرِيبَةَ وَرَحْمَ مَاسَةَ وَقَدْ مَرَّ فِي الْإِسْلَامِ لَيْسَ لَأَحَدٍ مِّثْلَهُ وَقَدْ سَارَ إِلَيْكَ بِأَصْحَابِ
مُحَمَّدٍ الْمَعْدُودِ دِينِ وَفَرَسَانِهِمْ وَقَرَائِفَهُمْ وَأَشْرَافَهُمْ وَقَدْ مَاعَنْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ ، وَلَهُمْ فِي النُّفُوسِ
مَهَابَةٌ وَمَهِمَا نَسِيَتْ فَلَا تَنْسَ فَانِكَ عَلَى الْبَاطِلِ وَإِنَّ عَلِيَّاً عَلَى الْحَقِّ فَبَادَرَ الْأَمْرُ قَبْلَ
اَضْطَرَابِهِ عَلَيْكَ ، فَقَامَ مَعَاوِيَةَ فِي أَهْلِ الشَّامِ خَطِيبًا وَحَثَّهُمْ عَلَى الْقَتَالِ فَخَطَبَ
عَلَيْهِ بِتَمِيمٍ أَصْحَابَهُ .

قَالَ نَصْرٌ : قَالَ أَبُو (ابن خ) سَنَانُ الْأَسْلَمِيُّ كَأُنِي أَنْظَرَ إِلَيْهِ مَتَكَبِّلًا عَلَىٰ قَوْسِهِ وَقَدْ جَمَعَ
أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ^{صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} وَهُمْ يَلْوَنُهُ كَانَهُ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ الصَّحَابَةَ مُتَوَافِرُونَ
مَعَهُ فَقَالَ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالشَّنَاءَ عَلَيْهِ أَمَا بَعْدَ :

فَانَّ الْخِيلَاءَ مِنَ التَّجْبِيرِ وَإِنَّ النَّخْوَةَ مِنَ التَّكْبِيرِ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ حَاضِرٌ
يُعَذِّبُ كُمَ الْبَاطِلِ ، إِلَيْنَا الْمُسْلِمُ أَخُ الْمُسْلِمِ فَلَا تَنْبَذُنَا وَلَا تَجَادُلُوا أَلَا إِنَّ شَرِّ الْدِينِ
وَاحِدَةٌ وَسُبْلُهُ قَاصِدَةٌ ، مَنْ أَخْذَ بِهَا لَحْقًا وَمَنْ فَارَقَهَا مَحْقًا وَمَنْ تَرَكَهَا مَرْقًا ، لَيْسَ
الْمُسْلِمُ بِالْمُخَاهِنِ إِذَا أَوْمَنَ ، وَلَا بِالْمُخَلِّفِ إِذَا وَعَدَ ، وَلَا الْكاذِبُ إِذَا نَطَقَ ، نَحْنُ أَهْلُ
بَيْتِ الرَّحْمَةِ ، وَقَوْلُنَا الصَّدْقَ ، وَفَعْلُنَا الْقَصْدَ ، وَمَنْ خَاتَمَ النَّبِيَّمِينَ ، وَفَيْنَا قَادِةُ
الْإِسْلَامِ ، وَفِينَا حَمْلَةُ الْكِتَابِ ، أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى جَهَادِ عَدُوِّهِ
وَالشَّدَّةِ فِي أَمْرِهِ وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاهُ النَّذْكَارَ ، وَحَجَّ الْبَيْتِ وَصِيَامِ
شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَتَوْفِيرِ الْفَقِيرِ عَلَى أَهْلِهِ

- يقال فـ ذلك في عضده اضعفه، قـ

أَوْ إِنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْعِجَابِ إِنْ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفِيَانَ الْأَمْوَى وَعُمَرَ بْنَ الْعَاصِ
السَّهْمِيِّ أَصْبَحَاهُ يَحْرُضَانِ عَلَى طَلَبِ الدِّينِ بِزَعْمِهِمَا ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي لَمْ أُخَالِفْ رَسُولَ
اللهِ تَعَالَى قَطْ ، وَلَمْ أَعْصَهُ فِي أَمْرٍ قَطْ ، أَقِيمَ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنَكَّسَ فِيهَا
الْأَبْطَالُ ، وَتَرَعَدَ مِنْهَا الْفَرَائِصُ بِنَجْدَةِ أَكْرَمِنِي اللهُ سَبَّحَانَهُ بِهَا وَلَهُ الْحَمْدُ.

وَلَقَدْ قَبضَ رَسُولُ اللهِ تَعَالَى إِنَّ رَأْسَهُ لِفِي حَجْرِيِّ ، وَلَقَدْ دُلِيتَ غَسْلَهُ بِيَدِي وَهُدِيِّ
يَقْلِبِهِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقْرَبُونَ مَعِيِّ ، وَأَيْمَانُ اللهِ تَعَالَى مَا اخْتَلَفَ أَمَّةٌ بَعْدَ نَبِيِّهَا إِلَّا ظَاهِرُ أَهْلِ
بَاطِلِهَا عَلَى أَهْلِ حَقِّهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ.

قَالَ أَبُوسَنَانِ . فَأَشَهَدُ لَقَدْ سَمِعْتُ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرَ يَقُولُ : أَمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ
أَعْلَمُكُمْ إِنَّ الْأَمَّةَ لَمْ تَسْتَقِمْ عَلَيْهِ أَوْ لَا ، وَلَوْنَ تَسْتَقِمْ عَلَيْهِ آخِرًا .

قَالَ نَصْرٌ : قَالَ زَيْدُ بْنَ وَهْبٍ : إِنَّ عَلِيَّاً تَعَالَى قَالَ فِي هَذِهِ الْمَلِيلَةِ : حَتَّى مَتَى
لَا تَنَاهُنَّ الْقَوْمُ بِأَجْمَعِنَا ، فَقَامَ فِي النَّاسِ عُشْيَةَ الثَّلَاثَاءِ بَعْدَ الْعَصْرِ فَقَالَ :
الْحَمْدُ لِللهِ الَّذِي لَا يَبْرُرُ مَا نَفَضَ ، وَلَا يَنْقُضُ مَا أَبْرَمَ ، وَلَا شَاءَ مَا اخْتَلَفَ أَنْتَانَ
مِنْ هَذِهِ الْأَمَّةِ ، وَلَا مِنْ خَلْقِهِ ، وَلَا تَنَازَعَ الْبَشَرُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ ، وَلَا جُدُدُ الْمُفْضُولِ
ذَالِكُفُولُ فَضْلُهِ ، وَلَقَدْ سَاقَنَا وَهُولَاءِ الْقَوْمُ الْأَقْدَارَ حَتَّى لَفَتَّ بَيْنَنَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ
وَنَحْنُ مِنْ رَبِّنَا بِمَرْئِي وَهُسْمِعْ ، وَلَوْشَاءَ لِعْجَلِ النَّقْمَةِ وَلِكَانَ مِنْهُ التَّغْيِيرُ حَتَّى يُكَذِّبَ اللهُ
الظَّالِمُ وَيَعْلَمُ الْحَقَّ أَيْنَ مَصِيرُهُ ، وَلَكَنَّهُ جَعَلَ الدُّنْيَا دَارَ الْأَعْمَالِ ، وَجَعَلَ
الْآخِرَةَ دَارَ الْجَزَاءِ وَالْقَرَارِ ، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَوَّا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ
أَحْسَنُوا بِالْمُحْسَنِيِّ .

أَلَا إِنْتُمْ لَاقُوا الْعَدْ وَغَدَ إِنْشَاءَ اللهِ فَأَطْبَلُوا الْمَلِيلَةَ الْقِيَامَ ، وَأَكْثَرُوا تَلَوِّةَ
الْقُرْآنَ ، وَاسْأَلُوا اللهَ الصَّبَرَ وَالنَّصْرَ ، وَالْقَوْهُمْ بِالْجَدِّ وَالْحَزْمِ ، وَكُونُوا صَادِقِينَ .

قَالَ : فَوَبِ النَّاسِ إِلَى رِمَاحِهِمْ وَسِيَوْفِهِمْ وَنَبِيَّهُمْ يَصْلِحُونَهَا ، وَخَرَجَ عَلَيْهِ
فَعَبَّى النَّاسِ لِيَلْتَهُ تَلَكَ كَلَمَّا جَتَى أَصْبَحَ ، وَعَقَدَ الْأَلْوَيْهُ وَأَمْرَ الْأَمْرَاءَ وَبَعَثَ إِلَى أَهْلِ
الشَّامِ مَنَادِيَا يَنْادِي أَغْدُوا عَلَى مَصَافِكُمْ ، فَضَرَّ أَهْلَ الشَّامِ فِي مَعْسَكِهِمْ وَاجْتَمَعُوا
إِلَى مَعَاوِيَةَ فَعَبَّى خَيْلَهُ وَعَقَدَ الْأَوْيَتِهِ وَأَمْرَ أَمْرَائِهِ وَكَتَبَ كَتَابَهُ ، وَكَانَ أَهْلَ الشَّامَ

أكثر من أهل العراق بالضعف ، و نصب لمعاوية منبر فقعد عليه في قبة ضربها ألقى عليها الثياب والارائك وأحاط بها أهل اليمن ، وقال لا تقربن هذا المنبر أحد لا تعرفونه إلا قاتلتموه كائناً من كان .

ثم تناهض القوم سادس صفروا قتلاوا إلى آخر نهارهم و انصرفا عند المساء و كل غير غالب ، فأما اليوم السابع فكان القتال فيه شديداً والخطب عظيماً ، وكان عبدالله بن بديل الخزاعي على ميمنة العراق ، فزحف نحو حبيب بن مسلمة وهو على هسيرة أهل الشام حتى اضطربت قبة معاوية وقت الظهر .

قال نصر : و حدّثنا عمر بن سعد عن عبد الرحمن بن أبي عمر و عن أبيه أن عليا خطب هذا اليوم فقال : معاشر الناس استشعروا المخيبة و تجلبوا السكينة إلى آخر مامر في المتن .

و روى نصر بسانده المذكور أيضاً أنه خطب ذلك اليوم و قال : أيها الناس إن الله تعالى ذكره قد دلكم على تجارة تنجيكم من العذاب ، و تشفي بكم على الخير ، إيمان بالله و رسوله و جهاد في سبيله ، و جعل ثوابه مغفرة الذنب و مسامكن طيبة في جنات و رضوان من الله أكبر و أخبركم بالذي يحب ف قال : إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله محفقاً لأنهم بنيان مرصوص فسو و أصفوفكم كالبنيان المرصوص و قدمو الدراع و أخرموا الحاسر (١) و عضوا على الأضراس فإنه أنس بن مالك سيف عن الهام ، و أربط للجاش و أسكن للقلوب و أمتوا الأصوات فإنه أطرد للفشل و أولى بالوقار والتوفيق في أطراف الرماح فإنه أمر للاستنة و رأيكم فلا تميلوها ولا تزيلاوها ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم المانع الذمار (٢) والصبر عند نزول الحقائق أهل الحفاظ الذين يحفون برأيكم و يكتشفونها ، يضربون خلفها و أمامها ولا تنسعواها .

و هلا أجزء كل أمره مسلم فنككم قرنه و واسأ أخاه بنفسه ، ولم يكل قرنه إلى

١- الحاسر من لا مفتر له ولادرع له ولا جنة له، ق

٢- الذمار بالكسر ما يلزمك حفظه و حمايته، ق

أخيه فيجمع عليه قرنه و قرن أخيه فكسب بذلك اللائمة و يأتي به دناءة أنتي هذا وكيف يكون هكذا ، هذا يقابل اثنين ، و هذا ممساك يده قد خلّى قرنه إلى أخيه هاربا منه أو قاما ينظر إليه ، من يفعل هذا مقتلة الله فلا تعرضا لمقتلة الله فانما مردكم إلى الله قال الله تعالى لقوم عابهم :

« لَنْ يُنْفِعُكُمُ الْفَرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ». .

وأيم الله إن فررت من سيف «الله خل» العاجلة لا تسلمون من سيف الآخرة فاستعينوا بالصدق والصبر فانه بعد الصبر ينزل النصر .

قال نصر : ثم قام قيس بن سعد و خطب خطبة بليغة حتى الناس فيها على الجماد ، ثم قام الاشتراط رضي الله عنه بمثل ذلك ، و كذا يزيد بن قيس الا رحبي وغيرهم .

و روى عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام ، و زيد بن الحسن قالا طلب معاوية إلى عمرو بن العاص أن يسوى صفوف أهل الشام ، فقال : يا معاشر أهل الشام سووا صفوفكم قص الشمارب ، وأغيروا جمامكم ساعة ، فإنه قد بلغ الحق مقطعه فلم يبق إلا ظالم أو مظلوم .

قال نصر : و أقبل أبوالهشيم بن التيهان و كان من أصحاب محمد عليهما السلام بدر يا عقيتاً يسوى صفوف أهل العراق وهو يقول : يا معاشر أهل العراق إني لليس بينكم وبين الفتح العاجل إلا ساعة من النهار ، فارسوا أقدامكم و سووا صفوفكم وأغيروا ربكم جمامكم واستعينوا بالله ربكم ، و اصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

قال نصر : و حدثنا عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن الشعبي أن أول فارسيين التقى في هذا اليوم وهو اليوم السابع و كان من الأيام العظيمة ذا أحوال شديدة حجر بن عدي من أصحاب علي عليهما السلام و ابن عم حجر المسمى بحجر أيضاً من أصحاب معاوية كلهم

من كندة، فأطعنا برمجهما ، وخرج خزيمة الأسدى من عسكر معاوية فضرب حجر ابن عدى ضربة برمجه فحمل أصحاب علي عليه السلام قاتلوا خزيمة ونجى ابن عم حجر هاربا فالتحق بصف معاوية ، ثم بز ثانية فبرز إليه الحكم بن أزهر من أهل العراق فقتلته .

نم إن عليا دعا أصحابه إلى أن يذهب واحد منهم بمصحف كان في يده إلى أهل الشام ، فقال عليه السلام : من يذهب إليهم فيدعوه إلى ما في هذا المصحف؟ فسكت الناس وأقبل فتى اسمه سعيد فقال : أنا صاحبه ، وقال ثانيا : فلم يجده إلا الفتى ، فسلمه إليه ، ثم أتاهم وناشدتهم ودعاهم إلى ما فيه فقتلوه .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام لعبد الله بن بديل : احمل عليهم الآن فحمل عليهم بمن معه من أهل الميمونة عليه يوم مذسيفان ودرعان ، فجعل يضرب قدمها ويترجف فالميزل يحمل حتى انتهى إلى معاوية والذين بايعوه على الموت فأمرهم أن يصمدوا والعبد الله بن بديل ، وبعث إلى حبيب بن مسلمة الفهري وهو في الميسرة أن يحمل عليه بجميع أصحابه واحتل الناس واصطدم (١) ، الصفان هيمنة أهل العراق و ميسرة أهل الشام .

وأقبل ابن بديل يضرب الناس بسيفه حتى أزال معاوية عن موقفه ، وجعل ينادي يا نارات عثمان وإنما يعني أخاه له قتل و ظن معاوية وأصحابه أنه يعني عثمان بن عفان و تراجع معاوية عن مكانه القهقري كثيراً وأشفع على نفسه وأرسل إلى حبيب بن مسلمة ثانية و ثالثة يست Jegde ويستصرخه ويحمل حبيب حملة شديدة بميسرة معاوية على هيمنة عراق ، فكشفها حتى لم يبق مع ابن بديل إلا نحو مائة إنسان من القراء فاستند بعضهم إلى بعض يحمون أنفسهم .

ولحجج ابن بديل في الناس وصمم على قتل معاوية وجعل يطلب موقفه حتى انتهى إليه فنادى معاوية في الناس ويلكم الصخرة والحجارة إذا عجزتم عن السلاح ، فرضخه الناس بالحجارة حتى انخدعوه ، فسقط فأقبلوا عليه بسيوفهم فقتلوا

- الصدم ضرب الصلب بمنته واصطدم الصفان وتصادمو تراحموا، ق

فجاء معاوية و عبد الله بن عامر حتى وقفوا عليه فالقى عبد الله عمامته على وجهه و ترحم عليه و كان له أخا و صديقا من قبل ، فقال معاوية : أكشف عن وجهه فقال : لا والله لا يمثل به وفي روح ، فقال معاوية : قد وهبناه لك فكشف عن وجهه فقال معاوية : هذا كبس القويم و رب الكعبة اللهم أظفرني بالاشتر النخعى والأشعث الكندى .
 قال نصر فاستعلا أهل الشام عند قتل ابن بديل على أهل العراق يومئذ و انكشف أهل العراق من قبل الميمنة و اجفلوا اجفالا (١) شديدا فأمر علي عليه السلام سهل بن حنيف فاستقدم همن كان معه ليرفد الميمنة و يغضدها ، فاستقبلهم جموع أهل الشام في خيل عظيمة فحملت عليهم فالحقتهم بالميمنة ، و كانت ميمنة أهل العراق متصلة ب موقف علي عليه السلام في القلب في أهل اليمن ، فلما انكشفوا انتهت المزيمة إلى علي عليه السلام فانصرف يمشي نحو الميسرة .

روى نصر عن زيد بن وهب قال : لقد مر علي عليه السلام يومئذ و معه بنوه و إبني لأرى النبل يمر بين عاتقه و منكبه و ما من بنيه إلا من يقيه بنفسه فيكره على ذلك فيتقدّم عليه و يحول بينه و بين أهل الشام و يأخذ بيده إذا فعل ذلك فيلقه من وراءه ، وبصر به أحمر مولىبني أمية و كان شجاعا ، فقال علي عليه السلام « رب الكعبة قتلني الله إن لم أقتلك ، فاقبل نحوه فخرج إليه كيسان مولى علي عليه السلام فاختلفا ضربتين فقتله أحمر و خالط عليا ليضر به بالسيف فمد يده عليه السلام إلى جيب درعه فجذبه عن فرسه ، و حمله على عاتقه والله لكانني أنظر إلى رجل أحمر يختلفان على عنق علي عليه السلام ثم ضرب به الأرض فكسر منكبه و عضديه و شد أبنا علي عليه السلام حسين و محمد ، فضرباه بأسيافهما حتى بره فكانني أنظر إلى علي عليه السلام قابضا و شبلاه يضر بان الرجل حتى إذا أتي عليه أقبل على أبيهما والحسن قائم معه فقال له علي عليه السلام يا بنى ما منعك أن تفعل كما فعل أخوك فقال كفياني يا أمير المؤمنين .

قال ثم إن أهل الشام دنوا منه يريدونه والله ما يزيد به قربهم منه و دنوهم سرعة في هشيه ، فقال له الحسن : ما أضرك لو أسرعت حتى تنتهي إلى الذين صبروا

لعدوك من أصحابك ، قال يعني ربعة الميسرة فقال علي: يا بني إن لا يبيك يوماً لا يعطيه به عنده السعى ولا يقربه إليه الوقوف إن أباك لا يبالي وقع على الموت أو وقع الموت عليه.

قال نصر: وروى عمرو بن شمر عن جابر عن أبي إسحاق قال: خرج علي يوماً من أيام صفين وفي يده عنزة، فمر على سعيد بن قيس الهمداني فقال له سعيد: أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يغتنا لك أحد وأنت قريب عدوك، فقال علي إلهي إنه ليس من أحد إلا وعليه حفظة من الله يحفظونه من أن يتربّى في قلوب أو يخرب عليه حايط أو تصيبه آفة، فإذا جاء القدر خلوا بيته وبينه.

قال: وحدنا عمرو، عن فضيل بن خديج، قال لما انهزمت هيمنة العراق يومئذ أقبل علي نحو الميسرة يركض ليستabil الناس ويسوّقهم وأهراهم بالرّجوع نحو الفرغ، فمر بالأشتر فقال: يا هالك يا أمير المؤمنين، قال: أنت هؤلاء القوم فقل لهم أين فراركم عن الموت الذي لن تعجزوه إلى الحياة التي لا تنتهي لكم، فمضى الأشتر فاستقبل الناس منهزمين فقال لهم: الكلمات، فناداهم أيها الناس أنا مالك بن الحضر، فلم يلتقط أحد منهم إليه فقال: أيها الناس أنا الأشتر، فأقبلت إليه طائفة وذهبت عنه طائفة فقال: عضضتم بهن أيهاكم، مما أقبح ما قاتلتم اليوم.

أيها الناس غضوا الأ بصار وغضوا على النواجه، فاستقبلوا الناس بهماكم وشدوا عليهم شدة قوم متورين بأباءهم وأبناءهم وإخوانهم حنفاء على عدوهم، قد وطنوا على الموت أنفسهم كيلا يسبقو بشار إن هؤلاء القوم والله لن يقاتلوكم إلا عن دينكم ليطفئوا السنة ويعيوا البدعة ويدخلوكم في أمركم قد أخرجكم الله منه بحسن البصيرة، فطيبوا عباد الله نفساً بدمائكم دون دينكم، فإن الفرار فيه سلب العز والغلبة على الفيء، وذل المحيا والممات وعار الدنيا والآخرة وسخط الله وأليم عقابه ثم قال:

أيّها النّاس اخلصوا إلّى مذحج فاجتمعوا إليه مذحج فقال عضضم بضم (١)
 الجندي والله ما أرضيتم اليوم ربكم ولا نصحتم له في عدوه وكيف وأنتم بناء الحرب
 وأصحاب الغارات وفرسان الطراد وحروف القرآن، و مذحج الطعاع الذين لم
 يكونوا سبقو بشارهم ، ولم تطل دمائهم ولم يعرفوا في موطن من المواطن لحين وأنتم
 سادة مصركم و اعرجى في قومكم ، وما تفعلوا في هذا اليوم فهو ماثور بعد اليوم
 فابقوا ماثور الحديث في غد ، واصدقوا عدوكم اللقاء فان الله مع الصابرين .
 والذي نفسي بيده هامن هؤلاء وأشار بيده إلى أهل الشام رجل في مثل

جناح البعوضة من دين الله أنت ما أحسنتم اليوم القراء أجلوا سواد وجهي يرجع في
 وجهي ذمي «احبسوا سواد وجهي رجع فيه ذمي خل» عليكم بهذا السواد الأعظم
 فان الله لو قدفته تبعه من بجانبيه كما يتبع السيل مقدمه ، فقالوا : خذبنا حيث
 أحببنا فصمد بهم نحو عظيم و استقبله سلام من همدان وهم نحو ثمانمائة مقاتل قد
 انهزموا آخر الناس و كانوا قد صبروا في ميمنة علي حتى قتل مائة و ثمانون رجلا
 و اصيب منهم أحد عشر رئيسا كلما قتل منهم رئيس أخذ الرأبة آخر وهم بنو شريح
 الهمدانيون وغيرهم من رؤساء العشيرة .

فقال لهم الأشرت إني احالفكم و اعاقدكم على أن لا ترجع أبداً حتى نظر
 أو نهلك ، فوقفوا معه على هذه النية والعزم و زحف نحو الميمنة و ناب إليه اناس
 ترافقوا من أهل الصبر والوفاء والحياة فأخذ لا يصد ولكتيبة إلا كشفها ، ولا يجمع
 إلا جازه ورده .

قال نصر وحد ثنا عمرو ، عن الحرف بن الصباح ، قال : كان بيده الأشرت
 يومئذ صحيفة له يمانية إذا طأطأها خلت فيها ما ينصب ، وإذا رفعها يكاد يغشى
 البصر شعاعها ، وهو يضرب بها الناس قد ما يقول : الغمرات ثم ينجلينا .

قال : فبصر به الحرف بن جمهان الجعفي والأشرت مقنع في الجديد فلم يعرفه

١ - حير اسم و صخراة صماء صلب والجندي معروفة

فَدَنَا مِنْهُ ، وَقَالَ لَهُ : جَزَّاكَ اللَّهُ مِنْ الدِّيْوَمْ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ، فَعْرَفَهُ الْأَشْتَرُ فَقَالَ : يَا بْنَ جَمَاهَانَ أَمْثَلُكَ يَتَخَلَّفُ الْيَوْمَ عَنْ مُثْلِ مَوْطَنِي هَذَا ؟ فَتَأْمَلْهُ أَبْنَ جَمَاهَانَ فَعْرَفَهُ وَكَانَ الْأَشْتَرُ مِنْ أَطْوَلِ الرِّجَالِ وَأَعْظَمُهُمْ إِلَّا أَنَّ فِي لَحْمِهِ خَفْفَةً كَلِيلَةً ، فَقَالَ لَهُ جَعْلَتْ فَدَاكَ ، وَاللَّهُ مَا عَلِمْتُ مَكَانَكَ حَتَّى السَّاعَةِ لَا افَارِقُكَ حَتَّى أَمُوتَ .

قال نصر: و حدّثنا عمر عن فضيل بن خديج، قال: لما اجتمع إلى الأشتر معظم من كان انهزم من الميمونة حمل على صفواف أهل الشام حتى كشفهم فألقهم بمصارب معاوية، و ذلك بين العصر والمغرب.

و عن زيد بن وهب أن علياً لماري ميمونة قد عادت إلى موقعها ومصافها و كشفت من بازائتها حتى ضاربوهم في مواقفهم و مراكزهم، أقبل حتى انتهى إليهم فقال إنني قد رأيت جولتكم و انحيازكم من صفوافكم يحوزكم الجفاة الطغاة « الطعام خ ل » و اعراب أهل الشام و أنتم لها مأمير العرب و السُّنَّامُ الْأَعْظَمُ و اعماد الليل بتلاوة القرآن و أهل دعوة الحق إذضل الخاطئون فلولا إقبالكم بعد إدباركم و كرمكم بعد انحيازكم و جب عليكم ما وجب على المولى يوم الزحف دربه و كنتم فيما أردت من الله الكين.

ولقد هون على بعض و جدي و شفاب بعض و جمع نفسى أنى رأيتكم باخره حزموه كما حازوكم و أثر لتموهم عن مصافهم كما أزالوكم تحسونهم (١) بالسيف يركب أوامهم و آخرهم كالابل المطرودة الهيم فالآن فاصبروا نزلت عليكم السكينة و ثبتكم الله باليقين ولعلم المنهزم أناته يسخط ربهم و يوبق نفسه و في الفرار موجدة الله عليه والذل اللازم له و فساد العيش ، وأن الفار لا يزيد الفرار في عمره ولا يرضي ربته ، فموت الرجل محققا قبل اتيان هذه الخصال خير من الرضا بالتلبس بها والاصرار عليها.

قال نصر: فحمل أبوالكتعب المشعري رأس خشم العراق على خشم الشام

و اقتلو اقتلا شديداً، فجعل أبو كعب يقول لا صحابه يا عشرين خشم خدموا أى اضرروا
موضع الخدمة وهي الخلخال، يعني اضربوهم في سوقهم فناداه عبدالله بن حنش رأس
خشيم الشام يا با كعب الكلّ قومك فانصف، قال أي والله وأعظم واشتدر قتالهم فحمل
شهر «شمس خل» بن عبدالله المخعمى على أبي كعب فطعنه فقتله.

ثم انصرف يبكي ويقول : يرحمك الله أبا كعب لقد قتلتكم في طاعة قوم أنت
أمس بي رحما منهم وأخذ إلى منهم نفسا ولكنني والله ما أدرى ما أقول ولا أرى
الشيطان إلا قد فتننا ، ولا أرى قريشا إلا وقد لعبت بنا ، فوثب كعب بن أبي كعب إلى
رایة أبيه فأخذها ففقطت عينه وصرع ، ثم أخذها شريح بن مالك المخعمى فقاتل
ال القوم تحتها حتى صرع منهم حول رايتهم ثمانون رجلاً واصيب من خشم الشام
مثليهم ثم ردّها شريح بن مالك إلى كعب بن أبي كعب.

قال نصر : إن رایة بحيلة فى صفين مع أهل العراق كانت فى أخمس مع أبي شداد
قيس بن المكسون ، قالت البحيلة لا بى شداد : خذ رايتنا ، فقال : غيري خير لكم
مني قالوا : لا نريد غيرك ، قال : فوالله لئن اعطيتمونيه الاتهى بكم دون صاحب
الترس المذهب.

قالوا : وكان على رأس معاوية رجل قائم معه ترس مذهب يستره من الشمس
فقالوا اصنع ما شئت فأخذها ثم زحف بها وهم حوله يضربون الناس بأسياف حتى
انتهى إلى صاحب الترس المذهب وهو في خيل عظيمة من أصحاب معاوية ، و كان
عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فاقتتل الناس هناك قتلا شديداً و شد أبو شداد
بسيفه نحو صاحب الترس فعرض له رومي من دونه لمعاوية فضرب قدم أبي شداد
فقطعها ، و ضرب أبو شداد ذلك الرومي فقتله ، وأسرعت إليه الأسنة ، فقتل ، فأخذ
الرایة عبدالله بن قلع الأخمس وقاتل حتى قتل ، فأخذها بعده أخيه عبد الرحمن بن
قلع فقاتل حتى قتل ، ثم أخذها عفيف بن أياس الأخمس ، فلم تزل بيده حتى
تحاجز الناس .

قال نصر : وقال رجل من أصحاب علي أما والله لا حملنا على معاوية حتى

أقتله . فركب فرسا ثم ضربه حتى قام على سبابكه ، ثم دفعه فلم ينهمه شيء عن الوقوف حتى وقف على رأس معاوية ، فهرب معاوية ودخل خبائئه فنزل الرجل عن فرسه ودخل عليه فخرج معاوية من جانب الخباء الآخر فخرج الرجل في اثره فاستصرخ معاوية بالناس فأحاطوا به وحالوا بينهما فقال معاوية وبحكم أن السيف لم يؤذن لها في هذا ولو ذلك لم تصل إليكم فعليكم بالحجارة فرضخوه بالحجارة حتى همد (١) ثم عاد معاوية إلى مجلسه .

قال : وحمل رجل من أصحاب علي عليهما السلام يدعى أبو أيوب ، و ليس بأبي أيوب إلا نصاري على صفت أهل الشّام ، ثم رجع فوافق رجلا من أهل الشّام صادراً قد حمل على أهل العراق ، ثم رجع فاختلغا ضربتين ففتحه أبو أيوب بالسيف فأباً عنقه قبّت رأسه على جسده كما هو ، وكذب الناس أن يكون هو ضربه فارى بهم ذلك حتى إذا أدخلته فرسه في صفات أهل الشّام بدر راسه فوقع ميتاً .

فقال علي عليهما السلام والله لا نامن ثبات رأس الرجل أشدّ تعجبنا من الضربة وإن كان إليها ينتهي وصف الواصفين ، وجاء أبو أيوب فوقف بين يدي علي عليهما السلام فقال له أنت والله كما قال الشاعر :

وعلمنا الضرب آباًنا ونحن نعلم أيضاً بنينا

قال نصر : فلما انقضى هذا اليوم بما فيه أصبحوا في اليوم الثامن من صفر والليل كان متقابلان ، فخرج رجل من أهل الشّام فسأل المبارزة فخرج إليه رجل من أهل العراق فاقتلا بين الصفين قتالا شديداً ، ثم إن العراقي اعتنقه فوقع جمِيعاً وغار الفرسان ثم إن العراقي قهره فجلس صدره وكشف المغفر عنه يريد ذبحه فإذا هو أخوه لاييه وامنه ، فصاح به أصحاب علي وبحث اجهز عليه ، قال انه أخي ، قالوا : فاتركه ، قال : لا والله حتى يأذن أمير المؤمنين ، فأخبر علي بذلك فأرسل إليه أن دعه فتركه فقام فعاد إلى صف معاوية .

قال نصر : وحدّثنا محمد بن عبد الله عن الجرجاني قال : كان فارس معاوية الذي

يعدّه لكل مبارز و لكل عظيم حريث مولاه ، و كان يلبس سلاح معاوية متشبّه بها فإذا قاتل قال الناس ذاك معاوية و إن معاوية دعاه فقال له : يا حريث اتق علينا وضع رمحك حيث شئت ، فأتاه عمرو بن العاص فقال : يا حريث والله لو كنت قرشيا لأحب لك معاوية أن تقتل عليا ، ولكن كره أن يكون لك حظها فان رأيت فرصة فاقتحم و خرج على في هذا اليوم أمام الخيل فتحمل عليه حريث.

قال نصر : فحدّثني عمرو بن شمرعن جابر قال : بل برب حريث هذا اليوم و كان شديداً ايداً ذابأس لا يرام فصاح يا علي هل لك في المبارزة فاقدم أباحسن ان شئت ، فأقبل علي عليه السلام وهو يقول :

نـحن لـعـمـرـالـهـ اـوـلـىـ بـالـكـتـبـ	أـنـاـ عـلـىـ وـ اـبـنـ عـبـدـالـمـطـلـبـ
اـهـلـ الـلـوـاءـ وـ الـمـقـامـ وـ الـحـجـبـ	مـنـتـاـ النـبـيـ المـصـطـفـيـ غـيرـ كـذـبـ
نـحنـ نـصـرـنـاهـ عـلـىـ كـلـ الـعـرـبـ	

ثم خالطه فما أمر له أن ضربه فقطعه نصفين فجزع معاوية عليه جزا شديدا و عاتب عمر في إغراهه إيه بعلوي وقال في ذلك شعراً :

بـأـنـ عـلـيـاـ لـلـفـوـارـسـ قـاـهـرـ	حـرـيـثـ أـلـمـ تـلـمـ وـ جـهـلـكـ ضـاـيـرـ
مـنـ النـاسـ الـأـقـصـدـتـهـ الـأـظـافـرـ	وـ اـنـ عـلـيـاـ لـمـ يـبـارـزـهـ فـارـسـ
فـحدـدـكـ اـذـلـمـ تـقـبـلـ النـصـحـ حـائـرـ	أـمـرـتـكـ أـمـرـاـ حـازـمـاـ فـعـصـيـتـشـيـ
غـزوـرـأـوـ مـاجـرـتـ عـلـيـكـ الـمـقـادـرـ	وـ ولـاـتـ عـمـرـ وـ الـحـوـادـتـ جـمـةـ
وـ قـدـ يـهـلـكـ الـإـنـسـانـ مـنـ لـاـ يـحـاذـرـ	وـ ظـانـ حـرـيـثـ أـنـ عـمـراـ نـصـيـحـهـ

قال نصر فلما قتل حريث برب عمرو بن الحصين السكسيكي فنادي يا أباحسن هلم إلى المبارزة فأرمأ على إلى سعيد بن قيس الهمданى فبارزه فضربه بالسيف فقتله . قال نصر : و كان لهمدان بلاء عظيم في نصرة علي عليه السلام في صفين و من الشعر الذي لا يشك انه قاله لكثره الرواية له :

فـوارـسـ مـنـ هـمـدانـ غـيرـ لـئـامـ	دـعـوتـ فـلـبـسـانـيـ مـنـ الـقـومـ عـصـبةـ
غـدـاءـ الـوـغاـ مـنـ يـشـكـرـ وـ شـيـامـ	فـوارـسـ مـنـ هـمـدانـ لـيـسـواـ بـمـعـزـلـ

اذا اختلف الاقوام شعل ضرام
وباس اذا القوا وحدّ خضام (٢)
و قول اذا قالوا بغير اشام
تبث ناعماً في خدمة و طعام
سهام العدى في كل يوم زحام
لقلت لمدان ادخلوا باسلام (٣)

بكل روينى (١) وغضب تحاله
لهمدان اخلاق كرام تزيئهـم
و جدّ وصدق في المحروب ونجدة
متى تاتهم في دارهـم تستضيفهم
جزى الله همدان الجنان فائزـها
ولو كنت بواباً على باب جنة

- الروينى الرمح المنسوب الى روينة اسم امرأة والغضب الضرب والطعن.
- السيف القاطع

٣- الاشعار في الديوان هكذا

فوارسها حمر الميون دوامي (٤)
غمامه وجن مليس بقتام (٥)
و كندة في لغم و حي جدام (٦)
اذا ناب امر جنتى و سهامى
فوارس من همدان غير لشام
غداة الوجا من يشكرو شباب (٧)
ورهم واحياء السبيع و يام
ذوونجدات في اللقاء كرام
اذا اختلف الاقوام شعل ضرام
سعيد بن قيس والكريم محامي
و كانوا لدى البيعاشر ابرارها

و لما رايت الخيل تقرع بالقنا
وابقى رهيج في السماء كانه
و نادى ابن هند ذا الكلاع ويحصبا
تيمنت (٨) همدان الذين هم هم
و ناديت فيهم دعوة فاجابنى
فوارس من همدان ليسوا بعزل (٩)
و من ارحب الشم المطاعين بالقنا
و من كل حي قد اتنى فوارس
بكل روينى و غصب تحالهـه
يقوذهم حامي الحقيقة منهم
فخاضوا لظاها واصطروا بشرارها

- ٤- الدوامي الملطخ بالدم .
- ٥- الغبار الاسود .
- ٦- يحصب ولغم وجدام قبائل .
- ٧- اي قصدت .
- ٨- المؤل جمع الاعزل الذى لا سلاح معه
- ٩- يشكرون الكاف وشمام بالكسر

قال نصر : فِي حَدَّ ثَنَى عُمَرُ وَبْنُ شَهْرَ قَالَ : ثُمَّ قَامَ عَلَى بَيْنِ الصَّفَيْنِ وَنَادَى يَا معاوِيَةَ يَكْرَ رَهَاءَ، فَقَالَ معاوِيَةَ اسْأَلُوهُ مَا شَاءُوهُ، قَالَ : أَحَبُّ أَنْ يَظْهُرَ لِي فَأُكَلِّمُهُ كَلْمَةً وَاحِدَةً، فَبَرِزَ معاوِيَةَ وَمَعْهُ عُمَرُ وَبْنُ الْعَاصِ فَلَمَّا قَارَبَاهُ لَمْ يُلْتَفِتْ إِلَيْهِ عُمَرُ وَقَالَ لِمَا عَلِمَ : وَيَحْكُمُ عَلَى مَمْتَلَاتِ النَّاسِ بِيَمْنِي وَبِيَمْنِكَ وَيَضْرِبُ بَعْضَهُمْ بَعْضًا أَبْرَزَ إِلَيَّ فَأَيْتَنَا قَتْلَ صَاحِبِهِ فَالَّذِي مَرَّ لَهُ فَالْتَّفَتَ معاوِيَةَ إِلَيْهِ عُمَرُ وَقَالَ : هَاتِرِي يَا أَبَا عِبْدِ اللَّهِ ؟ قَالَ : قَدْ أَنْصَفْتَ الرَّجُلَ وَاعْلَمَ أَنِّي إِنْ نَكَلْتُ عَنْهُ لَمْ نَزِلْ هَسْبَتِهِ عَلَيْكَ وَعَلَى عَقْبِكَ مَا بَقِيَ عَلَى ظَهُورِ الْأَرْضِ عَرَبِيٍّ فَقَالَ معاوِيَةَ : يَا بَنَى الْعَاصِ لَيْسَ مُشْلِي يَخْدُعُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ مَا بَارَزَ بْنَ أَيْطَالِبَ شَجَاعَ قَطُ إِلَّا وَسَقَى الْأَرْضَ مِنْ دَمِهِ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ معاوِيَةَ رَاجِعًا حَتَّى اتَّهَى إِلَى آخِرِ الصَّفَوْفَ وَعُمَرُ وَمَعْهُ ، فَلَمَّا رَأَى عَلَى ذَلِكَ ضَحْكًا وَأَعْدَى مَوْقِفَهِ

قال نصر : وَ فِي حَدِيثِ الْجَرْجَانِيِّ أَنَّ معاوِيَةَ قَالَ لِعُمَرَ : وَيَحْكُمُ مَا أَحْمَقْتَ تَدْعُونِي إِلَى مِبَارَزَتِهِ وَ دُونِي عَكْ وَ خَدَامُ وَ الْأَشْعَرُوْنَ ، قَالَ : وَحَقْدُهَا معاوِيَةَ عَلَى عُمَرَ بَاطِنًا وَقَالَ لَهُ ظَاهِرًا مَا أَظْنَنَكَ يَا أَبَا عِبْدِ اللَّهِ قَلْتَ مَا قَلْتَهُ إِلَّا مَازَحًا ، فَلَمَّا جَلَسَ معاوِيَةَ عَلَيْهِ الْلَّعْنَةُ وَ الْعَذَابُ مِنْ جَلْسِهِ أَقْبَلَ عُمَرُ يَمْشِي حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَانِبِهِ ، فَقَالَ معاوِيَةَ :

وَ الْهَزْلُ يَحْمِلُهُ مَقَالَ الْمَازِي قَتَلَى جَزِيرَتَ بِمَا نَوَيْتَ الْجَافِي فَقَالَ : عُمَرُ : أَيَّهَا الرَّجُلُ أَتَجْبَنُ عَنْ خَصْمَكَ وَ تَشَهِّدُ نَصِيْحَكَ وَ قَالَ مَجِيئًا لَهُ معاوِيَةَ مَا اجْتَرَهْتَ عَلَيْكَ ذَنْبًا وَ مَا ذَنَبْتَ بِسَأْنَ نَادَى عَلَى وَ كَبَشَ الْقَوْمَ يَدْعُى لِلْبَرَازَ	وَلَقَدْ ظَنَنْتَكَ قَلْتَ مَزْحَةً مَازَحَ مَا ذَا الَّذِي مَنْتَكَ نَفْسَكَ خَالِيَا فَقَالَ : عُمَرُ : أَيَّهَا الرَّجُلُ أَتَجْبَنُ عَنْ خَصْمَكَ وَ تَشَهِّدُ نَصِيْحَكَ وَ قَالَ مَجِيئًا لَهُ معاوِيَةَ مَا اجْتَرَهْتَ عَلَيْكَ ذَنْبًا وَ مَا ذَنَبْتَ بِسَأْنَ نَادَى عَلَى
--	---

سهام العدى في كل يوم خصم
 ولين اذا لا قوا وحسن كلام
 تبت عندهم في غبطة وطعم
 سراع الى الهيجاء غير كهام
 لقلت لهمدان ادخلوا السلام

جزى الله همدان الجنان فانهم
 لهمدان اخلاق ودين يزيذنهم
 متى تاتهم في دارهم لضيافة
 اناس يعيرون النبي ورهطه
 اذا كنت بوآبا على باب جنة

و لو بارزته بارزت ليثا
جزاني بالذى أضررت جازى
وفي البحار من تفسير العياشى عن أبي الأعز التميمى قال : بينما أنا واقف بصفين
إذمر بي العباس بن ربيعة بن العرث بن عبد المطلب شاك في السلاح على رأسه
مغفر ويبيده صحيفه يمانية يقلبه وهو على فرس له أدهم وكان عينيه عيناً أفعى ، في بينما
هو يروض فرسه ويلين عريكته إذ هتف به هاتف من أهل الشام يقال له عرار بن
أدهم : يا عباس هلم إلى البراز ، قال : فالنزول إذ فانه أياس من الغفول ، قال
نزل الشامي وجود وهو يقول :

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا
أو تنزلون فانساً معاشر نزل
قال وثنى عباس رجله وهو يقول :
ويصد عنك مخيلة (١) الرجل
بحسام سيفك أو لسانك
العرّيض موضحة عن العظم
والكلام الاصليل كارعب الكلم
ثم عصب (٢) فضلات درعه في حجزته ودفع فرسه إلى غلام له اسلام كانى
انظر إلى قلاقل (٣) شعره و دلف (٤) كل واحد منهما إلى صاحبه قال فذكرت
قول أبي ذؤيب :

فتنازلاً و توافق خيلا هما
و كالهما بطل اللقاء مجدد
قال ثم تكافحا (٥) بسيفهما مامليا (٦) من نهارهما لا يصل واحد منهمما إلى صاحبه لكمال لامته

-
- ١- المخيلة الظن وال الكبر والعراض ك Sikkit من يتعرض للناس بالشراي يمنع عنك ظن المتعرض للشرط وكبره وخبلاته ضربة او شحة موضحة عن العظام او كلام بلسانك فان الكلام الاصليل فى التأثير كارعب الكلم اى الجرح، بحار
- ٢- العصب الطى الشديد
- ٣- القلقل بالضم أسرى يح تحرك
- ٤- الدلف المشى بشقافل
- ٥- التكافح هو الاستقبال فى الحرب بالوجه ليس دونه ترس
- ٦- اى ساعنة طويلة

إلى أن لحظ العباس و هناً في دزع الشامي فاهوى إليه بالسيف فاتنظم في درع الشامي فاهوى إليه بيده فهتكه إلى شدوته (١) ثم عاد لمجادلته وقد أصر له مقتق الدرع فضربه العباس ضربة انتظم به جوانح صدره و خر الشامي صريعاً بخدمة وسمى العباس في الناس وكثير الناس تكبيره ارجأه لها الأرض فسمعت قائلة يقول من ورائي .

«قاتلوهم يُعد بهم الله بأيديكم ويُخزِّهم وينصركم عليهم ويشفِّب صدورَ قومٍ مؤمنينَ وَيَذْهَبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ»

فالتفت فإذا هو أمير المؤمنين عليٌّ فقال : يا أبا الأعز من المبارز لعدونا ؟ قلت : هذا ابن (شيخكم خل) العباس بن ربيعة فقال وإنما لم يأوي يا عباس ، قال : لبيك قال : ألم انهاك وحسينا وحسينا وعبدالله بن جعفر أن تخروا بمركرز أو تباشروا حدنا ؟ قال : إن ذلك كذلك قال : فماعدا مما بدا ، قال : أفادني إلى البراز يا أمير المؤمنين فلا أجيبي جعلت فداك ؟ قال : نعم طاعة إمامك أولى من اجابة عدوك ، ودعواهية أنه ما باقى من بني هاشم نافخ ضرمة (٣) إلا طعن في نيته (٤) إطفاء لنور الله . «وَيَابَيْ اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُتِمْ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» .

أماد الله ليهلكونهم من أراجح رجال و رجال يسومونهم الخسف (٥) حتى يكففوا (٦) بأيديهم

١- الشدوة كسبلة لعم الشدي

٢- اي انسع

٣- الضرمة بالتعريث النار وهذا يقال عند المبالغة في الهلاك لأن النار ينبع منها الصغير والكبير والذكر والاثني اي ما باقى احد منهم

٤- النيطة نياط القلب وهو العرق الذي بالقلب متعلق به بحار

٥- الخسف اي الذلة منه

٦- استكفت وكفف بمعنى وهوان يمدّكهه يسأل الناس

ويحفر والا بار إن عادوا الكفعدلى، قال : ونمى الخبر إلى معاوية فقال : اللدم عرار ألا رجل يطلب بدم العرار ؟ قال : فانتدب له رجالان من لخم فقالا نحن له قال : اذهبا فايـسـكـما قتل العباس برازـأـلهـكـداـوكـداـ، فـأـتـيـاهـ فـدـعـواـهـ إـلـىـ البرـازـ قـفـالـ : إـنـ لـيـ سـيـدـاـ اوـمـرـهـ قال : فـاتـيـ أـمـيرـ المـؤـمـنـينـ طـلـبـاـ فـأـخـبـرـهـ فـقـالـ : نـاقـلـيـ سـلاـحـكـ بـسـلاـحـيـ ، فـنـاقـلـهـ قـالـ : وـرـكـبـ أـمـيرـ المـؤـمـنـينـ طـلـبـاـ عـلـىـ فـرـسـ العـبـاسـ ، وـدـفـعـ فـرـسـهـ إـلـىـ العـبـاسـ وـبـرـزـ إـلـىـ الشـامـيـيـنـ فـلـمـ يـشـكـ أـنـهـ العـبـاسـ ، فـقـالـ لـهـ : أـذـنـ لـكـ سـيـدـكـ فـتـحـرـجـ أـنـ يـقـولـ نـعـمـ فـقـالـ «أـذـنـ لـلـذـيـنـ يـقـالـوـنـ بـأـبـهـمـ ظـلـمـوـاـ وـأـنـ اللهـ عـلـىـ نـصـرـهـ لـقـدـيرـ» . قال : فـبـرـزـ إـلـيـهـ أـحـدـهـمـ فـاـفـكـاـتـمـاـ اـخـتـطـفـهـ ، ثـمـ بـرـزـ إـلـيـهـ الثـانـيـ فـأـلـحـقـهـ بـالـأـوـلـ وـانـصـرـفـ وهو يقول :

«أـلـشـهـرـ الـحرـامـ بـالـشـهـرـ الـحرـامـ وـالـحـرـمـاتـ قـصـاصـ فـمـنـ اـعـتـدـىـ عـلـيـكـمـ فـاعـتـدـواـ عـلـيـهـ بـمـثـلـ مـاـ اـعـتـدـىـ عـلـيـكـمـ» .

ثم قال : يا عباس خذ سلاحك وهات سلاحي قال : ونمى الخبر إلى معاوية فقال : قـبـحـ اللهـ الـمـجـاجـ إـنـهـ لـقـعـودـ مـاـ رـكـبـتـهـ قـطـ إـلـاـ خـذـلـتـ ، فـقـالـ عـمـرـ وـبـنـ العـاصـ : المـخـذـلـ وـالـلـهـ الـلـخـمـيـيـنـ لـأـنـتـ ، قـالـ : اـسـكـتـ أـيـهـ الشـيـخـ فـلـيـسـ هـذـهـ مـنـ سـاعـاتـكـ قـالـ : فـانـ لـمـ يـكـنـ فـرـحـمـ اللهـ الـلـخـمـيـيـنـ وـمـاـ دـارـ يـفـعـلـ قـالـ : ذـلـكـ (١) وـالـلـهـ أـضـيقـ لـهـ جـرـكـ وـأـخـسـرـ لـصـفـقـتكـ قـالـ : أـجـلـ وـلـوـ مـصـرـ لـقـدـ كـانـ الـمـنـجـاةـ مـنـهـاـ ، فـقـالـ : هـيـ وـالـلـهـ أـعـمـتـكـ لـوـلـاـهـاـ لـأـلـفـيـتـ نـصـيرـاـ .

ورواه في شرح المعتزلي من كتاب عيون الا خبار لابن قتيبة بأدبي تغيير قال نصر : ثم التقى الناس فاقتتلوا قتالا شديدا وحاربت طى مع أمير المؤمنين حربا عظيما وتداعت وارت杰رت فقتل منها أبطال كثيرون ، وقاتل المتخوض معه أيضا ذلك اليوم قتالا شديدا وقطعت رجل علامة بن قيس النسخعي وقتل اخوه أبي بن قيس فكان علامة يقول بعد ما احب ان رجلي اصح ما كانت لما ارجو بها من حسن الشواب

١- اي اقرارك بطلان أمرنا بضم الامر عليك ويجعل صفتكم خاسرة باشرة، بحار

و كرز بن تيهان و عمرو بن جمدد و صباحتا القيني يدعوا وأسلما (١)

قال نصر : وأقبل ذو الكلاع في حمير ومن لف لفها ومعهم عبيد الله بن عمرين الخطاب في أربعة آلاف من قراء أهل الشام ذو الكلاع في حمير في الميمونة ، وعبيد الله في القراء في الميسرة ، فحملوا على ربيعة وهم في هيسرة أهل العراق و فيهم عبدالله ابن العباس حملة شديدة فتضعضعت رايات ربيعة ثم إن أهل الشام انصروا فلم يمكثوا إلا قليلا حتى كروا ثانية وعبيد الله بن عمر في أولئهم يقول : يا أهل الشام هذا الحمى من العراق قتلة عثمان وأنصار علي فان هزمتم هذه القبيلة أدركتم ثاركم في عثمان فشدوا على الناس شدة عظيمة فثبتت لهم ربيعة وصبرت صبر أحسننا إلا قليلا من الصّفاه واشتد القتال بين ربيعة وحمير وعبيد الله بن عمر وكثرت القتلى ثم خرج خمسماً فارس أو أكثر من أصحاب علي على رؤوسهم البيض ، وهم

(١) الآيات في الديوان هكذا

اذا قيل قدّمها حسين تقدّ ما
حياض المنايا تقطّر الموت والدما
الى فيه الا عزة و تكرّما
اذا كان اصوات الرجال تغمضا
لمنجح حتى اورثوها التندما
جزى الله شرآ اينا كان اظلمها
وما قرب الرحمن منا و عظما
لدى الموت قدما ما اعزوا كرما
وابأس اذا لاقوا خميسا عمر ما
باسيافنا حتى توّي و احجمما
وذا كلع يدعو كريبا وانما
وحوش الداعي معادوا اظلما
وحرثا وقينيا عبيدا وظلما

لنا الراية السوداء يخفق ظلّها
فيوردها في الصف حتى يزبرها
ترىه اذا ما كان يوم كربه
واجمل صبرا حين يدعى الى الوعا
وقد صبرت عك و لعم و حمير
ونادت جذام بالمنجح ويحكم
اما تتقدون الله في حرماننا
جزى الله قوما قاتلوا في لقائهم
ربيعة اعني انهم اهل نجدة
اذقنا ابن هند طعننا وضرابنا
و ولّى بنادي زبرقان بن ظالم
وعمرا ونمانا وبسرا ومالكا
وكرز بن تيهان وابني محرق

غاوصون في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق ، و خرج اليهم من أهل الشّام نحوهم في العدة فاقتتلوا بين الصفين والنّاس وقوف تحت راياتهم ، فلم يرجع من هؤلاء مخبر لا عراقي ولا شامي قتلوا جميعاً بين الصفين ، وكان بصفين تل يلقى عليه الجماجم من الرجال يدعى تل الجماجم

قال نصر : ثم ذهب هذا اليوم بما فيه فأصبحوا من اليوم التاسع من صفر ، وقد خطب معاوية أهل الشّام وحرّضهم فقال : إنّه قد نزل من الآمر ماترون وحضركم ما حضركم فإذا نهدمتم عليهم إنشاء الله فقدمو الدارع وأخروا الحاسرون وصفوا الخيل وأجنبوها وكونوا كقص الشّارب وأعيرونا جماجمكم ساعة فانما هو ظالم أو مظلوم و قد بلغ الحقُّ مقطنه

قال : وكانت التّعبية في هذا اليوم كالتشعيبة في الذي قبله ، فحمل عبيد الله بن عمر في قرآن أهل الشّام ومعه ذو الكلاب في حمير على ربيعة وهي ميسرة على البلقة بقاتلوا قتالاً شديداً فاتى زياد بن حفصة الى عبدالقيس فقال لهم : لا يكونن وائل بعد اليوم انْ ذا الكلاب وعبيد الله أباد ربيعة فانهضوا لهم والا هلكوا ، فركبت عبدالقيس وجاءت كانها غمامه سوداء فشدّت ازار الميسرة فعظم القتال فقتل ذو الكلاب الحميري قته رجل من بكر بن وائل اسمه خنديف ، وتضعضعت أرakan حمير و ثبتت بعد قتل ذي الكلاب تحارب مع عبيد الله بن عمر

و أرسل عبيد الله إلى الحسن بن علي عليه السلام أنْ لى إليك حاجة فالقني فلقاه الحسن عليه السلام فقال عبيد الله : إنْ أباك قد وتر قريشاً أولاً و آخرأ وقد شنته النّاس فهل لك في خلعة و ان تتولى أنت هذا الآمر : فقال : كلام والله لا يكون ذلك ، ثم قال . يابن الخطاب والله لك أنت أنظر إليك مقتولاً في يومك أو عدك أما إنَّ الشيطان قد زين لك و خدعك حتى أخرجك مخلقاً بالخلوق ترى نساء أهل الشّام موقفك وسيصرعك الله و يبطحك لوجهك قتيلاً.

قال نصر : فوالله ما كان إلا يياض ذلك اليوم حتى قتل عبيد الله هو في كتبية

رقطاء (١) وكانت تدعى الخضرية وكانوا أربعة الف عليهم ثياب خضر ، فمرَّ الحسن فإذا رجل متوسد رجل قتيل قد رکز رمحه في عينه وربط فرسه برجله فقال الحسن لمن معه : انظروا من هذا فإذا رجل من همدان وإذا القتيل عبيد الله بن عمر قد قتله الهمданى في أول الليل وبات عليه حتى أصبح .

قال نصر : وقت اختلاف الرّواة في قاتل عبيد الله فقالت الهمدان : نحن قتلناه قتلها هاني بن الخطاب الهمدانى ، وقالت حضرموت : نحن قتلناه قتلها محرز بن الصحيح ، وروي أن قاتلها حرث بن جابر المحنفى و كان رئيس بنى حنيفة يوم صفين .

قال نصر : فأئى ذا الكلاع فقد ذكرنا مقتله و أنَّ قاتلها خنند البكري ، وروى عمرو بن شمر عن جابر قال حمل ذا الكلاع ذلك اليوم بالفيلق العظيم من حمير على صفو العراق ، ناداهم أبو شجاع المهميري و كان من ذوي المصاير مع عليٍّ عليه السلام فقال : يا معاشر حمير تبَّتْ أيديكم أترون معاوية خيراً من عليٍّ أضلَّ الله سعيكم ، ثم أنت يا ذا الكلاع قد كفنا نرى لأنَّ لك نيشة في الدِّين فقال ذا الكلاع أيها يا باشجاع والله إنتي لا علم ما معاوية بأفضل من عليٍّ ، ولكنَّي اقاتل على دم عثمان ، قال فاصيب ذو الكلاع حينئذ قاتلها خنند في المعركة . قال معاوية لما قتل ذو الكلاع : لانا أشدَّ فرحاً بقتل ذي الكلاع مني بفتح مصر لو فتحها ، لأنَّ ذا الكلاع كان يحجز على معاوية في أشياء كان يأمر بها .

قال نصر : فلم يقتل ذو الكلاع اشتدتُّ الحرب وشدَّعكَ ولخم وخدم «جذام» والأُشعريون من أهل الشَّام على مذحج من أهل العراق جعلهم معاوية بازائهم فنادى منادى مذحج بالمذحج خدموا أى اضروا مواضع الخدمة (٢) وهي السوق فاعتبرت مذحج سوق القوم فيكان فيه بوار عامتهم .

قال نصر : حدثني عمرو بن الزبير قال : سمعت الحصين المنذر يقول أعطاني على ذلك اليوم راية ربيعة وقال : بسم الله سرياً حصين وأعلم أنك لاتتحقق على دأسك

١- الرقطة سواد يشوبه بياض أو بالعكس .

٢- اي الخلجان .

رأيَة مثُلها أبداً ، هذه رأيَة رسول الله فجاء، أبو عرفا. جبلة بن عطيه الذهلي إلى الحصين و قال : هل لك أن تعطيني الرأيَة أحملها لك ذكرها ولِي أجرها ؟ فقال الحصين : وما يغنايَكَ معاً مع ذكرها عن أجرها قال : إنَّه لاغنى بك عن ذلك ولكنْ أعرها ساعةً فما أسرع ما ترجع إليك ، قال الحصين : فقلت إنَّه قد استقبل و إنَّه يريد أن يموت مجاهداً فقلت له : خذها فأخذها ثم قال لا صحيحة :

إنَّ عمل الجنة كره كلَّه و نقيل ، وإنَّ عمل النار خفٌّ كلَّه و خبيث إنَّ الجنة لا يدخلها إلا الصابرون الذين صبروا أنفسهم على فرائض الله وأوامرِه ليس شيء مما فرض الله على العباد أشد من الجهاد هو أفضل الأعمال تواباً عند الله ، فإذا رأيتُموني قد شددتُ فشداً و أويحكمُم أماتشتاقون إلى الجنة أماتحبون أن يغفر الله لكم فشداً معه و قاتلوا قاتلاً شديداً فقتل أبو عرفا و شدت ربيعة بعده شدة عظيمة على صفوِّ أهل الشَّام فنقضها .

قال نصر : فاض طرب الناس يومئذ بالسيوف حتى تقطعت و تكسرت و صارت كالمناجل و تطاعنوا بالرماح حتى تتصفَّت و تناثرت أنابيبها ، ثم جنوا على الركب فتحانوا بالتراب يحشو بعضهم التراب في وجه بعض ثم تعانقوا و تقاوموا بالأفواه ثم تراهموا بالصخر والحجارة ثم تحاجزوا فكان الرجل من أهل العراق يمر على أهل الشَّام فيقول كيف اجز إلى رياض بنى فلان فيقولون هؤلاء لا هداك الله و يمر الرجل من أهل الشَّام على أهل العراق فيقول كيف أمضى إلى رياض بنى فلان فيقولون هنا لا هداك الله ولا عافاك .

قال نصر : وقال معاوية لعمرو بن العاص أما ترى يا أبا عبد الله إلى ما قد وقعنـا كيف ترى أهل الشَّام غداً صانعين إنـما لم يعرض خطـر عظيم فقال له إن أصبحـت غداً ربيعة وهم متـعطفون حول عـلـيـّ تعـطـفـ الـأـبـلـ حول فـحـلـهـ الـقـيـمـ منـهـمـ جـلـادـ اـصـادـقـ وـبـاسـاـ شـدـيدـاـ وـكـانـتـ الـتـيـ لـاسـوـيـ لـهـ فـقـالـ مـعـاوـيـةـ أـيـجـوزـ إـنـكـ تـخـوـفـنـاـ يـاـ بـاـعـبـدـ اللهـ ،ـ قـالـ إـنـكـ مـسـائـلـتـيـ فـأـجـبـتـكـ فـلـمـاـ أـصـبـحـوـافـيـ الـيـوـمـ الـعاـشـرـ أـصـبـحـوـاـ وـرـبـيـعـةـ مـحـدـقـةـ بـعـلـيـ إـحدـاقـ بـيـاضـ الـعـيـنـ بـسـوـادـهـ .

قال نصر : حدثني عمرو بن شمر قال لما أصبح علي هذا اليوم جاء فوقف بين رأيَاتِ ربيعة فقال عتاب بن لقيط البكري من بنى قيس بن نعبلة : يا معاشر ربيعة حاموا من علي منذ اليوم فإن أصيَبْ فيكم افتضحتم الآترونه قائماً تحت رايَاتِكم و قال لهم شقيق بن نور : يا معاشر ربيعة ليس لكم عذر عند العرب إن وصل إليكُمْ و فيكم رجل حي ، فامنعواه نَيْمَةً و اصدقوا عدوكم اللقاء فإنه حمد الحياة تكسبونه فتعاهدت ربيعة و تحالفت بالايمان العظيمة و تبَايع منهم سبعة آلاف على أن لاينظر رجل خلفه حتى يرداه سرادق معاوية ، فقاتلوا ذلك اليوم قتالاً شديداً لم يكن قبله مثله و أقبلوا نحو سرادق معاوية فلما نظر إليهم قد أقبلوا قال :

إذا قلت قد ولت ربيعة أقبلت
كتائب منها كالجمال تجالد

ثم قال لعمرو : يا عمرو ما ترى ؟ قال : أرى أن لاتحيث أخوالي اليوم ، فقام معاوية و خلاً لهم سرادقه و رحله و خرج فارضاً عنه لاءداً ببعض مضارب العسكر في آخريات الناس ، و انتهيت ربيعة سرادقه و رحله و بعث إلى خالد بن المعمر أنتك قد ظفرت ولك أمارة خراسان إن لم تتم ، فقطع خالد القتال ، ولم يتممه ، و قال لربيعة : قد برت أيمانكم فحسبكم؛ فلما كان عام الجماعة وبایع الناس معاوية أمره معاويَة على خراسان و بعثه اليهافمات قبل أن يبلغها .

قال نصر في حديث عمر بن سعد : إن علياً صلى بهم يومئذ صلاة الغداة ثم زحف بهم ، فلما بصروه قد خرج استقبلاه بزحوفهم فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم إن خيل أهل الشام حملت على خيل أهل العراق فاقتطعوا من أصحاب علي ألف رجل أو أكثر ، فأحاطوا بهم وحالوا بينهم وبين أصحابهم فلم يروهم ، فنادى علي الأرجل يشري نفسه لله ويبيع دنياً بأخرته فإذا رجل من جعف يقال له عبد العزيز بن الحرس على فرس أحدهم كأنه غراب مقنع في الحديث لا يدري منه إلا عيناه فقال : يا أمير المؤمنين هرني بأمرك فوالله لا تأمرني بشيء إلا صنعته فقال علي عليه السلام :

و صدقوا و أخوان الوفاء قليل

لعمرك فضل ما هناك جزيل

سمحت بأمر لا يطاق حفيظة

جزاك الله الناس خيراً فانيه

أبا الحرن شد الله ركناك احمل على أهل الشام حتى تأتى أصحابك فتقول لهم إنَّ أمير المؤمنين يقرء عليكم السلام و يقول لكم هلُّوا و كبروا من ناحيتكم ، و نهيل و نكبَّر من هنا و احملوا من جانبكم و نتحمل من جانبنا على أهل الشام فضرب الجعفري فرسه حتى إذا أقامه على أطراف سبابكه حمل على أهل الشام المحيطين بأصحابه على ^{عليهم السلام} فطاعنهم ساعة و قاتلهم فافرجوا له حتى خلص إلى أصحابه . فلما رأوه استبشروا به و فرحوا و قالوا : ما فعل أمير المؤمنين ^{عليهم السلام} قال صالح يقرئكم السلام و يقول لكم : هلُّوا و كبروا و احملوا حملة رجل واحد من جانبكم و نهيل نحن من جانبنا فعملوا ما أمرهم به و هلُّوا و كبروا و هلُّ على ^{عليهم السلام} و كبر هو وأصحابه و حمل على أهل الشام و حملوهم من وسط أهل الشام فانفرج عنهم و خرجوا و ما أصيب منهم رجل واحد ، و لقد قتل من فرسان الشام يومئذ زهاء سبعين إنسان و قال علي ^{عليه السلام} من أعظم الناس اليوم عناء ؛ فقالوا : أنت يا أمير المؤمنين فقال : كلاً و لكنه الجعفري .

قال نصر : و كان علي ^{عليه السلام} لا يعدل بربيعة أحداً من الناس ، فشق ذلك على مضر وأظهر والله «له خل» القبيح وأبد وآذات أنفسهم ، فقام أبو الطفيلي عامر بن وائلة الكناني و عمير بن عطارد التميمي و قبيصة بن جابر الأَسدي و عبد الله بن الطفيلي العامري في وجوه قبائلهم ، فأتوا عليه ^{عليه السلام} أبو الطفيلي فقال : يا أمير المؤمنين أنا والله ما نحسدقو ما خصّهم الله منك بخيراً و إنَّ هذا الحى من ربعة قد ظنوا أنهم أولى بك منك فاعفهم عن القتال أيامها و اجعل لكلٍّ أمره منها يوماً نقاتل فيه فانا إذا اجتمعنا اشتبه عليك بلاؤنا ، فقال علي ^{عليه السلام} : نعم اعطيكم ما طلبتم ، و أمر ربعة أن تكفَّ عن القتال و كانت بازاء اليمن من صفوف أهل الشام .

فقد أبو الطفيلي عامر بن وائلة في قومه من كنانة وهم جماعة عظيمة فتقدم أمام الخيول و اقتتلوا قتالاً شديداً ثم انصرف إلى علي ^{عليه السلام} عليه خيراً .

نمَّ غداً في اليوم الثاني عمير بن عطارد بجماعة من بنى تميم و هو يومئذ سيد

مضر الكوفة فقال: يا قوم إني اتبع آثار أبي الطفيلي فاتبعوا آثار كنانة وقاتل أصحابه فقتلا
شديداً حتى امسوا وانصرف عمير إلى علي عليهما السلام وعليه سلاحه.
نم غدا في اليوم الثالث قبيصة بن جابر الأسدى في بنى أسد وقال لا أصحابه:
يا بنى أسد اما أنا فلا أقصر دون صاحبى وأمّا أنتم فذاك اليكم ، ثم تقدم فقاتل
ال القوم إلى أن دخل الليل.

نم غدا في اليوم الرابع عبدالله بن الطفيلي العامري في جماعة هوazen فحارب
بهم حتى الليل ثم انصرفا .

قال نصر : كتب عقبة بن مسعود عامل على الكوفة إلى سليمان بن
صرد الخزاعي وهو مع علي: أما بعد فانتهى إن يظهرروا عليكم برجموكم أو يعيدوكم
في ملتهم وإن تلقحوا إذا أبداً ، فعليك بالجهاد والصبر مع أمير المؤمنين والسلام .
قال وحدثنا عمر بن سعد وعمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليهما السلام قال:
قام على خطب الناس بصفين فقال:

الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع من خلق من البر والفاجر ، وغلى
حججه البالغة على خلقه من أطاعه فيهم ومن عصاه ، إن يرحم فبفضلة ومنه ، وإن
عدب فيما كسبت أيديهم وأن الله ليس بظالم للمعيمد ، أحمده على حسن البناء
وظهور النعماء ، وأستعينه على مانا بنا من أمر الدنيا والآخرة ، وآتوك على
و كفى بالله وكيلا .

نم إني اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدأ عبده ورسوله
ارسله بالهدى ودين الحق وارتضاه لذلك ، و كان أهله واصطفاه لتبلیغ رسالته
و جعله رحمة منه على خلقه، فكان لعلمه منه « كعلمه فيه حل » رؤفاً رحيمًا وأفضلهم
علمًا وأنقلهم حلمًا وأفواهم بعهد وآمنهم على عقد ، لم يتعلّق عليه مسلم ولا كافر
بظلمة قط ، بل كان يظلم فيغفر ويقدر فيصفح حتى مضى مطينا لله صابراً على
ما أصابه مجاهداً في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، فكان ذهابه أعظم المصيبة

على أهل الأرض البر والفاجر

ثم ترك فيكم كتاب الله يأمركم بطاعة الله وينهاكم عن معصيته ، وقد عهد إلى رسول الله صلوات الله عليه وسلم عهدا فلست أحيد عنه وقد حضرتم عدوكم وعلمت أن رئيسهم منافق ابن منافق يدعوهم إلى النار ، وابن عم نبيكم معكم وبين أظهركم ويدعوكم إلى الجنة وإلى طاعة ربكم والعمل بسنة نبيكم ، ولا سوى من صلني قبل كل ذكر لا يسبقني بصلة مع رسول الله أحد وأنا من أهل بدر ومعاوية طليق ابن طليق ، والله إننا على الحق وإنهم على الباطل فلا تجتمعون عليه وتنتفروا عن حقكم حتى يغلب باطلهم على حقكم ، قاتلواهم بعد بهم الله بأيديكم ، فإن لم تفعلوا بعد بهم بأيدي غيركم .

فقام أصحابه فقالوا : يا أمير المؤمنين انها بناء إلى عدونا وعدوك إذا شئت فوالله لا نريد بك بدلًا بل نموت معك ونجا معك ، فقال لهم :

والذي نفسي بيده لنظر إلى النبي أضرب بين يديه بسيفي هذا فقال : لاسيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي ، فقال لي : يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي وموتك وحياتك يا علي معي ، والله ما كذب ولا كذبت ولا خللت ولا نسيت ما عهد إلى وإنني على يقينه من ربتي وعلى الطريق الواضح لفظه لفظا ثم نهض إلى القوم فاقتتلوا من حين طلعت الشمس حتى غاب الشفق الأحمر وما كانت صلاة القوم في ذلك اليوم إلا تكيرا

قال نصر : وحد ثنا عمرو بن شمر عن جابر عن الشعبي عن صعصعة بن صوحان قال برز في أيام صفين رجل اشتهر بالباس والنجدية اسمه كريث بن الوضاح ، فنادى من يبارز ، فخرج إليه المرة عن بن وصاح الربيدي فقتله ، ثم نادى من يبارز فخرج إليه الحارث بن الحلاج فقتله ، ثم نادى من يبارز فخرج إليه عائذ بن مسروق الهمداني فقتله ، ثم رمى بأجسادهم بعضها فوق بعض ونادى من يبارز

فخرج إليه على صلوات الله عليه وسلم وناداه ويحك يا كريث إني أحذرك الله وبأسه ونقمته وأدعوك إلى سنة الله وسنة رسوله ويحك لا يدخلنك معاوية النار ، فكان جوابه أن

قال: أكثرها قد سمعت منها هذه المقالة ولا حاجة لنا فيها ، اقدم إذا شئت من يشتري سيفي وهذا أثره فقال علي عليه السلام لا حول ولا قوّة إلا بالله ، ثم مشى إليه فلم يمهله أن ضربه ضربة خرى منها قليلاً يشحط في دمه

ثم نادى من يبرز فبرز إليه الحرس بن وداعة (الحارث بن وداعة خ ل) الحميري فقتله ، ثم نادى من يبرز فبرز إليه المطاع بن المطلب القيني فقتل مطاعاً ، ثم نادى من يبرز فلم يبرز إليه أحد فنادى « الشهير الحرام بالشهر الحرام وحرمات» قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله وأعلموا أن الله مع المتقين »

يا معاوية هلم إلى فبارزني ولا يقتلن الناس فيما بيننا ، فقال عمرو بن العاص أغتنمه متهزوا قد قتل ثلاثة أبطال العرب وإنني أطمع أن يظفرك الله به ، فقال معاوية والله لن ترید إلا أن أقتل فتصيب الخلافة بعدي اذهب إليه فليس مثلني يخدع قال نصر: وخطب عبدالله بن العباس يومئذ فقال:

الحمد لله رب العالمين الذي دحى تحتنا بسعا وسمك فوقنا بسبعاً وخلق فيما بينهن خلقاً وأنزل لنا منهن رزقاً ، جعل كل شيء يليل ويفتن غير وجهه الحري القيوم الذي يحيي ويميّي ، إن الله تعالى بعث أنبياء ورسلاً فجعلهم حججاً على عباده عذرأ أو نذرأ لابطاع إلا بعلمه وإذنه بالطاعة على من يشاء من عباده ، ثم يثيب عليها ويعصى فيعفو ويغفر بحمله لا يقدر قدره ولا يبلغ شيء مكانة أحصى كل شيء عدداً وأحاط بكل شيء علمأ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدأ عبده ورسوله امام الهدى والنبي المصطفى ، وقد ساقنا قدر الله إلى ما ترون حتى كان مما اضطراب من جعل هذه الامة وانتشر من امرها ان معاوية بن أبي سفيان وجد من طعام الناس أعوا اعلى ابن عم رسول الله وصهره وأول ذكر صلّى معه بدرى ، قد شهد مع رسول الله كل مشاهده التي فيها الفضل ومعاوية مشرك بعد الاصنام والذى ملك الملك وحده وبان به لقد قاتل علي بن أبي طالب عليه السلام مع رسول الله

و هو يقول : صدق الله و رسوله و معاوية يقول كذب الله و رسوله ، فعليكم بتفويى الله والجح و الحزم والصبر والله إنكم لعلى حق ، وإن القوم لعلى باطل ، فلا يكونن أولى بالجح على باطلهم منكم في حقكم ، وإننا لنعلم أن الله سيعذ بهم بأيديكم أو بأيدي غيركم ، اللهم أعننا ولا تخذلنا و انصرنا على عدونا ولا تحل علينا ، و افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين

قال نصر : و حدثنا عمرو عن عبد الرحمن بن جندي عن جندي بن عبد الله

قال : قام عممار يوم صفين فقال :

انهضوا معي عباد الله إلى قوم يزعمون أنهم يطلبون بدم الظالم لنفسه المحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله إنما قتلهم الصالحون المنكرون للعدوان الامرون بالعدل والاحسان ، فقالوا هؤلاء الذين لا يباولون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين : لم قتلتموه ؟ فقلنا : لاحداته ، فقالوا : إنما لم يحدث شيئاً وذلك لأنهم مكتنهم من الدنيا فهم يأكلونها ويرعونها ولا يباولون لوانهدمت الجبال ، والله ما أظنهم يطلبون بدم أنهم ليعملون أنه لظالم ولكن القوم وافوا للدنيا فاستحبوها واستمرروا وعلموا أن صاحب الحق لو ولاهم لحال يبنهم وبين ما يأكلون ويرعون منها

إن القوم لم تكن لهم سابقة في الاسلام يستحقون بها الطاعة والولاية فخدعوا أتباعهم بأن قالوا : قتل امامنا مظلوماً ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً ، تملك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون ، ولو لاها ما ياباعهم من الناس رجل لله ان تنصرنا فطال ما نصرت وان يجعل لهم الا أمر فادخر لهم بما أحدهوا لعبادك العذاب الاليم

ثم مضى ومضى معه أصحابه ، فدنا من عمرو بن العاص فقال : يا عمرو بعث دينك بمصر فتبسا لك فطال ما بغيت للإسلام عوجا ، ثم نادى عبيد الله بن عمر و ذلك قبل مقتله وقال : يا بن عم رصراخ الله بعث دينك بالدنيا من عدو الله وعدو الاسلام ، قال : كلام ولكنني اطلب بدم عثمان الشهيد المظلوم ، قال : كلام اشهد على علمي فيك أنك أصبحت لا تطلب في شيء من فعلك وجه الله ، وأنك ان لم تقتل اليوم فستموت فانظر اذا أعطي الله على نيسانهم ما ينتيك ثم قال :

اللهم إِنِّي تعلم أَنِّي لَوْأَعْلَمُ أَنَّ رِضَاكَ فِي أَنْ افْذُ بِنَفْسِي هَذَا الْبَحْرُ لِفَعْلَتِ
اللهم إِنِّي تعلم أَنِّي لَوْأَعْلَمُ أَنَّ رِضَاكَ أَنْ أَصْبِعَ ظِبْيَةً سَيْفِي فِي بَطْنِي ثُمَّ أَنْهَنِي عَلَيْهِ حَتَّى
يَخْرُجَ مِنْ ظَاهِرِي لِفَعْلَتِ ، اللهم إِنِّي أَعْلَمُ مَمَّا عَلِمْتَنِي أَنِّي لَا أَعْمَلُ عَمَلاً يَوْمَ هَذَا هُوَ
أَرْضِي مِنْ جَهَادِ هُؤُلَاءِ الْفَاسِقِينَ ، وَلَوْ أَعْلَمُ الْيَوْمَ عَمَلاً هُوَ أَرْضِي لِكَ مِنْهُ لِفَعْلَتِ
وَفِي الْبَحْرِ رَوَى نَصْرُ بْنُ عَمْرِبْنِ سَعْدٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَعْيَنْ عَنْ زَيْدِ الْجَهْنَمِيِّ أَنَّ
عَمَّارَ بْنَ يَاسِرَ نَادَى يَوْمَئِذٍ أَيْنَ مَنْ يَبْغِي رِضْوَانَ رَبِّهِ وَلَا يَبْوَبْ إِلَى مَالٍ وَلَا وَلَدٍ ؟ قَالَ :
فَأَنْتَهُ عَصَابَةُ النَّاسِ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اقْصُدُوا بَنَانَ حَوْهَلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَبْغُونَ
دَمَ عَمَّانَ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ قُتِلَ مُظْلِومًا ، وَاللَّهُ إِنْ كَانَ إِلَّا ظَالِمًا لِنَفْسِهِ الْمَحَاكِمُ بِغَيْرِ مَا
أَنْزَلَ اللَّهُ .

فَدَفَعَ عَلَى الرَّأْيِ إِلَى هَاشِمَ بْنَ عَتْبَةَ وَكَانَ عَلَيْهِ دَرْعَانَ فَقَالَ لَهُ عَلَى كَهْيَةَ
الْمَازِحُ : أَبَا هَاشِمَ أَمَا تَخْشِيُ عَلَى نَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ أَعْوَرًا جَبَانًا ؟ قَالَ : سَتَعْلَمُ يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهُ لَا لَفَنَ بَيْنَ جَمَاجِمِ الْقَوْمِ لَفَ رَجُلٌ يَنْوِي الْآخِرَةَ ، فَاخْذُرْ مَحَافِزَهُ
فَانْكَسَرَ ، ثُمَّ أَخَذَ آخَرَ فَوْجَهَهُ جَاسِيَا فَأَلْقَاهُ ، ثُمَّ دَعَا بِرَمْحٍ لِيَسْنَ فَشَدَّ بِهِ لَوَائِهِ
وَلَمَّا دَفَعَ عَلَى الرَّأْيِ إِلَى هَاشِمَ قَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ بَكْرِبِنْ وَائِلٌ مِنْ أَصْحَابِ
هَاشِمَ : أَقْدَمَ مَالِكُ بْنَ يَا هَاشِمَ قَدْ اتَّفَخَ سَحْرَكَ عُورَةَ وَجِبَنَا ، قَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : فَلَانُ
قَالَ : أَهْلُهَا وَخَيْرُهَا إِذَا رَأَيْتَنِي صَرَعْتَ فِي خَدْهَا ثُمَّ قَالَ لَا أَصْحَابَهُ شَدُوا شَسْوَعَ نَعَالَكُمْ
وَشَدُّوا ازْرَكُمْ فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي قَدْ هَزَرْتُ الرَّأْيَ ثَلَاثَةَ فَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَا يَسْبِقُنِي
إِلَى الْحَمْلَةِ .

ثُمَّ نَظَرَ هَاشِمَ إِلَى عَسْكَرِ مَعَاوِيَةَ فَرَأَى جَمِيعًا عَظِيمًا ، فَقَالَ : مَنْ أُولَئِكَ ؟ قَالُوا
أَصْحَابُ ذِي الْكَلَاعِ ثُمَّ نَظَرَ فَرَأَى جَنْدًا آخَرَ فَقَالَ : مَنْ أُولَئِكَ ؟ قَالُوا : جَنْدُ أَهْلِ
الْمَدِينَةِ قَرِيبَسَ ، قَالَ : قَوْمٌ لَا حَاجَةَ لَهُ فِي قَتَالِهِمْ ، قَالَ مَنْ عَنْدَ هَذِهِ الْقَبْيَةِ الْبَيْضَاءَ ؟
قِيلَ مَعَاوِيَةُ وَجَنْدُهُ ، فَحَمَلَ حِينَئِذٍ يَرْقَلَ ارْقَالًا (١)

١- ارقل اسرع والمفازة قطعها ونافقة مرقال ومرقل كمحسن ومحسنة مسرعة والمرقال هاشم

ابن عتبة لأن عليا عليه السلام اعطاه الرأبة يوم صفين فكان يرقل بها ، فـ

و عن عبد العزيز بن سماح عن حبيب بن أبي ثابت قال : لَمّا كَانَ قَتْلُ صَفَّيْنِ وَالرَّأْيَةِ مَعَ هَاشِمَ بْنَ عَتْبَةَ جَعَلَ عَمَّارِيْنَ يَاسِرَ يَتَنَاهُلُهُ بِالرَّمَحِ وَيَقُولُ : اقْدِمْ يَا أَعُورْ لَا خَيْرٌ فِي أَعُورْ لَا يَأْتِي الْفَزْعُ قَالَ : فَجَعَلَ يَسْتَهِيْيِيْ منْ عَمَّارْ وَكَانَ عَالِمًا بِالْمَحَرَبِ فَيَقْتَدِمُ فَيُرَكِّزُ الرَّأْيَةَ فَإِذَا سَامَتْ إِلَيْهِ الصَّفَّوْفَ قَالَ عَمَّارْ : اقْدِمْ يَا أَعُورْ لَا خَيْرٌ فِي أَعُورْ لَا يَأْتِي الْفَزْعُ فَجَعَلَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ يَقُولُ : إِنِّي لَا رَأَيْتُ لِصَاحِبِ الرَّأْيَةِ السَّوْدَاءِ عَمَلاً لَئِنْ دَامَ لِي فَنِينَ الْعَرَبِ الْيَوْمَ ، فَاقْتَلُوْا قَاتِلَّاً شَدِيدًا وَ جَعَلَ عَمَّارَ يَقُولُ صَبِرَاً عَبَادَ اللَّهُ ، الْجَنَّةُ فِي ظَلَالِ الْبَيْضِ

قَالَ : وَ كَانَتْ عَالِمَةُ أَهْلَ الْعَرَقِ بِصَفَّيْنِ الصَّفَّوْفِ الْأَبِيْنِ قَدْ جَعَلُوهُ فِي رُؤُسِهِمْ وَ عَلَى أَكْنَافِهِمْ ، وَ شَعَارُهُمْ يَا اللَّهُ يَا أَحَدَ يَا صَمَدَ يَا رَحِيمَ ، وَ كَانَتْ عَالِمَةُ أَهْلَ الشَّامِ خَرْقَا يَيْضَا قَدْ جَعَلُوهُ عَلَيْهِ رُؤُسِهِمْ وَ أَكْنَافِهِمْ ، وَ كَانَ شَعَارُهُمْ نَحْنُ عَبَادُ اللَّهِ حَقَّا يَالثَّارَاتِ عَثْمَانَ .

قَالَ : فَاجْتَلُوْا بِالسَّيْوِفِ وَ عَمَدِ الْمَحْدِيدِ ، فَمَا تَحَاجَزْنَا حَتَّى حَبَّرْ يَسْتَنَا سَوَادَ الْلَّيلِ وَ لَا يَرَى رَجُلٌ مِنْنَا وَ لَا مِنْهُمْ مُوْلَيَا ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَ ذَلِكَ يَوْمُ الْثَّلَاثَاءِ خَرَجَ النَّاسُ إِلَى مَصَافِهِمْ

فَقَالَ أَبُو نُوحُ ، فَكَنْتُ فِي خَيْلٍ عَلَيْهِ يَلْتَهِيْمُ فَإِذَا أَنَابَرْ جَلْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ يَقُولُ مِنْ يَدْلِنِي عَلَى الْحَمِيرِيِّ إِلَى نُوحَ ، قَالَ : قَلْتُ قَدْ وَجَدْتَهُ فَمَنْ أَنْتُ ؟ قَالَ : أَنَا ذُو الْكَلَاعِ سَرَالِيَّ ، فَقَالَ أَبُو نُوحُ : مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أُسِيرَ إِلَيْكَ إِلَّا فِي كَتِبَةِ ، قَالَ ذُو الْكَلَاعِ سَرَالِيَّ ذَمَّةَ اللَّهِ وَ ذَمَّةُ رَسُولِهِ وَ ذَمَّةُ ذِي الْكَلَاعِ حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى خَيْلِكَ فَإِنَّمَا أَرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ أَمْرٍ فِيْكُمْ تَمَارِينَا فِيهِ

فَسَارَ حَتَّى التَّقِيَا ، فَقَالَ ذُو الْكَلَاعِ إِنَّمَا دَعَوْتُكَ أَحَدُكَ حَدِيثَ أَحَدٍ ثَنَا عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ فِي أَمَارَةِ عُمَرِ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ أَبُو نُوحُ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : حَدَّ ثَنَا عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَصْلِيْلَهُ قَالَ : يَلْتَقَى أَهْلَ الشَّامِ وَ أَهْلَ الْعَرَقِ وَ فِي إِحْدَى الْكَتِبَيْتَيْنِ الْحَقُّ وَ اعْمَالُ الْهَدِيِّ وَ مَعَهُ عَمَّارِيْنَ يَاسِرَ ، قَالَ أَبُو نُوحُ : لِعَمِ اللَّهِ إِنَّهُ لَفَنِينَا ، قَالَ : أَجَادَ هُوَ عَلَى قَتَالِنَا ؛ قَالَ أَبُو نُوحُ : نَعَمْ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ فَهُوَ أَشَدُّ عَلَى قَتَالِكُمْ مِنْيَ

فقال ذو الكلاب : هل تستطيع أن تأتي معي صف أهل الشّام فأنا لك جار منهم حتى تلقى عمرو بن العاص فتخبره عن عمّار وعن جده في قتالنا لعله يكون صلحاً بين هذين الجنديين ، فقال له أبو نوح إنك رجل غادر وأنت في قوم غدر وإن لم تكن ت يريد الغدر أغدرك و إنني إن أموت أحب إلى أن أدخل مع معاوية وأدخل في دينه وأمره .

فقال ذو الكلاب : أنا جار لك من ذلك أن لا تقتل ولا تسلب ولا تكره على بيعة ولا تحبس عن جندك ، وإنما هي كلمة تبلغها عمراً لعل الله يصلاح بين هذين الجنديين ويضع عنهم الحرب والسلاح ، فسار معه حتى أتي عمرو بن العاص وهو عند معاوية وحوله الناس وعبد الله بن عمر يحرض الناس

فلما وقفوا على القوم قال ذو الكلاب لعمرو : يا با عبد الله هل لك في رجل ناصح لي Bip شقيق يخبرك عن عمّار بن ياسر ولا يكذب بك ؟ قال عمرو : ومن هذا معك ؟ قال هذا ابن عمّي وهو من أهل الكوفة ، فقال له عمرو : إنني لأرى عليك سيماء أبي تراب قال : سيماء خلد عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ وأصحابه ، وعليك سيماء أبي جهل وهو سيماء فرعون .

فقام أبو الأعور فسل سيفه ثم قال : أرى هذا الكذاب يشاتمنا بين أظهرنا وعليه سيماء أبي تراب فقال ذو الكلاب اقسم بالله لئن بسطت يدك إليه لأحطمنه أفك بالسيف ابن عمّي و جاري عقدت له ذمتي وجئت به إليكم ليخبركم عما تماريتم فيه .

قال له عمرو : اذكرك بالله يا بانوح إلا ما صدقت أفيكم عمّار بن ياسر ؟ فقال له أبو نوح : ما أنا بمخبرك عنه حتى تخبرنى لم تسأل عنه فأنّ معنا من أصحاب رسول الله غيره و كلّهم جاد على قتالكم .

قال عمرو : سمعت رسول الله يقول : إنّ عمّاراً تقتله الفتنة الباغية ، و إنّه ليس ينبغي لعمّار أن يفارق الحقّ ولن تأكل النار منه شيئاً ، فقال أبو نوح : لا إله إلا الله والله أكبر إنّه لفينا جاد على قتالكم .

فقال عمرو : والله إِنَّهُ لِجَادَ عَلَى قَتالِنَا ؛ قال : نعم والله الذي لا إِلَهَ إِلَّا هو لقد حذّرني يوم الجمل إننا سنظاهر عليهم ولقد حذّرني أمس أن لو ضربونا حتى يبلغوا بناءه فمات هجر (١) لعلمنا أنا على الحق وأنهم على باطل ، و كانت قتلانا في الجنة وقتلاه في النار فقال له عمرو : هل تستطيع أن تجمع بيني وبينه ؟ قال : نعم . فلما أراد أن يبلغه أصحابه ركب عمرو بن العاص و ابنته و عتبة بن أبي سفيان و ذو الكلاع و أبو الأعور الإسلامي و حوشب والوليد بن أبي معيط فانطلقوا حتى أتوا خيولهم و سار أبو نوح ومعه شرجيل بن ذي الكلاع حتى انتهى إلى أصحابه فذهب أبو نوح إلى عمار فوجده قاعداً مع أصحابه مع ابني بديل والهاشم والأشر و جارية بن المثنى و خالد بن المعتمر و عبدالله بن حجل و عبدالله بن العباس .

فقال أبو نوح : إِنَّهُ دَعَانِي ذُو الكلاع و هو ذور حم فذكر ما جرى بينه وبينه و قال : أخبرني عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : عمار تقتله الفتنة الباغية ، فقال عمار صدق و ليضر به ما سمع ولا ينفعه ، فقال أبو نوح : إِنَّهُ يريد أن يلقاك فقال عمار لا أصحابه : أركبوا .

قال و نحن اثناعشر رجالاً بعمار فسرنا حتى لقيناهم ثم بعثنا إليهم فارسأهن عبد القيس يسمى عوف بن بشر ، فذهب حتى كان قريباً من القوم ، ثم نادى أين عمرو بن العاص ؟ قالوا : هنا فأخبرهم بمكان عمار و خيله ، فقال عمرو فليسرالينا : فقال له عوف : إِنِّي أَخَافُ غَدْرَكَ ، ثم جرى بينهما كلمات تركتها إلى أن قال :

أقبل عمار مع أصحابه و عمرو مع أصحابه فتوافقاً فقال عمرو : يا أبا اليظان اذكري الله إِلَّا كففت سلاح أهل هذا العسكر و حففت دمائهم فعلى متقاتلنا ؟ أو لسنا نعبد إِلَهًا واحدًا و نصلّى قبلتكم و ندعود عوتكم و نقرء كتابكم و نؤمن برسولكم ؟ فقال عمار : الحمد لله الذي أخرجها من فيك ، إِنَّهَا لى و لاصحابي القبلة والدين و عبادة الرَّحْمَن و النَّبِيُّ و الْكِتَابُ مِنْ دُونِكَ و دون أصحابك و جعلك

١ - هجر بالمعنى بلد يعرّف كثیر النخل، لغة .

ضالاً مضلاً و لاتعلم هاد أنت أم ضال، و جعلك أعمى و سأخبرك على ما قاتلتك عليه
أنت و أصحابك أمرني رسول الله ﷺ أن أقاتل الناكثين ففعلت، وأمرني أن أقاتل
القاسطين فأنتم هم و أما المارقون فما أرى ادر كهم أملا.

إيتها الابتر (١) تعلم أنَّ رسول الله ﷺ قال لعليٍّ عَلَيْهِ الْكَلَمُ مِنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَعَلَيْهِ
مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالَّذِي مِنْ وَالَّذِي وَعَادَ مِنْ عَادَهُ وَأَنَا مَوْلَاهُ وَرَسُولُهُ وَعَلَيْهِ بَعْدِهِ وَلَيْسَ
لَكَ مَوْلَى.

فقال له عمرو : فماتري في قتل عثمان؟ قال : فتح لكم بباب سوه ، قال عمر وفعلي
قتله ؟ قال عمّار : بل الله رب على قتله و علي معه ، قال عمرو : أكنت فيمن قتله ؟
قال : أنا مع من قتله و أنا اليوم أقاتل معه ، قال : فلم قتلتموه ؟ قال : أراد أن يغيير ديننا
فقتلناه ، قال عمرو : لا تسمعون قد اعترف بقتل إمامكم قال عمّار : و قد
قالها فرعون قبلك : لا تسمعون .

فقام أهل الشَّام و لهم زجل فركبوا خيولهم و رجعوا فبلغ معاوية ما كان ينفهم
فقال له : هلكت العرب إن أخذتهم خفة العبد الأسود يعني عمارة ، و خرج إلى
القتال و صفت الخيول بعضها لبعض و زحف الناس ، و على عمّار درع و هو يقول
إيهَا النَّاسُ الرَّوَاحُ إِلَى الْجَنَّةِ، فاقتتل الناس قتالا شديداً يسمع الناس به مثله ، و كثرت
القتلى حتى أنَّ كان الرَّجُلَ ليشد طب فساطته بيد الرَّجُلِ أو برجله.

فقال الأشعث : لقد رأيت أخيبة صفين و أرورتهم و ما منها خباء ولا رواق
ولا بناء ولا فساطاط إلا مربوطا بيد رجل أو رجله و جعل أبو سماك الأسود يأخذادواه من
ماء و شفرة حديد فيطوف في القتلى فإذا رأى رجالا جريحا و به رمق قام و سأله
أمير المؤمنين عليه السلام فان قال : علي غسل عنه الدم و سقاه من الماء و إن سكت وجاه
بسكين حتى يموت ، قال : فكان يسمى المخضضن (٢)

و عن عمرو بن شمر عن جابر عن الشعبي عن الأحنف بن قيس قال : و الله

١- ماخوذ من قوله تعالى ان شانتك هو الابتر منه.

٢- ماخوذ من الشخصية وهو تحرير الماء والسويق و نحوه مامنه .

إني إلى جانب عمّار فتقدمنا حتى إذا دنونا من هاشم بن عتبة قال له عمّار: أحمل
فداك أبي و أمي و نظر عمّار إلى رقة في الميمونة فقال له هاشم ، رحمك الله يا عمّار
إنتك رجل تأخذك خفة في الحرب و إنتي إنما أزحف باللواء زحفا و أرجو أن
أنال بذلك حاجتي، وإنني إن خفت لم آمن الملكة.

وقد قال معاوية لعمرو ويحك يا عمرو إن اللواء مع هاشم كأنه يرقل به إرقالا
وإنك إن زحف به زحفا إنته ليوم أطول لأهل الشّام ، فلم يزل به عمّار حتى حمل
في صدره معاوية فوجه إليه جملة أصحابه و من برع بالناس منهم في ناحية و كان في
ذلك الجمع عبدالله بن عمرو و معه سيفان قد تقلد بواحد و هو يضرب بالأخر
و أطاقت به خيل على علبة فقال عمرو : يا الله يا رحمن ابني ، و كان يقول
معاوية : أصبر أصبر فإنه لا يأس عليه قال عمرو لو كان يزيد اذاً لصبرت.

ولم يزل حمزة أهل الشّام يذبون عنه حتى نجا هارباً على فرسه و أصيّب
هاشم في المعركة ، قال و قال عمّار حين نظر إلى رأية عمرو و بن العاص : إن
هذه الرأية قد قاتلتها نلات عركات (١) و ما هي بأرشد هن ثم حمل
و هو يقول:

فاليوم نضربك على تأويله	نحن ضربناكم على تنزيله
و يذهب الخليل عن خليله	ضرباً يزيل الهم عن مقيله
يا ربّ انتي مؤمن بقيله (٢)	أو يرجع الحق إلى سبيله
نم استسقى و اشتند ظماؤه ، فأنته امرئة طولية اليدين ما ادرى اعن (٣) معها أم	
اهادوة فيها ضيّاح (٤) من لين و قال الجنة تحت الاسنة اليوم ألقى الاًحبة محمد عليه السلام	
و حزبه ، والله لو ان لبونا حتى يبلغوا بنا سعفatas هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم	

١- اي مرات

٢- بمعنى القول

٣- المعنى بضم العين القدر المعلم الجمع عباس كتاب قاموس .

٤- هو بالفتح كالضيّح للبن الممزوج بالماء ، ق.

على الباطل:

و حمل عليه ابن جوين السكسي و ابو العادية الفزارى، فاما أبو العادية فطعنه
و امسا ابن جوين فاجتر رأسه عليهم لعنة الله.

فقال ذو الكلاب عمرو : ويحك ما هذا ؟ قال عمرو : إنّه سيرجع إلينا ذاك
قبل أن يصاب عمّار ، فاصيب عمّار مع علي و اصيب ذو الكلاب مع معاوية فقال
عمرو : والله يا معاوية ما أدرى بقتل أيّهم أنت أشدّ فرحا ، والله لو بقي ذو الكلاب
حتى يقتل عمّار لمال بعامة قومه ولا فسد علينا جندنا.

قال : فكان لا يزال رجل يجيء فيقول : أنا قتلت عمّارا فيقول عمر وفما معتموه
يقول فيخلطون حتى أقبل ابن جوين فقال : أنا قتلت عمّارا فقال له عمرو : فما كان آخر
منطقه ؟ قال : سمعته يقول اليوم ألقى الأحبة ملأ و حزبه ، قال عمرو : صدقت أنت
اما والله ما ظفرت بذلك ولكن اسخطت ربك.

و في الاحتجاج روى عن الصادق عليه السلام أنه لما قتل عمّار ارتعدت فرائص خلق
كثير و قالوا : قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمار تقتلها الفتنة الباغية ، فدخل عمرو بن العاص
على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين قد هاج الناس واضطربوا ، قال : لماذا ؟ قال : قتل
عمّار ، قال : فماذا ؟ قال : أليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتلها الفتنة الباغية ؟ فقال له معاوية
دحست في قولك أنّحن قتلناه إنّما قتله علي بن أبي طالب لما ألقاه بين رماحنا ،
فأتصل ذلك بعلي بن أبي طالب ، فقال : فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي قتل حمزة وألقاه
بين رماح المشركين.

و في البحار من كتاب الكشفي بسانده عن اسماعيل بن أبي خالد قال :
سمعت قيس بن أبي حازم قال : قال عمّار بن ياسر : ادفنوني في نيابي
فانني مخاصم.

و من كشف الغمة قال : و نقلت من مناقب الخوارزمي قال : شهد خزيمة بن
ثابت الأنصاري الجمل و هو لا يسلّ سيفاً و شهد صفين و قال : لا اصلّ ابداً خلف
إمام حتى يقتل عمّار فأنظر من يقتله فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يقتله

الفتة الباغية ، فلما قتل عمار قال خزيمة : قد حانت لي الصلاة ثم اقترب و قاتل حتى قتل.

و كان الذي قتل عمار أبو عادية المري طعنه برمح فسقط و كان يومئذ يقاتل و هو ابن أربع و تسعين سنة ، فلما وقع أكب عليه رجل فاجترأ رأسه فأقبل يختصمان كلاهما يقول أنا قتيله .

فقال عمرو بن العاص : والله إن يختصمان إلا في النصار ، فسمعاها معاوية فقال عمرو ، ما رأيت مثل ما صنعت قوم بذلوا أنفسهم دوننا نقول لهما : إنكم ماتمما في النصار ، فقال عمرو : هو والله ذلك و إنك لتعلمته و لوددت أنني مت قبل هذا بعشرين سنة .

و بالاسناد عن أبي سعيد الخدري قال : كنّا نعمر مسجد رسول الله ﷺ و كنّا نحمل لبنة لبنة و عمار لبنتين لبنتين ، فرأى النبي ﷺ فجعل ينفض التراب عن رأس عمار و يقول : يا عمار لا تتحمل كما يتحمل أصحابك ؟ قال : إني أريد الأجر من الله تعالى ، قال : فجعل ينفض التراب عنه و يقول : ويبحث تقتلك الفتة الباغية تدعوهن إلى الجنة و يدعونك إلى النصار ، قال عمار : أعود بالرّحمن أظنه قال من الفتن .

و من كتاب الكفاية عن أبي المفضل الشيباني في حديث طويل مسندًا عن النبي ﷺ قال : يا عمار ستكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك فاتبع علياً و حزبه فإنه مع الحق والحق معه ، يا عمار إنك ستقاتل بعدى مع علي صفين : الناكثين والقاسطين ، ثم يقتلك الفتة الباغية ، قلت : يا رسول الله أليس ذلك على رضا الله و رضاك ؟ قال : نعم ، على رضا الله و رضائى و يكون آخر ذلك « زادك » شربة من لبن تشربه .

فلما كان يوم صفين خرج عمار بن ياسر إلى أمير المؤمنين علي عليهما السلام فقال له : يا أمير المؤمنين ، ألا تأذن لي في القتال ؟ قال : مهلا رحمك الله ، فلما كان بعد ساعة أعاد عليه الكلام فأجابه بمثله ، فأعاده ثالثاً فبكى أمير المؤمنين علي عليهما السلام فنظر إليه عمار

فقال : يا أمير المؤمنين إِنَّهُ الْيَوْمَ الَّذِي وُصِّفَ لِي رَسُولُ اللَّهِ .

فنزل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن بغلته و عائق عماراً و دعوه ثم قال : يا أبا اليقظان جزاك الله عن الله و عن نبيك خيراً فنعم الآخر كنت و نعم الصاحب كنت ثم قال : والله يا أمير المؤمنين ما تبعتك إِلَّا بصيرة فاني سمعت رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول : يا عمار ستكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك فاتبع عليساً و حزبه فإنه مع الحق و الحق معه ، و ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين ، فجزاك الله يا أمير المؤمنين عن الاسلام أفضل الجزاء ، فلقد أدرت و بلغت و نصحت

ثم ركب و ركب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثم برب إلى القتال ثم دعا بشربة من ماء فقيل ما معنا ماء فقام إليه رجل من الأنصار فاسقا شربة من لبن ، ثم قال : هكذا عهد إلى رسول الله أن يكون آخر زادى من الدنيا شربة من اللبن .

ثم حمل على القوم فقتل ثمانية عشر نفساً فخرج إليه رجال من أهل الشام فطعنوا فقتل رحمه الله ، فلما كان الليل طاف أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في القتلى فوجد عماراً ملقى ، فجعل رأسه على فخذه ثم بكى عَلَيْهِ السَّلَامُ و أنسأ يقول :

إِنَّمَا مُوتَ كُمْ هَذَا التَّفْرِقُ عَنْهُ فَلَمْ يَمْلِمْ خَلِيلَ

أَرَاكَ بَصِيرًا بِالَّذِينَ أَخْبَرْتَهُمْ كَأَنَّكَ تَمْضِي نَحْوَهُمْ

قَالَ الْمَجْلَسِيُّ : فِي الْدِيَوَانِ هَكَذَا :

أَلَا يَسْهَا الْمُوتُ الَّذِي لَيْسَ تَارِكِيْ أَرْحَنِيْ فَقَدْ أَفْنَيْتَ كُلَّ خَلِيلٍ

أَرَاكَ بَصِيرًا بِالَّذِينَ أَخْبَرْتَهُمْ كَأَنَّكَ تَتَحَوَّلُ نَحْوَهُمْ بَدْلِيلٍ

قال نصر بن مزاحم : لما حدث عمرو بن العاص في عمار ما قاله النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ خرج عبد الله عمر العبسي و كان من عباد أهل زمانه ليلاً فأصبح في عسكر علي عَلَيْهِ السَّلَامُ فحدث الناس بقول عمرو في عمار فلما سمع معاوية هذا القول بعث إلى عمرو وقال : أفسدت على أهل الشام ، أكل ما سمعته من رسول الله تقوله ؟ فقال عمرو : قلتها و لست و الله أعلم الغيب ولا أدرى أن صفين يكون عمار خصمنا ، وقد رویت أنت فيه مثل الذي

رويت فاسأل أهل الشّام فغضب معاوية وتنمر (١) لعمرو ومنعه وخيره، وقال عمرو لا خير لي في جوار معاوية إن تجلّت هذه الحرب عنا و كان عمرو حمي إلا نف فقال في ذلك :

وقد قلت لو أنصفتني مثله قبلى
تعاتبني ان قلت شيئاً سمعته
 تكون وعمار يحت على قتلى
 وما كان لى علم بصفين اتسها
 و كايدت أقواماً مراجلهم تغلى
 فلو كان لى بالغريب علم كتمتها
 إلى آخر الأبيات ثم أجاب معاوية بأبيات تشتمل على الاعتذار؛ فأناه عمرو وأعتبه وصار
 أمرهما واحداً ثم إن علياً دعا هاشم بن عتبة ومعه لواهه، و كان أعود ، وقال :
 حتى تأكل الخبز و تشرب الماء ، فقال هاشم : لا يجهز ن ان لا أرجع إليك أبداً.
 قال نصر عن عمر بن سعد عن رجل عن أبي سلمة أن هاشم دعا في الناس عند
 المساء ألا من كان يرید الله والدآر الآخر فليقبل فأقبل إليه ناس فشدّ في عصابة من
 أصحابه على أهل الشّام هراراً ، فليس من وجه يحمل عليه إلا صبر والله و قوتل فيه
 قتالاً شديداً ، فقال لاً أصحابه .

لابيوا لنـكم ما ترون من صبرهم فوالله ما ترون منهم إلا حميمية العرب وصبرها
 عند رياطها و عند هراكزها ، وإنهم لعلى الضلال وإنـكم لعلى الحق ، يا قوم اصبروا
 و صابروا و اجتمعوا و امشوا بنا إلى عدوٍ نا على توئدة (٢) رويداً و اذكروا الله ولا
 يسلمنَ رجل أخيه ولا نكثروا الالتفات و اصمدوا اصمدهم و جالدوهم محتسبيين
 حتى يحكم الله بيننا و هو خير الحكمين .

قال أبو سلمة فمضى في عصابة من القراء قاتل قتالاً شديداً هو وأصحابه حتى
 رأى بعض ما يسرُون به إذ خرج عليهم فتى شابٌ و شدّ يضرب بسيفه و يلعن
 و يشتم و يكثـر الكلام
 فقال له هاشم : إنَّ هذا الكلام بعده الخصم و إنَّ هذا القتال بعده الحساب

١- تنمر تشدّد في الصوت عند الوعيد و تشبه النمر و هو السبع ق .

٢- التوئدة الثانية في الشيء .

فاتق الله فانك راجع إلى ربك فسائلك عن هذا الموقف و ما أردت به

قال : فاني اقاتلكم لأنّ صاحبكم لا يصلّي كما ذكر لي وإنكم لانصلون ، و اقاتلكم لأنّ صاحبكم قتل خليقتنا وأنتم و ازرتموه على قته .

قال له هاشم و ما أنت و ابن عفان إنما قتله أصحاب مخدحين أحدهما و خالف حكم الكتاب وأصحاب عملهم أصحاب الدين وأولى بالنظر في امور المسلمين و ما أظن أنّ أمر هذه ولا أمر هذا الدين عنك طرفة عين فقط .

قال الفتى : أجل و الله لا أكذب فان الكذب يضرّ ولا ينفع و يشين ولا يزين .

قال له هاشم إنّ هذا الأمر لا علم لك به فخله وأهل العلم به قال : أظنك والله قد نصحتني فقال هاشم : وأما قولك إنّ صاحبنا لا يصلّي فهو أول من صلى الله مع رسول الله ، وافقه في دين و أولى برسول الله ، وأما من ترى معه فكلهم قاري الكتاب لainam الليل تهجد فلا يغرك عن دينك الا شقياء المغرورون .

قال الفتى : يا عبد الله إني لاظنك امرء صالح أخبرني هل تجدلى من توبه ؟

قال : نعم تب إلى الله يتبع عليك قال فذهب الفتى راجعا ، فقال رجل من أهل الشام خدعاك العراقي ، قال : ولكن نصحتني .

وقاتل هاشم هو وأصحابه قتالاً شديداً حتى قتل تسعة نفراً و عشرة، وحمل عليه المحرث بن المنذر فطعنه فسقط ، و بعث إليه عليٌّ أن قدم لوائك ، فقال للرسول انظر إلى بطني فإذا هو قد انشق فأخذ الرأبة رجل من بكر بن وائل ، ورفع هاشم رأسه فإذا هو بعيبد الله بن عمر بن الخطاب قتيلاً إلى جانبه فجثا حتى دنى منه فعض على ثديه حتى تبيّنت فيه أنيابه ثم مات هاشم و هو على صدر عبيد الله .

و ضرب البكري فوقه فابصر عبيد الله فعض على ثديه الآخر ومات أيضاً ، فوجدا جميعاً ماتا على صدر عبيد الله ولمن قتل هاشم جز ع الناس عليه جز عاشد بدأ واصيب معه

عصابة من أسلم من القراء ، فمر عليهم على عليهم السلام وهم قتلى حوله فقال عليهم السلام :

جزي الله خيراً عصبة أسلامية صباح الوجه صرّعوا حول هاشم

(٨٠)

المختار الخامس والستون

(ج٥)

يزيد و عبد الله بشر و هعبد
وسفيان و ابنها شم ذي المكارم

و عروة لا يبعد ثناه و ذكره
إذا خترط البيض الخفاف الصوارم

ثم أخذ الرأية عبدالله بن هاشم ، قال نصر : حدثنا عمرو بن شمر قال : لما انقضى أمر صفين وسلم الأمر للحسن إلى معاوية وفدت إليه الوفود وأشخص عبدالله بن هاشم أسيراً فاتى به معاوية ، فلما دخل عليه وعنده عمرو بن العاص قال : يا أمير المؤمنين هذا المختار بن المرقال فدونك الضب اللاحظ فإن العصيا من العصية (١) و إنما تلد الحمية حية وجزء المسئلة سيدة مثلها

فقال له ابن هاشم : ما أنا بأول رجل خذله قومه وأدركته يومه ، قال معاوية تلك ضغائن صفين وما جنا عليك أبوك ، فقال عمرو : يا أمير المؤمنين أملكني منه فأشخّب أوداجه على أنباجه . (٢)

فقال له ابن هاشم : أفلأكان هذه الشجاعة منك يا ابن العاص أيام صفين حين ندعوك إلى النزال وقد ابتلت أقدام الرجال من نقع (٣) الجربال (٤) وقد تصايبت بك المسالك وأشرف فيها على الممالك ، و ايم الله لولامك أنك منه لنشبت لك مني خافية (٥) ارميك من خلالها أحد من وقع الإنافي (٦) فأنك لا تزال

١- اي العود الكبير ينشأ من الصغير الذي غرس او لامثل يضرب للشيء الذي يكون في

بدنه حقيراً زمخشري .

٢- النجع ما بين الكاهل إلى الظهر ، ق

٣- النقع مجبس الماء و كذلك ما اجتمع في البئر منه والمراد هنا الدم .

٤- صبغ أحمر وحمرة الذهب .

٥- لعل المراد بالخافية السهم المشتمل على الريش قال في القاموس الخوا في ريشات اذا ضم الطاير جناحيه خفيت او هي الاربع اللاتي بعد المناكب او هي السبع ريشات بعد السبع المقدمات انتهى منه .

٦- لعل المراد بالإنافي هنا السنة التي تقوى بها

(ج٥)

تکثر (۱) فی دهشک و تخبط فی مرسك (۲) تخبط العشواء فی الليلة الحندس الظلماء
فأعجب معاوية ما سمع من كلام ابن هاشم فأمر به إلى السجن وكف عن قتله
هذا ، ويأتي طرف آخر من بقية الواقعة في شرح بعض الكلمات الآتية إن ساعدنا التوفيق
والمجال إنشاء الله

الترجمة

از جمله کلام آن حضرتست که می فرمود باص حاب خود در بعض روزهای

جنك صفين !

ای جماعة مسلمان شعار خود گردانید خوف و خشیه کرد گاردا ، و پوشش
اخذ نمائید بجهة خود تمکین و وقار را ، و بنماید دندانها را بر دندانها که
بدرستی این برمی گرداند شمشیرهارا از کاسه سر ، و کامل نمائید زره را بساير
آنهاي جنك ، و حرکت بدھيد شمشيرهارا درغلافها پيش از کشیدن آنها ، و بگريد
بگوشة چشم تنك خشمناك ، و بزنيد نيزه را بچپ و راست ، و دفع کنيد دشمن را
باطراف شمشيرها و برسانيد شمشيرها را بدمشمن با قدمها ، و بدانيد که شمامنظور
نظر گرد گاريد ، و درخدمت پسر عم پیغمبر مختار میباشید

پس مکر رأرجوع کنید بر طرف اشاره ، و حیا نمائید از گریز و فرار ، که
فرار موجب عار است در اولاد و اعقاب ، و باعث آتش است در روز حساب ، و پاکیزه
 بشوید از حیثیت نفس درحالی که تجاوز کننده باشد از نفسمای زایله و فانیه خودتان
و بروید بسوی مرک رفتن سهل و آسان ، لازم کنید برخود حمله آوردن بر سواد اعظم
أهل عناد ، و بر چادر طناب دار معاویه بد بنیاد

پس بزنید هیمان آن خیمه را از جهة اينکه شیطان پنهان است در جانب آن
خیمه که بتحقیق پیش آورده است آن شیطان بجهة برجستن دستی را ، و پس کشیده
است از برای گریختن پائی را پس قصد نمائید دشمن را قصد گردنی تا اينکه ظاهر

۱- ای تکثر الكلام فی تحریر و خوفك

۲- المرسة الحبل والجمع المرس

شود بشما ستون حق ، و حال آنکه شما غالب و بلند مرتبه هستید ، و خداوند با شماست و ناصر شماست ، وناقص نمی‌نماید از شما جزای عملهای شمارا
ومن کلام له عليه السلام فی معنی الانصار و هو السادس
والستون من المختار فی باب الخطب

قالوا : لما انتهت إلى أمير المؤمنين أئبء السقيفة بعد وفات رسول الله ﷺ
قال عليه السلام ما قالت الانصار ؟ قالوا قالت : منا أمير ومنكم أمير قال عليه السلام :
فَهَلَّا احْتَجَّتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَصَّى بِأَنَّ يُحْسِنَ إِلَى
مُحْسِنِهِمْ ، وَيُتَجَاوِزَ عَنْ مُسْبِهِمْ ؟ قَالُوا : وَمَا فِي هَذَا مِنْ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ؟
قَالَ عَلَيْهِ السلام : لَوْ كَانَتِ الْإِمَارَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ ، ثُمَّ قَالَ
فَإِذَا قَاتَ قُرَيْشٌ ؟ قَالُوا : احْتَجَتْ بِأَنَّهَا شَجَرَةُ الرَّسُول ﷺ فَقَالَ
عَلَيْهِ السلام : احْتَجُوا بِالشَّجَرَةِ وَأَضَاعُوا النَّمَرَةَ .

اللغة

(النِّبَا) كالخبر لفظاً و معنا و (السقيفة) الصفة و سقيفةبني ساعدة فعيلة بمعنى مفعولة وهي ظلة كانت مجمع الانصار و دار ندوتهم لفصل القضايا و (وصيت) الشيء بالشيء أصيده من باب وعد وصيته ووصيت إلى فلان توصية و أوصيته ايصاه والاسم الوصاية بالكسر والفتح لغة ، وهو وصي فقيل بمعنى مفعول والجمع الأوصياء وأوصيتك له بمال جعلته له ، وأوصيتكه بولده استعطافته عليه ، و أوصيتكه بالصلالة أمرته بها قال تعالى :

« ذِلِّكُمْ وَصِيكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَقَوَّزُ » .

الاعراب

هلاً من حروف التخصيص ، قال نجم الائمة الرضي : و معناها إذا دخلت على الماضي التسويف واللوم على ترك الفعل ، و في المضارع الحسن على الفعل والطلب له ، فهي في المضارع بمعنى الأمر ولا يكون التخصيص في الماضي الذي قدفatas إلا أنّها تستعمل كثيراً في لوم المخاطب على أنه ترك في الماضي شيئاً يمكن تداركه في المستقبل ، فكأنّها من حيث المعنى للتخصيص على فعل مثل مافات ، قوله: فماذا قالـت ، يحتمل أن يكون ذا موصولة وأن تكون زيادة كما في قولهم: ماذا صنعت و من ذار أيت.

المعنى

اعلم انه (لما انتهت إلى أمير المؤمنين أئباء أهل السقيفة بعد وفات رسول الله ﷺ) و مشاجرات المهاجرين والأنصار ودعوى كل منهما استحقاق الخلافة لنفسه واحتجاج كل من الطرفين على الآخر بذكر المناقب والسوابق (قال عليهما السلام ما قالـت الانصار) المهاجرين (قالوا) انـهم (قالت مـنـا امير و منـکـم امير قال عليهما السلام) فهـلاـ اـحـتـجـجـتـ عـلـيـهـمـ بـانـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺ وـصـىـ بـانـ يـحـسـنـ إـلـىـ مـحـسـنـهـمـ وـيـتـجـهـ مـاـوـزـ عنـ مـسـيـهـمـ) وقد مر تلك الوصية في المقدمة الثالثة من مقدمات الخطبة الشيشانية في رواية الاحتجاج عن الشيباني ورواه الشارح المعتزلي من صحيح البخاري و مسلم في مسنديهما عن أنس بن مالك قال :

مر أبو بكر والعباس بمجلس من الأنصار في مرض رسول الله ﷺ وهم يبكون ، فقالا : ما يبكيكم ؟ قال : ذكرنا محسن رسول الله ﷺ فدخل على النبي وأخبره بذلك فخرج وقد عصب على رأسه حاشية برد ، فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله واثني عليه ثم قال :

أوصيكم بالأنصار فـانـهـمـ كـرـشـيـ (١) وـعـيـتـيـ وـقـدـ قـضـواـ الذـيـ عـلـيـهـمـ وـبـقـىـ الذـيـ لـهـمـ ، فـاقـبـلـواـ مـنـ مـحـسـنـهـمـ وـتـجـاـزوـواـ عـنـ مـسـيـهـمـ هذا .

١- الكريث منزلة المعدة للإنسان و عيال الرجل و اهل بيته ،

وَلِمَا لَمْ يَفْهُمُ الْمُخَاطِبُونَ كَيْفِيَّةً حِجَّةَ كَلَامِهِ عَلَى الْأَنْصَارِ وَدَلَالَتِهِ عَلَى
بَطْلَانِ دُعَوَاهُمْ أَسْتَفْهُمُوا عَنْهُ طَبْلَلٌ وَ(قَالُوا وَمَا فِي هَذَا) الْكَلَامُ (مِنَ الْحِجَّةِ عَلَيْهِمْ
فَقَالَ طَبْلَلٌ لَوْ كَانَ الْإِمَارَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوِصِّيَّةُ بِهِمْ) الْكَتْسَهَا بِهِمْ فَلِمَسْتُ الْأَمَارَةَ لَهُمْ، يَبَانُ
الْمَلَزِمَةُ أَنَّ الْعُرْفَ قَاضٍ بِأَنَّ الْوِصِّيَّةَ اِنْمَا تَكُونُ إِلَى الرَّئِيسِ فِي حَقِّ الْمَرْؤُوسِ لَا بِالْعَكْسِ.
(نَمْ قَالَ : فَمَاذَا قَالَتْ قَرِيشٌ) فِي مَقْامِ الْاحْتِجَاجِ عَلَى الْأَنْصَارِ (قَالُوا احْتَجَجْتُ
بِأَنَّهُمْ شَجَرَةُ الرَّسُولِ) كَوْنُهُمْ شَجَرَةُ الرَّسُولِ بِاعتِبَارِ أَنَّهُ صَلَواتَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ
مِنْهُمْ، فَهُوَ وَإِيَّاهُمْ جَمِيعًا مِنْ أَنْصَارِ أَصْلٍ وَاحِدٍ وَأَوْلَادٍ نَضَرُّبُنَّ كَنَانَةً (فَقَالَ احْتَجَجُوا
بِالشَّجَرَةِ وَأَضَاعُوا الشَّمْرَةَ) الظَّاهِرُ أَنَّهُ أَرَادَ بِالشَّمْرَةِ نَفْسَهُ وَأَهْلَيْتِهِ وَأَرَادَ
بِاضْناعَتِهِ إِهْمَالَهُ لَهُ وَلَا وَلَادَهُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ وَالْمَقصُودُ بِهِذَا الْكَلَامِ الْاحْتِجَاجُ عَلَى
قَرِيشٍ بِمِثْلِ مَا احْتَجَجُوا بِهِ عَلَى الْأَنْصَارِ.

يَبَانُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَسْتَدَلُّوا عَلَى أَنْ لَوْيَسْتُهُمْ بِأَنَّهُمْ شَجَرَةُ الرَّسُولِ فَيَكُونُونَ أَقْرَبُ إِلَيْهِمْ مِنْ
غَيْرِهِمْ وَنَحْنُ نَحْتَاجُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ رَسُولٌ فَنَكُونُ أَقْرَبُ إِلَيْهِمْ إِذْلِكَ الشَّمْرَةُ اِخْتِصَاصُ بِالْمَشْمَرِ
لَيْسَ لِلْغَيْرِ ذَلِكَ الْإِخْتِصَاصُ، بَلِ الْمَرَادُ بِالشَّجَرِ لَيْسَ إِلَّا الشَّمْرُ فَإِنْ كَانَتِ الشَّجَرَةُ مُعْتَبَرَةً
فِي الْأَلَّا وَلِيَ اعْتَبَرُ الشَّمْرَةَ وَإِنْ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى الشَّمْرَةِ فَلَا التَّفَاتٌ إِلَى الشَّجَرَةِ، وَقَدْ وَقَعَ
مِثْلُ ذَلِكَ التَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ سَبِّحَانَهُ :

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلْمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةً طَيِّبَةً أَصْلُهَا
ثَابَتٌ وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتَيْ أَكْلَمَهَا كُلًّا حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ
الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ». .

رُوِيَ فِي الْبَحَارِ مِنْ تَفْسِيرِ عَلِيٍّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بِأَنْسِنَادِهِ عَنْ سَلَامِ بْنِ مُسْتَنْيَرِ عَنْ أَبِي جَعْفَرِ
عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ قَالَ : الشَّجَرَةُ رَسُولُ اللَّهِ وَنَسِيْبَهُ ثَابَتٌ فِي بَنِي هَاشَمٍ وَفَرَعٌ الشَّجَرَةُ عَلَيْهِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
وَغَصَنُ الشَّجَرَةِ فَاطِمَةٌ وَثَمَرَتُهَا الْأَئِمَّةُ ، مِنْ وَلَدِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ ، وَشَيْعَتُهُمْ وَرَقَهَا وَانْ
الْمُؤْمِنُ مِنْ شَيْعَتُنَا لَيَمُوتُ فَيَسْقُطُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَرَقَةً، وَأَنَّ الْمُؤْمِنَ لِيُولَدُ فَتُورِقُ الشَّجَرَةُ
وَرَقَةً ، قَلْتُ : أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ :

« تُؤْتِي أَكَلَهَا كُلًّا حِينَ بِإِذْنِ رَبِّهَا ».

قال يعني بذلك ما يفتون الأئمة شيعتهم في كل حج و عمرة من الحال والحرام.

نبأان الاول

قد قدمتنا أخبار السقيفة في المقدمة الثالثة من مقدمات شرح الخطبة الشهادية ، و نزيد هنا على ما سبق ما رواه المحدث المجلسي في البحار من الشيخ في تلخيص الشافعي عن هشام بن محمد عن أبي مخنف عن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي عمر الأنصاري .

أنَّ النَّبِيَّ ﷺ لما قبض اجتمعوا الأنصار في سقيفة بنى ساعدة فقالوا: نوَّلَيْ هذا الْأَمْرَ منْ بَعْدِ مُحَمَّدٍ سَعْدَ بْنَ عِبَادَةَ وَ أَخْرَجُوهُ سَعْدًا إِلَيْهِمْ وَ هُوَ مَرِيضٌ ، قَالَ: فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قَالَ لَابْنِهِ أَوْ لِبَعْضِ بَنِي عَمِّهِ إِنِّي لَا أَقْدِرُ لِشَكْوَاهِي اسْمَعُ الْقَوْمَ كَلَمَّا كَلَمَ وَلَكِنْ تَلَقَّ مِنْيَ قَوْلِي فَأَسْمَعُهُمْ : فَكَانَ يَتَكَلَّمُ وَ يَحْفَظُ الرَّجُلُ قَوْلَهُ فَيَرْفَعُ بِهِ صَوْتَهِ وَ يَسْمَعُ بِهِ أَصْحَابَهُ فَقَالَ بَعْدَ أَنْ حَمَدَ اللَّهَ وَ أَنْتَ عَلَيْهِ :

يَا معاشر الْأَنْصَارِ إِنَّ لَكُمْ سَابِقَةً فِي الدِّينِ وَ فَضْيَلَةً فِي الْإِسْلَامِ لَيْسَتْ لِقَبْيلَةَ مِنَ الْعَرَبِ، إِنَّ عَمَّادَ الْمُؤْمِنِ لَبِثَ بَعْضَ عَشَرَ سَنَةً فِي قَوْمِهِ يَدْعُوْهُمْ إِلَى عِبَادَةِ الرَّحْمَنِ وَ خَلْعِ الْأَوْنَانِ، مَا آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا رَجُالٌ قَلِيلٌ ، وَ اللَّهُ مَا كَانُوا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَمْنَعُوا رَسُولَهُ وَ يَعْزِزُوا دِينَهُ وَ لَا أَنْ يَدْفَعُوا عَنْ أَنفُسِهِمْ ضَيْماً (١) عَمِوا حَتَّىْ إِذَا أَرَادُوكُمْ رِبَّكُمُ الْفَضْيَلَةَ وَ سَاقَ إِلَيْكُمُ الْكَرَامَةَ وَ خَصَّكُمْ بِالنِّعَمَةِ وَ رَزَّقَكُمُ الْإِيمَانَ بِهِ وَ بِرَسُولِهِ وَ الْمَنْعَ لِهِ وَ لِأَصْحَابِهِ وَ الْاعْزَازَ لِهِ وَ لِدِينِهِ وَ الْجَهَادَ لِأَعْدَاءِهِ .

وَ كُنْتُمْ أَشَدَّ النَّاسَ عَلَى عَدُوِّهِمْ وَ أَنْقَلَهُ عَلَى عَدُوِّهِ مِنْ غَيْرِ كُمْ حَتَّىْ استقامتُ الْعَرَبُ لِأَمْرِ اللَّهِ طَوْعًا وَ كَرْهًا ، وَ أَعْطَى الْبَعِيدُ الْمَقَادِيْةَ صَاغِرًا وَ آخِرًا ، وَ حَتَّىْ انْجَنَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ بِكُمْ فِي الْأَرْضِ وَ دَانَتْ بِأَسْيَافِكُمْ لِهِ الْعَرَبُ وَ تَوْفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ وَ هُوَ عَنْكُمْ رَاضٌ وَ بِكُمْ قَرِيرٌ عَيْنٌ ، اسْتَبَدَّ وَ بِهِذَا الْأَمْرِ دُونَ النَّاسِ فَانْهَ لِكُمْ دُونَ النَّاسِ .

فأجابوه بأجمعهم بأن قد وفقت في الرأي وأصبت في القول ولن نعدو ما رأيت نوليك هذا الأمر دون الناس فانك فيما ملئنا مقنع ولصالح المؤمنين رضي .
نم أنهم ترادوا الكلام فقالوا فإن أبى مهاجرة قريش فقالوا نحن المهاجرة وصحابة رسول الله الألوان فعلام تنازعون الأمر من بعده ؟ قالت طائفة منهم : فانا نقول إذن منا أمير ومنكم أمير ولن نرضى بدون هذا أبداً ، فقال سعد بن عبادة حين سمعها هذا أول الوهن ، وأنى تعم الخبر فأقبل إلى منزل النبي فارسل إلى أبي بكر و أبو بكر في الدار و على بن أبي طالب دائم في جهاز النبي .

فارسل إلى أبي بكر أن اخرج إلى فارسل إليه أتى مشتغل فارسل إليه أن قد حدث أمر لا بد لك من حضوره ، فخرج إليه فقال : أما علمت أن الأنصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة يريدون أن يولوا هذا الأمر سعد بن عبادة ، و أحسنهم مقالة من يقول منها أمير و من قريش أمير ، فمضيا مسرعا نحوهم فلقيا أبا عبيدة فتماشوا إليهم فلقاهم عاصم بن عدي و عمر بن ساعدة فقالوا لهم : ارجعوا فإنه لا يكون إلا ما تعبون ، فقالوا : لان فعل ، فجاؤوا هم مجتمعون .

فقال عمر بن الخطاب : أتيناهم وقد كنت زورت (١) كلاما أردت أن أقوم به فيهم فلما اندفعت إليهم ذهبوا لابتدا المنطق فقال لي أبو بكر : رويدا حتى أتكلم ثم انطق بعد بما أحببت ، فنطق ، فقال عمر : فما شيء كنت أريد أن أقول به إلا وقد أتى عليه .

قال عبد الله بن عبد الرحمن : فبده أبو بكر فحمد الله وأتني عليه ثم قال : إن الله بعث نجلا رسولا إلى خلقه وشميدا على أمته ليعبدوا الله و يوحّدوه و هم يعبدون من دونه آلة شتى يزعمون أنها لمن عبدها شافعة و لهم نافعة وإنما هي من حجر منحوت خشب و منجور ثم قرأ :

« وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُؤُلَاءِ

شفعاً عنـا عـنـدـاللهـ وـقـالـوا مـا نـعـبـدـهـ إـلـاـ لـيـقـرـبـونـا إـلـىـ اللهـ زـلـفـيـ ». .

فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخصص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والإيمان به والمواسة له والصبر معه على شدة أذى قومهم لهم وتكذيبهم أيامه، وكل الناس لهم مخالف وعليهم زار، فلم يستوحشوا لقلة عددهم وتشذب الناس عنهم وأجمعوا قومهم عليهم، فهم أول من عبد الله في الأرض وآمن بالله ورسوله، وهم أو لياوته وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده، ولا ينazuهم في ذلك إلا ظالم.

وأنت يا عشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين ولا مسايقتهم العظيمة في الإسلام رضيكم الله أنصاراً لمدينه ورسوله وجعل إليكم هجرته وفيكم جلة ازواجه وأصحابه، وليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم، فنحن أبناء وآمنتكم الوزراء لافتات (١) عليكم بمشورة، ولا تقضى دونكم الامر، فقام المنذر بن الحباب ابن الجموح

هكذا روى الطبرى والذى رواه غيره أن الحباب بن المنذر قال : يا عشر الأنصارا ملکوا على أيديكم ، و ساق الحديث نحواً مما رواه ابن أبي الحديد عن الطبرى إلى قوله فقاموا إليه فبايعوه

أقول ما رواه ابن أبي الحديد عنه هكذا : فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال : يا عشر الانصارا ملکوا عليكم أمركم فان الناس في ظلكم و لن يجترى مجترى على خلافكم، ولا يصدر أحد إلا عن رأيكم ، أنتم أهل العزة و المغبة و أولى العدد والكثرة و ذروا ليأس والنجد ، وإنتما ينظر الناس ما تصنعون فلا تختلفوا فتفسد عليكم اموركم ، فان أبي هولاء إلا ما سمعتم فمنا أمير و منهم أمير . فقال عمر : هيئات لا يجتمع سيفان في غمد واحد والله لا ترضى العرب ان تؤمركم و بينها من غيركم، ولا تمنع العرب أن تؤتي أمرها من كانت النبوة معهم ، من ينazuونا سلطاناً نعمل و نحن أولياؤه و عشيرته .

١- افتات على برأيه استبد و في بعض نسخ التلخيص لاتفاقون بمشورة منه .

فقال الحباب بن المنذر : يا معشر الأنصار املكونا أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنيبيكم من هذا الأمر ، فان أبو عليكم فاجلوا هذه من بلادكم فأنتم أحق بهذا الأمر منهم فإنه بأسيفكم وان الناس بهذا الدين أنا جذيلها المحك وعذيقها المرحب ، أنا أبو شبل في عريسة الأسد ، والله إن شتم لنبعدها جذعة.

فقال عمر : إذن يقتلك الله ، فقال بل إياك يقتل ، فقال أبو عبيدة : يا معشر الانصار انكم أول من نصر فلاتكونوا أول من بدل وغيره.

فقام بشير بن سعد والد النعمان بن بشير فقال : يا معشر الأنصار إلا إن تمدا من قريش و قومه أولى به وأيم الله لا يراني الله أنا زعمهم هذا الأمر ، فقال أبو بكر : هذا عمر و أبو عبيدة بایعوا أيهـما شتم ، فقالا : والله لا نتولى هذا الأمر عليك و أنت أفضل المهاجرين و خليفة رسول الله في الصلاة وهي أفضل الدين ابسط يدك فلمابسط يده ليبايعاه سبقـما إليه بشير بن سعد فيـما بهـ.

فناداء الحباب بن المنذر يا بشير (عفتـكـخـ) عـفـةـأـنـفـسـتـعـلـىـ ابنـعـمـكـالـامـارـةـ ،

فقال أـسـيـدـبـنـحـصـيـنـ رـئـيـسـالـأـوـسـ لـأـصـحـابـهـ : وـالـلـهـ لـئـنـ لمـ تـبـاـعـوـاـ لـيـكـوـنـ لـلـخـزـرـجـ عـلـيـكـمـ الـفـضـيـلـةـ اـبـدـاـ ، فـقـامـوـاـ فـبـاـيـعـوـاـ أـبـاـبـكـرـ فـانـكـسـرـعـلـيـ سـعـدـبـنـ عـبـادـةـ وـالـخـزـرـجـ ماـجـتـمـعـوـاـ عـلـيـهـ ، وـأـقـبـلـ النـاسـ يـبـاـيـعـوـنـ أـبـاـبـكـرـ مـنـ كـلـ جـانـبـ .

قال في البحار : قال الشـيـخـ قال هـشـامـ : قال أبو مـخـنـفـ : وـحدـ تـنـيـ أـبـوـبـكـرـبـنـ تـغـ ،
الـخـزـاءـيـ إـنـ أـسـلـمـ أـقـبـلـ بـجـمـاعـتـهـ حـتـىـ تـضـايـقـتـ بـهـ السـكـكـ لـيـبـاـيـعـوـاـ أـبـاـبـكـرـ ، فـقـالـ
عـمـرـ : مـاـ هـوـإـلـاـ أـنـ رـأـيـتـ اـسـلـمـ فـأـيـقـنـتـ .

قال هـشـامـ : عنـ أـبـيـ مـخـنـفـ قـالـ : قالـ أـبـوـعـبـدـالـلـهـ بـنـ عـبـدـالـرـحـمـنـ وـأـقـبـلـ النـاشـ
مـنـ كـلـ جـانـبـ يـبـاـيـعـوـنـ أـبـاـبـكـرـ وـ كـادـواـ يـطـأـوـنـ سـعـدـبـنـ عـبـادـةـ ، فـقـالـ نـاسـ مـنـ أـصـحـابـ
سـعـدـ : اـتـقـواـ سـعـداـ لـأـتـطـأـوـهـ ، فـقـالـ عـمـرـ : اـقـتـلـوـاـ سـعـداـ قـتـلـهـ اللـهـ ، ثـمـ قـامـ عـلـىـ رـأـسـهـ قـالـ :
لـقـدـ هـمـمـتـ أـنـ أـطـأـكـ حـتـىـ يـنـدـرـ عـضـوكـ ، فـأـخـذـ قـيسـ بـنـ سـعـدـ بـلـحـيـتـهـ ثـمـ قـالـ : وـالـلـهـ لـئـنـ
حـصـتـ «ـحـصـتـ خـلـ»ـ مـنـهـ شـعـرـةـ مـاـ رـجـعـتـ وـ فـيـ فـيـكـ وـاضـحةـ ؛ فـقـالـ أـبـوـبـكـرـ مـهـلاـ يـاـ

عمر الرفق هنـا أبلغ فأعرض عنه .
وقال سعد : والله لوأرى من قومي ما أقوى على النهوض لسمعتـم منـي بأقطارها
وسكـنـها زـيرـاً يـحـجزـكـ وأـصـحـابـكـ ، أـمـاـ واللهـ إـذـنـ لاـ لـحقـكـ بـقـومـ كـنـتـ فـيـهـمـ تـابـاعـهـمـ
مـتـبـوـعـ اـحـمـلـونـيـ مـنـ هـذـاـ الـمـكـانـ ، فـحـمـلـوهـ فـأـدـخـلـوهـ دـارـهـ وـتـرـكـ آـيـاماـ
نمـ بـعـثـ إـلـيـهـ أـنـ أـقـبـلـ فـبـايـعـ فـقـدـ بـايـعـ النـاسـ وـبـايـعـ قـومـكـ ، فـقـالـ أـمـاـ واللهـ
حتـىـ أـرـمـيـكـمـ مـاـ فـيـ كـنـاتـيـ مـنـ نـبـلـ وـأـخـضـبـ مـنـكـمـ سنـانـ رـمـحـيـ وـأـسـرـبـكـمـ بـسـيـفـيـ
مـاـ مـلـكـتـهـ يـدـيـ ، وـاقـاتـلـكـ بـأـهـلـ بـيـتـيـ وـمـنـ أـطـاعـنـيـ مـنـ قـومـيـ ، وـلـأـفـعـلـ وـأـيـمـ اللهـ لـوـ
أـنـ الـجـنـ أـجـتـمـعـ لـكـمـ مـعـ الـأـنـسـ مـاـ بـايـعـكـمـ حـتـىـ اـعـرـضـ عـلـىـ رـبـيـ وـأـعـلـمـ مـاـ حـسـبـيـ
فـلـمـاـ اـتـيـ أـبـوـبـكـرـ بـذـلـكـ قـالـ لـهـ عـمـرـ : لـاـ تـدـعـهـ حـتـىـ بـيـاـعـ ، فـقـالـ بـشـيـرـ بـنـ سـعـدـ
إـنـهـ قـدـ لـجـ وـأـبـيـ فـلـيـسـ بـيـاـعـكـمـ حـتـىـ يـقـتـلـ وـلـيـسـ بـمـقـتـلـ حـتـىـ يـقـتـلـ مـعـهـ وـلـدـهـ وـأـهـلـ
بـيـتـهـ وـطـائـفـةـ مـنـ عـشـيرـتـهـ ، فـلـيـسـ تـرـكـهـ بـضـارـكـ إـنـمـاـ هـوـ رـجـلـ وـاحـدـ فـقـرـكـوـهـ ، وـقـبـلـواـ
مشـورـةـ بـشـيـرـ بـنـ سـعـدـ وـاستـنـصـحـوـهـ لـمـاـ بـدـالـهـ مـنـهـ
وـكـانـ سـعـدـ لـاـ يـصـلـىـ بـصـلـاتـهـمـ وـلـاـ يـجـمـعـ مـعـهـمـ وـيـحـجـ وـلـاـ يـحـجـ مـعـهـمـ ، وـيـفـيـضـ
فـلـاـ يـفـيـضـ مـعـهـمـ بـأـفـاضـتـهـمـ فـلـمـ يـزـلـ كـذـلـكـ حـتـىـ هـلـكـ أـبـوـبـكـرـ
أـقـولـ : روـيـ الشـارـحـ المـعـتـزـلـيـ خـبـرـ السـقـيـفـةـ لـأـبـيـ بـكـرـ
أـحـمـدـ بـنـ عـبـدـالـعـزـيزـ الـجـوـهـرـيـ نـحـوـاـ مـمـارـوـنـاـ وـزـادـ فـيـ آـخـرـهـ بـعـدـ قـوـلـهـ فـلـمـ يـزـلـ كـذـلـكـ
حـتـىـ مـاتـ أـبـوـبـكـرـ ، ثـمـ لـقـىـ عـمـرـ فـيـ خـلـافـتـهـ وـهـوـ عـلـىـ فـرـسـ وـعـمـرـ عـلـىـ بـعـيرـ قـالـ لـهـ عـمـرـ :
هـيـهـاتـ يـاسـعـدـ قـالـ سـعـدـ : هـيـهـاتـ يـاءـعـمـرـ ، فـقـالـ : أـنـتـ صـاحـبـ مـنـ أـنـتـ صـاحـبـهـ قـالـ : نـعـمـ
أـنـاـ ذـاكـ ، ثـمـ قـالـ لـعـمـرـ وـالـلـهـ مـاـ جـاـهـوـرـ نـيـ أـحـدـ هـوـ أـبـغـضـ إـلـىـ جـوـرـأـ مـنـكـ وـمـنـ أـصـحـابـكـ ،
فـلـمـ يـلـمـثـ سـعـدـ بـعـدـ ذـلـكـ قـلـيلـاـ حـتـىـ خـرـجـ إـلـىـ الشـامـ فـخـرـجـ فـيـهـاـ ، وـلـمـ بـيـاـعـ لـاـ
لـأـبـكـرـ وـلـأـعـمـرـ وـلـأـغـيـرـهـمـاـ

ثـمـ قـالـ : قـالـ الرـأـويـ : وـكـثـرـ النـاسـ عـلـىـ أـبـيـ بـكـرـ فـبـيـاـعـهـ مـعـظـمـ الـمـسـلـمـينـ فـيـ
ذـلـكـ الـيـوـمـ ، وـاجـتـمـعـتـ بـنـوـهـاشـمـ إـلـىـ عـلـيـ بـنـ أـيـطـالـبـ وـمـعـهـمـ النـزـيـرـ وـكـانـ يـعـدـ نـفـسـهـ رـجـلاـ
مـنـ بـنـيـ هـاشـمـ كـانـ عـلـىـ يـقـيـمـ يـقـولـ ، مـازـالـ الزـيـرـ مـنـ أـهـلـ الـبـيـتـ حـتـىـ نـشـاـبـوـهـ فـصـرـفـهـ عـنــاـ .
وـاجـتـمـعـتـ بـنـوـأـمـيـةـ إـلـىـ عـمـانـ بـنـ عـفـانـ وـاجـتـمـعـتـ بـنـوـزـهـرـةـ إـلـىـ سـعـدـ وـعـبـدـالـرـحـمـنـ

فأقبل عمر و أبو عبيدة فقال : مالي أراكم متخلفين ، قوموا فباعوا أبا بكر فقد بايع الناس و بايعه الأنصار ، فقام عثمان ومن معه و قام سعد و عبد الرحمن و من معهما فباعوا أبا بكر ، وذهب عمر ومعه عصابة إلى بيت فاطمة منهم أسيد بن حسين و سلم ابن أسلم فقال لهم : انطلقوا فباعوا فأبوا عليه

وخرج الزبير بسيفه فقال عمر ، عليكم الكلب فوثب عليه سلم بن أسلم فأخذ السيف من يده فضرب بيده الجدار ثم انطلقوا بابه وبعله و معهم بني هاشم وعلى عليه السلام يقول : أنا عبد الله وأخوه رسول الله حتى انتهوا به إلى أبي بكر فقيل له : بايع ، فقال : أنا أحق بهذا الأمر منكم لا أباعكم وأتم أولي بالبيعة ليأخذتم هذا الأمر من الأنصار و احتججتم عليهم بالقراة من رسول الله فاعطوهكم وسلموا إليكم الامارة ، وأننا احتججنا عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار ، فأنصفونا إن كتم تخافون الله من أنفسكم و اعرفوا للناس الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم وإلا فهو بالظلم وأتمتم تعلمون

قال عمر إنك لست متزوجاً حتى تبایع فقال له على عليه السلام : احلب يا عمر حلب لك شطره أشد له اليوم أمره ليرد له عليك غداً ، لا والله لا أقبل قولك ولا أبایعه

قال له أبو بكر : فان لم تبایعني لا أكرهك

قال له أبو عبيدة : يا أبا الحسن إنك حديث السنن و هؤلاء مشيخة قريش قومك ليس لك تجربتهم و معرفتهم بالأمور و لا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك وأشد احتمالاً له واضطلاعاً به ، فسلم له هذا الأمر و ارض به فانك إن تعيس و يطير عمرك فأنت بهذا الأمر خلائق و به حقيق في فضلك و قرابتكم و سابقتكم و جهادكم .

قال على عليه السلام : يا عشر المهاجرين الله لا تخرجو سلطاناً على داره وبيته إلى بيتك و دوركم ، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس و حقه ، فوالله يا عشر المهاجرين لنهن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم ، أما كان منا القاري لكتاب الله الفقيه في دين الله العالم بالسنة المضطلع بأمر الرعية ، والله إنّه لفينا فلا تتبعوا الهوى فترذدوا من الحق بعداً

فقال بشير بن سعد : لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار ياعليٰ قبل بيعتهم لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان ، ولكنّهم قد بادعواه وانصرف علىٰ إلى منزله ولم يبایع ولزم بيته حتى ماتت فاطمة فبایع

قال الشّارح : قلت : هذا الحديث يدلّ علىٰ بطلان ما يدّعى من النّصّ علىٰ أمير المؤمنين وغيره ، لأنّه لو كان هناك نصّ صريح لاحتاج به ولم يجر للنصّ ذكر وإنما كان الاحتجاج منه ومن أبي بكر ومن الأنصار بالسوابق والفضائل والقرب ، فلو كان هناك نصّ صريح علىٰ أمير المؤمنين وعلىٰ أبي بكر لاحتاج به أبو بكر علىٰ الأنصار ولاحتاج به أمير المؤمنين علىٰ أبي بكر

فإنّ هذا الخبر وغيره من الأخبار المستفيضة يدلّ علىٰ أنّه قد كان كاشفهم وهنّك القناع بينه وبينهم لا تراه كيف نسبهم إلىٰ التّعدّي عليه وظلمه وتمتنع من طاعتهم وأسماعهم من الكلام أشدّ وأغاظه ، فلو كان هناك نصّ لذكره أو ذكره من شيعته وحزبه لأنّه لاعطر بعد عروس (١)

وهذا أيضاً يدلّ علىٰ أنّ الخبر الذي في أبي بكر في صحيح البخاري ومسلم غير صحيح ، وهو ماروى من قوله صلوات الله عليه وسلم لعاشرة في مرضه : ادعى إلىٰ أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتاباً ، فأنّي أخاف أن يقول قائل أو يقتني مقتني ، وبأبي الله

١ - قولهم لا عطر بعد عروس اسماء بنت عبد الله العذرية اسم زوجها عروس ومات زوجها فتزوجها رجل أعسر بخمر ذميم ، فلما أراد أن يطعن بها قالت لواذنت لي رثيت ابن عمى فقال افعلى نقالت أبكيك يا عروس الأعراض يائليها في أهلها وأسدأ عند الباس مع أشياء ليس يعلمها الناس قال : وما تلك الأشياء ، قالت كان عن الهمة غير فعاس ويعلم السيف صبيحات الباس ثم قالت يا عروس الأغر الإزهر الطيب الخيم الكريم الحضر مع أشياء له لا تذكر ، قال وما تلك الأشياء ، قالت كان عيوفاً للخنا والمنكر طيب النكهة غير بخراً يسر غير أعسر فعرف الزوج أنها تعرّض به فلم يدخل بها قال ضمى اليك عطرك وقد نظر إلىٰ قشوة عطرها مطروحة فقالت لا عطر بعد عروس ، أو تزوج رجل امرأة فهدت إليه فوجدها نفلة فقال ابن عطرك فقالت خبأته فقال لاميناً لعطر بعد عروس يضر بمن لا يُؤخر عنه نفيس ، قاموس

والمؤمنون إلا أبو بكر وهذا هو نص مذهب المعتزلة .

أقول من نظر إلى هذا الحديث بعين البصيرة والاعتبار ولا حظ لا نصف و جانب حد الاعتساف ، عرف منه ما فيه للناظرين معتبر واستفاد منه أشياء كل منها شاهد صدق على بطلان خلافة ثلاثة ، وبرهان واضح على فساد دعوى تابعيهم استحقاقهم لها وأهليتهم للقيام بها

منها خلوة من احتجاج قريش على الأنصار جعل النبي الامامة فيهم ، لأنّه تتضمن من احتجاجهم عليهم ما يخالف ذلك وأنّهم إنما أدعوا كونهم أحقّ بالأمر من حيث كون النبوة فيهم و من حيث كونهم أقرب إلى النبي نسباً وأولاً لهم له أتباعاً .

ومنها أنّ الأمر إنما بني السقيفة على المغالبة والمخالسة ، و إن كلاماً منهم إنما كان يجذبه لنفسه بما اتفق له و عن (١) من حقّ و باطل و قويّ و ضعيف .
ومنها أنّ سبب ضعف الأنصار و قوة المهاجرين عليهم انحياز (٢) بشير بن سعد حسداً لسعد بن عبدة ، و انحياز الأوس بانحيازه عن الأنصار .
ومنها أنّ خلاف سعد وأهله كان باقياً لم يرجعوا عنه ، و إنما أُعدّه عن الخلاف بالسيف قلة الناصر .

ومنها أنه لواراد أبو بكر الاجماع و اتفاق الكل على بيعته حتى من سعد وأصحابه انجرّ الأمر إلى قتل النفس و اهراق الدماء و فسده الأمـر .
ومنها أن قول عمري في حقّ الزبير : عليكم الكلب ، دليل على بطلان خبر العشرة المبشرة إذا الكلب لا يكون في الجنة .
ومنها أن بيعة عمر لا بي بكر لم يكن لتأسيس أساس الإسلام و رعاية مصالحة الدين و حفظ شرع سيد المرسلين ، و إنما كان نظره في ذلك ليتولى أبو بكر الأمر و يوليه عليه بعده كما هو نص قوله عليه السلام أشدّ له اليوم أمره ليرد عليك غداً .

١ - عن الشي، عنا اذا ظهر امامك واعتراض، ق.

٢ - انحياز عنه عدل ق.

ومنها أن حداة السنن لو كان مانعاً عن الخلافة كما قاله أبو عبيدة وأخذه منه أهل السنة والجماعة، لكن مانعاً عن النبوة بطريق أولى وقد قال سبحانه:

« وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صِيفًا ».

فقد أتا النبوة ليعصي رعيسى عليهمما السلام في حالة الصباء.

ومنها أن تجربة أبي بكر كما زعمه أبو عبيدة لو كان أزيد من أمير المؤمنين عليهم لم يعز له النبي من البعث بسورة براءة ولم يخلف عليهما مقامه ولو كان قوله أشد لسبق في يوم أحد و خبير ولم يستأثر الفر على الكرا.

ومنها أن قول بشير بن سعد له لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار قبل البيعة لما اختلف عليك اثنان ، دليل على أن يعترض لهم لا بكر لم يكن عن بصيرة وإنما اقتربوا فيها من غير رؤية ، وإنما كان اللازم عليهم التبرؤ والتثبت و ملاحظة الأطراف والجوانب ، والتفكير في العواقب والدقة في جهات الاستحقاق فكيف يكون بيعة هؤلاء العجلة الغفلة التتابعة لهوى أنفسهم الأمارة حجة شرعية لأهل الملة.

وأما ما ذكره الشارح من أنه لو كان هناك نص لاحتاج به أمير المؤمنين ولما لم يحتاج إلا بالسؤال والقرب علم أنه لم يكن هناك نص عليه ، ففساده ظاهر من الشمس في رابعة التهار ، إذ قد عرفت أن أول من حضر في السقيفة هو الأنصار ، و أول من ابتدأ بالكلام فيها سعد بن عبد الله ، فاحتاج عليهم قريش بالقرب والنسب والسبق انصاراً لدين الله و ذاين عن رسول الله ، فاحتاج عليهم قريش بالقرب والنسب والسبق في التصديق والتقدم في الإيمان فحججوه بذلك ، فاقتضى المقام بمقتضى آداب المناظرة أن يحتاج أمير المؤمنين عليهم بمثل ما احتاجت به قريش على الأنصار ، إذ في ذلك من الازام لهم ما ليس في غيره كما قال عليهم فيما يذكره السيد في أواخر الكتاب.

فكيف بهذا والمشيرون غيب

فإن كنت بالشوري ملكت أمورهم

و ان كنت بالقربي حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنبي و أقرب

و كيف يدعى عدم النص بعد حديث المنزلة و خبر الغدير و قوله ﷺ على مع الحق و الحق مع علي يدور معه كيف دار إلى غير ذلك من الأخبار و الآيات التي قدمناها في المقدمة الثانية من مقدمات الخطبة الشقشيقية وغيرها ، و من لم يجعل الله له نوراً يستضي به فما له من نور ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

الثاني

اعلم أن الشارح المعتزلي قدروى في شرح هذا الكلام أخباراً من كتاب الجوهرى قدم رواية أكثرها في شرح الخطبة السادسة والعشرين ، و نحن أيضار وينا بعضها هناك في شرح الفصل الثاني من فصول الخطبة المذكورة ونروى هنا بعض مالم يتقدم ذكره حذراً من التكرار كما وقع في شرح المعتزلي ، وليس غرضاً من إيرادها مجرد الاقتراض وإنما المقصود بذلك إقامة الحجة على الطائفية الضالة من الكلاب الممطورة ، والإبانة عن ضلاله الشارح وغفلته ، وانه مع روایته لتلك الأخبار واعترافه بوناقه راوياها كيف لم يتتبّعه من نومة الجهالة ، و تاه في أودية الضلاله .

فأقول : في الشرح من كتاب السقحة لأحمد بن عبد العزيز الجوهرى :
 قال : حدثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد ، قال : حدثنا أحمد بن الحكم ، قال حدثنا عبدالله بن وهب ، عن الليث بن سعد ، قال تخلف علي عليه السلام عن بيعة أبي بكر فاخرج ملبياً يمضى به رقصاً ، وهو يقول : معاشر المسلمين على مضرب عنق رجل من المسلمين ، لم يتخلف لخلاف وإنما تخلف لجاجة فما من مجلس من المجالس إلا يقال له : اذهب فباع .

أقول : هذا الحديث نص في أنه لو لم يماسع يضرب عنقه فيدل على أنه طلاقاً لم يكن في البيعة مختاراً ، وهذا المعنى قد تضمنته أخبار كثيرة عامية و خاصة بالغة حد الاستفاضة بل التواتر قد اورد طائفة منها السيد (ره) في الشافى ، و روى جملة كثيرة منها السيد المحدث البحرياني في كتاب غاية المرام ، وقد روينا في

شرح الخطبة السادسة والعشرين قول الصادق عليه السلام : والله ما بایع علیٰ حتى رأى الدخان قد دخل عليه بيته ، و نقلنا قول السيد هناك من آنهاي اختيارات من يحرق عليه بابه حتى يبایع .

قال الجوهري : و حدثنا أبو زيد عمرو بن شيبة بأسناد رفعه إلى ابن عباس قال : إنني لا أهاشي عمر في سكة من سكك المدينة يده في يدي ، فقال يا ابن عباس ما أظن صاحبك إلا مظلوماً فقلت في نفسي والله ما يسبقني بها ، قلت يا أمير المؤمنين فاردد إليه ظلامته ، فانتزع يده من يدي ثم مرّ بهم ساعة ثم وقف فلتحقته فقال : يا ابن عباس ما أظن القوم منهم من صاحبك إلا أنهم استصرخوه ، قلت في نفسي هذه شر من الأولي ، قلت والله ما استصرخه الله حين أمره أن يأخذ سورة برائة من أبي بكر .

قال الجوهري : و حدثني أبو زيد ، قال حدثني محمد بن عبادة ، قال حدثني أخي سعيد بن عبادة ، عن الليث بن سعد عن رجاله عن أبي بكر أنّه قال : ليتنى لم اكشف بيت فاطمة ولو أغلق على الحرب

قال الشّارح : الصحيح عندي أنها ماتت وهي واجدة على أبي بكر وعمرو وأنهما أوصت أن لا يصليا عليها ، وذلك عند أصحابنا من الأمور المغفورة لهما ، وكان الأولى بهما أكرامها واحترام منزلتها لكنهما مخالفان الآفة وأشفقا من الفتنة ففعلا ما هو الأصلح بحسب ظنهما ، وكانا من الدين وقوه اليقين بمكان مكين لاشك في ذلك ، الأمور الماخضية يتعدّر الوقوف على علمها وأسبابها ولا يعلم حقائقها إلا من شاهدتها ولا يبسها بل لعل الحاضرين المشاهدين لها لا يعلمون باطن الأمر ، فلا يجوز العدول عن حسن الاعتقاد فيما بما جرى ، والله ولـي المغفرة والمعفو ، فإن هذا لو ثبت خطأ لم يكن كبيرة بل كان من باب الصـفـايـرـ التي لا يقتضي التـسـبـرـ ولا يوجـبـ التـسـولـ

أقول : ما صـحـ حـمـهـ منـ آنـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ مـاتـتـ وـهـ وـاجـدـةـ غـضـبـانـهـ عـلـيـ الرـجـلـيـنـ فـهـوـ

الـصـحـيـحـ الـذـيـ لـاـ رـيـبـ فـيهـ وـيـشـهـدـ بـذـلـكـ مـلاـحظـةـ أـخـبـارـ غـصـبـ فـدـكـ وـغـيـرـهـ مـمـاـ هـ

فيـ تـضـاعـيفـ الشـرـحـ وـيـأـنـيـ أـيـضاـ

وَأَمَّا مَا اعْتَدَرَ بِهِ مِنْ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الصَّغَائِرِ الْمَغْفُوَةُ فَقَاسِدٌ جَدًّا إِذْ كَيْفَ يَكُونُ
ذَلِكَ مِنَ الصَّغَائِرِ مَعَ مَارُوتَهُ الْعَامَةِ وَالخَاصَّةِ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِلشَّفَقَةِ لَهَا : يَا فاطِمَةُ إِنَّ
اللَّهَ يَغْضِبُ بِغَضْبِكَ وَيَرْضِي لِرِضَاكَ ، وَقَوْلُهُ فِيهَا : يَؤْذِنِي مَا أَذَاهَا
وَمَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ وَالحاكمُ عَلَى الْمَيْسُورِ بْنِ مُخْرَمَةَ هُرْفَوْعَا : فَاطِمَةُ
بَضْعَةٍ هُنْيَ يَغْضِبُهَا وَيُبَسْطِنُهَا مَا يَبْسُطُهَا ، وَأَنَّ الْإِنْسَابَ تَنْقِطُعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
غَيْرَ نَسْبِيٍّ وَسَبْبِيٍّ وَصَهْرِيٍّ ، فَإِذَا انْضَمَ إِلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى
« وَمَنْ يَخْلُلُ عَلَيْهِ غَضَبِيْ فَقَدْ هَوَىْ » وَقَوْلُهُ : « وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ
رَسُولُ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ »

يَعْلَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ مَا فَعَلَاهُ فِي حَقِّهَا مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ الْمَوْجُبِ لِكُوْنَتِهِمَا فِي أَسْفَلِ
الدُّرُكِ مِنَ الْجَحِيمِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ .
وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنْ أَنَّهُمَا كَانَا مِنَ الدِّينِ وَقُوَّةِ الْيَقِينِ بِمَكَانِ مَكِينٍ فَفِيهِ أَنْكَ قد
عَرَفْتَ فِي شَرْحِ الْخَطْبَةِ الشَّقْشَقِيَّةِ وَغَيْرَهَا وَسْتَعْرُفُ أَيْضًا بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُمَا لَمْ يَكُونُوا
مِنَ الدِّينِ فِي شَيْءٍ ، وَكَيْفَ يَجْسِرُ الْمُتَدَيِّنُ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ بَيْنَ أَنْ لَمْ يَكُنْ
يَدْخُلُ فِيهَا الْمَلَائِكَةُ إِلَّا بِإِذْنِ أَوْ يَحْرُقَ بَابَهُ أَوْ يَهْتَكَ سُترَهُ حَتَّى يَطْمَعَ فِيهِ مِنْ لَمْ
يَكُنْ يَطْمَعَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : إِنَّ الْأُمُورَ الْمَاضِيَّةَ يَتَعَذَّرُ الْوَقْوفُ عَلَى عِلْمِهَا وَلَا يَعْلَمُ حَقَائِقُهَا إِلَّا
مِنْ قَدْ شَاهَدَهَا ، فَفِيهِ أَنَّ الْوَقْوفَ عَلَيْهَا وَالْأَطْلَاعَ عَلَى حَقَائِقِهَا يَحْصُلُ بِالنَّقْلِ وَالسَّمْعِ
وَلَا حَاجَةُ فِي ذَلِكَ إِلَى الشَّهْوَدِ وَالْحَضُورِ ، وَقَدْ حَصَلَ لَنَا فِي حَقِّهِمَا بِطَرِيقِ السَّمْعِ
وَالْبَيَانِ مَا هُوَ مِنْ عَنِ الْحَضُورِ وَالْعَيْانِ ، وَعَرَفْنَا أَنَّ الدَّاعِيَ لِأَفْعَالِهِمَا فِي جَمِيعِ حَرْكَاتِهِمَا
وَسَكَنَاتِهِمَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا اتِّبَاعٌ هُوَ النَّفْسُ الْأَمَارَةُ وَإِبْطَالُ الشَّرِيعَةِ وَالْمَلَةِ وَتَرْوِيجُ
الْبَدْعَةِ وَتَضْيِيعُ السَّنَةِ .

؛ أَمَّا قَوْلُهُ : إِنَّ ذَلِكَ لَا يَقْضِي التَّبَرِيَّ وَلَا يَوْجِبُ التَّوْلِي ، فَفِيهِ أَنَّهُمَا إِذَا كَانَا مِنْ

غضب الله عليه بمقتضى ما ذكرنا يجتب التبرير عنهم ولا يجوز التولى لقوله تعالى:

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنِ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ». .

وأشد مما ذكرنا كلّه فظاعة وأظهر شناعة ما رواه الشارح أيضاً عن الجوهري، قال حدثنا الحسن بن الربيع، عن عبد الرحمن زان، عن عمر، عن الزهرى، عن علي بن عبد الله بن العباس، عن أبيه قال: لما حضرت رسول الله ﷺ الوفات وفي العيشر رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال: رسول الله ﷺ: إيتوني بدوابة وصحيفة اكتب لكم كتاباً تضليلوا بهدى، فقال عمر كلمة معناها: أن الوجع قد غالب على رسول الله ، ثم قال: عندنا القرآن حسبنا كتاب الله ، فمن قائل يقول: القول ما قال رسول الله ﷺ ومن قائل يقول: القول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللفظ «اللغط ظ» واللغو والاختلاف غضب رسول الله ﷺ فقال: قوموا إنّه لا يسعني لنبّي أن يختلف عنده هكذا فقاموا فمات رسول الله ﷺ في ذلك اليوم فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين رسول الله يعني الاختلاف واللفظ «اللغط ظ».

قال الشارح قلت: هذا الحديث قد خرج الشیخان محمد بن اسماعيل ومسلم بن الحاج القشيري في صحيحهم ما وافق المحدثون كافة على روایته.

أقول: هذه الرواية كما ذكره الشارح مما رواها الكل والرواية في الجميع عن ابن عباس، و قوله فقال العمر كلمة معناها أن الوجع قد غالباه، الظاهر أن تلك الكلمة في أكثر تلك الروايات من قوله: إن الرجل ليهجر، وفي بعضها ما شأنه يهجر استفهموه، وفي بعض الآخر ما شأنه هجر، وفي غيرها ما يقرب من هذا اللفظ، وقد عدل الرواوى عن رواية هذه اللفظة لكراهته نقلها إذ الهجر كما صرّح به غير واحد من اللغويين هو المذهبان وبذلك فسر قوله تعالى:

« إِنَّ قَوْمًا اتَّخَذُوا هَذَا الْقِرَآنَ مَهْجُورًا ». .

فبدل الرأوي هذه الكلمة بغيرها استحياء واستصلاحاً للكلام عمر
ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر
فمن تأمل في هذه الرأواية حق التأمل عرف جفاوة الرجل وفظاظته
وخبث طينته سوء سيرته وعناده ونفاقه من جهات عديدة :
الأولى أن النبي ﷺ ما كان ينطق عن الهوى وإن كان كلامه لم يكن إلا وحى
يوحى ، فنسبه مع ذلك عمر إلى البديان .
الثانية أن قوله عندنا القرآن حسبنا كتاب الله رد على الله فضلاً عن رسول الله
وقد قال الله :

« وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ
يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
مُبِينًا » وقال : « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ
ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مَا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » .

الثالثة أن كتاب الله لو كان كافياً عمّا أراد صلوات الله عليه وآله كتابته لم
يطلب ما يكتب أتراء يطلب علينا أم يربى لغواً ونقول لم يكتب الكتاب
و اختلت أمر الأمة و انقسمت حبل الملة و تهدّمت أركان المهدى و انطمست
أعلام التقى .

قال السيد بن طاووس في محكمي كلامه من كتاب الطرائف : من أعظم طرائف
المسلمين أنهم شهدوا جميعاً أن نبيهم أراد عندوفاته أن يكتب لهم كتاباً يضلّون به بأدأ ،
وأن عمر بن الخطاب كان سبب منعه من ذلك الكتاب و سبب ضلال من ضلال من
أمته و سبب اختلافهم و سفك الدماء بينهم و تلف الأموال و اختلاف الشريعة
و هلاك اثنين و سبعين فرقة من أصل فرق الإسلام و سبب خلود من يخلد في
النار منهم .

ومع هذا كله فان أكثرهم أطاع عمر بن الخطاب الذي قد شهدوا عليه بهبهة الأحوال في الخلافة وعظموه و كفرواً بعد ذلك من يطعن فيه ، وهم من جملة الطاعنين ، و ضللوا من يذمّوهم من جملة الذين ، و تبرؤو وامن يقبح ذكره و هم من جملة المقبحين.

الرآبعة ان غيظ رسول الله وغضبه عليه و أمره له بالخروج من البيت والمتنازعين مع خلقه العظيم و عنده الكريم و ملاحظته في الفظاظة والفلحة انتصاف الغلق كما قال سبحانه:

« وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَيِظَ الْقَلْبَ لَا أَنْقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ » .

لم يكن إلا لشدة اسائته الأدب والوقاحة و بلوغه في أذى رسول الله ﷺ الغاية بحيث لم يتمثلوا اصوله عليه وآلـه وقد قال تعالى:

« إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُنُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَمْ يَنْهِمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَأَعَدَ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا »

قال الجوهري : وحدتنا أحمد بن سيار عن سعيد بن كثير إلا نصاري عن عبدالله بن عبد الله بن الرحمن أن رسول الله ﷺ في مرض موته أمر أسمة بن زيد ابن حارثة على جيش فيه جلة المهاجرين والأنصار منهم أبو بكر و عمرو وأبو عبيدة بن الجراح و عبد الرحمن بن عوف و طلحة والزبير و أمره أن يغير على موته (١) حيث قتل أبوه زيد وأن يغزى وادي فلسطين ، فتقابل أسمة و تقابل الجيش بتقابل وجعل رسول الله ﷺ ينقل و يخفف و يؤكّد آقوال في تنفيذ ذلك البعث .

حتى قال له أسمة : بأبي أنت وأمي أنا ذدن لى أن أملك أيام ما حتى يشفيك الله ؟ فقال : اخرج و سر على بركة الله ، فقال : يا رسول الله إنّي إن خرجت و أنت على هذه الحال خرجت وفي قلبي قرحة منك ، فقال ﷺ سر على النصر والعاافية ، فقال .

١- اسم الموضع الذي قتل فيه جعفر بن أبي طالب ، منه

يا رسول الله إني أكره أن أسألك عنك الركبان ، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ انفذ لما أمرتك به .
ثم أغمى على رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ وقام أسامة فجهز للخروج ، فلما أفاق رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ سأله عن أسامة والبعث ، فأخبر أنهم يتوجهون ، فجعل يقول انفذوا بعثة
اسامة لعن الله من تخلف عنه ويذكر ذلك .

فخرج أسامة واللواء على رأسه والصحابية بين يديه ، حتى إذا كان بالجرف (١) نزل و معه أبو بكر و عمر وأكثر المهاجرين ، ومن الأنصار أسيد بن حصين و بشير ابن سعد وغيرهم من الوجوه ، فجاءه رسول أم أيمن يقول له ادخل فان رسول الله يموت ، فقام من فوره و دخل المدينة واللواء معه فجاء به حتى رکزه بباب رسول الله و رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قدماً في تلك الساعة ، قال : فلما «فما ذا» كان أبو بكر و عمر يخاطبان أسامة إلى أن ماتا إلا بالآمير .

أقول و نقل الشارح بعث جيش أسامة قبل في شرح الخطبة الشائعة أيضاً
بتغيير يسير لما أورده هنا من الجوهرى ، و قال هناك بعد نقله ما هذه عبارته .
و تزعم الشيعة أن رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يعلم موته و أنه سير أبا بكر و عمر
في بعثة أسامة لتخلو دار المиграة منها فيصفوا لأمر لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ و بياعمه من تخلف
من المسلمين في مدينة على سكون و طمأنينة ، فإذا جاءهما الخبر بموت رسول الله
و بيعة الناس لعلي بعده كانوا عن المنازعه والخلاف بعد لأن العرب كانت تلتزم
باتمام تلك البيعة و تحتاج في تقضيها إلى حروب شديدة ، فلم يتم له ما قدر و تناقل
بالجيش أيضاً ما مع شدة حث رسول الله على نفوذه و خروجه بالجيش حتى مات
و هما بالمدينة فسبقاً عليها إلى البيعة و جرى ما جرى .

ثم قال : و هذا عندى غير منقدح لازمه إن كان يعلم موته فهو أيضاً يعلم أن
أبا بكر سيلى الخلافة و ما يعلمه لا يحترس منه ، و إنما يتم هذا و يصح إذا فرضنا
أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يظن موته ولا يعلمه حقيقة و يظن أن أبا بكر و عمر يتمالان
على ابن عميه و يخاف وقوع ذلك منهما ولا يعلمه حقيقة فيجوز إن كانت الحال

هكذا أن ينقدح هذا التساؤل ويتطرق لهذا الظن
كالواحد منا له ولدان يخالف من أحدهما أن يتغلب بعد موته على جميع
ماله ولا يصل أخاه إلى شيء من حقه فإنه قد يخطر له عند مرضه الذي يتخوف أن
يموت فيه أن يأمر الولد المخوف جانبها بالسفر إلى بلد بعيد في تجارة يسلمهما إليه
يجعل ذلك طريقاً إلى دفع تغلبه على الولد الآخر.

أقول : ما نسبه إلينا معاشر الشيعة حق لا ريب فيه ، وما أورده علينا ظاهر
الفساد إذ علم النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه بموته و بتولى أبي بكر الخلافة لا ينافي الأمر بيعنته مع اسامه
وإلا لتوجه هذا الاشكال في أوامر الله سبحانه ، فإنه قد أمر العصاة بالاطاعة والكفار
بالاسلام مع علمه بأنهم لا يطعون وأنهم على كفرهم باقون ، نعم هذا يناسب على
أصول الاشاعرة القائلين بالجبر و الشارح عدلي المذهب لا مساس لما أورده
على مذهبـه .

وتحقيق الكلام أنَّ النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه كان يعلم موته و يعلم أنَّ أبا بكر يغصب
الخلافة ومع علمه بذلك بعثه في الجيش ليفهم الخلق وغير فهم أنه ليس راضياً بخلافته
وينبههم على خلافه و عظم جرمته و جريرته ومخالفته للحكم الالزامي المؤكـد الذي
كرره صلوات الله عليه و آله و سلمة بعد أخرى

وليعلمون أيضاً أنه برجوعه إلى المدينة مستحق للعن الدائم والعذاب الأليم
مضافاً إلى ما في ذلك البعض من نكتة أخرى وهو «هي ظ» التقنية على مقام أبي بكر و عمر
واليماء إلى أنَّ من كان محكوماً عليه بحكم مثل اسامه ومأمورة بأمره لا يكون له

قابلية واستعداد لأن يكون أميراً لجميع الامة واماً لهم
و الحال أنَّ النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه كان عالماً بموته وبأنَّ ما قدره وأراده في حق
 Amir المؤمنين صلوات الله عليه وآله وسلامه لا يتم له ، ومع ذلك سير الرجالين إعلاماً للخلق بأنه لا يرضى
بهم خلافة وأنهم غير قابلين لذلك ، وإفهاماً لهم بأنَّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله وسلامه هو القابل
له ، وأنَّه صلوات الله عليه وآله وسلامه أراد قيامه صلوات الله عليه وآله وسلامه مقامه صلوات الله عليه وآله وسلامه ، فحالوا بينه وبينه

الترجمة

از جمله کلام آن جنای علیه الصلاة والسلام است درخصوص انصار، گفته‌اند راویان زمانی که رسید با میر المؤمنین خبرهای سقیفة بنی ساعدة و احتجاجات مهاجرین و انصار در باب خلافه بعداز وفات حضرت رسول مختار، فرمود آنحضرت که چه گفتند انصار بمهاجرین؟ عرض کردند که چنین گفتند که باید ازما امیری باشد و از شما امیری فرمود:

پس چرا احتجاج نکر دید برایشان باینکه رسول خدا وصیت فرمود در حق ایشان باینکه احسان بشود در حق نیکو کار ایشان و در گذرنده از بدکردار ایشان، عرض کردند که چکونه باشد در این کفتار حجۃ بر انصار پس فرمود آن حضرت که اگر بود خلافت در ایشان نمی‌بود وصیت پیغمبر برایشان یعنی لازم بود که پیغمبر دیگران را برایشان بسپارد نه اینکه سفارش ایشان را بدیگران بکند بعداز آن فرمود آن حضرت:

پس فریش در مقام احتجاج چه گفتند بانصار؟ عرض کردند که حجت آورده باینکه ایشان شجره رسول خدایند، پس فرمود که: حجۃ آورده بشجره و ضایع کرده نمراه اورا، یعنی بدرخت حجۃ می‌آورند و نمراه اورا که آل عَلَیْهِ وَعَلَیْهِ الصلوة والسلام هستند مهم می‌گذارند، اللهم وفقنا.

و من كلام له عليه السلام و هو السابع والستون من المختار في باب الخطب

لما قُلَّتْ نَعْلَى بْنُ أَبِي بَكْرٍ مَصْرُ فِيلِكَ عَلَيْهِ وَقُتِلَ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ وَكَذَّ أَرَدْتُ تَوْلِيهِ مَصْرَ هَاشِمَ بْنَ عَتَيْبَةَ، وَلَوْ وَلَيْتَهُ إِيَاهَا لَمَّا خَلَى لَهُمُ الْعَرْصَةَ، وَلَا أَنْهَمْتُمُ الْفُرْصَةَ، بِلَا ذَمِ لِمُحَمَّدٍ، فَلَقَدْ كَانَ إِلَيْهِ حَبِيبًا

وَلِيَ رَبِيبًا .

اللغة

(العرضة) كل بقعة من الدور واسعة ليس فيها بناه و المراد هنا عرصة مصر و (نهزت الفرصة) و انتهتها اغتنمتها ، و انهزت الفرصة بهمزة التسديدة اي انهزتها غيري و (الريب) ابن امرءة الرجل من غيره .

الاعراب

قوله بلا ذم ، كلمة لانافية معترضة بين المعاوض والممقوض ، وقال الكوفيون إنها اسم بمعنى غير و الجار داخل عليها نفسها و ما بعدها مجرور باضافتها إليه ، وغيرهم يراها حرفًا و يسمّيها زائدة و ان كانت مفيدة معنى كما يسمون كان في نحو زيد كان فاضلاً زايداً فهى زائدة لفظاً من حيث فصول عمل ما قبلها الى ما بعدها غيرة زائدة معنى لاقادتها النفي

المعنى

اعلم انه (لما قُلَّ مُحَمَّد بن أَبِي بَكْر مصر) قبل وقعة صفين أى جعله و إليها كان ولايتها قلاوة في عنقه لكونه مسؤولاً عن خيرها و شرها و اனصرف الناس من صفين لم يزدد معاوية إلا قوة فبعث جيشاً كثيفاً إلى مصر فقاتلوا اعداً (فملك) مصر (عليه) اى اخذه معاوية منه قهراً او استولى عليه (و قتل) مُحَمَّد قتله معاوية بن حدیج الكندي حسبما تعرفه فلما جاءه عليه السلام نعي مُحَمَّد قال (وقد أردت تولية مصر هاشم بن عتبة) ابن أبي وقار (ولو دليسته ايها لما خال لهم العرصة و لا انهزم الفرصة) كما انهزها مُحَمَّد ايها لهم وفر منها ظافراً أنه بالفرار ينبعو بنفسه فلم ينج و اخذ وقتل (بلا ذم لمحمد) اى لست في كلامي ذلك ذاماً له لكون ذلك التخلية منه للعدو من العجز لا من التقصير والشواني (فماه) (لقد كان إلى حبيباً و) كان (لي ربوباً)

نبیهان الاول

في ترجمة مُحَمَّد بن أَبِي بَكْر و هاشم بن عتبة

أَمَا مُحَمَّد فهو جليل القدر عظيم المنزلة من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام

قال ابن طاووس : ولد في حجة الوداع قتل بمصر سنة ثمان وثلاثين من الهجرة و عن رجال الكشي عن الصادق عليه السلام محمد بن أبي بكر أخته النجاشية من قبل أمه أسماء بنت عميس ، وعن أبي أيضاً مسندأ عن أبي جعفر عليهما السلام أنَّ محمد بن أبي بكر بایع علياً على البرائة من أبيه ، وفي شرح المعتزلي ألمَّ محمد أسماء بنت عميس بن النعمان ابن كعب بن مالك بن قحافة بن خثيم كانت تحت جعفر بن أبي طالب و هاجرت معه إلى الحبشة فولدت له هناك عبد الله بن جعفر الجواد ، ثم قُتلت عنها يوم موته فخلف عليها أبو بكر فأولادها مهدأ ، ثم مات عنها فخلف عليها علي بن أبي طالب عليه السلام ربيبه و خريجه وجاريما عنده مجرى أولاده و رضم الولادة التشيع من زهن الصبا فنشأ عليه فام يكنى يعْرِفُ أباً غير علي عليه السلام ولا يعتقد لأحد فضيلة غيره حتى قال علي : محمد أبني من صلب أبي بكر ، و كان يكتنى أبا القاسم في قول ابن قتيبة ، و قال غيره بل يكتنى أبا عبد الرحمن

و كان محمد من نسّاك قريش وكان ممّن أعا ان يوم الدار ، واختلف هل باشر قتل عثمان أولاً ، ومن ولد محمد القاسم بن محمد فقيه العجاز و فاضلها ، ومن ولد القاسم عبد الرحمن بن القاسم كان من فضلاء قريش يكتنى أبا محمد ، ومن ولد القاسم أيضاً ألم فروة تزوّجها الباقر أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام انتهى .

أقول : وقد تقدم في شرح الخطبة الشيشقية أنَّ الصادق عليه السلام تولد من أم فروة .

وفي مجالس المؤمنين أنَّ أهل السنة يسمون معاوية بسبب أخته أم حبيبة حال المؤمنين ولا يسمون محمد بذلك مع أنَّ عايشة أخته وهي أم المؤمنين عندهم وذلك لنصب معاوية وعداته لا أمير المؤمنين عليهما السلام وكون محمد رضي الله عنه من خواص أصحابه وخلص تلامذته ، ومن شعره رضي الله عنه :

خاب من أنت أبوه و افتضح
أخرج الدر من الماء الملح
قاله المبعوث فيه و شرح

يا أبا ناقد وجدنا ما صلح
إنما أخرجنا منك الذي
أنسيت العهد في خم و ما

أَمْ لِمَنْ أَبْوَابُ خَيْرٍ قَدْ فَتَحَ
بَعْدَ مَا يَحْتَاجُ عَجْلَكَ وَكَشْحَ
مِنْ قَضَايَاكُمْ وَمِنْ تِلْكَ الْقِبْحَ
مِنْ رَوْىٍ فِيهِ وَمِنْ فِيهِ فَضْحَ
يَا لَكَ الْوَيْلُ إِذَا الْحَقُّ أَتَضْحَ
كُلَّمَا نَاحَ حَمَامٌ وَصَدَحَ
وَبِكُمْ فِي الْحَسْرِ مِيزَانِي رَجَحَ
لَا أُبَالِي أَيْ كَلْبٌ قَدْ نَبَغَ
وَأَمَا هَاشِمٌ فَهُوَ ابْنُ عَتَبَةَ بْنِ أَبِي وَقَاسٍ وَسَمِيَ الْمَرْقَالُ لِأَنَّهُ كَانَ يَرْقَلُ فِي
الْعَرْبِ، وَعِنِ الْإِسْتِيَاعِ أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ الْكَوْفَةَ وَكَانَ
مِنَ الْفَضَلَاءِ الْخَيَارِ، وَكَانَ مِنَ الْأَبْطَالِ، وَفَقَتَتْ عَيْنَهُ يَوْمَ الْبَرْمُوكِ؛ وَكَانَ خَيْرًا
فَاضْلًا شَهِيدًا مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي الجَمْلِ، وَشَهِيدًا صَفَينَ وَأَبْلَا بَلَاءَ حَسَنَا وَبَيْدَهُ كَانَتْ رَايَةً عَلَىِ
عَلَىِ الرِّجَالَةِ يَوْمَ صَفَينَ، وَيَوْمَئِذٍ قُتِلَ وَكَانَ صَفَينَ سَنَةً سَبْعَ وَثَلَاثَيْنَ
أَقْوَلُ : وَقَدْ تَقدَّمَ كَيْفِيَةَ قَتَالِهِ وَشَجَاعَتِهِ وَشَهَادَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَرْحِ الْخَطْبَةِ
الْخَامِسَةِ وَالسَّتِينِ .

الثاني

في الاشارة إلى بعض الفتن الحادثة بمصر ، وشهادة محمد بن أبي بكر رضي الله عنه
فأقول : في شرح المعتزلي والبحار جميماً من كتاب الغارات لابراهيم بن محمد الشيقى
قال إبراهيم : باسناده عن الكلبى أن عبد بن حذيفة هو الذي حرر من المصريين
على قتل عثمان وندبهم إليه ، وكان حينئذ بمصر ، فلما ساروا إلى عثمان وحاصروه
ونب هو بمصر على عامل عثمان عليها ، وهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح فطرده عنها
وصل إلى الناس ، فخرج ابن أبي سرح من مصر ونزل على تخوم أرض مصر مما يلى
فلسطين ، وانتظر ما يكون من أمر عثمان ، فلما بلغ إليه خبر قتله وبيعة الناس
لأمير المؤمنين علي لحق بمعاوية .

قال : فلما ولى على ^{بِيَتِهِ} الخلافة و كان قيس بن سعد بن عبادة من شيعته و مناصحه قال له : سر إلى مصر فقد وليتها و اخرج إلى ظاهر المدينة و اجمع ناقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتي مصر و معك جند ، فان ذلك اربع لعدوك وأعز لوليك ، فإذا قدمتها إنشاء الله فأحسن إلى المحسن و أشد على المريض ، وارفق بالعامة والخاصة فالرفق يمن

قال قيس : يا أمير المؤمنين قد فهمت ما ذكرت ، فاما الجندي فاني ادعه لك فإذا احتجت إليهم كانوا قريباً منك ، وإن أردت بعثهم إلى وجه من وجوهك كانوا لك عدة ولكنني أسير إلى مصر بنفسي و أهل بيتي ، وأمّا أنا وأصحابي به من الرفق والاحسان فالله هو المستعان على ذلك

قال : فخرج قيس في سبعة نفر من أهله حتى دخل مصر و صعد المنبر و أمر بكتاب معه يقرء على الناس فيه :

من عبدالله على أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي من المسلمين ، سلام عليكم فاني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو ، أمّا بعد فان الله بحسن صنعه وقدره وتدبره اختار الاسلام دين نفسه و ملائكته و رسالته ، وبعث أنبيائه إلى عباده ، فكان مما أكرم الله عز وجل به هذه الأمة و خصّهم به من الفضل أن بعث مخدداً ^{عَنْهُ اللَّهُ} إليهم فعلمهم الكتاب والحكمة والسنّة والفرائض ، وأدّبهم لكيفياً متداوأً جمعهم لكيليات فروا ، وزاكهم لكيفياً يتظاهرون و افلم ساقضى من ذلك ما عليه قبضه الله إليه ، فعلمه صلوات الله وسلامه ورحمةه ورضوانه .

نم إن المسلمين من بعده استخلفوا أميرين منهم صالحين (١) أحياها السيرة ولم يعدوا لسنة ، ثم توفيا فولى بعدهما من أحدث أحدانا فوجدت الامة عليه مقا لا يقالوا ثم نعموا عليه فغيروا نم جاؤوني فباءوني و أنا استهدي الله للهدى وأستعينه على التقوى ، الأولان لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة رسوله والقيام بحقه والنصر

لكم بالغيب والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل

وقد بعثت لكم قيس بن سعد الأنصاري أميراً فوازروه واعينوه على الحق ، وقد أمرته بالاحسان إلى محسنكم والشديدة على مريبيكم والرفق بعوامكم و خواصكم

١- أي ظاهر عنده الناس و يحتدل أن يكون من العاق المغالبين

و هو ممّن ارضى هديه و أرجو صلاحه و نصحه ، نسأل الله لنا ولكم عملاً زاكياً و نواباً جزيلاً و رحمة الله و بر كاته ، و كتب عبيد الله بن أبي رافع في صفر سنة ست وثلاثين .

قال : فلما فرغ من قراءة الكتاب قام قيس خطيباً فحمد الله و أثنى عليه و قال :

الحمد لله الذي جاء بالحق و أمات الباطل و كبت الظالمين أيها الناس إننا بايغنا خير من نعلم بعد نبيتنا فنقوم و انبأيغوا على كتاب الله وسنة نبيه فإن نحن لم نعمل فيكم بكتاب الله و سنة رسول الله فلا يغعة لنا عليكم .

فقام الناس فبايغوه واستقامت مصر وأعمالها لقيس و بعث عليها عمالة إلا أن قرية فيها قد أعظم أهلها قتل عثمان و بها رجل من بنى كنانة يقال له يزيد بن العبرت فبعث إلى قيس إننا لأنأتك فابعث عمنا لك فالأرض أرضك ولكن اقرنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس ووثب مسلمة بن مخلد الأنصاري و دعا إلى الطلب بدم عثمان ، فأرسل إليه قيس و يحك أعلى تشب والله ما أحبت أن لي ملك الشام و مصر و آتني قلتلك فاحقن دمك ، فأرسل إليه مسلمة إنني كاف عنك ما دمت والي مصر .

و كان قيس ذارأى و حزم فبعث إلى الذين اعتزلوا آتني لا اكرهكم على البيعة ولكنني أدعكم و اكف عنكم ، فهادنهم و هادن مسلمة بن مخلد و جيء بالغراج و ليس احد ينازعه .

قال إبراهيم : و خرج على إلى الجمل و قيس على مصر و رجع إلى الكوفة من البصرة و هو بمكانه و كان أثقل خلق الله على معاوية لقرب مصر وأعمالها من الشام فكتب معاوية إلى قيس و على علية يلقيلا يومئذ بالكوفة قبل أن يسير إلى صفين : من معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد سلام عليك فانتي أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد إن كنتم نقمتم على عثمان في اثرة عشرة رأيتهموا أو ضربة سوط ضربها أو في شتمة أو تمييزه أحداً أو في استعماله الفتيمان من أهله فانكم قد

علمتم إن كنتم تعلمون أن دمه لا يحل لكم بذلك ، فقد ركبتم عظيمًا من الأمورو جهتم شيئاً إدّاً ، فتب يا قيس إلى ربك إن كنت من المجلين على عثمان إن كانت التوبة قبل الموت تغنى شيئاً.

وأما صاحبك فقد استيقتنا أنه أغري الناس به وحملهم على قتلها حتى قتلواه وأنه لم يسلم من دمه عظم قومك ، فان استطعت يا قيس أن تكون ممّن يطلب بدم عثمان فافعل وبايعنا على علي في أمرنا هذا و لك سلطان العرافقين إن أناظرفت ما بقيت و لمن أحبيت من أهل بيتك سلطان الحجاز مadam لي سلطان ، و سلني عن غير هذا مما تحب فانك لاتسألني شيئاً إلا آتيته و اكتب الى رأيك فيما كتبت اليك .

فلمّا جاء إليه كتاب معاوية أحب أن يدفعه ولا يبدي له أمره ولا يجعل له حربه فكتب إليه: أمّا بعد فقد وصل إلى كتابك وفهمت الذي ذكرت من أمر عثمان و ذلك أمر لم أقاربه و ذكرت أن صاحبى هو الذي أغري الناس بعثمان و دسّهم إليه حتى قتلواه ، وهذا أمر لم اطلع عليه ، و ذكرت لي أن عظام عشيرتى لم تسلم من دم عثمان فلعمرى إن أولى الناس كان في أمره عشيرتى .

وأما ما سألتني من مبaitك على الطلب بدمه وما عرضته على فقد فرمته وهذا أمر لي فيه نظر و فكر وليس رأس هذا مما يجعل إلى مثله وأنا كاف عنك وليس يأتيك من قبلى شيء تكرهه حتى ترى و نرى إنشاء الله و السلام عليك و رحمة الله و بركاته .

قال إبراهيم : فلما قرئ معاوية الكتاب لم يره إلا مقاربا مبعاداً ولم يأ من أن يكون مخادعا مكافداً فكتب إليه :

أما بعد فقد قدرت كتابك فلم أراك تدنو فأعدك سلما ، ولم أراك تتبعاً دفاعك حرباً أراك كالجمل العجر و (١) كخيل العرون خ وليس متى يصانع بالخداع ولا يخدع بالمكابد ومعه عدو الرجال وأئنة الخيل ، فان قبلت الذي عرضت عليك فلك ما أعطيتاك وان أنت لم تفعل مثلث مصر عليك خيلا و رجالا و السلام .

١- جمل جرور يمنع القياد، و بشر بعيدة، ق .

فلما قرء قيس كتابه و علم انه لا يقبل عنه المدافعة والمطاولة أظهر له ما في نفسه ، فكتب إليه من قيس بن سعد إلى معاوية بن أبيسفيان.

أما بعد فالعجب من استسقاطك رأيي والطمع فيما تسو مني (١) لا أبداً لغيرك من الخروج من طاعة أولى الناس بالأمر و أقولهم بالحق و أهدائهم سبيلاً و أقربهم من رسول الله وسيلة أتأنرن بالدخول في طاعتك طاعة أبعد الناس من هذا الأمر و أقولهم بالزور وأضلهم سبيلاً و انهم من رسول الله وسيلة ولديك قوم ضالون مضلون طواغيت إبليس ، و أمّا قولك إنك تملاه على مصر خيلاً و رجالاً فلن لم أشغلك من ذلك حتى يكون منك إنك ذوجد والسلام .

فلما أتى معاوية كتاب قيس آيس و نقل مكانه عليه و كان يحب أن يكون مكانه غيره أعجب لما يعلم من قوته و بأسه ونجدته ، فاشتد أمره على معاوية فأظهر للناس أنَّ قيساً قد بايعكم فادعوا الله له و قرء عليهم كتابه الذي لان فيه وقاربه و اختلف كتاباً نسبه إلى قيس فقرئه على الناس للأمير معاوية بن أبيسفيان من قيس ابن سعد :

أما بعد إنْ قتل عثمان حدث في الإسلام عظيماً وقد نظرت لنفسي و ديني فلم أري سعنى و ديني مظاهره قوم قتلوا إمامهم مسلماً، فنستغفر لله سبحانه وَنَبُونَا وَنَسأله العصمة لدينا ألا و إنتي قد القيت إليك بالسلام و أجبتك إلى قتال قتلة امام المهدى المظلوم فاطلب مني ما أحببت من الأمور والرجال اعجله إليك إنشاء الله ، والسلام على الأمير و رحمة و بر كاته .

قال فشاع في الشام كلها أنَّ قيساً صالح معاوية وأنت عيون عليّ بن أبيطالب إليه بذلك ، فأعظمه و أكبره و تعجب له و دعا ابنيه حسناً و حسيناً و ابنه علاء و عبد الله بن جعفر فأعلمهم بذلك وقال : ما رأيك ؟ فقال عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين دع ما يربيك إلى ما لا يربيك اعزل قيساً عن مصر ، قال على قيس الله إنتي غير مصدق بهذا على قيس ، فقال عبد الله : اعزله يا أمير المؤمنين فان كان ما قد قيل حقاً لا يعتزل

١- سام فلانا الامر كله اياه و اكثراً ما يستعمل في العذاب والشرّ، قـ

للكِّ إِنْ عَزَلْتَهُ

قال : وَ اَنْتُمْ لَكَذَلِكَ إِذْ جَاءُوكُمْ كِتَابٌ مِّنْ قَيْسٍ بْنِ سَعْدٍ فِيهِ .

أَمَا بَعْدَ فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَكْرَمِكُمْ اللَّهُو أَعْزَّكُمْ ، إِنْ قَبْلِي رَجَالًا مُعْتَزِلِينَ سَأْلُونِي أَنْ أَكْفُّ عَنْهُمْ وَ أَدْعُهُمْ عَلَى حَالِهِمْ حَتَّى يَسْتَقِيمَ أَمْرُ النَّاسِ وَ نَرِي وَ يَرِونَ ، وَ قَدِيرٌ أَيْتُ أَنْ أَكْفُّ عَنْهُمْ وَ لَا أَعْجُلُ بِحُرْبِهِمْ وَ إِنْ أَنْتُمْ هُمْ بَيْنَ ذَلِكَ لَعْلَ اللَّهُ أَنْ يَقْبِلَ بِقُلُوبِهِمْ وَ يَفْرَغُهُمْ عَنْ ضَلَالِهِمْ إِنْشَاءُ اللَّهُ وَ السَّلَامُ ۝

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ إِنْ أَطْعَنَهُ فِي تَرْكِهِمْ وَ اعْتَزَّهُمْ اسْتَسْرَى الْأَمْرُ وَ تَفَاقَمَتِ الْفَتْنَةُ وَ قَدْعَنَ يَعْتَكُ كَثِيرٌ مِّنْ تَرِيدِهِ عَلَى الدُّخُولِ فِيهَا وَلَكِنْ مِرْهُ بِقَتَالِهِمْ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

أَمَّا بَعْدَ فَسَرَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ ذَكَرْتَ فَانْ دَخَلَ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ وَ إِلَّا فَنَاجَزْهُمْ وَ السَّلَامُ ۝

فَلَمَّا أَتَى هَذَا الْكِتَابَ قَيْسًا فَقَرَرَهُ لِمْ يَتَمَالَكَ إِنْ كَتَبَ إِلَى عَلِيٍّ ۝

أَمَّا بَعْدَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَأْمِنَنِي بَقْتُلُ قَوْمٍ كَافِينَ عَنْكَ لَمْ يَمْدُّ وَ اِيَّاً لِلْفَتْنَةِ وَلَا أَرْصَدُوا لَهَا فَأَطْعَنَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ كَفَّ عَنْهُمْ فَانَّ الرَّأْيُ تَرْكُهُمْ وَ السَّلَامُ ۝
فَلَمَّا أَتَاهُ الْكِتَابَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرَ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ابْعَثْ عَمَّ بْنَ أَبِي بَكْرٍ
إِلَى مَصْرُ يَكْفِيكَ وَ اعْزِلْ قَيْسًا فَوَاللَّهِ لِي بِلِغْنِي أَنْ قَيْسًا يَقُولُ أَنَّ سُلْطَانَنَا لَا يَتَمَّ إِلَّا بُقْتَلَ
مُسْلِمَةَ بْنَ مُخْلِدَ سُلْطَانَ سُوهَ وَاللَّهُ مَا أَحْبَبَ أَنَّ لَيْ سُلْطَانَ الشَّامَ مَعَ سُلْطَانَ مَصْرُ
وَ اَنْسَى قُتْلَتِ ابْنِ مُخْلِدٍ ۝

وَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرَ أَخَا عَمَّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ لَامِهِ وَ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَهُ
أَمْرٌ وَ سُلْطَانٌ فَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ مَصْرُ لِمُحِبَّتِهِ وَ لَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
جَعْفَرَ أَخِيهِ فِيهِ وَ كَتَبَ مَعَهُ كِتَابًا إِلَى أَهْلِ مَصْرُ فَسَارَ حَتَّى قَدِمَهَا فَقَالَ لَهُ قَيْسٌ : مَا
بِالْأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا غَيْرِهِ أَدْخُلْ أَحَدَ يَسِّي وَ بَيْنَهُ ؟ قَالَ : لَا وَ هَذَا سُلْطَانُ سُلْطَانِكَ
وَ كَانَ يَنْهَا نَسْبٌ وَ كَانَ تَحْتَ قَيْسٍ قَرِيبَةُ بِنْتُ أَبِي قَحَافَةَ اخْتُ أَبِي بَكْرٍ فَكَانَ قَيْسٍ
زَوْجُ عَمِّهِ ، فَقَالَ قَيْسٌ : لَا وَاللَّهُ لَا يَقِيمُ مَعَكَ مَسَاعَةً وَاحِدَةً فَغَضِبَ وَ خَرَجَ مِنْ مَصْرُ

مقبلاً إلى المدينة ولم يمض إلى على بالكوفة.

فلما قدم المدينة جاء حسان بن ثابت شامتا به و كان عثمانيا فقال له: نزعك على بن أبي طالب وقد قتلت عثمان فبقي عليك الانم ولم يحسن عليك الشكر، فزجره قيس و قال : يا أعمى البصر والله لو لا أن القى يبني وبين رهطك حربا لضررت عنقك ثم أخرجه من عنده.

نم إن قيسا و سهل بن حنيف خرجا حتى قدموا على على عليه الكوفة فخبره قيس الخبر و ما كان بمصر ، فصدقه و شهد مع علي بصفين هو و سهل بن حنيف و كان قيس طوالاً أطول الناس و أمدهم قامة و كان سبطاً أصلع شجاعاً مجرباً مناصحاً لعلي عليه ولولده ولم يزل على ذلك إلى أن مات .
و عن هشام بن عروة قال : كان قيس على مقدمة علي بصفين معه خمسة آلاف قد حلقوها رؤوسهم

وفي البحار و جدت في بعض الكتب أن عزل قيس من مصر مسأله أمير المؤمنين أصحابه و اضطربوا إلى ذلك ولم يكن هذا رأيه كالتحكيم و لعله أظهر وأصوب .
قال إبراهيم و كان عهد على عليه إلى محمد بن أبي بكر :

هذا ما عهد عبد الله على أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر حين و لا مصر ؛
أمره بتقوى الله في السر والعلنية و خوف الله في المغيب والمشهد ، و أمره باللين على المسلم والغلظة على الفاجر ، وبالعدل على أهل الذمة وبالانصاف للمظلوم وما يشده على الظالم ، وبالغفور على الناس وبالاحسان ما استطاع والله يجزي المحسنين ويعذب المجرمين ، و أمره أن يدعو من قبله إلى الطاعة والجماعة فإن لهم في ذلك من العافية و عظم المثواب ما لا يقدر قدره ولا يعرف كنهه .

و أمره أن يجبي خراج الأرض على ما كانت تجبي عليه من قبل لا ينتقص ولا يتبع نم يقسمه بين أهله كما كانوا يقسمونه عليه من قبل ، و ان تكون لهم حاجة يواسى بينهم في مجلسه و وجهه ليكون القريب والبعيد عنده على سواه ، و أمره أن يحكم بين الناس بالحق و أن يقوم بالقسطاس ولا يبتعد الهوى ولا يخاف في الله لومة

لأنَّمْ فَانَّ اللَّهُ مِنْ أَنْقَاهُ وَآتَرَ طَاعَتْهُ عَلَى مِنْ سَوَاهُ، وَ كَتَبَ عَيْدَالَهُ بْنَ أَبِي رَافِعَ
مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ بِغْرَةَ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ سَتَّ وَثَلَاثَيْنَ

قَالَ إِبْرَاهِيمٌ : ثُمَّ قَامَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ خَطِيبًا فِي حِمْدَةِ اللَّهِ وَ أَتَقَى عَلَيْهِ وَقَالَ :
إِنَّمَا بَعْدَ فَالْحَمْدَةِ الَّذِي هَدَانَا وَ إِيَّاكُمْ لَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ ، وَ بَصَرْنَا
وَإِيَّاكُمْ كَثِيرًا مِمَّا عَمِيَ عَنْهُ الْجَاهِلُونَ أَلَا وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا نَيِّنَ امْرُكُمْ وَعَهْدُ
إِلَيْيَّ بِمَا سَمِعْتُمْ وَأَوْصَانِي بِكَثِيرٍ مِنْهُ مَشَافِهَةً وَ لَنْ الْوَكْمَ جَهْدًا مَا اسْتَطَعْتُ ، وَ مَا تَوْفِيقِي
إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوْكِلْتُ وَ إِلَيْهِ اتَّبَعْتُ ، فَإِنْ يَكُنْ مَا تَرَوْنَ مِنْ آنَارِي وَأَعْمَالِي طَاعَةً لِلَّهِ
وَتَقْوَى فَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ هُوَ الْهَادِي إِلَيْهِ ، وَإِنْ رَأَيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ
عَمَلاً بِغَيْرِ الْحَقِّ فَارْفَعُوهُ إِلَيَّ فَإِنِّي بِذَلِكَ أَسْعَدُ وَأَتْمَمُ بِذَلِكَ جَدِيرُونَ ، وَفَقَنَ اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ
لِصَالِحِ الْعَمَلِ .

أَقُولُ : وَلَاَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِتَبَيِّنِهِ كَتَبَ آخِرَ مَبْسوِطٍ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ وَأَهْلُ مَصْرُ وَ دَوَاهُ

إِبْرَاهِيمٌ نَرَوْيِهِ إِنْشَاءَ اللَّهِ فِي بَابِ الْكِتَبِ إِنْ سَاعَدْنَا التَّوْفِيقَ وَالْمَجَالَ
ثُمَّ قَالَ إِبْرَاهِيمٌ : فَلَمْ يَلْبِسْ مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي بَكْرٍ شَهْرًا كَامِلًا حَتَّى يُبَعَثَ إِلَى أَوْلَئِكَ
الْمُعْتَزِلُونَ الَّذِينَ كَانَ قَيْسَ بْنَ سَعْدَ مَوْاْدَ عَالَمٌ ، فَقَالَ : يَا هُؤُلَاءِ إِنَّمَا أَنْ تَدْخُلُوا فِي
طَاعَتِنَا وَ إِنَّمَا أَنْ تَخْرُجُوا مِنْ بَلَادِنَا ، فَبَعْنَوْا إِلَيْهِ إِنَّا لَا نَفْعَلُ فَدَعْنَا حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى
مَا يَصِيرُ أَمْرُ النَّاسِ فَلَا تَعْجَلُ عَلَيْنَا فَأَبْيَ عَلَيْهِمْ فَامْتَنَعُوا مِنْهُ وَأَخْذُوا حَذْرَهُمْ ، ثُمَّ كَانَتْ
وَقْعَةُ صَفَينَ وَهُمْ لِمُحَمَّدٍ هَايِبُونَ

فَلَمَّا أَتَاهُمْ خَبْرُ مَعَاوِيَةَ وَ أَهْلِ الشَّامِ نَمَّ صَارَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ الْحُكْمُ وَ أَنَّ عَلَيْهِ
وَ أَهْلِ الْعَرَاقِ قَدْ غَفَلُوا عَنْ مَعَاوِيَةِ وَ الشَّامِ إِلَيْهِ عَرَاقُهُمْ ، اجْتَرَأُوا عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَظْهَرُوا
الْمَنَابِذَةَ لَهُ ، فَلَمَّا رَأَى مُحَمَّدًا ذَلِكَ بَعْثَ إِلَيْهِمْ أَبْيَ جَمْهَانَ الْبَلْوَى وَمَعَهُ يَزِيدَ بْنَ الْعَرْثَ
الْكَنَانِي فَقَاتَلَهُمْ فَقَتَلُوهُمْ .

ثُمَّ بَعْثَتْ إِلَيْهِمْ رِجَالًا مِّنْ كَلْبٍ فَقَتَلُوهُ أَيْضًا، وَخَرْجٌ مُعاوِيَةَ بْنَ حَدِيجَ (١) مِنَ الْبَسْكَاسِكَ يَدْعُوا إِلَى الْطَّلْبِ بَدْمَ عُثْمَانَ، فَأَجَابَهُمُ الْقَوْمُ وَنَاسٌ كَثِيرٌ آخَرُونَ وَفَسَدَتْ مِصْرَ عَلَى مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، فَبَلَغَ عَلَيْهِمْ تَبَّعُهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا لَيْ أَرَى لِمَصْرِ إِلَّا وَأَحَدٌ الرَّجُلُينَ صَاحِبِنَا الَّذِي عَزَّلْنَا بِالْأَمْسِ يَعْنِي قَيْسَ بْنَ سَعْدَ أَوْ مَالِكَ بْنَ الْحَرْثَ الْأَشْتَرِ وَكَانَ عَلَيْهِ حِينَ رَجَعَ عَنْ صَفَيْنِ رَدَّ الْأَشْتَرَ إِلَى عَمَلِهِ بِالْجَزِيرَةِ وَقَالَ لِقَيْسَ بْنَ سَعْدٍ: أَقْمِ أَنْتَ مَعِي عَلَى شَرْطِنِي حَتَّى نَفْرَغَ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْحَكْمَةِ ثُمَّ أَخْرُجْ إِلَى اذْرِيْجانَ فَكَانَ قَيْسَ مَقِيمًا عَلَى شَرْطِهِ.

فَلَمَّا انْقَضَى أَمْرُ الْحَكْمَةِ كَتَبَ إِلَى الْأَشْتَرِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ بِنَصِيبِينَ وَطَلَبَهُ إِلَيْهِ وَبَعْثَهُ إِلَى مِصْرَ وَمَا تَقْبَلَ الْوَصْولُ إِلَيْهِ بِتَفْصِيلٍ تَطْلُعُ عَلَيْهِ فِي بَابِ الْكِتَبِ أَيْضًا إِنْشَاءَ اللَّهِ قَالَ ابْرَاهِيمَ: فَحَدَثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي سَيفِ الْمَدِيَّةِ عَنْ أَبِي جَهْضُومِ الْأَزْدِيِّ أَنَّ أَهْلَ الشَّامَ لَمَّا انْصَرُفُوا عَنْ صَفَيْنِ وَأَتَى بِمَعَاوِيَةَ خَبْرَ الْحَكَمَيْنِ وَبَايِعَهُ أَهْلَ الشَّامَ بِالْخَلَافَةِ لَمْ يَزِدُوا إِلَّا قَوْةً وَلَمْ يَكُنْ لَّهُمْ هُمْ إِلَّا مِصْرَ فَدَعَا عُمَرَ بْنَ الْعَاصِ وَحَبِيبَ بْنَ مُسْلِمَةَ وَبَسْرَ بْنَ أَرْطَاطَةَ وَالْمُضْحَاكَ بْنَ قَيْسَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنَ بْنَ خَالِدٍ وَشَرْجَيلَ بْنَ السَّمْطَ وأَبَا الْأَعْوَرِ السَّلْمَى وَحَمْزَةَ بْنَ مَالِكَ فَاسْتَشَارُهُمْ فِي ذَلِكَ

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ: نَعَمْ الرَّأْيُ رَأَيْتُ فِي افْتَاحِهِمْ عَزْكَ وَعَزْ أَصْحَابِكَ وَذَلِكَ عَدُوكَ، وَقَالَ آخَرُونَ نَرَى مَا رَأَى عُمَرُ وَكَتَبَ مَعَاوِيَةَ إِلَى مُسْلِمَةَ بْنَ مُخْلَدِ الْأَنْصَارِيِّ وَإِلَى مَعَاوِيَةَ بْنَ حَدِيجَ الْكَنْدِيِّ وَكَانَا قَدْ خَالَفَا عَلَيْهِمَا فَدَعَاهُمَا إِلَى الْطَّلْبِ بَدْمَ عُثْمَانَ، فَأَجَابَا وَكَتَبَا إِلَيْهِ: عَجَّلْ إِلَيْنَا بِخِيلِكَ وَرِجْلِكَ فَانْتَ نَصْرَكَ وَيَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْكَ.

فَبَعَثَ مَعَاوِيَةَ عَمَرَ بْنَ الْعَاصِ فِي سَيْنَةِ آلَافِ فَسَارَ عَمَرُ فِي الْجَيْشِ حَتَّى دَنَى مِنْ مِصْرَ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ الْعَثَمَانِيَّةُ فَأَقْامَ، وَكَتَبَ إِلَى مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَمْمَا بَعْدَ فَتْحِ عَنْتِي يَا بْنَ أَبِي بَكْرٍ فَأَنْتَ لَا أُحِبُّ أَنْ يَصِيبَكَ هَنْيَ ظَفَرٌ وَأَنْ

١- قال الدميري في حياة الحيوان معاویة بن حدیج بحاء مهملة مضمومة و دال مهملة مفتوحة وبالجيم في آخره كذا ضبطه ابن السعاني في الانساب و ابن عبدالبر وقتيبة وغيرهم منه

الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك و رفض أمرك و ندموا على اتباعك و هم مساموك لوقف التقت حلقتا البطنان ، فاخرج منها فاني لك من الناصحين والسلام
قال : وبعث عمرو إلى محمد مع هذا الكتاب معاوية إليه وهو

أما بعد فان غب الظلم و البغي عظيم الويل و ان سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من النسوقة في الدنيا والتسبعة الآخرة ، وما نعلم أحداً كان أعظم على عثمان بغياناً ولا أسوء له عيناً ولا أشد عليه خلافاً منك ، سعيت عليه في الساعين وساعدت عليه في المساعدتين وسفكت دمه مع الساسافكين ، ثم تظن اني نائم عنك فتتأتي بلدة فتؤمن فيها وجل أهلها أنصاراً يرون رأيي ويرفعون قولك ويرقبون عليك وقد بعثت اليك قوماً حنقاً علىك يسفكون دمك ويتقرّبون إلى الله عز وجل بجهادك وقد اعطوا الله عهداً ليقتلنك و لو لم يكن منهم إليك ما قالوا لقتلك الله بأيديهم أو بأيدي غيرهم من أوليائهم ، وأنا أحذرك وانتظرك فان الله مقيد منك ومقتص لوليته بشاقصك فيما بين أحشائه وأوداجه ، ومع هذه فانني أكره قتلك ولا أحب أن أتوّى ذلك منك ولن يسلّمك الله من النسوقة اين كنت أبداً ففتح و انج بنفسك والسلام .

قال : فطوى محمد بن أبي بكر كتابهما وبعث بهما إلى علي عليه السلام وكتب إليه :
أما بعد يا أمير المؤمنين فان العاصى ابن العاص قد نزل أدنى مصر و اجتمع إليه من أهل البلد كل من كان يرى رأيهم وهو في جيش جرار وقد رأيت من قبلى بعض الفشل فان كان لك في أرض مصر حاجة فامددني بالآموال والرجال ، والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته

فكتب عليهما إليه : فقد أتاني رسولك بكتاب تذكر أن ابن العاص قد نزل أدنى مصر في جيش جرار و أن من كان على مثل رأيه قد خرج إليه وخروج من كان على رأيه خير من اقامته عندك ، وذكرت أنت قد رأيت من قبلك فشلاً فلا تفشل وان فشلوا ، حصن قريتك واضم إليك شيعتك ، واؤل المحس في عسكرك واندب إلى القوم كنانة بن بشر المعروف بال بصحة التجربة واليأس ، فانا ناوب اليك الناس

على الصعب والذلول فاصلب لعدوك وامض بصيرتك وقاتلهم على يديك وجاحدهم محتسباً عنه سبحانه، وإن كان فتتك أقل الفتتين فان الله تعالى يعين القليل ويخذل الكبير. وقد قرئت كتاب الفاجرین المتهاجین (المتحامیین خل) على المعصية والمتألمین على الضلالة والمرتشین في الحكومة والمنكرين على أهل الدين استمتعوا بخلاقهم كما استمتع الدين من قبلهم بخلاقهم ، فلا يضر ناكار عادهما وابراهيمما ، واجبهما إن كنت لم تجدهما بما هما أهله ، فاتنك تجد مقالاً هاشمت والسلام .

قال : فكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية جواب كتابه

أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر من أمر عثمان أمرًا لا اعتذر إليك منه وتأمرني بالتنحى عنك كأنك لي ناصح وتخوّفي بالمحرب كأنك على شقيق ، وأنا أرجو أن تكون الدائرة عليكم وأن يخذلكم الله في الواقعه وأن ينزل بكم الذل وأن تولوا الدبر ، فإن يكن لكم الأمر في الدنيا فكم لكم لعمرى من ظالم قد نصرتم وكم من مؤمن قد قتلتم ومثلتم به و إلى الله المصير ، وإليه ترد الأمور ، وهو أرحم الرّاحمين ، والله المستعان على ماتصفون .

وكتب إلى عمرو بن العاص :

أما بعد فقد فهمت كتابك وعلمت ما ذكرت وزعمت أنك لا تحب أن يصيبني منك الظفر ، فأشهد بالله أنك لمن المبطلين ، وزعمت أنك لي ناصح واقسم أنك عندى ظنين ، وزعمت أن أهل البلد قد رفضوني وندموا على اتباعي فأولئك حزبك وحزب الشيطان الرّجيم ، وحسبنا الله رب العالمين ، وتوكلت على الله العزيز الرحيم ، رب العرش العظيم .

قال إبراهيم : فحمدتنا محمد بن عبد الله عن المدائني قال : فأقبل عمرو بن العاص يقصد قصر مصر فقام محمد بن أبي بكر في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد يا معاشر المسلمين فإنَّ القوم الذين كان ينتهيُّون العرمة ويفشوون أرض الضلاله و يستطيلون بالجبرية قد نصبوا لكم العداوة وساروا إليكم بالجنود ، فمن أراد الجنة والمغفرة فليخرج إلى هؤلاء القوم فليجاهدهم في الله ، اتبدوا رحمة الله

مع كنانة بن بشر .

ثم ندب معه ألفى رجل ، وتخلف محمد في ألفين واستقبل عمرو بن العاص كنانة وهو على مقدمة محمد فلما دنى عمرو من كنانة سرح إليه الكتائب كتبية بعد كتبية ، فلم تأته كتبية من كتائب أهل الشام إلا شد عليها بمن معه فيضر بها حتى يلحقها بعمرو ، ففعل ذلك هراراً ، فلما رأى كنانة ذلك بعث معاوية بن حديج الكندي فأناه في مثل الدّهم ، فلما رأى كنانة ذلك الجيش نزل عن فرسه ونزل معه أصحابه وصار بهم بسيفه حتى استشهد .

قال : فلما قاتل كنانة قبل ابن العاص نحو محمد وقد تفرق عنه أصحابه ، فخرج محمد فمضى في طريق حتى انتهى إلى خربة فاوي إليها ، وجاء عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط وخرج ابن حديج في طلب محمد حتى انتهى إلى علوج (١) على قارعة الطريق فسألهم هل مر بكم أحد تذكرونه ؟ قالوا : لا قال أحدهم : إنّي دخلت تلك الخربة فإذا أنا برجل جالس ، قال ابن حديج : هو هو ربّ الكعبة .

فانطلقوا يركضون حتى دخلوا على محمد فاستخرجوه وقد كان يوماً عطشاً ، فاقبلوا به نحو الفسطاط فونب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص و كان في جنده فقال : لا والله لا يقتل أخي صبراً أبعث إلى معاوية بن حديج فانه ، فأرسل عمرو بن العاص أن ائته بمحمد ، فقال معاوية : أقتلتم كنانة بن بشر ابن عمتي وأخلي عن محمد ، هيهات هيهات أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر .

فقال محمد : اسقوني قطرة من ماء ، فقال له ابن حديج لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبداً ، إنّكم من عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائماً محروماً فسقاهم الله من الرحيق المختوم (٢) والله لا أقتلنك يا ابن أبي بكر وأنت ظمان ويسقيك الله من الحميم والغسلين .

١- العلاج بالسر الرجل من كفار العجم والجمع علوج ، ق

٢- غير خفي على أهل البصيرة أن القضية بالعكس فإن الاول شارب من الحميم والغسلين والثانى من الرحيق المختوم ، منه

قال محمد : يابن اليهودية النساجة ليس ذلك اليوم إليك ولا إلى عثمان وإنما ذلك إلى الله يسكن أولياءه ويظمه أعداءه وهم أنت وقرنائك ومن تولاك وتوليتهم والله لو كان سيفي بيدي ما بلغتم مني ما بلغتم له معاوية بن حديج : أتدرى ما أصنع بك أدخلك جوف هذا الحمار الميت ثم أحرقه عليك بالنار .

قال : إن فعلتم ذلك بي فطال ما فعلتم ذاك بأولياء الله وأئم الله إني لأرجو أن يجعل الله هذه النار التي تخونني بها برداً وسلاماً كما جعلها الله على إبراهيم خليله وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمرود وعلى أوليائه وإنني لأرجو أن يحرقك الله وإمامك معاوية وهذا ، وأشار إلى عمر بن العاص بناد تلظى عليكم كلما خبأ زادها الله عليكم سيراً

قال معاوية بن حديج إني لا أقتلك ظمآن إنما أقتلك بعثمان بن عفان ، قال محمد : وما أنت وعثمان رجل عمل بالجور وبطل حكم الله والقرآن وقد قال الله عزوجل : « وَمَنْ لَمْ يَخْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ، وَأُولَئِكَ هُمُ الطَّالِمُونَ » .

فتقمنا عليه أشياء عملها فأردناه أن يختلي من عملنا فلم يفعل فقتله من قتلهم من الناس ، فغضب معاوية بن حديج فضرب عنقه ثم القاه في جوف حمار وأحرقه بالنار فلما بلغ ذلك عايشة جزعت عليه جزاً شديداً وقفت في دبر كل صلاة تدعوه على معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص و معاوية بن حديج ، وقبضت عيال محمد أخيها ولده إليها فكان القاسم بن محمد في عيالها ، وخلفت عايشة أن لا تأكل شوى أبداً بعد قتل محمد ، فلم تأكل شوى حتى لحقت بالله ، وما عثرت قط إلا قالت تعس (١) معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص و معاوية بن حديج

قال إبراهيم : وحدني محمد بن عبد الله عن المدائن عن الحرف بن كعب عن حبيب بن عبد الله ، قال والله إني لعند علي أذحائه عبد الله بن معين من قبل محمد بن

أبي بكر يستصرخه قبل الواقعة ، فقام على ^{لِكْلَلَة} فنادى في الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر رسول الله ثم قال ^{لِكْلَلَة} :

أما بعد فهذا صريح محمد بن أبي بكر و أخوانكم من أهل مصر قد سار اليهم ابن النابغة عدو الله وعدو من والاه ولا من عاد الله ، فلا يكونن أهل الضلال إلى باطلمهم والرّكون إلى سبيل الطاغوت أشد اجتماعا على باطلمهم منكم على حقكم ، وقد بدؤكم و أخوانكم بالغزو فاعجلوا إليهم بالمواساة والنصر ، عباد الله إن مصر أعظم من الشّام خيراً و خيراً أهلاً فلا تغلبوا على مصر فان بقاء مصر في أيديكم عز لكم وكبت لعدوكم أخرجوا إلى الجزعه « والجزعه بين الحيرة والكوفه » لنتوا في هنالك كلنا عدا إنشاء الله .

قال فلما كان الغد خرج يمشي فقام حتى اتصب ^{النَّهَارِ} فلم يواقه مأة رجل فرجع فلما كان العشاء بعث إلى الأشراف فجمعهم فدخلوا عليه القصر و هو كثيير حزين فقال ^{لِكْلَلَة} :

الحمد لله على ما قضى من أمر و قدر من فعل وابتلاني بكم أيها الفرقه التي لانطيط إذا أمرتها ، ولا تجib إذا دعوتها ، لا أبالغيركم ماذا تنتظرون بنصركم والجهاد على حقكم ، الموت خير من الذل في هذه الدّنيا لغير الحق ، والله إن جائني الموت ولیأتینی فليفرقنّ يمني وينكم لنجدتنی لصحبتكم جد

قال : الأدین ^{يجمعكم الأهمية} تغيظكم الآتسمعون بعدهم ^{كم يتقصى بلادكم ويشن الغارة} عليكم أولیس عجبًا أن معاوية يدعو الجفاة الطعام الظلمة فيتباعونه على غير عطاهم و معونة و يجيئونه في السنة المرة و المرتين و الثالث إلى أى وجه شاء ثم أنا أدعوكم وأنتم أولوا النهى و بقيمة الناس تختلفون و تفرقون مني و تعصوني وتخالفون عليّ فقام إليه مالك بن كعب الارحبي فقال : يا أمير المؤمنين اذد الناس معي فانه لاعطر بعد عروس ، وإن الأجر لا يأتي إلا بالكره ، ثم التفت إلى الناس ، وقال : اتقوا الله و أجيروا دعوة إمامكم و انصروا دعوته و قاتلوا عدوكم إننا نسير إليهم يا أمير المؤمنين .

فأمر علي عليه السلام سعداً مولاه أن ينادي ألاسيروا مع مالك بن كعب إلى مصر و كان وجهها مكروها فلم يجتمعوا إليه شهرا ، فلما اجتمع له منهم ما اجتمع خرج بهم مالك بن كعب فعسكر ظاهر الكوفة و خرج معه علي عليه السلام فنظر فإذا جميع الناس نحو من ألفين فقال علي عليه السلام سيروا والله أنتم ما اخالكم تدركون القوم حتى ينقضي أمركم ، فخرج مالك بهم و ساد خمس ليال.

و قدم الحجاج بن عرية الأنصاري على علي عليه السلام و قدم عليه عبدالرحمن بن المسيب الفرازي من الشام ، فاما الفرازي فكان عينا لعلي عليه السلام لاینام وأما الأنصاري فكان مع محمد بن أبي بكر ، فحدّه الأنصاري بما عاين و شاهد و أخبره بهلاك محمد و أخبره الفرازي أنه لم يخرج من الشام حتى قدمت البشرى من قبل عمرو بن العاص فيتبع بعضها بعضا بفتح مصر و قتل محمد بن أبي بكر و حتى اذن معاوية بقتله على المنبر و قال : يا أمير المؤمنين ما رأيت يوما قط سرورا مثل مارأيته بالشام حين أتاهم قتل ابن أبي بكر ، فقال علي عليه السلام أما إن حزتنا على قتله على قدر سرورهم بهالبل يزيد أضعافا .

قال و حزن علي عليه السلام على محمد - حتى رؤى ذلك فيه و تبيّن في وجهه و قام خطيبا فحمد الله و أتني عليه ثم قال :

الاوان الم Crosby قد افتتحها الفجرة أولياء الجور والظلم الذين صدوا عن سبيل الله و بغوا الاسلام عوجا ، الا و إن محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمة الله عليه و عند الله تحيط به ، أما والله لقد كان ماعملت ينتظركم القضاء ويعمل لليجز او يبغض شكل الفاجر و يحب سمع المؤمن ، إني والله ما ألومن نفسي على تقدير و لا عجز و إني لمقاساة الحرب مجد بصير إبني لا قد على الحرب و أعرف وجه الحزم و أقوم بالرأي المصيب فاستصرخكم و انا ديككم مستغثنا فلا تسمعون قولنا ولا نطيعون لي أمرا حتى تصير الامور إلى عاقب المسائدة و أنتم القوم لا يدرككم بكم الشار ولا ينقصكم بكم الأوتار ، دعوكم إلى غيات اخوانكم منذ بضع و خمسين ليلًا فجر جرم على جرجرة الجحمل الاشر و تناقلتم إلى الأرض تناقل من لانية له في الجهاد ولا رأي في الاتتساب للأجر ، ثم خرج إلى منكم

جنيد متداهیب ضعیف کانما تساقون إلى الموت وهم ينظرون فاف لكم ، ثم نزل فدخل رحله .

قال المدائی: إن عليا عليه السلام قال: رحم الله محمدأ كان غلاماً حدثاً لقد كنت أردت أن أولي المر قال هاشم بن عتبة مصرأ فاتته والله لو وليهما ما خلی لابن العاص واعوانه العرصه ولاقتل إلا وسيفه في يده بلازم لمحمد فلقد أحمد نفسه وقضا ما عليه .

قال المدائی وقيل لعلي عليه السلام لقد جزعت يا امير المؤمنین على محمد بن أبي بکر فقال: وما يعنی إنه كان لي رببا و كان لي أخا و كنت له والداً أعده ولداً

الترجمة

از جمله کلام آن امام انام است در وقتی که ایالت مصر را بمحمد بن أبي بکر تفویض فرمود :

پس هملوک شد مصر ومقتول گردید محمد يعني محمد را با مر معاویه ملعون شهید کردند و بمصر مستولي شدند و بتحقيق که میخواستم هاشم بن عتبه را والی مصر نمایم و اگر او را والی مصر کرده بود هر آینه خالی نمیکرد از برای دشمنان عرصه مصر را و نمی داد با یاشان فرصت را در حالتی که هدمت نمی کنم محمد را، پس بتحقیق که بود محمد بسوی من دوست مخلص و بود مرا پسر زن از جهت اینکه مادر او اسماء بنت عمیس زوجة جعفر بن ابی طالب بود، و بعد از او ابو بکر اور اتر ویج نمود و محمد از او هتلد شد و بعد از وفات ابی بکر امیر المؤمنین عليه آنرا بشکح خود در آورد.

ومن كلامه عليه السلام وهو الثامن
والستون من المختار في باب الخطب

كَمْ أَدَارِيكُمْ كَمْ تُدارَى الْبَكَارُ الْعَيْدَةُ ، وَالثَّيْبَابُ الْمُتَدَاعِيَةُ ، كُلَّمَا

حِيَصَتْ مِنْ جَانِبِ تَهْتَكَتْ مِنْ آخَرَ، كُلَّمَا أَطَلَ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ
أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلَّ شَرْجَلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ، وَأَنْجَرَ أَنْجِيلَ الصَّبَّيَةِ فِي جُحْرِهَا
وَالضَّبْعِ فِي وِجَارِهَا، الدَّلِيلُ وَاللهُ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ
رَمَى بِأَفْوَقِ نَاصِلٍ، وَاللهُ إِنَّكُمْ لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ، قَلِيلٌ تَحْتَ الْأَيَّاتِ
وَإِنِّي لَعَالَمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَيُقْيمُ أَوْدَكُمْ، وَلَكِنِّي لَا أُرِي إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ
نَفْسِي، أَضْرَعَ اللَّهُ مُخْدُودَكُمْ، وَأَتَعْسَ جُدُودَكُمْ، لَا تَعْرُفُونَ الْحَقَّ
كَعْرَفَتُمُ الْبَاطِلَ، وَلَا تُنْظِلُونَ الْبَاطِلَ كَإِبْطَالِكُمُ الْحَقَّ.

اللغة

(البكار) بالكسر جمع بكر بالفتح وهو الفتى من الأبل و (العمدة) بكسر العيم من العمدة الورم والدبر و قيل العمدة التي كسرها ثقل حملها، و قيل التي قد اشدهت اسمنتها من داخل ظاهرها صحيح و (المتداعية) الخلقة التي تنخرق وإنما سميت متداعية لأن بعضها يتخرق فيدعوا الباقي إلى الانحراف.

و (المحوص) الخياطة يقال حاص الثوب يمحو صحو خاطه و (اطل) عليه بالطاء المهملة أشرف و في بعض النسخ بالمهملة أى اقبل اليكم و دنائركم و (المنسر) كم مجلس و كمنبر القطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكثير و (الجحر) بالضم كل شيء يحتقره السباع والهوم لا نفسها و حجر الضب كمنع دخله و حجره غيره أدخله فانحجر و تحجر و كذلك احجره و (الضبة) انتي الضباب وهي دابة برية و (الضبع) موشه و (وجارها) بالكسر جحرها و (الافق) المكسور الفوق و (النَّاصِل) المنزوع النصل و (الباحة) السباحة و في بعض النسخ الساحات و (الراية) العلم و (الاود) بالتحريك العوج و (ضرع) إليه بالتشليث ضرعا بالتحريك و ضراعة خضع و ذل و استكان و اضرعه الله أذله و (التعس) الهلاك والانحطاط.

و (الحدود) بالضم جمع الجد بالفتح كالحدودة والاجداد هو البحث والحظ و في الكتاب الكريم :

«إِنَّهُ تَعَالَى أَجْدَرَ بِنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا».

الاعراب

جملة كلما حيصلت في محل الرفع صفة للثياب ، و جملة كلما اطل استينافية و تحتمل الاستيناف البياني فكانه سؤل عن سبب المداراة فأشار إلى الجواب بها ، و قوله الذليل والله من اه ، جملة القسم معترضة بين الخبر والمبتداء و تقدير الخبر لقصد المحصر ، و جملة اضرع الله خدودكم ، و أتعس حدودكم دعائيتان لامحل لهما من الاعراب .

المعنى

اعلم أن المقصود بهذا الكلام توبیخ أصحابه و ذمهم بتشاقلم عن jihad ، و تقاعدهم عن النہوض إلى حرب أهل الشام ، فأشاروا إلى كونهم محتاجين إلى المداراة الكثيرة البعيدة عن شيمة أهل النجدة والشجاعة و ذوي الفتورة والكياسة و نبأه على ذلك بقوله :

(كم اداريكم كما تداري البكار العمدة والثياب المتداعية) اي كما يداري صاحب العيير بغيره المنشدخ السنام ولابس الآنواب ثيابه الخلقة المنخرقة ، و وجه تشبيهم بالبكار العمدة هو قلة صبرهم و شدة اشفاقهم و عدم تحملهم لمشاق jihad والقتال كما يشتند جرجرة البكر العمد و يقل صبره ولا يتحمل نقال الاحمال .

و وجه التشبيه بالثياب المتداعية أن الثياب الموصوفة كما أنها (كلما حيصلت من جانب تهتك من جانب آخر) فكذلك أصحابه كلما أصبح حال بعضهم وانتظم أمرهم للحرب فسد عليه البعض الآخر (كلما اطل عليكم) و اشرف (منسر من مناسر اهل الشام اغلق كل رجل منكم بابه) و لزم بيته من شدة الجبن و الخوف و (انحجر انحصار الضيبة في جحرها والضبع في وجارها) تخصيصهم ما من بين صاير الحيوانات بالذكر لانتصاف الاولى بالجمل والعقوق

حتى صار يضرب بها المثل في الجهل، ولذلك لا تحرر جمرها إلا عند صخرة لثلاة ضل عنده إذا خرجت لطلب الطعام و من عقوبها أنها تأكل حسولها (١) و اتصف الثانية بالمحق كما عرفت ذلك في شرح سادس المختار في باب الخطب، و خص الاناث منهم أيضاً نهياً أولى بالمخافة من الذكر.

انَّ (الذليل والله من نصرتهم) لاتتصف المخاطبين في أنفسهم بالذلة فيلزم اتصف المنتصررين بهم بها أيضاً (و من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل) شبههم بالسيئهم المكسور الفوق المنزوع النصل لعدم الارتفاع بهم في الحرب كما لا ينتفع بالسيئهم الموصوف وقد مضى مثل هذه العبارة في الخطبة التاسعة والعشرين، وذكرنا هنا ذلك مما يوجب زيادة توضيحها.

(و والله انكم لکثیر في الباحات قليل تحت الرایات) وصفهم بالكثرة في الاندية والقلة تحت الاوية إشارة إلى جبنهم، فان هذين الوصفين من لوازم الجبن والخوف كما أن مقابلهما من لوازم الفتوة والشجاعة ولذلك يهجو الشعراء بالاول ويمدحون بالثاني قال الشاعر :

أما انكم تحت الخوافق والقنا
الستم أقل الناس تحت لوازهم
وقال آخر:

نقال إذا انوا خفاف إذا دعوا
قليل إذا عدوا كثير إذاشدوا

(و) الله (أنتي لعالم بما يصلحكم و يقيم اودكم) و هو اقامة مراسم السياسة فيهم من القتل والتعدیب واستعمال وجوه العجل والتدمير والمخالفة لا هر الله سبحانه وله ، و لذلك استدرك بقوله (ولكنت لا أرى اصلاحكم بافساد نفسي) يعني أن اصلاحكم بالقتل والسياسة موجب لفساد نفسي و ديني ولا أرضي به كما يرتضيه ملوك الدنيا ورؤسائها بلحاظ صلاح ملوكهم و انتظام أمر مملكتهم لكون نظرهم مقصورة على زخارف الدنيا و زهراتها العاجلة و غفلتهم بالكلية عن الآخرة.

و أما هو على ذلك فراعي صلاح نفسه و قدّمه على اصلاح حال الغير لانحصر همته

١- حسول و لدالغضب حين يخرج من بيته ويكتنى الغبـ ابوحسـيل، قـ.

في الآخرة وانقطاعه بكل مائه عن الدنيا الفانية ، فلم يكن يستحق منهم ما يستحق
ساير الملوك من رعية لهم من القتل والتّعذيب الموجبين للاثم والمعصية المستلزمين
لفساد الدين والسطخ في الآخرة .

ثم دعى عَلَيْهِمْ عَلَيْهِم بقوله (اضرع الله خدودكم) و هو كناية عن ذلة النفس
والاستكانة و بقوله (و اتعس جدودكم) و هو كناية عن الخسران والخيبة .
ثم نبههم على علة استحقاقهم للدعاء بقوله (لا تعرفون الحق كم عرفتكم الباطل)
أراد به جهولهم بما يلزم عليهم من القيام بوظائف التكاليف الشرعية والاحكام الاليمية
و اشتغالهم بالأمور الدنيوية الباطلة (ولا تبطلون الباطل كباطلكم الحق) أراد به عدم
ابطالهم للمنكر كباطلهم للمعرفة .

الترجمة

از چمله کلام آنحضرتست در مذمت اصحاب خود :

چقدر مدارا کنم با شما چنانکه مدارا کنند با شترانی که کوفناک باشد
کوهان ایشان ، و هم چنانکه مدارا کنند بالبسهای کنه پاره بمرتبه که هر
وقت دوخته شود از جانبی دریده می شود از جانب دیگر هر وقت که مشرف شود
بر شما دسته لشگری از لشگرهای اهل شام می بندد هر مردی از شمار خانه خود
از ترس و در آید در سوراخ همچو در آمدن موسمار در سوراخ خود و همچو در
آمدن کفتار در خانه خود .

بخدا سوگند که ذلیل آنکسی است که شماناصر آن شده باشد ، و کسینکه
تیر اندازد با شما به دشمنان پس بتحقیق که میاندازد بتیر سوفار شکسته بی پیکان
قسم بخدا که بدرستی شما هر آینه بسیارید در عرصها و اندکید در زیر علمها ،
و بدرستی من دانا هستم بچیزیکه اصلاح نماید شما را و راست گرداند کجی شمارا
ولیکن من بخدا سوگند نهی بینم اصلاح شما را با فساد نفس خود .

خوار گرداند خدا رخسارهای شما را ، و تباہ گرداند نصیبهای شمارا نهی
شنا سید شما حق کامل را چنانچه می شناسید باطل را ، و باطل نهی گردانید باطل را

همچو باطل گردانیدن شما حق را یعنی شما با هورد دنیویه باطله مشغولید و از امور اخرویه غافل.

وقال عليه السلام في سحرة اليوم الذي ضرب فيه و هو التاسع والستون من المختار باب الخطب مَكْتُنِي عَيْنِي وَأَنَا جَالِسٌ فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللَّهِ قَقْلُتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا لَقِيْتُ مِنْ أَمَّتِكَ مِنَ الْأَوَادِ وَاللَّدَدِ ؟ فَقَالَ : أَدْعُ عَلَيْهِمْ فَقُلْتُ : أَبْدَلْنِي اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا لِي مِنْهُمْ ، وَأَبْدَلْهُمْ بِي شَرًّا لَهُمْ مِنْيَ . قال السيد (ره) : يعني بالآداء العوجاج، واللدود الخصم و هو من أصح الكلام.

اللغة

(السحر) بالتحريك قبيل الصبح والمسحرة بالضم المسحر الاعلى و (سنج) لى راي كمنع سنوها و سنجها بالفتح و سنجها بالضم عرض و (اود) يا و دادامن باب فرح.

الاعراب

جملة انا جالس حال من مفعول ملكت ، و ما في قوله ماذا لقيت استفهامية استعظامية كما في قوله تعالى الم hacca ، وذا إما موصولة أو زائدة كما قلناه في ما سبق ، والباء في قوله بهم و بي لل مقابلة .

المعنى

قال الشارح البحرياني : قوله (ملكتني عيني) استعارة حسنة و تجوز في التركيب أمّا الاستعارة فلفظ الملك للنوم و وجه الاستعارة دخول النائم في غلبة النوم و قهره و معنه له ان يتصرف في نفسه كما يمنع المالك المملوك من التصرف في أمره ،

وَأَمْا التَّسْجُوز فِي الْعَيْنِ وَفِي الْإِسْنَادِ إِلَيْهَا ، أَمْ أَلَّا يَكُونَ فَاطِلِقُ لِفَظِ الْعَيْنِ عَلَى النَّوْمِ
نَمَا بَيْنَهُمَا مِنِ الْمَلَابِسَةِ إِذَا طَبَاقَ الْجَفَوْنَ مِنْ عَوَارِضِهِ ، وَأَمْ أَنَّ الثَّانِي فَاسِنَادَ الْمَلَكِ
إِلَى النَّوْمِ الْمُتَجَوِّزِ فِيهِ بِلِفَظِ الْعَيْنِ ٠

أَقُولُ : حاصلهُ أَنَّهُ مِنْ بَابِ الْإِسْتِعَارَةِ التَّسْبِيعِيَّةِ مِثْلُ قَوْلِهِمْ : نَطَقَتِ الْحَالُ بِكَذَا ،
وَمَحْصُلُهُ أَنَّ الْمَلَكَ اسْتِعَارَةً عَنْ غَلْبَةِ النَّوْمِ وَالْعَيْنِ مَجَازٌ عَنِ النَّوْمِ بِعَلَاقَةِ الْمَجَاوِدَةِ
وَإِسْنَادِ الْغَلْبَةِ إِلَى النَّوْمِ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ فَافْهُمُوهُ ، فَالْمَعْنَى غَلْبَنِي نُومِي (وَأَنَا جَالِسٌ فَسَنْحَلِي
رَسُولُ اللَّهِ) أَى رَأْيِهِ فِي الْمَنَامِ أَوْ مِنْ بَيْنِ مَعْقَرَضَاهُ (فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا لَقِيتَ مِنْ
أَمْتَكَ مِنَ الْأَوْدِ وَالْمَدِ فَقَالَ ادْعُ عَلَيْهِمْ) شَكَائِتَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَالْمُتَقْتَلُ دَلِيلٌ عَلَى غَايَةِ
كُرْبَهِهِمْ مِنْ جَمِيعِ تَقْصِيرِهِمْ فِي الْإِجَابَةِ إِلَى دُعَائِهِ وَالتَّلْبِيَّةِ لِنَدَاءِهِ وَتَوَانِيهِمْ فِي
الْقَتَالِ وَالْجَهَادِ ، وَتَرْخِيصِ رَسُولِ اللَّهِ فِي دُعَائِهِ عَلَيْهِمْ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ رَضَائِهِ عَنْهُمْ ٠
وَقَوْلُهُ : (فَقُلْتُ أَبْدَلْنِي اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا لَّيْ مِنْهُمْ وَأَبْدَلْهُمْ بِي شَرًّا لَّهُمْ مِنِي)
لَا يَدِلُّ عَلَى اتِّصَافِهِ بِالشَّرِّ إِذْ صَيْغَهُ أَفْعَلَ لَمْ يَرِدْ بِهَا التَّسْفِيَّلُ بِلِلْمَرَادِ مَجْرَدُ الْوَصْفُ أَوْ
بِنَاءُ التَّسْفِيَّلِ عَلَى اعْتِقَادِ الْقَوْمِ فَإِنَّهُمْ لَمَّا لَمْ يَطِيعُوهُ حَقَ الطَّاعَةِ فَكَانُوكُمْ زَعْمَوْهُ فِيهِ
شَرًّا ، وَقَدْ مَرِيَ مُزِيدٌ تَحْقِيقَ لِهَذِهِ الْفَقْرَةِ فِي شَرْحِ الْمُخْطَبَةِ الْخَامِسَةِ وَالْعَشْرِينَ
فَتَذَكَّرُ هَذَا ٠

وَرُوِيَ فِي الْبَحَارِ مِنِ الْإِرْشَادِ عَنْ عَمَّارِ الدَّهْنِيِّ ، عَنْ أَبِي صَالِحِ الْحَنْفِيِّ
قَالَ : سَمِعْتُ عَلَيْهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَنَامِي فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ مَا لَقِيَتِهِ
مِنْ أَمْتَهُمْ مِنَ الْأَوْدِ وَالْمَدِ وَبَكَيْتُ ، فَقَالَ لِي : لَا تَبْكِ يَا عَلِيٌّ وَالْتَّفَتْ وَإِذَا رَجَلَانِ
مَصْفَدَانِ (١) وَإِذَا جَلَامِيدٌ تَرَضَخُ بِهِمَا وَرَوْسِهِمَا ، قَالَ أَبُو صَالِحٍ : فَغَدُوتُ إِلَيْهِ مِنَ
الْغَدِ كَمَا كُنْتُ أَغْدِ وَإِلَيْهِ كُلُّ يَوْمٍ حَتَّى إِذَا كَنْتُ فِي الْجَزَارِ بْنَ لَقِيَتِ النَّاسَ يَقُولُونَ
قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ٠

١- صَفَدَهُ يَصْفَدُهُ شَدَهُ وَأَوْتَقَهُ كَاصْفَدَهُ وَصَفَدَهُ ، وَالْجَلْمُ الصَّغَرُ كَالْجَلْمُ دُوْرَضَنُ الْحَصَانِ

كَنْمُ وَضَرَبَ كَسْرَهَا وَبِهِ الْأَرْضُ جَلْدَهُ بِهَا وَرَاضَنُ فَلَاتَارَمَاهُ بِالْحِجَارَةِ، قَ.

تذكيرات الأول

في كيفية شهادته عليه السلام فيها روايات كثيرة وابسطها مارواه في المجلد التاسع من البحار

قال :رأيت في بعض الكتب القديمة رواية في كيفية شهادته أوردنا منه شيئاً مما يناسب كتابنا هذا على وجه الاختصار .

قال : روى أبوالحسن علي بن عبد الله بن محمد البكري ، عن لوط بن يحيى ، عن اشياخه وأسلافه قالوا : لما توفي عثمان وبایع الناس أمیر المؤمنین كان رجل يقال له حبيب بن المنتجب واليأعلى بعض أطراف اليمن من قبل عثمان فاقرءه علي عليه السلام على عمله وكتب كتابا يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى حبيب بن المفتح جب سلام عليك ، أمّا بعد فأنني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، وأصلح على محمد عبده ورسوله ، و بعده فانتي ولیتك ما كنت عليه لمن كان من قبل فاما كنت على عملك وإنني اوصيك بالعدل في رعيتك والاحسان إلى أهل هملكتك ، و اعلم أن من ولی على رقاب عشرة من المسلمين ولم يعدل بينهم حشره الله يوم القيمة ويداه مغلوتان إلى عنقه لا يفكها إلا عدله في دار الدنيا ، فإذا ورد عليك كتابي هذا فاقرءه على من قبلك من أهل اليمن وخذلني البيعة على من حضرك من المسلمين فإذا بايع القوم مثل بيعة الرضوان فاما كنت في عملك وانفذ إلى منهم عشرة يكونون من عقلائهم وفضحائهم و ثقاتهم ومن يكون أشد لهم عونا من أهل الفهم والشجاعة عارفين بالله عالمين بأدیانهم وما لهم وما عليهم وأجودهم رايا ، وعليك وعليهم السلام

وطوى الكتاب و ختمه وأرسله مع أعرابي ، فلما وصله قبله و وضعه على عينيه ورأسه فلما قرئه صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وآلله ثم قال : أيها الناس اعلموا أن عثمان قد قضى نحبه وقد بايع الناس من بعده العبد الصالح والامام الناصح أخا رسول الله وخليفة وهو أحق بالخلافة وهو أخو رسول الله وابن عمّه وكاشف الكرب عن وجهه و زوج ابنته و وصيه وأبو سبطيه أمير المؤمنين

عليّ بن أبي طالب فما تقولون في بيعته والدخول في طاعته؟
 قال : فضح الناس بالبكاء والنحيب وقالوا : سمعا وطاعة وحبّا وكرامة الله
 ولرسوله ولا خى رسوله ، فأخذ له عليه السلام البيعة عليهم عامّة ، فلما بايعوا قال لهم :
 اريد عشرة منكم من رؤسائكم وشجعانكم انفذهم إلينه كما أمرني به فقالوا : سمعا
 وطاعة فاختار منهم مائة ، ثم من المائة سبعين ، ثم من السبعين ثلاثين ، ثم من
 الثلاثين عشرة فيهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعن الله وخرجوا من ساعتهم
 فلما أتوه عليه السلام سلموا عليه وهنّو بالخازفة ، فرد عليهم السلام ورحب بهم ،

فتقدم ابن ملجم وقام بين يديه وقال :

السلام عليك أيها الامام العادل والبدر التمام واللبيث الهمام والبطل الضراغم
 والفارس القمقام ومن فضلك الله على سائر الانام صلى الله عليك وعلى آملك الكرام ،
 أشهد أنك أمير المؤمنين صدقاؤه حققاً وأنك وصي رسول الله و الخليفة من بعده
 ووارث علمه لعن الله من جحد حقيقك ومقامك أصبحت أميراً لها وعميدها ، لقد اشتهر
 بين البرية عدلك ، وهطلت (١) شأبيب فضلك وسعائك رحمتك ورأفتك عليهم ، ولقد
 أنهضنا الأمير إليك فسررنا بالقدوم عليك فبوركت بهذه الطلة المرضية و هنّت
 بالخلافة في الرعية .

فتح أمير المؤمنين عليه السلام عينيه في وجهه ونظر إلى الوفد فقر بهم وأدناهم فلما
 جالسوا دفعوا الكتاب فقضته وقرأه وسر بما فيه فأمر بكل واحد منهم بحلة يمانية
 ورداء عدنية وفرس عربية وأمر أن يتقدو ويكرموا ، فلما نهضوا قام ابن ملجم
 ووقف بين يديه وأنشد :

وابن الضراغم في الطراز الأول
 وحبك فضلا في الكتاب المنزل
 حوريّة بنت النبيّ المرسل

أنت المهيمن والمهدى ذو الندى
 الله خصك يا وصي محمد
 وحبك بالزهراء بنت محمد

١- الهطل هو تتابع المطر المتفرق العظيم قطره والشوّبوب المدفع من المطر ، ق

نَمْ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ارْم بِنَاهِيَتْ شَيْئَ لَتَرِي مِنْنَا مَا يُسْرِكْ فَوَاللَّهِ مَا فِينَا إِلَّا كُلَّ بَطْلَ أَهِيَسَ (١) وَ حَازِمَ أَكِيسَ وَ شَجَاعَ أَشُوسَ (٢) وَ رَنَنَا ذَلِكَ عَنِ الْآبَاهِ وَ الْأَجْدَادِ وَ كَذَلِكَ نُورَتِهِ صَالِحُ الْأَوْلَادِ .

قَالَ : فَاسْتَحْسِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَلَامَهُ مِنْ بَيْنِ الْوَفْدِ فَقَالَ لَهُ : مَا اسْمُكْ يَا غَلَامَ ؟ قَالَ : اسْمِي عَبْدُ الرَّحْمَنَ ، قَالَ : ابْنَ مَنْ ؟ قَالَ : ابْنِ مَلْجَمِ الْمَرَادِيِّ ، قَالَ : أَمْرَادِيِّ أَنْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ تَعَالَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَلَا حُولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ .

قَالَ : وَ جَعَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَكْرَرُ النَّظَرَ إِلَيْهِ وَ يَضْرِبُ أَحَدَيْ يَدِيهِ عَلَى الْأَخْرَى وَ يَسْتَرْجِعُ نَمْ قَالَ لَهُ : وَ يَحْكُمُ أَمْرَادِيِّ أَنْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ فَعَنِدَ هَمَا تَمْشِلُ بِقَوْلِهِ :

مَكَاشِفَةً وَ أَنْتَ مِنَ الْأَعْدَادِ
أَنَا أَنْصَحُكَ مِنْيَ بِالْوَدَادِ
عَذِيرَكَ (٣) مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مَرَادِي
أُرِيدُ حَيَاةَ وَ يَرِيدُ قَتْلَى

قَالَ الْأَصْبَحُ بْنَ نَبَاتَةَ : لَمَا دَخَلَ الْوَفْدَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ بَايِعَهُ وَ بَايِعَهُ ابْنَ مَلْجَمَ فَلَمَّا أَدْبَرَ عَنْهُ دَعَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ثَانِيَةً فَتَوَثَّقَ مِنْهُ بِالْعَهْدِ وَ الْمَوَاتِيقِ أَنْ لَا يَغْدُرُ وَ لَا يَنْكُتْ فَفَعَلَ نَمْ سَارَ عَنْهُ ، نَمْ أَسْتَدَعَاهُ ثَالِثًا نَمْ تَوْقِيقَ مِنْهُ فَقَالَ ابْنُ مَلْجَمَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا رَأَيْتَكَ فَعَلْتَ هَذَا بِأَحَدٍ غَيْرِي فَقَالَ تَعَالَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ امْضِ لِشَانِكَ فَمَا أَرَاكَ تَفْعِي بِمَا بَايَعْتَ عَلَيْهِ .

فَقَالَ ابْنُ مَلْجَمَ : كَانَكَ تَكْرَهُ وَ فُودِي عَلَيْكَ لَمَا سَمِعْتَهُ مِنْ اسْمِي وَ انْتِي وَ اللَّهُ لَأُحِبُّ الْإِقَامَةَ مَعَكَ وَ الْجَهَادَ بَيْنَ يَدِيكَ وَ زَانَ قَلْبِي مَحْبَّ لَكَ وَ انْتِي وَ اللَّهُ أَوْ إِلَيْكَ

١- الْأَهِيَسُ الشَّجَاعُ وَ مِنَ الْأَبْلَى الْجَرَى لَا يَنْقِبُنَّ عَنْ شَيْءٍ

٢- الشُّوشُ مَحْرَكَةُ النَّظَرِ بِمَوْخِرِ الْعَيْنِ تَكْبِرُ أَوْ تَقْيِظُ، قِ

٣- العَذِيرَامِيرُ وَ زَنْتَدَهُ عَازِرُ مَعْنَسَهُ دَرَكُهُ عَذْرُ وَ بَهَانَهُ لَى قَبْوُلِ ابْنِ آدَمَ دِينُورُ وَ مِنْهُ قَوْلُ

عَلَى وَ هُوَ يَنْتَظِرُ إِلَى ابْنِ مَلْجَمِ عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مَرَادِي قَالَ عَذِيرَكَ مِنْ فَلَانَ بِالنَّصْبِ أَيْ هَاتِهِاتِ عَذِيرَكَ أَيْ مِنْ يَعْذِرُنِي وَ عَذِيرَمَعِينَ وَ نَصِيرَمَعِينَ قَالَ عَذِيرَكَ الْوَنُورُ يَقُولُ مِنْ عَذِيرَيِّي مِنْ فَلَانَ أَيْ نَصِيرِي أَوْ قِيَانُوسَ

وأعادي عدوك.

قال : فتبسم لِبَيْهِ و قال : بالله يا أخا مراد إن سألتك عن شيء تصدقني فيه؟
 قال : أي وعيشك يا أمير المؤمنين ، فقال له : هل كان لك دابة يهودية فكانت إذا
 بكثت تضررك وتلطم جبينك و تقول لك : اسكت فانك أشقي من عاقر ناقة صالح
 وإنك ستتجنى في كبرك جنابه عظيمة بغضب الله به علىك و يكون مصيرك إلى النار ؟
 فقال قد كان ذلك ولكنك والله يا أمير المؤمنين أحب إلى من كل أحد ، فقال
 أمير المؤمنين والله ما كذبت ولا كذبت ولقد نطقت حقاً و قلت صدقـاً و أنت والله قاتلي
 لامحالـة و سـتخـضـبـ هذهـ منـ هـذـهـ وـ أـشـارـ إـلـىـ لـحـيـتـهـ وـ رـأـسـهـ وـ لـقـدـ قـرـبـ وـ قـتـكـ وـ حـانـ زـمـانـكـ .
 فقال ابن ملجم والله يا أمير المؤمنين إنك أحب إلى من كل ما طلعت عليه
 الشـمـسـ ، وـ لـكـ إـذـ اـعـرـفـ ذـلـكـ مـنـيـ غـيـرـنـيـ إـلـىـ مـكـانـ تـكـوـنـ دـيـارـكـ مـنـ دـيـارـيـ بـعـيـدةـ
 فقال : كـنـ مـعـ أـصـحـابـكـ حتـىـ اـذـنـ لـكـمـ فـيـ الرـجـوعـ إـلـىـ بـلـادـكـ .
 ثم أمرهم بالنزول في بنى تميم فأقاموا ثلاثة أيام ، ثم أمرهم بالرجوع إلى
 اليمن ، فلما عزموا على الخروج مرض ابن ملجم مرض شديداً فذهبوا وتركوه ، فلما
 بره أتى أمير المؤمنين و كان لا يفارق قه ليلاً ولا نهاراً و يسارع فيقضاء حوائجه وكان
 يكرمه و يدعوه إلى منزله و يقر به ، و كان مع ذلك يقول له : أنت قاتلي و يكرر
 عليه الشـعـرـ :

أريد حيـانـهـ وـ يـرـيدـ قـتـلـيـ عـذـيرـكـ مـنـ خـلـيلـكـ مـنـ مـرـادـكـ

فيقول له : يا أمير المؤمنين إذا عرفت ذلك مني فاقتلي ، فيقول إنه لا يحل
 ذلك أن اقتل رجلاً قبل أن يفعل بي شيئاً ، وفي خبر آخر قال : إذا قتلتك
 فمن يقتلكني .

قال : فسمعت الشـيـعةـ ذـلـكـ فـوـتـبـ مـالـكـ الـأـشـترـ وـ الـحـرـثـ بـنـ الـأـعـورـ وـ غـيـرـهـ مـاـ
 هـنـ الشـيـعةـ فـجـرـ دـوـاـ سـيـوـفـهـ وـ قـالـوـاـ :ـ ياـ أمـيـرـ المـؤـمـنـيـنـ مـنـ هـذـاـ الكلـبـ الذـيـ تـخـاطـبـهـ
 بمـثـلـ هـذـاـ الخطـابـ مـرـادـاـ وـ أـنـتـ اـمـاـنـاـ وـ وـلـيـنـاـ وـ اـبـنـ عـمـ نـبـيـنـاـ ،ـ فـمـرـنـاـ بـقـتـلـهـ ،ـ فـقـالـ ،ـ
 لـهـمـ :ـ اـغـمـدـوـ سـيـوـفـكـمـ بـارـكـ اللـهـ فـيـكـمـ وـ لـاـتـشـقـوـ عـصـاـ هـذـهـ الـأـمـةـ أـتـرـونـ أـنـيـ أـقـتـلـ رـجـلاـ

لم يصنع بي شيئاً .

فلما انصرف عليه إلى منزله اجتمعوا الشيعة وأخبر بعضهم بعضاً بما سمعوا وقالوا : إنَّ أمير المؤمنين عليه يغسل إلى الجامع وقد سمعتم خطابه لهذا المرادي و هو ما يقول إلا حقاً وقد علمتم عدله وإشفاقه علينا ونخاف أن يقتاله هذا المرادي فتعالوا نقترع على أن تحوطه كل ليلة منا قبليه .

فوقعت القرعة في الليلة الأولى والثانية والثالثة على أهل الكناس ، فتقىدوا سيفهم و اقبلوا في ليتهم إلى الجامع ، فلما خرج عليه رَأَاهُمْ على تلك الحالة فقال ما شأنكم ؟ فأخبروه فدعوا لهم فتبسم ضاحكاً ، وقال : جئتم تحفظونى من أهل السماء أم من أهل الأرض ؟ قالوا : من أهل الأرض ، قال : ما يكون شيء في السماء إلاً هو في الأرض وما يكون شيء في الأرض إلاً هو في السماء ثم تلى :

« قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا »

ثم أمرهم أن يأتوا منازلهم ولا يعودوا والملائكة ، ثم إنَّه صعد المآذنة وكان إذا نفعن يقول السماع ما اشبعه بصوت رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فتأهَّب الناس بصلة الفجر و كان إذا أذن يصل صوته إلى نواحي الكوفة كلها ، ثم نزل عليه فصَلَّى و كانت هذه عادته .

قال : و أقام ابن ملجم بالكوفة إلى أن خرج أمير المؤمنين عليه إلى غزاة النهر و ان فخرج ابن ملجم معه و قاتل بين يديه قتالاً شديداً فلما رجع إلى الكوفة وقد فتح الله على يديه قال ابن ملجم لعنه الله يا أمير المؤمنين أنا ذنلت لى أن أتقدمك إلى المصر لا بشرة أهلها بما فتح الله عليك من النصر ؟ فقال : ما ترجو بذلك ؟ قال : الشواب من الله والشكير من الناس و افرح الأولياء و اكمد الأعداء ، فقال : شأنك .

ثم أمر له بخلعة سنية و عما متين و فرسين و سيفين و رمحين فسار ابن ملجم و دخل الكوفة و جعل يخترق أرْقَتها و شوارعها ، وهو يبشر الناس بما فتح الله على أمير المؤمنين وقد دخله العجب في نفسه فانهني به الطريق إلى محله بنى تميم .

فمرّ على دار تعرف بالقيلة وهي أعلى دار بها و كانت قطام بنت سخينة بن عوف بن تيم اللات ، وكانت موصوفة بالحسن والجمال والكمال والبهاء ، فلما سمعت كلامه بعثت إليه و سأله النزول عندها ساعة لتسأله عن أهلها ، فلما قرب من منزلها وأراد النزول عن فرسه خرجت إليه ثم كشفت له عن وجهها و أظهرت له محسنهما .

فلما رآها أعجبته ووهاها من وقته فنزل عن فرسه ودخل إليها وجلس في دهليز الدار وقد أخذت بمجاميع قلبها فبساطاً ووضعت له متكتأً و أمرت خادمها أن تنزع أخفافه و أمرت له بما فossil وجهه فيديه و قدمت إليه طعاماً فاكلاً و شرب ، وأقبلت عليه تروحه من الحرّ فجعل لا يملُّ من النظر إليها وهي مع ذلك متبسمة في وجهه سافرة له عن تقابها بارزة عن جميع محسنهما ما ظهر منها وما بطن .

فقال لها أيتها الكريمة لقد فعلت اليوم بي ما وجب به بل ببعضه على مدحك و شكرك دهري كلّه فهو من حاجة أتشرف بها وأسعى في قضائهما ؟

قال : فسألته عن الحرب ومن قتل فيه فجعل يخبرها ويقول فلان قتل الحسن و فلان قتل الحسين إلى أن بلغ قومها وعشيرتها ، و كانت قطام لعنها الله على رأي الخوارج وقد قتل أمير المؤمنين في هذا الحرب من قومها جماعة كثيرة منهم أبوها وأخوها وعمّها ، فلما سمعت منه ذلك صرخت باكيّة ثم لطمّت خدّها و قامت من عنده و دخلت البيت وهي تندبهم طويلاً .

قال : فندم ابن ملجم فلما خرجت إليه قالت : يعز على فراقهم من لي بعدهم أفالا ناصر ينصرني و يأخذنى بشارى ريكشف عن عاري فكنت أحب له نفسى وأمكنته منها و من مالى و جمالى ، فوق لها ابن ملجم وقال لها : غضى صوتك و ارققى بنفسك فانك تعطين مرادك .

قال : فسكتت من بكائها و طمعت في قوله ، ثم أقبلت عليه بكلامها وهي كاشفة عن صدرها و مسبلة شعرها ، فلما تمكّن هواها من قلبها مال إليها بكلبيته ثم جذبها

إِلَيْهِ وَقَالَ لَهَا : كَانَ أَبُوكَ صَدِيقًا لِي وَقَدْ خَطَبْتِكَ مِنْهُ فَأَنْعَمْتَ لِي بِذَلِكَ فَسِيقًا إِلَيْهِ الْمَوْتَ فَزُوَّجْتِنِي نَفْسَكَ لَا تَخْذُلْكَ بِشَارِكَ.

قَالَ : فَفَرَحْتُ بِكَلَامِهِ وَقَالَتْ قَدْ خَطَبْنِي الْأَشْرَافُ مِنْ قَوْمِي وَسَادَاتِ عَشِيرَتِي فَمَا انْعَمْتَ إِلَّا لَمْنَ يَأْخُذْ لِي بِشَارِي وَلَمَّا سَمِعْتُ عَنْكَ أَنْتَ تَقاوِمُ الْأَقْرَانَ وَتَقْتَلُ الشَّجَاعَنَ فَأَحَبَبْتُ أَنْ تَكُونَ لِي بِعِلَادًا كَوْنَ لَكَ أَهْلًا.

فَقَالَ لَهَا : فَإِنَّا وَاللَّهِ كَفُوْ كَرِيمٌ فَاقْرَحِي عَلَى مَا شَاءْتَ مِنْ مَالٍ وَفَعَالٍ، فَقَالَتْ لَهُ : إِنْ قَدَمْتَ عَلَى الْعَطِيَّةِ وَالشَّرْطِ فَهَا أَنَا بَيْنَ يَدِيكَ فَتَحْكُمْ كَيْفَ شَاءْتُ ، فَقَالَ لَهَا : وَمَا الْعَطِيَّةِ وَالشَّرْطِ ؟ فَقَالَتْ لَهُ : أَمْسَا الْعَطِيَّةَ ثَلَاثَةَ آلَافَ دِينَارٍ وَعَدْ وَقِينَةً (١) فَقَالَ هَذَا أَنَمْلَىٰ بِهِ ، فَمَا الشَّرْطُ الْمُذَكُورُ ؟ قَالَتْ : نَمْ عَلَى فَرَاشَكَ حَتَّىٰ أَعُودُ إِلَيْكَ.

نَمْ إِنْتَهَا دَخَلْتُ خَدْرَهَا فَلَبِسْتُ أَفْخَرَ نِيَابِهَا وَلَبِسْتُ قَمِيصًا رَقِيقًا يَرِى صَدْرَهَا وَحَلِيتَهَا وَزَادَتْ فِي الْحَلَّىٰ وَالْطَّيِّبِ وَخَرَجْتُ فِي مَعْصِرَهَا فَجَعَلْتُ تَبَاشِرَهُ بِمَحَاسِنِهِ الْيَرِى حَسَنَهَا وَجَمَالَهَا ، وَأَرْخَتْ عَشْرَةَ ذُوَابٍ مِنْ شِعْرَهَا مَنْظُومَةً بِالدَّرْجَاتِ وَالْجَوَاهِرِ .

فَلَمَّا دَخَلْتُ إِلَيْهِ أَرْخَتْ لِثَامِنَهَا عَنْ وَجْهِهَا وَرَفَعْتُ مَعْصِرَهَا (٢) وَكَشَفْتُ عَنْ صَدْرَهَا وَاعْكَانَهَا وَقَالَتْ : إِنْ قَدَمْتَ عَلَى الشَّرْطِ الْمُشَرَّطِ ظَفَرْتَ بِهِذَا جَمِيعَهُ وَأَنْتَ مَسْرُورٌ مَغْبُوطٌ.

قَالَ : فَمَدَّ أَبْنَى مَلْجَمَ عَيْنِيهِ إِلَيْهَا فَحَارَ عَقْلُهُ وَهُوَ لَحِينَهُ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ سَاعَةً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ : يَا مَنْيَةَ النَّفْسِ مَا شَرْطَكَ فَاذْكُرْهِ لِي فَإِنِّي سَأْفَلُهُ وَلَوْ كَانَ دُونَهُ قَطْعَ القَفَارِ وَخُوضَ الْبَحَارِ وَقَطْعَ الرَّؤُوسِ وَاخْتِلاَسَ النَّفْسَوْنِ ، قَالَتْ لَهُ الْمَلْعُونَةُ : شَرْطِي عَلَيْكَ أَنْ تَقْتَلَ عَلَيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ بِضَرْبَةٍ وَاحِدَةٍ بِهَذَا السَّيِّفِ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ يَأْخُذُنَهُ مَا يَأْخُذُ وَيَبْقَى مَا يَبْقَى.

١- الْقِبَنَهُ الْأَمَمَهُ الْمُنْتَهَىُهُ أَوَ الْأَعْمَمُ .

٢- نَوبَ صَبَغَ بِالْمَصْفَرِ وَهُوَ نَبْتٌ .

فلما سمع ابن ملجم كلامه استرجع و رجع إلى عقله و اغاظه و أقلقه ثم صاح بأعلى صوته : ويحك ما هذا الذي واجهتني به بشّ ما حد تتك به نفسك من المحال ، ثم طأطاً رأسه يسيل عرقا و هو متفكّر في أمره ، ثم رفع رأسه إليها وقال :

ويلك من يقدر على قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب المستجاب الدعاء المنصور من السماء ، والأرض ترجم من هيبته ، و الملائكة تسرع إلى خدمته . يا ويلك و من يقدر على قتل علي بن أبي طالب و هو مؤيد من السماء ، و الملائكة تحوطه بكرة و عشية ، ولقد كان في أيام رسول الله إذا قاتل يكون جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره و ملك الموت بين يديه فمن هو هكذا لآحد بقتله ولا سبيل له مخلوق على أقيمه .

و مع ذلك فانه قد أعزني وأكرمني وأحببني ورفعني و آثرني على غيري ، فلا يكفي ذلك جزاوه مني أبداً ، فإن كان غيره قاتل لك شر قتلة ولو كان أفرس أهل زمانه ، و أمّا أمير المؤمنين فلا سبيل لي عليه .

قال : فصبرت عنه حتى سكن غيظه و دخلت معه في المداعبة والملاعبة وعلمت أنه قد نسى ذلك القول ، ثم قالت له : يا هذا ما يمنعك عن قتل علي بن أبي طالب و ترغب في هذا المال و تتشمم هذا الجمال و ما أنت بأعف و أزهد من الذين قاتلوك و قتلهم و كانوا من الصنوامين والقوامين ، فلما نظروا إليه وقد قتل المسلمين ظلما و عدوا انا اعتزلوه و حاربوه ، ومع ذلك فانه قد قتل المسلمين و حكم بغير حكم الله و خلع نفسه من الخلافة و امرة المؤمنين ، فلما رأوه قومي على ذلك اعتزلوه فقتلهم بغير حجة له عليهم .

فقال له ابن ملجم : يا هذه كثيّ عنّي فقد أفسدت على ديني و أدخلت الشك في قلبي و ما أدرى ما أقول لك وقد عزمت على رأي ثم أشدت :

ثلاثة آلاف عبد و قينة و ضرب على بالحسام المصمم

ولافتكم (١) إلا دون فتك ابن ملجم
اليه و لبّي من محلّ و محرّم
لمنها على شكّ عظيم مذهب
أخى العلم الهادى النبى المكرّم

فلا مهر أгла من قطام و ان غالا
فأقسمت بالبيت الحرام ومن أتى
لقد أفسدت عقلى قطام و اتنى
لقتل على خير من وطا الشرى
ثم امسك ساعة وقال:
فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة
ثلاثة آلاف و عبد و قينة
فلا مهر أгла من على وإن غالا
فأقسمت بالبيت الحرام ومن أتى
لقد خاب من يسعى لقتل إمامه
إلى آخر ما أنسد من الآيات ثم قال لها : أجلينى ليلى هذه حتى أنظر في أمرى
و آتيك غدا بما يقوى عليه عزمي .

فلما هم بالخروج أقبلت إليه وضمه إلى صدرها و قبلت ما بين عينيه و أمرته
بالاستعجال في أمرها و سايرته إلى باب الدار وهي تشجعه و انشدت له أبيات، فخرج
الملعون من عنده وقد سلبت فؤاده وأذهبت رقاده ورشاده، فبات ليلة قلقامه فگرأ فمرأ
يعاتب نفسه و مرأة يفکر في دنياه و آخرته .

فلما كانت وقت السحر أتاه طارق فطرق الباب فلما فتحه إذا برجل من بنى
عمه على نجيب وإذا هورسول من إخوته إليه يعزّونه في أبيه وعمه و يعرفونه أنه خلّف
مالا جزيلا و أنسهم دعوه سريعا ليحوز ذلك المال.

فلما سمع ذلك بقى متغيرا في أمره إذ جاءه ما يشغله عما عزم عليه من أمر
قطام فلم يزل مفكرا في أمره حتى عزم على الخروج ، و كان له أخوان لا يبهواه
كانت من زيد يقال لها عدنية وهي ابنة علي بن ماشوج و كان أبوه مرادي، و كانوا
يسكنون عجران صنعا .

١- الفتى مثلثة ركب ماهم من الامور ودعت اليه النفس وفتى يفتى فهو فاتك جرى،
شجاع وفتى به انتهز منه فرصة قتله او جرحه مجاهراً واعما، ق

فلمَّا وصل إلى النجف ذكر قطام ومنزلتها في قلبه ورجع إليها فلما طرق الباب اطلعت عليه وقالت من الطارق؟ فعرفته على حالة السفير فنزلت إليه وسلمت عليه وسألته عن حاله فأخبرها بخبره وعدها بقضاء حاجتها إذا رجع من سفره وتملكها جميع ما يجيء به من المال، فعدلت عنه مغضبة فدئي منها وقبلها وودعها وخلف لها أنه يبلغها مأمولها في جميع ما سأله

فخرج وجاء إلى أمير المؤمنين وأخبره بما جازوا إليه لأجله وسأله أن يكتب إلى ابن المنتجب كتاباً ليعينه على استخلاص حقه فأمر كاتبه فكتب له ما أراد

ثم أعطاه فرساً من حياد خيله فخرج وناس سيراً حتى وصل إلى بعض أودية اليمن، فأظلم عليه الليل فبات في بعضها، فلما مضى من الليل نصفه إذا هو بزعة عظيمة من صدر الوادي ودخان يفور ونار مضمرة فانزعج لذلك وتغير لونه ونظر إلى صدر الوادي وإذا بالدخان قد أقبل كالجبل العظيم وهو واقع عليه والنار تخرج من جوانبه، فخر مغشياً عليه فلما أفاق وإذا بها تف يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول:

إسمع وع القول يا بن ملجم	إنك في أمرٍ مهولٍ معظمٍ
تضمر قتل الفارق المكرم	أكرم من طاف ولبي وأحرم
ذاك على ذوالبقاء الأقدم	فارجع إلى الله لكيلا تندم

فلما سمع توهِّم أنه من طوارق الجن وإذا بالهاتف يقول:

يا شقي ابن الشقى أما ما أضمرت من قتل الزاهد العابد العادل الرائع الساجد إمام الهدى وعلم التقى والعروة الوثقى فانتَ علمتنا بما تريده أن تفعله بأمير المؤمنين ونحن من الجن الذين أسلمنا على يديه ونحن نازلون بهذا الوادي فانتَ لاندعك تبيت فيه فانتَ ميسوم على نفسك ثم جعلوا ايرمونه بقطع الجنادل فصعد فوق شاهق فبات بقية ليله.

فلمَّا أصبح سار ليلاً ونهاراً حتى وصل إلى اليمن وأقام عندهم شهرٌ وقلبه على حرّ الجمر من أجل قطام نم إنته أخذ الذي أصابه من المال والمتاع والاثاث

والجوهر و خرج .

فيينا هو في بعض الطريق إذا خرجت عليه حرامية فسايرهم و سايروه فلما قربوا من الكوفة حاربوه وأخذوا جميع ما كان معه ونجى بنفسه وفرسه وقليل من الذهب على وسطه وما كان تحته ، فهرب على وجهه حتى كاد أن يهلك عطشاً . وأقبل سائراً في الفلاة مهموما جائعاً عطشاناً فلاح له شبح فقصده ، فإذا بيت من أبيات الحرب فقصد منها بيتاً فنزل عندهم واستستقاهم شربة ماء فسقوه وطلب لبنا فأتوه به فنام ساعة .

فلما استيقظ أتاه رجالن وقدما إليه طعاماً فأكل وأكل معه وجعله يسألنه عن الطريق فأخبرهما ، ثم قال له : ممّن الرّجل ؟ قال : من مراد ، قال : أين تقصد ؟ قال : الكوفة ، قال : كانك من أصحاب أبي تراب ؟ قال : نعم ، فاحمرت أعينه ماغيظاً وعزم على قتله ليلاً ، وأسرّاً ذلك ونهضا ، فتيّن له ماعز ما عليه فندم على كلامه فبيّنما هو متّحير إذ أقبل كلبه ونام قريباً منهم ، فأقبل اللعين يمسح بيده على الكلب ويشفع عليه ويقول مرحب بالكلب قوم أكرموني فاستحسننا ذلك وسأله ما اسمك ؟ قال : عبد الرحمن بن ملجم ، فقال له : ما اردت بصنفك هذا في كلبنا ؟ فقال : أكرمنه لا جلكم حيث أكرمنوني فوجب على شكركم وكان هذامنه خديعة ومكرأً فقال : الله أكبر الآن والله وجب حقدك علينا ونحن نكشف لك عمّا في ضمائرك نحن نرى رأى الخوارج وقد قتل أعمامنا وأخوتنا وأهالينا كما علمت ، فلما أخبرتنا أنت من أصحابه عزمنا على قتلك في هذه الليلة فلما رأينا صنفك هذا بكلبة صفحنا عنك ونحن الآن نطلعك على ما قد عزمنا عليه فسألناه عن أسمائهم فقال أحدهم أنا البرك بن عبد الله التميمي ، وهذا عبد الله بن عثمان العنبرى صهري وقد نظرنا إلى ما نحن عليه من مذهبنا فرأينا أن فساد الأرض والأمة كلها من ثلاثة نفر أبو « أبي ظ» تراب ، ومعاوية وعمرو بن العاص ، فاما أبو تراب فإنه قتل رجالنا كما رأيت وافتكرنا أيضاً في الرّجلين معاوية وابن العاص وقد ولها علينا هذا الفظالم الشّوّم بسر بن أرطاة يطرقنا في كل وقت ويأخذ أموالنا و قد عزمنا على قتل هؤلاء

الثلاثة فإذا قتلناهم توطنوا الأرض واقعد الناس لهم أهاماً يرضوه
فلمّا سمع ابن ملجم كلامهما صدق باحدى يديه على الأخرى وقال : والذي
فلق الحبة وبره النسمة وتردى بالعظمة إني لثالثكم وإنّي موافقكم على رأيكما
وأنا أكفيكم أمر عليّ بن أبي طالب

فنظرا إليه متعجبين من كلامه قال والله ما أقول لكم إلا حقّنا ، ثم ذكر لهما
قصته فلما سمعا كلامه عرفا صحته وإنّ قطام من قومنا وأهلها كانوا من عشيرتنا
فنحن نحمد الله على اتفاقنا فهذا لا يتم إلا بالإيمان المغلظة فنركب الآن مطابانا
ونأتي الكعبة ونتعاقد عندها على الوفاء

فلما أصبحوا وركبوا حضر عندهم بعض قومهم فأشاروا عليهم وقالوا لا تفعلوا
ذلك فما منكم أحد إلا ويندم ندامة عظيمة ، فلم يقبلوا وساروا جميعاً حتى أتوا البيت
وتعاهدوا عنده .

فقال البرك : أنا العمر وبن العاص ، وقال العنيري : أنا لمعاوية ، وقال ابن ملجم
لعنه الله : أنا لعليّ ، فتحالفوا على ذلك باليمان المغلظة ودخلوا المدينة وحلقوها عند
قبر النبيّ على ذلك ثم افترقوا وقد عينوا يوماً معلوماً يقتلون فيه الجميع ، ثم سار
كلّ منهم على طريقه

فاما البرك فأتى مصر ودخل الجامع وأقام فيه أيامها ، فخرج عمر وبن العاص
ذات يوم إلى الجامع وجلس فيه بعد صلاته فجاء البرك إليه وسلم عليه ثم حاد به
في فنون الأخبار وطرف الكلام والأشعار ، فشعف به عمر وبن العاص وقر به وآذنه وصار
ياكل معه على مائدة واحدة ، فاقام إلى الليلة التي تواعدوا فيها فخرج إلى نيل مصر وجلس مفكراً
فلما غربت الشمس أتى الجامع وجلس فيه

فلما كان وقت الافطار اتقده عمرو بن العاص فلم يره فقال لولده : ما فعل
صاحبنا وأين مضى فأنبى لا أراه فبعث إليه يدعوه فقال له : إن هذه الليلة ليست
كالليلي وقد أحبيت أن أقيم ليلتي هذه في الجامع رغبة فيما عند الله وأحب أن أشرك
للأمير في ذلك .

فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْهِ وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ سَرَّهُ سُرُورًا عَظِيمًا وَبَعْثَ إِلَيْهِ مَائِدَةً فَأَكَلَ وَبَاتَ لِيَلَتِهِ يَنْتَظِرُ قَدْوَمَ عُمَرَ ، وَكَانَ هُوَ الَّذِي يَصْلَى بِهِمْ فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ طَلَوْعِ الْفَجْرِ أَقْبَلَ الْمُؤْذِنُ إِلَى بَابِ عُمَرَ وَأَذَّنَ وَقَالَ : الصَّلَاةُ يَرْحَمُكُ اللَّهُ الصَّلَاةُ .

فَاقْتَبَهُ فَأَتَى بِالْمَاءِ وَتَوَضَّأَ وَتَطْبَّ وَذَهَبَ لِيَخْرُجَ إِلَى الصَّلَاةِ فَزَلَّتْ فَوْقَ عَلَى جَنْبِهِ فَاعْتَوْرَهُ عَرْقُ النِّسَاءِ فَاسْغَلَتْهُ (فَشَغَلَتْهُ خَلْ) عَنِ الْخُرُوجِ ، فَقَالَ قَدْمُوا خَارِجَةً ابْنَ تَمِيمَ الْقَاضِيِّ يَصْلَى بِالنَّاسِ ، فَأَتَى الْقَاضِيَ وَدَخَلَ الْمُحَرَّابَ فِي غَلَسٍ فَجَاهَ الْبَرَكَ فَوَقَفَ خَلْفَهُ وَسَيِّفَهُ تَحْتَ ثِيَابِهِ وَهُوَ لَا يُشَكُّ أَنَّهُ عُمَرٌ فَأَمْهَلَهُ حَتَّى سُبُّ وَجَلَسَ مِنْ سُجُودِهِ فَسُلِّمَ سَيِّفُهُ وَنَادَى

لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَلَا طَاعَةَ لِمَنْ عَصَى اللَّهَ ثُمَّ ضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى أُمُّ رَأْسِهِ فَقُضِيَ نَحْبَهُ لِوقْتِهِ ، فَبَادَرَ النَّاسُ وَقَبَضُوا عَلَيْهِ وَأَخْذُونَهُ سَيِّفَهُ مِنْ يَدِهِ وَأَوْجَعُوهُ ضَرَبًا وَقَالُوا لَهُ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ قَتَلْتَ رَجُلًا مُسْلِمًا ساجِدًا فِي مُحَرَّابِهِ فَقَالَ : يَا حَمِيرَ أَهْلَ مَصْرِ إِنَّهُ يَسْتَحْقُ الْقَتْلَ قَالُوا : بِمَاذَا وَيْلَكَ ؟ قَالَ : لِسُعْيِهِ فِي الْفَتْنَةِ لَا تَنْهَا الدَّاهِيَةَ الدَّهْمَاءَ الَّذِي أَنْارَ الْفَتْنَةَ وَنَبَذَهَا وَقَوَّاهَا وَزَبَّينَ لِمَعاوِيَةَ مُحَارَبَةَ عَلَيِّ

فَقَالُوا لَهُ : يَا وَيْلَكَ مَنْ تَعْنِي ؟ قَالَ : الطَّاغِي الْبَاغِيُّ الْكَافِرُ الزَّنْدِيقُ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ الَّذِي شَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ وَهَتَّكَ حِرْمَةَ الدِّينِ ، قَالُوا : لَقَدْ خَابَ ظَنِّكَ وَطَاشَ سُهْمُكَ إِنَّ الَّذِي قَتَلْتَهُ مَا هُوَ إِنَّمَا هُوَ خَارِجَةً ، فَقَالَ يَا قَوْمَ الْمُعَذْرَةِ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ فَوَاللَّهِ مَا أَرْدَتُ خَارِجَةً وَإِنَّمَا أَرْدَتُ قَتْلَ عُمَرَ

فَأَوْنَقُوهُ كَتَافًا وَأَتَوْا بِهِ إِلَى عُمَرَ ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : أَلِيْسَ هَذَا هُوَ صَاحِبُنَا الْمَحْجَازِيِّ قَالُوا لَهُ : نَعَمْ قَالَ : هَا بِالْهِ ؟ قَالُوا : إِنَّهُ قَدْ قَتَلَ خَارِجَةً فَدَهَشَ عُمَرُ بِذَلِكَ وَقَالَ :

إِنَّ اللَّهَ وَإِنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَلَا حُولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

نَهَّ التَّفْتَ إِلَيْهِ وَقَالَ : يَا هَذَا الْمَلِمُ فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ لَهُ وَاللَّهُ يَا فَاسِقَ مَا طَلَبْتَ غَيْرَكَ وَلَا أَرْدَتْ سُوَاكَ ، قَالَ : وَلَمْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : إِنَّ سَاثِلَانَةَ تَعَاوَدُنَا بِمَكَّةَ عَلَى قَتْلِكَ وَقَتْلِ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَقَتْلِ مَعَاوِيَةَ فِي هَذِهِ الْلَّيْلَةِ ، فَانْصَدَقَ صَاحِبَيِّ فَقَدْ قَتَلَ عَلَى بِالْكَوْفَةِ وَمَعَاوِيَةَ بِالشَّهْرِ اِنَّمَا أَنْتَ قَدْ سَلَمْتَ ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا غَلامَ احْبَسْهُ حَتَّى نَكْتُبَ إِلَى مَعَاوِيَةَ ، فَحَبَسَهُ

حتى أمره معاوية يقتله فقتله .

وأمام عبد الله العنيري فقصد دمشق واستخبر عن معاوية فارشد إليه فجعل يتربّد إلى داره فلا يتمكّن من الدخول عليه إلى أن أذن معاوية يوماً للناس إذنا عاماً فدخل إليه مع الناس وسلم عليه وحادته ساعة وذكر له ملوك قحطان ومن له كلام مصيّب حتى ذكر لهبني عمّه وهو أول ملوك قحطان وشيئاً من أخبارهم فلما تفرّقا بقي عنده مع خواصّ أصحابه و كان فصيحاً خيراً بآنساب العرب وأشعارهم .

فاحبّه معاوية حباً شديداً فقال : قد أذنت لك في كلّ وقت نجلس فيه أن تدخل علينا من غير مانع ولا دافع ، فكان يتربّد إليه إلى ليلة تسع عشرة و كان قد عرف المكان الذي يصلّى فيه معاوية .

فلما أذن المؤذن للفجر وأتى معاوية المسجد ودخل محرابه ثار إليه بالسيف وضربه فراغ عنه ، فأراد ضرب عنقه فانصاع عنه فوقع السييف في إليته وكانت ضربته ضربة جبان ، فقال معاوية : لا يفوتككم الرجل فاستخلف بعض أصحابه للصلوة ونهض إلى داره .

وأما العنيري فأخذ الناس وأونقوه وأتوا به إلى معاوية وكان مغشياً عليه فلما أفاق قال له : ويلك ياكلع لقد خاب ظني فيك ما الذي حملك على هذا ؟ فقال له : دعني من كلامك أعلم أنّنا ثلاثة تحالفنا على قتلك وقتل عمرو بن العاص وعلي بن أبي طالب فان صدقوا أصحابي فقد قتل عليّ وعمرو ، وأما أنت فقد روغ أجلك كروغك الثعلب .

قال له معاوية : على رغم أنفك فامر به إلى الحبس فأتاه الساعدي وكان طيباً فلما نظر إليه قال له ، اختر إحدى الخصلتين إما أن أحمي حديدة فأضعها موضع السييف ، وإما أن أسقيك شربة تقطع منك الولد وتبره منها ، لأنّ ضربتك مسمومة فقال معاوية أما النصار فلا صبر لي عليها ، وأما انقطاع الولد فان فيزيد

وعبد الله ما تقر به عيني ، فسقاه الشّربة فبرىء ولم يولد له بعدها .

وأما ابن ملجم لعنه الله فإنه سار حتى دخل الكوفة واجتاز على الجامع و كان أمير المؤمنين جالساً على باب كندة فلم يدخله ولم يسلم عليه ، وكان إلى جانبيه الحسن والحسين و معه جماعة من أصحابه فلما نظروا إلى ابن ملجم و عبوره قالوا : ألا تزني إلى ابن ملجم عبر ولم يسلم عليك ؟ قال : دعوه فإن له شأن من الشأن ، والله ليخضبن هذه من هذه وأشار إلى لحيته وهامته ثم قال : ما من المؤت لانسان نجا كلّ امرء لا بدّ يأتيه الفنا

لكلّ شيء مدة و انتهاء	تبارك الله و سبحانه
اماً و يأتيه عليه القضاء	يقدر الانسان في نفسه
لكلّ شيء آخر و انتقامه	لا تامنن الدهر في أهله
يمسى و قد حلّ عليه القضا	يبين ترى الانسان في غبطة

نم جعل يطيل النظر إليه حتى غاب عن عينه وأطرق الأرض يقول : إِنَّا لَهُ وَإِنَّا
إِلَيْهِ راجعون ولا حول ولا قوّة إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

قال : و سار ابن ملجم حتى وصل إلى دار قطام وكانت قد ایست من رجوعه إليها ، و عرضت نفسها على بنى عمها و عشيرتها و شرطت عليهم قتل أمير المؤمنين فلم يقدم أحد على ذلك ، فلما طرق الباب قالت من الطارق ؟ قال : أنا عبد الرحمن ، ففرحت قطام به و خرجت إليه و اعتنقته و دخلته دارها و فرشت له فرش الدّياباج و احضرت له الطعام والمدام فأكل و شرب حتى سكر و سالتها عن حاله فحدثتها بجميع ماجرى له في طريقه .

نم أمرته بالاغتسال و تغيير ثيابه ، ففعل ذلك و امرت جارية لها فرشت الدّار بأنواع الفرش و حضرت له شراباً و جواري فشرب مع الجوار و هن يلعنون له بالعیدان و المعازف (١) و الدّفوف فلما أخذ الشراب منه أقبل عليها و قال : ما بالك لاتجالسيني ولا تحادثيني يا قرة عيني ولا تماز حيني ، فقالت له : بلى سمعاً و طاعة

١- المعازف الملاهي كالعود والطنبور وشبه الواحد معزف كمنبر ق

ثم انْهَا نهضت و دخلت إلى خدرها و لبست أفعُر ثيابها و تزيينٍ و تطبيت و خرجت إليه وقد كشفت له عن رأسها و صدرها و نمودها و أبرزت له عن فخذها وهي في طاق غلالة رومي يمْسِن له منها جميع جسدها و هي تتبَختر في مشيتها والجوار حولها يلعنَ.

فقام الملعون و اعتنقها و ترشقها (١) و حملها حتى أجلسها مجلسها وقد بدت و تحيروا ستحوذ عليه الشيطان فضررت بيدها على زر قميصها فحملته و كان في حلقة عقد جوهر ليست له قيمة فلما أراد مجتمعتها لم تتمكنه من ذلك فقال لم تمانعني عن نفسك و أنا وأنت على العهد الذي عاهدناك عليه من قتل علي ولو أحببت لقتلت معه شبليه الحسن والحسين.

ثم ضرب بيده على هميانه فحمله من وسطه ورماه إليها و قال خذيه فإن فيه أكثر من ثلاثة آلاف دينار وعبد وقينة ، فقالت له والله لا يمكنك من نفسى حتى تحالفى بالإيمان المغلظة إنك تقتلهم فحملته القساوة على ذلك و باع آخرته بدنياه و تحكم الشيطان فيه بالإيمان المغلظة إنْه يقتله ولو قطعوه ارباً ارباً.

فمالت إليه عند ذلك وقبلتها فأرادوطيما فما نعمته وبات عندها تلك الليلة من غير نكاح فلما كان من الغد تزوج بها سرًا و طاب قلبها فلما أفاق من سكرته ندم على ما كان منه و عاتب نفسه و لعنها فلم تزل ترادة في كل ليلة و تعدد بوسائلها فلما دانت الليلة الموعودة مديده إليها يلاضاجعها ويجامعها فأبْتَ عليه وقالت ما يكرون ذلك إلا أن تقى بوعده و كان الملعون اتعلاً علة شديدة فيبره منها ، و كانت الملعونة لا تتمكنه من نفسها مخافة أن تبرد ناره فيدخل بقضاء حاجتها.

فقال لها يا قطام : اقتل لك في هذه الليلة على بن أبي طالب فأخذ سيفه ومضى به إلى الصيقيل فأجاد صقاله وجاء به إليها فقالت إنِّي أريد أن أعمل فيه سمسًا قال : و ما تصنع بالسم لوقع على جبل لهده ، فقالت : دعني أعمل فيه السم فانك لو رأيت علياً لطاش عقلك و ارتعشت يداك و ربما ضربته ضربة لاتعمل فيه

شيئاً، فإذا كان مسموماً فان لم تعمـل الضـيرـة عمل السـمـ .
 فقال لها : يا ولـك أتخـوـفـينـي من عـلـيـهـ فـوـالـلـهـ لاـأـرـهـ عـلـيـاـ وـلـاـغـيـرـهـ ، فـقـالـتـ لهـ :
 دـعـنـيـ منـ قـوـلـكـ هـذـاـ فـاـنـ عـلـيـاـ لـيـسـ كـمـنـ لـاتـيـتـ منـ الشـبـعـانـ فـاطـرـتـ فـيـ مـدـحـهـ
 وـ ذـكـرـتـ شـبـاعـتـهـ وـ كـانـ غـرـضـهـ أـنـ يـحـمـلـ الـمـلـعـونـ عـلـىـ الغـضـبـ وـ يـحـرـضـهـ عـلـىـ الـأـمـرـ
 فـأـخـذـتـ السـيـفـ وـ اـنـفـذـتـ إـلـىـ الصـيـقـلـ فـسـقاـهـ السـمـ وـ رـدـهـ إـلـىـ غـمـدهـ
 وـ كـانـ اـبـنـ مـلـجـمـ قـدـخـرـجـ فـيـ ذـلـكـ الـيـوـمـ وـ يـمـشـيـ فـيـ أـزـقـةـ الـكـوـفـةـ فـلـقـاهـ صـدـيقـ
 لـهـ وـ هـوـ عـبـدـالـلـهـ بـنـ جـاـبـرـ الـحـارـثـيـ فـسـلـمـ عـلـيـهـ وـ هـنـاـ بـزـواـجـ قـطـامـ ،ـ ثـمـ تـحـادـنـاـ
 سـاعـةـ فـحـدـثـهـ بـحـدـيـثـهـ مـنـ أـوـلـهـ إـلـىـ آـخـرـهـ فـسـرـ بـذـلـكـ سـرـورـاـ عـظـيمـاـ ،ـ فـقـالـ لـهـ :ـ
 أناـ اـعـاـونـكـ .

فـقـالـ اـبـنـ مـلـجـمـ :ـ دـعـنـيـ مـنـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ فـاـنـ عـلـيـاـ أـرـوـغـ مـنـ الشـعـلـبـ وـأـشـدـ
 مـنـ الـأـسـدـ ،ـ ثـمـ مـضـىـ اـبـنـ مـلـجـمـ لـعـنـهـ اللـهـ بـدـورـ فـيـ شـوـارـعـ الـكـوـفـةـ ،ـ فـاجـتـازـ عـلـىـ أـمـيرـ
 الـمـؤـمـنـينـ وـ هـوـ جـالـسـ عـنـدـ مـيـشـ التـسـمـارـ فـخـطـفـعـنـهـ كـيـلاـ يـرـأـفـقـطـ بـهـفـيـعـتـ خـلـفـهـ رـسـوـلـ
 فـلـمـاـ أـنـاهـ وـقـفـ بـيـنـ يـدـيـهـ وـ سـلـمـ عـلـيـهـ وـ تـضـرـعـ لـدـيـهـ .

فـقـالـ لـهـ :ـ مـاـ تـعـمـلـ هـنـاـ ؟ـ قـالـ :ـ أـطـوـفـ فـيـ أـسـوـاقـ الـكـوـفـةـ وـ أـنـظـرـ إـلـيـهـاـ ،ـ فـقـالـ
 عـلـيـكـ بـالـمـسـاجـدـ فـاـنـهـاـ خـيـرـ لـكـ مـنـ الـبـقـاعـ كـلـهاـ وـ شـرـهـاـ الـاسـوـاقـ مـالـمـ يـذـكـرـ اـسـمـ اللـهـ
 فـيـهـاـ ثـمـ حـادـهـ سـاعـةـ وـ اـنـصـرـ .

فـلـمـاـ وـلـىـ جـعـلـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ يـطـيلـ النـظـرـ إـلـيـهـ وـ يـقـولـ يـالـكـ مـنـ عـدـوـ لـىـ مـنـ
 مـرـادـ ثـمـ قـالـ :ـ اـرـيدـ حـيـاتـهـ وـ يـرـيدـ قـتـلـيـ ،ـ وـ يـأـبـيـ اللـهـ إـلـاـ أـنـ يـشـاءـ .

ثـمـ قـالـ عـلـيـهـ يـأـمـيـشـ هـذـاـ وـالـلـهـ قـاتـلـيـ لـاـمـحـالـةـ أـخـبـرـنـيـ بـهـ حـبـيـبـيـ رـسـوـلـ اللـهـ عـلـىـهـ كـلـهـ ،ـ
 فـقـالـ مـيـشـ :ـ يـاـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ فـلـمـ لـاـنـقـتـلـهـ أـنـتـ قـبـلـ ذـلـكـ ؟ـ فـقـالـ :ـ يـاـ مـيـشـ لـاـ يـحـلـ الـقـصـاصـ
 قـبـلـ الـفـعـلـ ،ـ فـقـالـ مـيـشـ يـاـ مـوـلـايـ إـذـاـنـ تـقـتـلـهـ فـاطـرـهـ ،ـ فـقـالـ :ـ يـاـ مـيـشـ لـوـلـآـيـةـ فـيـ
 كـتـابـ اللـهـ :ـ

« يـمـحـوـ اللـهـ مـاـ يـشـاءـ وـ يـثـبـتـ وـ عـنـدـهـ أـمـ الـكـتـابـ ».ـ

وأيضاً أتَهُ بَعْدَ مَا جَنَاحْنَاهُ يَؤْخُذُ بِهَا وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَعْاقِبَ قَبْلَ الْفَعْلِ ، فَقَالَ مَيْمُونٌ :
جَعَلَ يَوْمَنَا قَبْلَ يَوْمِكَ وَلَا أَرَانَا اللَّهَ فِيكَ سُوءاً أَبْدَأَ وَمَتَى يَكُونُ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟
فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَفَرَّدُ بِخَمْسَةِ أَشْيَاءٍ لَا يَطْلُعُ عَلَيْهَا نَبِيٌّ مَرْسُولٌ وَلَا مَلِكٌ مَقْرُوبٌ فَقَالَ عَزَّ
مِنْ قَائِلٍ :

«إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» الآية.

يَا مَيْمُونَ هَذِهِ خَمْسَةِ لَا يَطْلُعُ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ وَمَا اطْلَعَ عَلَيْهَا نَبِيٌّ وَلَا وَصِيٌّ وَلَا مَلِكٌ
مَقْرُوبٌ ، يَا مَيْمُونَ لَا حَدَرٌ مِنْ قَدْرٍ ، يَا مَيْمُونَ إِذَا جَاءَ الْقَضَاءَ فَلَا مُفْرِرٌ ، فَرَجَعَ ابْنَ
مَلْجَمٍ وَ دَخَلَ عَلَى قَطَامٍ لَعْنَهُمَا اللَّهُ وَ كَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ لِيَلَةَ تِسْعَ عَشَرَ مِنْ
شَهْرِ رَمَضَانَ .

قَالَتْ أُمُّ كَاثِرَةَ بْنَتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَمَّا كَانَتْ لِيَلَةَ تِسْعَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ
رَمَضَانَ قَدِمَتْ إِلَيْهِ عَنْدَ افْتَارِهِ طَبِقاً فِيهِ قَرْصَانَ مِنْ خَبْزِ الشَّعِيرِ وَ قَصْعَةَ فِيهَا لِبَنٌ
وَ مَلْحٌ جَرِيشٌ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ أَقْبَلَ عَلَى فَطْوَرِهِ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ وَ تَأْمَلَهُ حَرَكَ
رَأْسَهُ وَ بَكَى بَكَاهُ شَدِيداً عَالِياً وَ قَالَ : يَا بَنِيَّهُ مَا ظَنَنْتُ أَنْ بَتَّأَنْسُوهُ أَبَاهَا كَمَا قَدَّاسَاتِ
أَنْتَ إِلَيَّ ، قَالَتْ : وَ مَاذَا يَا أَبَا ؟ قَالَ : يَا بَنِيَّهُ أَنْقَدَ مِنِّي إِلَى أَبِيكَ ادَمَيْنِ فِي فَرْدٍ طَبِقَ
وَاحِدٌ أَتَرِيدُ أَنْ يَطْوُلَ وَقْوَيْ غَدَأً بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا أُرِيدُ أَنْ
أَتَبْعَ أَخِي وَ ابْنَ عَمِّي دِسْوَلَ اللَّهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا قَدِمَ إِلَيْهِ طَعَماً مَانِ فِي طَبِقَ وَاحِدٍ إِلَى
أَنْ قَبْضَهُ اللَّهُ.

يَا بَنِيَّهُ مَا مِنْ رَجُلٍ طَابَ مَطْعَمُهُ وَ مَشْرُبُهُ وَ مَلْبُسُهُ إِلَّا طَالَ وَقْوفُهُ بَيْنَ
يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَا بَنِيَّهُ أَنَّ الدُّنْيَا فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ وَ فِي حَرَامِهَا عِقَابٌ .
وَ قَدْ أَخْبَرَنِي حَبِيبِي رَسُولُ اللَّهِ أَنَّ جَبَرَئِيلَ نَزَلَ إِلَيْهِ وَ مَعَهُ مَفَاتِيحَ كُنُوزِ الْأَرْضِ
وَ قَالَ : يَا عَلَيْهِمُ اللَّهُ يَقْرُؤُكُمُ السَّلَامَ وَ يَقُولُ لِكُمْ أَنَّ شَيْرَتْ سِيرَتْ مَعَكُمْ جَبَالٌ تَهَامَةُ ذَهَبَا
وَ فَضَّةٌ وَ خَذُ هَذِهِ مَفَاتِيحَ كُنُوزِ الْأَرْضِ وَ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ حَظْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، قَالَ :

يا جبريل و ما يكون بعده ذلك ؟ قال الموت ، فقال : إذن لا حاجة لي في الدنيا دعني أجوع يوماً وأشبع يوماً ، فالليوم الذي أجوع فيه أتضرع إلى ربِّي وأسأله ، والاليوم الذي أشبع فيه أشكُر ربِّي وأحمدَه ، فقال له جبريل : وفقط لـ كل خير ثم قال :

يا بنية الدُّنيا دار غرور و دار هو ان فمن قدم شيئاً وجده ، يابنية والله لا آكل شيئاً حتى ترفعين أحد الادامين ، فلما رفعته تقدم إلى الطعام فأكل قرصاً واحداً بالملح العريش .

ثم حمد الله و أنسى عليه ثم قام إلى صلاته فصلى فلم يزل راكعاً و ساجداً و مبتللاً و متضرعاً إلى الله سبحانه و يكثُر الدخول و الخروج و هو ينظر إلى السماء و هو قلق يتعلّم ، ثم قرأ سورة يس حتى ختمها ، ثم رُقد هنيئاً و انتبه مروعباً و جعل يمسح وجهه بشوبه و نهض قائماً على قدميه وهو يقول : اللهم بارك لنا في لقاءك و يكثُر من قول لا حول ولا قوَّة إِلَّا بالله العظيم ، ثم صلَّى حتى ذهب بعض الليل ، ثم جلس للتحقيق ، ثم نامت عيناه وهو جالس ، ثم انتبه من نومته مروعباً.

قالت أم كلثوم كأنَّى به وقد جمع أولاده و أهله و قال لهم في هذا الشَّهر تفقدونني إني رأيت في هذه الليلة رؤياها لتنبيهها واريد أن أقصها عليكم ، قالوا : و ما هي ؟ قال : إني رأيت الساعة رسول الله في منامي و هو يقول لي : يا أبا الحسن إنك قادم إلينا عن قريب يجيء إليك أشقاها فيخضب شيبتك من دم رأسك و أنا والله مشتاق إليك وإنك عندنا في العشر الآخر من شهر رمضان فهلْم إلينا فما عندنا خير لك و أبقى .

قال : فلما سمعوا كلامه ضجعوا بالبكاء والنحيب و أبدوا العويل فاقتسم عليهم بالسكتوت فسكتوا ، ثم أقبل عليهم يوصيهم و يأمرهم بالخير و ينذّرهم عن الشَّهر .

قالت أم كلثوم فلم يزل تلك الليلة قائماً و قاعداً و راكعاً و ساجداً ، ثم يخرج

ساعة بعد ساعة يقلب طرفه في السماء وينظر في الكواكب وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت وإنها الليلة التي وعدت بها.

نم يعود إلى مصلاه و يقول اللهم بارك لي في الموت ويكثر من قول إنا لله و إنا إليه راجعون ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم و يصلّي على النبي و آله و يستغفّر الله كثيراً.

قالت أم كلثوم: فلما رأيته في تلك الليلة قلتقا متسللاً كثیر الذكر والاستغفار أرقت معه ليلتي و قلت يا ابناه مالي أراك هذه الليلة لاتذوق طعم الرقاد، قال: يا بنية إن أباك قتل الابطال و خاص الأهوال و ما دخل الجوف له خوف و ما دخل في قلبي رعب أكثر مما دخل في هذه الليلة، نم قال: إنا لله و إنا إليه راجعون، فقلت: يا أباه ما لك تتعني نفسك منذ الليلة، قال: يا بنية قد قرب الأجل و انقطع الأمل قالت أم كلثوم: فبكيمت، فقال لي: يا بنية لا تبكين فانتي لم أقل ذلك إلا بما عهد إلى النبي، ثم انه عَلِيَّ اللَّهُمَّ نعم و طوى ساعة ثم استيقظ من نومه، وقال يا بنية اذا قرب وقت الاذان فأعلميني، ثم رجع إلى ما كان عليه أول الليل من الصلاة والدعاء والتضرع إلى الله سبحانه

قالت أم كلثوم فجعلت أرقب وقت الاذان فلما لاح الوقت أتيته ومعي إناء فيه ماء نم ابكيته اسبغ الوضوء وقام ولبس ثيابه وفتح بابه، ثم نزل إلى الدار و كان في الدار او زقدا هدى إلى أخي الحسين فلما نزل خرجن و راهه و رففن و صحن في وجهه و كان قبل تملك لم يصحن، فقال: لا إله إلا الله.

صوابخ تتبعها نوایح و في غداة غد يظهر القضا

فقلات له: يا أبا هكذا تتطير، فقال: يا بنية مامن أهل البيت من يتطير ولا يتطير به ولكن قول جرى على لسانى، ثم قال: يا بنية بحقى عليك إلا ما أظلقتىه فقد حبسـت ما ليس له لسان ولا يقدر على الكلام إذا جاع أو عطش فأطعميه و اسقـيه وإلا خلى سبيله يأكل من حشائش الأرض، فلما وصل إلى الباب فعالجه ليفتحه فانحل متزره حتى سقط فأخذـه و شدـه و هو يقول:

أشد حياز يمك للموت فانَّ الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت إذا حلَّ بنا ديكـا
ولا تفتر بالدـهـر و ان كـان يواتـيكـا
كمـا أضـحـكـكـ الدـهـر كـذاـكـ الـدـهـر يـبـكـيكـا
نمـ قال : اللـهـمـ بـارـكـ لـنـا فـي الـمـوـتـ اللـهـمـ بـارـكـ لـي فـي لـقـاءـكـ .

قالـتـ اـمـ كـلـثـومـ : وـ كـنـتـ أـمـشـىـ خـلـفـهـ فـلـمـاسـمـعـتـهـ يـقـولـ ذـلـكـ ، قـلـتـ : وـ اـغـوـنـاهـ
ياـ أـبـتـاهـ أـرـاكـ تـنـعـيـ نـفـسـكـ مـنـذـ الـلـيـلـةـ ، قـالـ : يـاـ بـنـيـ ماـ هـوـبـنـعـاهـ وـ لـكـنـهاـ دـلـالـاتـ وـعـلـامـاتـ
لـلـمـوـتـ تـتـبـعـ بـعـضـهـ بـعـضـهاـ بـعـضـاـ فـامـسـكـيـ عـنـ الـجـوـابـ ، نـمـ فـتـحـ الـبـابـ وـ خـرـجـ .

قالـتـ اـمـ كـلـثـومـ : فـجـئـتـ إـلـيـ أـخـيـ الـمـحـسـنـ فـقـلـتـ يـاـ أـخـيـ قـدـ كـانـ مـنـ أـمـرـ
أـيـكـ الـلـيـلـةـ كـذـاـ وـ كـذـاـ ، وـ هـوـ قـدـ خـرـجـ فـيـ هـذـاـ الـلـيـلـ الـغـلـسـ فـالـحـقـهـ ، فـقـامـ الـمـحـسـنـ بـنـ
عـلـيـ يـبـيـهـ وـ تـبـعـهـ فـلـحـقـ بـهـ قـبـلـ أـنـ يـدـخـلـ الـجـامـعـ فـقـالـ : يـاـ أـبـاهـ مـاـ اـخـرـجـكـ فـيـ هـذـهـ
الـسـاعـةـ وـ قـدـ بـقـىـ مـنـ الـلـيـلـ ثـلـثـةـ

فـقـالـ : يـاـ حـبـيـبـيـ وـ يـاـ قـرـةـ عـيـنـيـ خـرـجـتـ لـرـؤـيـاـ رـأـيـتـهـ فـيـ هـذـهـ الـلـيـلـةـ هـالـثـنـيـ
وـأـزـعـجـتـنـيـ وـأـقـلـقـتـنـيـ ، فـقـالـ لـهـ : خـيـرـاـ رـأـيـتـ وـخـيـرـاـ يـكـونـ فـقـصـهـاـ عـلـىـ ،

فـقـالـ : يـاـ بـنـيـ رـأـيـتـ كـانـ جـبـرـئـيلـ قـدـ نـزـلـ مـنـ السـمـاءـ عـلـىـ جـبـلـ أـبـيـ قـيـيسـ فـتـنـاـولـ
مـنـهـ حـجـرـينـ وـمـضـىـ بـهـمـاـ إـلـىـ الـكـعـبـةـ وـتـرـكـهـمـاـ عـلـىـ ظـهـرـهـاـ وـضـرـبـ أـحـدـهـمـاـ عـلـىـ الـآـخـرـ
فـصـارـ كـالـرـمـيمـ ، نـمـ ذـرـاهـمـاـ (١)ـ فـيـ الـرـبـيعـ فـمـابـقـىـ بـمـكـةـ وـلـاـ بـالـمـدـيـنـةـ بـيـتـ إـلـاـ وـدـخـلـهـ
مـنـ ذـلـكـ الرـمـادـ فـقـالـ لـهـ يـاـ أـبـتـ وـمـاـ تـأـوـيـلـهـ ؟

فـقـالـ : يـاـ بـنـيـ إـنـ صـدـقـتـ رـؤـيـاـيـ فـانـ أـبـاـكـ مـقـتـولـ وـلـاـ يـبـقـىـ بـمـكـةـ حـيـثـنـذـ وـلـاـ
بـالـمـدـيـنـةـ بـيـتـ إـلـاـ وـ يـدـخـلـهـ مـنـ ذـلـكـ غـمـ وـمـصـيـةـ مـنـ أـجـلـيـ ، فـقـالـ الـمـحـسـنـ مـلـفـلـفـ وـهـلـ
تـدـرـيـ مـتـىـ يـكـونـ ذـلـكـ يـاـ أـبـتـ ؟ـ قـالـ : يـاـ بـنـيـ أـنـ اللـهـ يـقـولـ :

« وـمـاـ تـدـرـيـ نـفـسـ مـاـ ذـاـ تـكـسـبـ غـدـاـ وـمـاـ تـدـرـيـ نـفـسـ بـأـيـ أـرـضـ

تـمـوـتـ »ـ .

ولكن عهد إلى حبيبي رسول الله أنه يكون في العشر الآخر من شهر رمضان يقتلنني ابن ملجم المرادي ، فقلت له يا أبا شاه إذا علمت ذلك منه فاقتهله ، قال : يا بني لا يجوز القصاص قبل الجنائية الجنائية لم تحصل منه ، يا بني لواجتمع الشقلان الانس والجن على أن يدفعوا ذلك لما قدردوا ، يا بني ارجع إلى فراشك ، فقال الحسن يا أبا شاه أريد أمضي معك إلى موضع صلاتك .

قال له : اقسمت بحقّي عليك إلا ما رجعت إلى فراشك لئلا يتنقص عليك نوّهك ولا تعصني في ذلك ، قال فرجع الحسن فوجد اخته أم كلثوم قائمة خلف الباب تنتظره فدخل فأخبرها بذلك وجلسا يتحادثان وهم مامحرون حتى غلب عليهما النعاس فقاما ودخلوا إلى فراشهما وناما

قال أبو مخنف وغيره : وسار أمير المؤمنين حتى دخل المسجد و القناديل قد خمد ضوؤها فصلّى في المسجد وتم ورده وعقب ساعة ثم إِنَّه قام وصلّى ركعتين ثم علا المأذنة ووضع سباتيه في أذنيه وتنفسن ، ثم أذن وكان صلوات الله عليه إذا أذن لم يبق في الكوفة بيت إلا اخترقه صوته

قال الرّاوي : وأمّا ابن ملجم فبات في تلك الليلة يفكّر في نفسه ولا يدرى ما يصنع فتارة يعاتب نفسه ويوبّخها ويغافل من عقبي فعله فيهم أن يرجع عن ذلك ، وتارة يذكر قطام لعنها الله وحسنها وجمالها وكثرة مالها فتميل نفسه إليها ، فيبقى عامّة ليله يتقلب على فراشه وهو يترنّم بشعره ذلك إذا أنته الملعونة ونامت معه في فراشه وقالت يا هذا من يكون على هذا العزم يرقد

قال لها والله إِنِّي أقتله لك السّاعة فقالت اقتله وارجع إلى قرير العين مسروراً وافعل ما تريده فانسى منتظرة لك ، فقال لها اقتل اقتله وارجع إلىك سخين العين منحوساً محسوراً ، فقالت أعود بالله من تطيرك الوحش

قال فونب الملعون كأنه الفحل من الابل قال هلمي إلى بالسيف ، ثم إِنَّه اتّزر بمئزر واتّشح (١) بازار وجعل السييف تحت الإزار من بطنه ، و قال افتحي لي

الباب ففي هذه السّاعة اقتل لك علياً، فقامت فرحة مسرورة و قبلت صدره و بقي
يقبلها ويترقبها ساعة ثم راودها عن نفسها فقالت : هذا عليٌ أقبل الى الجامع وأذن
فقم اليه فاقتله ثم عد إلى فها أنا منتظر رجوعك ، فخرج من الباب و هي خلفه
تحرضه بهذه الآيات :

أقول إذا ماحيَّة أعيت الرّقا
دنسنا إليها في الظلام ابن ملجم
فخذها على فوق رأسك ضربة
قال الرّاوي : فالتفت إليها و قال أفسدت والله الشّعر في هذا البيت الآخر ، قالت : و لم
ذلك ؟ قال لها : هلاً قلت

و كان ذعاف (١) الموت منه شرابها
همام إذا ما الحرب شب لها بها
بكف سعيد سوف يلقا ثوابها
بكيف شقي سوف يلقا عقابها

قال مصنف هذا الكتاب قدس الله روحه : هذا الخبر غير صحيح بل إنّا كتبناه
كما وجدناه ، والرواية الصحيحة أنّه بات في المسجد و معه رجالان أحدهما شبيب
ابن بحيرة و الآخر وردان بن مجالد يساعدانه على قتل عليٍّ ، فلما أذن نزل من
المأذنة وجعل يسبّح الله ويقدّسه ويكبّره ويكثر من الصّلاة على النّبيِّ
قال الرّاوي : و كان من أكرم أخلاقه أن يفتقد النّائمين في المسجد ويقول
للنّائم : الصّلاة يرحمك الله الصّلاة ثم إلى الصّلاة المكتوبة ثم يتلو
« إنَّ الصَّلَاةَ تَنْهِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ » .

ففعل ذلك كما كان يفعله على جاري عاداته مع النّائمين في المسجد حتى إذا بلغ
إلى الملعون فرأه نائماً على وجهه قال له : ياهذا قم من نومك هذا فانتها نومة يمتنعها
الله وهي نومة الشّيطان ونومة أهل النار ، بل نم على يمينك فانتها نومة العلماً أو على
يسارك فانتها نومة الحكماء أو على ظهرك فانتها نومة الأنبياء .

قال : فتحرك الملعون كأنه يريد أن يقوم و هو من مكانه لا يبرح فقال له
أمير المؤمنين : لقد هممت بشيء تقاد المصروفات يتقطرن منه وتشق الأرض و تحرّ

الجبال هداً، ولو شئت لأنبيك بما حصلت نيابك ، ثم تركه وعدل عنه إلى محرابه وقام قائما يصلي وكان يطيل الركوع والسجود في الصلاة كعادته في الفرایض والنواقل حاضراً قلبه .

فلمّا أحس به فنضم الملعون مسرعاً وأقبل يمشي حتى وقف بازاء الأسطوانة التي كان الإمام يصلّي عليها ، فأمهله حتى صلّى الركعة الأولى وركع وسجد السجدة الأولى منها ، ورفع رأسه عند ذلك أخذ السيف وهزه ثم ضربه على رأسه المكرم الشّريف فوقعت الضربة على الضربة التي ضربها عمرو بن عبد العامر ثم أخذت الضربة إلى مفرق رأسه إلى موضع السجود

فلمّا أحس الإمام بالضرب لم يتأنّه وصبر واحتسب ووقع على وجهه وليس عنده أحد قائلا : بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ، ثم صاح وقال قتالني ابن ملجم قتالني اللعين ابن اليهودية و رب الكعبة أيها الناس لا يفوتكم ابن ملجم و سار السُّم في رأسه وبذنه وثار جمّيع من في المسجد في طلب الملعون وما جوا بالسلاح فما كفت أرى إلا صفق الأيدي على الهمامات وعلو الصرخات

وكان ابن ملجم ضربه ضربة خانقأً فرعوبا ، ثم ولّ هاربا وخرج من المسجد وأحاط الناس بأمير المؤمنين وهو في محرابه يشد الضربة ويأخذ التراب ويضعه عليها ثم تلا قوله تعالى :

« مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى »

ثم قال : جاء أمر الله وصدق رسول الله ثم إنه لما ضربه الملعون ارتجت الأرض وباحت البحار والسماءات واصطفقت أبواب الجامع

قال : وضربه اللعين شبيب بن بحيرة ؛ فأخطأه ووقع الضربة في الطاق

قال الراوي : فلما سمع الناس الضجة ثار إليه كل من كان في المسجد وصاروا يدورون ولا يدركون أين يذهبون من شدة الصدمة والدهشة ، ثم أحاطوا بأمير المؤمنين وهو يشد رأسه بميزره والدم يجري على وجهه ولحيته وقد خضبت بدمائه وهو يقول :

هذا ما وعد الله رسوله وصدق الله رسوله .

قال الرأوي . فاصطفت أبواب الجامع وضجت الملائكة في السماء بالدعاء وهببت ريح عاصف سوداء مظلمة ، ونادي جبرئيل بين السماء والأرض بصوت يسمعه كل مستيقظ : تهدىت والله أركان المهدى ، وانطمست والله نجوم السماء ، وأعلام التقى وانقضت والله العروة الوثقى ، قتل ابن عم محمد المصطفى قتل الوصي المحببي قتل علي المرتضى ، قتل والله سيد الأوصياء ، قتل أشقى الأشقياء

قال : فلما سمعت أم كلثوم نعي جبرئيل فلطمته على وجهها وخدّها وشقت جيّبها وصاحت وأبتها وأعليّاه وأتمدّاه وأسيدها ، ثم أقبلت إلى أخوتها الحسن والحسين عليهما السلام فأيقظتهم وأوقالت لهم لقد قتل أبوكم ، فقاما يبكّيان فقال لها الحسن يا اختاه كفى عن البكاء حتى نعرف صحة الخبر كيلا تشمّت الأعداء

فخرجا فإذا الناس ينوحون وينادون وأمامهم وأمير المؤمنين قتل والله إمام

عبد مجاهد لم يسجد لصلبه كان أشبه الناس برسول الله فلما سمع الحسن والحسين صرخات الناس ناديا وأبتها وأعليّاه ليت الموت أعدمنا الحياة ، فلما وصلا الجامع ودخلوا وجدا أبا جعدة بن هبيرة ومعه جماعة من الناس وهم يجهرون أن يقيموا الإمام في المحراب ليصلّي بالناس فلم يطّق على النهوض وتأخّر عن الصفة وتقديم الحسن فصلّى بالناس وأمير المؤمنين يصلّي إيماءً عن جلوس وهو يمسح الدم عن وجهه وكريمه الشريف يمبلّ تارة ويسكن أخرى والحسن ينادي وانقطاع ظهراء يعز والله على أن أراك هكذا

فتح عينه وقال : يابني لا جزع على أبيك بعداليوم ، هذا جدك محمد المصطفى وجدتك خديجة الكبرى وأمك فاطمة الزهراء والحواد العين محدقون منتظرن قدوم أبيك ، فطّب نفسا وقرّ عينا وقف عن البكاء فإنّ الملائكة قادر تفعت أصواتهم إلى السماء

قال : ثم إن الخبر شاع في جوانب الكوفة وانحشر الناس حتى المهدّرات خرج من خدرهن إلى الجامع ينظرون إلى أمير المؤمنين ، فدخل الناس الجامع

فوجدو الحسن ورأس أبيه في حجره وقد غسل الدُّم عن رأسه وشدَّ الضربة وهي بعدها تشخب دماً ووجهه قد زاد بياضاً بصفة وهو يرمي السهام بطرفه ولسانه يسبح الله ويوجّهه وهو يقول :

أَسْأَلُكَ يَا رَبَّ الرَّفِيعِ الْأَعْلَى، فَأَخْذُ الْحَسَنَ رَأْسَهُ فِي حَجْرِهِ فَوْجَدَهُ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ فَعَنْهَا بَكَى بَكَاءً شَدِيدًا وَجَعَلَ يَقْبِلُ وَجْهَ أَبِيهِ وَمَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَمَوْضِعِ سَجْدَتِهِ، فَسَقَطَ مِنْ سَجْدَتِهِ «دَمَوْعَهُ»، قَطْرَاتٌ عَلَى وَجْهِ أَهْيَرِ الْمُؤْمِنِينَ فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ فَرَآهُ بَاكِيًا قَالَ: يَا بَنِيَّ يَا حَسَنَ هَذَا الْبَكَاءُ يَا بَنِيَّ لَارُوعَ عَلَى أَبِيكَ بَعْدَ الْيَوْمِ هَذَا جَدُّكَ عَمَّلَ الْمُصْطَفَى وَخَدِيجَةَ وَفَاطِمَةَ وَالْحُورَ الْعَيْنَ مُحَدِّقَوْنَ مُنْتَظِرَوْنَ قَدْوَمَ أَبِيكَ فَطَبَّ نَفْسًا وَقَرَّ عَيْنًا وَأَكْفَفَ عَنِ الْبَكَاءِ فَانَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ

يَا بَنِيَّ أَتَجْزَعُ عَلَى أَبِيكَ وَغَدَأَتْ قُتْلَتْ بَعْدِي مَسْمُومًا مَظْلُومًا وَأَخْوَكَ يُقْتَلُ بِالسَّيْفِ هَكَذَا وَتَلْحَقَانِ بَعْدَ كَمَا وَأَبِيكَمَا وَأُمَّكَمَا فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ: هَاتَعْرَفُنَا مِنْ قُتْلَكَ وَمِنْ فَعْلِكَ هَذَا ، قَالَ: قَتَلْنِي ابْنُ الْيَهُودِيَّةِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَلْجَمِ الْمَرَادِيِّ ، فَقَالَ يَا أَبَاهُ مِنْ أَيِّ طَرِيقٍ هُضِيَّ قَالَ: لَا يَمْضِي أَحَدٌ فِي طَلَبِهِ فَإِنَّهُ سَيُطْلَعُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْبَابِ وَأَشَارَ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةَ إِلَى بَابِ كَنْدَةِ

قَالَ: وَلَمْ يَزِلِ السَّمُّ يَسْرِي فِي رَأْسِهِ وَفِي بَدْنِهِ ، ثُمَّ أَغْمَى عَلَيْهِ سَاعَةً وَالنَّاسُ يَنْتَظِرُونَ قَدْوَمَ الْمَلْعُونِ مِنْ بَابِ كَنْدَةِ ، وَاشْتَغَلَ النَّاسُ بِالنَّاظِرِ إِلَى الْبَابِ وَيَرْتَقِبُونَ قَدْوَمَ الْمَلْعُونِ وَقَدْ غَصَّ الْمَسْجِدُ بِالْعَالَمِ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَحْزُونُ ، فَمَا كَانَ إِلَّا سَاعَةً وَإِذَا بِالصَّيْحَةِ قَدْ ارْتَفَعَتْ وَزَهْرَةٌ مِنَ النَّاسِ وَقَدْ جَاءُوا بَعْدَ اللَّهِ ابْنِ مَلْجَمٍ مَكْتُوفَةً وَهَذَا يَلْعَنُهُ وَهَذَا يَضْرِبُهُ

قَالَ: فَوْقَ النَّاسِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَنْتَظِرُونَ إِلَيْهِ فَأَقْبَلُوا بِاللَّعِينِ مَكْتُوفَاً وَهَذَا يَلْعَنُهُ وَهَذَا يَضْرِبُهُ وَهُمْ يَنْهَاشُونَ لَهُمْ بِأَسْنَانِهِمْ وَيَقُولُونَ لَهُ: يَا عَدُوَّ اللَّهِ مَا فَعَلْتَ أَهْلَكَتَ امَّةً عَمَّلَ وَقْتَلَتْ خَيْرَ النَّاسِ وَإِنَّهُ لَصَامَتْ وَبَيْنَ يَدِيهِ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ حَذِيفَةُ النَّخْعَنِ يَبْدِئُ سَيْفَهُ شَهُورًا وَهُوَ يَرْدُ النَّاسَ عَنْ قَتْلِهِ وَهُوَ يَقُولُ: هَذَا قَاتِلُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ تَعَلِّيَّةٌ حَتَّى أَدْخُلُوهُ الْمَسْجِدَ.

قال الشعبي : كانى أنظر إليه و عيناه قد طار في أم رأسه كانهما قطعتا علق وقد وقعت في وجهه ضربة قد هشمت وجهه وأنفه والدم يسيل على صدره وهو ينظر يمينا و شمالا و عيناه قد طارت في أم رأسه وهو أسمرا اللون حسن الوجه وفي وجهه اثر السجود و كان على رأسه شعر أسود منثور على وجهه كأنه الشيطان الرجيم ، فلما حاذاني سمعته يتربّم بهذه الآيات :

وقد كنت أنساناها و كنت أكيدها	أقول لنفسني بعد ما كنت انهمها
ولا تطلبي هماً عليك يبيد هـ	أيا نفس كفي عن طلابك واصبرى
كناصح ولود غاب عنها وليد هـ	فما قبلت نصحي وقد كنت ناصحاً
فيما طول مكثي في الجحيم بعيدها	فما طلبت إلا عنائى وشقوتى

فلما جاؤوا به أوقفوه بين يدي أمير المؤمنين فلما نظر إليه الحسن عليه السلام قال له : يا ويلك يالعين يا عدو الله أنت قاتل أمير المؤمنين و امام المسلمين ، هذا جزاؤه منك حيث آواك و قربك و أدناك و آثرك على غيرك ، و هل كان بئس الامام لك حتى جازيته هذا الجزاء ياشقي .

قال : فلم يتكلّم بل دمعت عيناه فانكبَ الحسن عليه السلام على أبيه يقبله و قال له : هذا قاتلك يا أبوه قد أمكن الله منه فلم يعجبه عليه السلام و كان نايما فكره أن يوقظه من نومه ، ثم التفت إلى ابن ملجم و قال له : يا عدو الله هذا كان جزاً منك بوآك وأدناك و قربك و حباك و فضلك على غيرك هل كان بئس الامام حتى جازيته هذا الجزاء يا شقي الاشقياء .

فقال له الملعون يا أبو محمد أفانت تنقد من في النار فعند ذلك ضجّت الناس بالبكاء والنحيب فامرهم الحسن عليه السلام بالسكتوت .

ثم التفت الحسن عليه السلام إلى الذي جاء به حذيفة رضي الله عنه ، فقل له : كيف ظفرت بعد الله و أين لقيته : فقال : يا مولاي إن حذيفي معه لعجيب .
وذلك إنى كنت البارحة نائما في داري وزوجتي إلى جانبى وهي من غطافان و أنا راقد وهي مستيقظة إذ سمعت هي الزعة و ناعيا يعني أمير المؤمنين و هو يقول : تهدت والله أر كان الهدى ، و انظمست والله أعلام التقى ، قتل ابن عم محمد المصطفى

قتل على المرتضى قته أشقي الاشقياء ، فأيقظني وقالت لي أنت نائم وقد قتلت إمامك على بن أبي طالب .

فانتبهت من كلامها فزعاً مرعباً وقلت لها : يا ويلك ما هذا الكلام رضي الله فاك لعل الشيطان قد ألقى في سمعك هذا أو حلم القوي عليك ، يا ويلك إن أمير المؤمنين ليس لأحد من خلق الله قبله تبعة ولا ظلامة وإنما للبيت كالأب الرحيم وللأميمة كالزوج العطوف ، وبعد ذلك فمن الذي يقدر على قتل على أمير المؤمنين وهو الأسد الضرغام والبطل الهمام والفارس القمقام .

فاكثرت على وقالت : أنسى سمعت مالما تسمع وعلمت مالما تعلم ، فقلت لها و ما سمعت فأخبرتني بالصوت ، فقالت سمعت ناديا ينادي بأعلى صوته : تهدى متوا الله أركان الهوى و انطماسه والله أعلام الثقة قتل ابن عم عثمان المصطفى قتل على المرتضى قته أشقي الاشقياء .

ثم قالت و ما أظن بيألا وقد دخله هذا الصوت ، قال في بينما أنا وهي في مراجعة الكلام وإذا بصيحة عظيمة وجلية وضجة عظيمة وقائل يقول : قتل أمير المؤمنين .

فحس قلبي بالشر فمددت يدي إلى سيفي وسلمته من غمده وأخذته ونزلت مسرعاً وفتحت باب داري وخرجت فلما صررت في وسط الجادة فنظرت يميناً وشمالاً وإذا بعده الله يحول فيها يطلب مهرباً فلم يجدوا إذا قد انسد الطرقات في وجهه فلما نظرت إليه وهو كذلك رابني أمره فناديه :

يا ويلك من أنت و ما تريدين لآلام لك في وسط هذا الدرب تمر وتبكي وتتسنمى بغير اسمه وانتمى بغير كنيته ، فقلت له : من أين أقبلت ؟ قال : من منزلتي قلت : وإلى أين تريدين تمضي في هذا الوقت قال : إلى الحيرة ، فقلت : ولم لا تتعذر حتى تصلي مع أمير المؤمنين صلاة الغداة وتمضي في حاجتك ؟ فقال : أخشى أن أقعد للصلوة فتفوت حاجتي فقلت : يا ويلك إنني سمعت صيحة وقائلاً يقول قتل أمير المؤمنين فهل عندك من ذلك خبر ؟ قال : لا علم لي بذلك فقلت له : فلم لا تمضي معى حتى تحقق الخبر .

وتمضي في حاجتك ؛ فقال : أنا ماض في حاجتي وهي أهن من ذلك.
فلما قال لي مثل ذلك القول قلت بالكم الرّجال حاجتك أحب إليك من التحسس
لأمير المؤمنين و إمام المسلمين إذن والله يالكم مالك عند الله من خلاق ، و حملت
عليه سيفي و هممت أن أعلو به فراغ عندي .

فيينما أنا أخطببه و هو يخاطبني إذ هبّت الريح فكشفت إزاره و إذاً بسيفه
يلمع تحت الإزار كانه هراء آت مصقوله ، فلما رأيت بريقه تحت ثيابه قلت : يا وليك
ما هذا السيف المشهور تحت ثيابك لعلك أنت قاتل أمير المؤمنين فأراد أن يقول
لأفانطبق الله لسانه بالحق فقال نعم .

فرفعت سيفي و ضربته فرفع هو سيفه وهم أن يعلواني فانحرفت عنه فضربته
على ساقيه فأوقفته وقع لحيته و وقعت عليه و صرخت صرخة شديدة وأردت أخذ
سيفه فمانعني عنه ، فخرج أهل الميرة فأعانوني عليه حتى أوقفته كتافا و جثتك به
فها هو بين يديك جعلني الله فداك فاصنع به ما شئت .

قال الحسن الحمد لله الذي نصر وليه و خذل عدوه ، ثم انكب الحسن على
أبيه يقبله و قال له : يا أباه هذا عدو الله و عدوك قد امكن الله منه فلم يعجبه و كان
نایما فكره أن يوقظه من نومه فرقد ساعة ثم فتح عينيه و هو يقول : ارقوا بي يا
ملائكة ربى .

قال له الحسن هذا عدو الله و عدوك ابن ملجم قد أمكن الله منه وقد
حضر بين يديك قال : ففتح أمير المؤمنين عينيه و نظر إليه و هو مكتوف وسيفه
معلق في عنقه فقال له بضعف و انكسار صوت و رأفة و رحمة : يا هذا لقد جئت
عظيما و ارتكبت أمراً عظيما و خطبا جسيما أبئس الامام كنت لك حتى جازستني
بهذا الجزاء ؟ ألم أكن شفيعا عليك و آثرت على غيرك و احسنت اليك وزدت في
اعطائك ؟ ألم يكن يقال لي فيك كذا و كذا فخليت لك السبيل و منحتك عطائي ؟
و قد كنت أعلم أنك قاتلي لامحالة و لكن رجوت بذلك الاستظهار من الله تعالى
عليك بالكم و على أن ترجع عن غيرك فغلبت عليك الشقاوة فقتلتنى يا

أشقى الأشقياء.

قال فدمعت عينا ابن ملجم لعنه الله و قال : يا أمير المؤمنين أَفَأَنْتَ تُنْقَذُ مِنْ فِي النَّسَارِ ، قال له : صدقت ، نَمَّ التَّفَتَ إِلَى ولَدِ الْمُحَسِّنِ وَقَالَ لَهُ : ارْفَقْ يَا وَلَدِي بِأَسِيرِكَ وَارْحَمْهُ وَأَحْسِنْ إِلَيْهِ وَاشْفَقْ عَلَيْهِ الْأَتْرَى إِلَى عَيْنِيْهِ قَدْ طَارَتَا فِي أَمْ رَأْسِهِ وَ قَلْبِهِ يَرْجُفْ خَوْفًا وَ رُعْبًا وَ فَزْعًا.

فَقَالَ لَهُ الْمُحَسِّنُ : يَا أَبَاهُ قَدْ قَتَلْتَ هَذَا الْمُعْنَى الْفَاجِرُ وَ أَفْجَعْنَا فِيكَ وَ أَنْتَ تَأْمُرُنَا بِالرَّفْقِ بِهِ فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ يَا بْنَى نَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ لَا نَزِدُ دَادَ عَلَى الْمَذْنَبِ إِلَيْنَا إِلَّا كَرْمًا وَ عَفْوًا وَ الرَّحْمَةُ وَ الشَّفْقَةُ مِنْ شَيْمَتَنَا لَمْ شَيْمَهَ عَدُوُّنَا.

بِحَقِّيْ عَلَيْكَ فَأَطْعَمْهُ يَا بْنَى هَمْتَا تَأْكِلُ وَ اسْقِهِ هَمْتَا تَشْرَبُ وَ لَا تَقِيدُ لَهُ قَدْمَا وَ لَا تَغْلِي لَهُ يَدَا فَإِنْ أَنْامْتَ فَاقْتَصُّ مِنْهُ بَأْنَ تَقْتِلُهُ وَ تَضْرِبُهُ ضَرْبَةً وَاحِدَةً وَ تَحْرِقُهُ بِالنَّارِ وَ لَا تَمْثُلُ بِالرَّجُلِ فَإِنَّى سَمِعْتُ جَدَّكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِبْرَاهِيمَ كَمْ وَ الْمِثْلُهُ وَ لَوْ بِالْكَلْمَ العَقُورُ ، وَ إِنْ أَنَا عَشْتَ فَأَنَا أَوْلَى بِهِ بِالْعَفْوِ عَنْهُ وَ أَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَفْعَلَ بِهِ فَإِنْ عَفَوتَ فَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ لَا نَزِدُ دَادَ عَلَى الْمَذْنَبِ إِلَيْنَا إِلَّا عَفْرَاوْ كَرْمًا.

قَالَ مُخْنِفُ بْنُ حَنْيَفَ : إِنَّى وَاللَّهِ لِي لِيَلَةٌ تَسْعَ عَشْرَةً فِي الْجَامِعِ فِي رِجَالٍ نَصَّلِي قَرِيبًا مِنَ السَّدَّةِ الَّتِي يَدْخُلُ مِنْهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَيَنْهَا نَحْنُ نَصَّلِي إِذْ دَخَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ السَّدَّةِ وَ هُوَ يَنْادِي الصَّلَاةَ ثُمَّ صَدَعَ الْمَذْنَبُ فَأَذْنَ ثُمَّ نَزَلَ فَعَبَرَ عَلَى قَوْمٍ نِيَامٍ فِي الْمَسْجِدِ فَنَادَاهُمْ الصَّلَاةُ ثُمَّ قَصَدَ الْمِحْرَابَ .

فَمَا أَدْرِي دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ إِمَّا لِأَذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ : الْحَكْمُ لِلَّهِ لَا لِكَ يَا عَلِيَّ ، قَالَ : فَسَمِعْتُ عَنْ ذَلِكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ الْمُكَبَّرَ يَقُولُ : لَا يَفْوَتْنَكُمُ الرَّجُلُ ، قَالَ فَشَدَّ النَّاسُ عَلَيْهِ وَ أَنَا مَعْهُمْ وَ إِذَا هُوَ وَرَدَ إِنْ بْنَ مِحَالِدَ ، وَ أَمْتَا بْنَ مَلْجَمَ لَعْنَهُ اللَّهُ فَانْهَ هَرَبَ مِنْ سَاعَتِهِ وَ دَخَلَ الْكُوفَةَ وَ رَأَيْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَجْرُوحًا فِي رَأْسِهِ .

قَالَ مُعَدِّبُنَ الحَنْفِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ثُمَّ إِنَّ أَبِي قَالَ : احْمَلُونِي إِلَى مَوْضِعِ مَصْلَاتِي فِي مَنْزِلِي قَالَ فَحَمَلْنَاهُ إِلَيْهِ وَ هُوَ مَدْنَفُ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ وَهُمْ فِي اسْرَ عَظِيمٍ بِاَكِينِ مَحْزُونِينَ قَدْ اشْرَفُوا عَلَى الْهَلاَكَ مِنْ شَدَّةِ الْبَكَاءِ وَ النَّحِيبِ .

نَمْ التفت إِلَيْهِ الْحَسِينُ وَهُوَ يَبْكِي فَقَالَ لَهُ يَا أَبْنَاهُ مِنْ لَنَا بَعْدَكُ لَا كِيْوَمَكُ إِلَّا
يَوْمَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ أَجْلِكَ تَعْلَمَتِ الْبَكَاءَ يَعْزِزُ اللَّهُ عَلَىَّ أَنْ أَرَكَ هَكُذا فَنَادَاهُ
وَقَالَ : يَا حَسِينَ يَا أَبَا عِبْدِ اللَّهِ ادْنِ مَنْيَ ، فَدَنَمْنَهُ وَقَدْ قَرَحَتْ أَجْفَانُ عَيْنِيهِ مِنْ الْبَكَاءِ
فَمَسَحَ الدَّمْوَعَ مِنْ عَيْنِيهِ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَىَّ قَلْبِهِ وَقَالَ لَهُ : يَا بْنَى رَبِطَ اللَّهُ قَلْبَكَ بِالصَّبَرِ
وَأَجْزَلَ لَكَ وَلَاخْواْنَكَ عَظِيمَ الْأَجْرِ ، فَسَكَنَ رُوعَتُكَ وَاهْدَى مِنْ بَكَائِكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ
آجَرَكَ عَلَىَّ عَظِيمِ مَصَابِكَ نَمْ ادْخُلْ إِلَى حِجْرَتِهِ وَجَلِسْ فِي مَحْرَابِهِ
قَالَ الرَّاوِي : وَأَقْبَلَتْ زَيْنَبُ وَأُمَّ كَلْشُومَ حَتَّى جَلَسَتَا مَعَهُ عَلَى فَرَاشِهِ وَأَقْبَلَتَا
تَنْدَبَانَهُ وَتَقَوْلَانَ : يَا أَبْنَاهُ مِنْ الْصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرُ ، وَمِنْ الْكَبِيرِ بَيْنَ الْمَلَاءِ، يَا أَبْنَاهُ
حَزَنَنَا عَلَيْكَ طَوِيلٌ وَعَبَرَنَا لَاثْرَقِي .

قَالَ فَضَّجَ النَّاسُ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرَةِ بِالْبَكَاءِ وَالْبَحْرَبِ وَفَاضَتْ دَمْوَعُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عِنْدَ ذَلِكَ وَجَعَلَ يَقْلَبُ طَرْفَهُ وَيَنْظَرُ إِلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَوْلَادِهِ ، ثُمَّ دَعَا الْحَسِينَ وَالْحَسِينَ
عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَجَعَلَ يَحْضُنُهُمَا وَيَقْبِلُهُمَا .

ثُمَّ أَغْمَى عَلَيْهِ سَاعَةً طَوِيلَةً وَأَفَاقَ ، وَكَذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ يَغْمَى عَلَيْهِ سَاعَةً طَوِيلَةً
وَيَفِيقُ أُخْرَى لَا نَهُ وَالْقَطْنَةُ كَانَ مَسْمُومًا فَلَمَّا أَفَاقَ نَاؤَهُ الْحَسِينَ قَعَبَا مِنْ لَبِنِ فَشَرَبَ
مِنْهُ قَلِيلًا ثُمَّ نَحَّاهُ عَنْ فِيهِ وَقَالَ : احْمَلُوهُ إِلَى أَسِيرِ كَمْ .

ثُمَّ قَالَ لِلْحَسِينِ : بِحَقِّي عَلَيْكَ يَا بْنَى إِلَّا مَا طَبِيتُمْ مَطْعَمَهُ وَمَشْرُبَهُ وَأَرْفَقُوا
بِهِ إِلَى حَيْنِ مَوْتِي وَتَطَعَّمُهُ مَمَّا تَأْكُلُ وَتَسْقِيهُ مَمَّا تَشَرَّبُ حَتَّى تَكُونَ أَكْرَمُ مِنْهُ ،
فَعِنْدَ ذَلِكَ حَمَلُوا إِلَيْهِ الْلَّبَنَ وَأَخْبَرُوهُ بِمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي حَقَّهِ فَأَخْذَ اللَّبَنَ
وَشَرَبَهُ .

قَالَ : وَلَمَّا حَمَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْزَلِهِ جَاءُوا بِاللَّعِينِ مَكْتُوفَاً إِلَى
بَيْتِهِ مِنْ بَيْوَاتِ الْقَصْرِ فَجُبِسُوهُ فِيهِ فَقَالَتْ لَهُ أُمُّ كَلْشُومَ وَهِيَ تَبْكِي : يَا وَيَاكَ أَمَا أَبِي
فَانِهِ لَا بَأْسَ عَلَيْهِ وَإِنَّ اللَّهَ مَخْزِيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِنَّ مَصِيرَكَ إِلَى التَّارِخِ الْحَالِدِ
فِيهِمَا ، فَقَالَ لَهَا ابْنُ مَلِجَمَ لِعْنَهُ اللَّهُ : أَبْكِي إِنْ كُنْتَ باكِيَةً فَوَاللَّهِ لَقَدْ اشْتَرَيْتِ سِيفِيْهِ هَذَا
بِالْأَلْفِ وَسَمِّتَهُ بِالْأَلْفِ ، وَلَوْ كَانَتْ ضَرِبَتِي هَذِهِ لِجَمِيعِ أَهْلِ الْكُوفَةِ مَانِجَا مِنْهُمْ أَحَدٌ

و في ذلك يقول الفرزدق :

فلا غزو للأشراف إن ظفرت بها

فحربة وحشى سقت حمزة الردى

قال محمد بن الحنفية رضي الله عنه : و بتاليلة عشرين من شهر رمضان مع أبي

و قد نزل السم إلى قدميه وكان يصلّي تلك الليلة من جلوس ولم يزد يوم صيامه

و يعزينا من نفسه و يخبرنا بأمره و تبيانه إلى حين طلوع الفجر (١) .

فلما أصبح استاذ الناس عليه فاذن لهم بالدخول فدخلوا عليه و أقبلوا

يسالمون عليه وهو يرد عليهم السلام ، ثم قال أيها الناس أسألكم قبل أن تفقدوني

و خففوا سؤالكم لمصيبة إمامكم

قال : فبكى الناس عند ذلك بكاء شديداً وأشفقوا أن يسألوه تخفيضاً عنه، فقام

إليه حجر بن عدي الطائي وقال :

فيما أسفًا على المولى الشقى

قتلته كافر حنث زنيـم

فيلعن ربنا من حاد عنكم

لانكم يوم الحشر ذخـرى

فلما بصر به وسمع شعره قال له : كيف لي بك اذا دعيت إلى البرائة مني فما

عساك أن تقول ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين لو قطعت بالسيف ارباً ارباً واضرم لى النار

وأقيمت فيها لا آترت ذلك على البرائة هنـك ، فقال : وفـقـت لـكـلـ خـيـرـ يـاحـجـرـ جـزـاكـ اللهـ

خـيـراـ عنـ أـهـلـ بـيـتـ نـبـيـكـ

١- قال ابو الفرج الاصلباني ثم جمع له اطباء الكوفة فلم يكن منهم اعلم بجرحه من اثير

ابن عمرو بن هانى السلوى وكان متطلب صاحب الكرسى يعالج الجراحات وكان من الاربعين غالما

الذين كان ابن الوليد اصحابهم في عين التمر فسباهم فلما نظر اثير الى جرح أمير المؤمنين دعا

برية شاة حارة فاستخرج منها عرقاً و ادخله في الجرح ثم نفخه، ثم استخرجه و اذا عليه بياض

الدماغ فقال يا امير المؤمنين اعهدك فان عدو الله قد وصلت ضربته الى امرأتك منه

ثم قال : هل من شربة من لبن ؟ فأتوه بلبن في قعف فأخذته وشربه كله فذكر الملعون ابن ملجم وأنه لم يختلف له شيئاً فقال : وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، اعلموا أنني شربت الجميع ولم أبق لا سيركم شيئاً من هذا ألا وأنه آخر رزقي من الدنيا فبأيده علیك يا بنى إلا ما أستقته مثل ما شربت فحمل إليه ذلك فشربه

قال محمد بن الحنفية رضي الله عنه : لما كانت ليلة أحدى وعشرين وأظلم الليل وهي الليلة الثانية من الكائنة ، جمع أبي أولاده وأهل بيته وودعهم ، ثم قال لهم : الله خليقكم وهو حسيبي ونعم الوكيل ، وأوصاهم الجميع منهم بلزم اليمان والآدبان والأحكام التي أوصاه بها رسول الله ﷺ .

فمن ذلك ما نقل عنه أوصى به الحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه الملعون ابن ملجم وهي هذه : أوصيكم بتقوى الله ، إلى آخر ما يأتي في الكتاب برواية السيد في باب المختار من وصياته إنشاء الله .

قال : ثم تزايد ولوح السم في جسده الشريف حتى نظرنا إلى قدميه وقد احمرتا جميعاً ، فكبّر ذلك علينا وآيسنا منه ثم أصبح فأمّرهم ونهّاهم وأوصاهم ثم عرضنا عليه المأكول والمشروب فأبى أن يشرب فنظرنا إلى شفتيه وهم يختلجان بذكرة الله تعالى ، وجعل جبينه يرشح عرقاً وهو ممسحه بيده قلت : يا أبا إبراهيم تمسح جبينك ، فقال : يا بنى إنني سمعت جدك رسول الله ﷺ يقول : إن المؤمن إذا نزل به الموت ودنت وفاته عرق جبينه وصار كالملوؤ الرطب وسكن أنينه .

ثم قال : يا أبا عبد الله وباعون ، ثم نادى أولاده كلّهم بأسمائهم صغيراً وكبيراً ، واحداً بعد واحد وجعل يودعهم ويقول : الله خليقكم عليكم استودعكم الله ، وهو ي يكون .

فقال الحسن عليهما السلام يا أبا مادعاك إلى هذا ، فقال له : يا بنى إنني رأيت جدك رسول الله في منامي قبل هذه الكائنة بليلة فشكوت إليه ما أنا فيه من التذلل والأذى من هذه الأمة ، فقال لي : ادع عليهم فقلت : اللهم أبدلهم بي شرّاً مني وأبدلني

بهم خيراً منهم ، فقال لي قد استجاب الله دعاك سينقلك اليها بعد ثلاثة ، وقد مضت الثلاث .

يا أبا محمد أوصيك و يا أبا عبدالله خيراً فائتها مني وأنا منكم ، ثم التفت إلى أولاده الذين من غير فاطمة وأوصاهم أن لا يخالفوا أولاد فاطمة يعني الحسن والحسين .

ثم قال : أحسن الله لكم العزاء الأولاني منصرف عنكم و راحل في ليالي هذه ولآخر بحبيبي محمد كما وعدني فإذا أنامت يا أبا محمد فغسلني وكفني وحنطني ببقية حنوط جدك رسول الله فانه من كافور الجنة جاء به جبريل إليه ، ثم ضعنى على سريري ولا يقدر أحد منكم مقدم السرير و احملوا مؤخره و اتبعوا مقدمه فعلى موضع وضع المقدم فضعوا المؤخر فحيث قام سريري فهو موضع قبرى .

ثم تقدم يا أبا محمد وصل على يا بنى يا حسن و كبر على سبعا و اعلم أنه لا يحل ذلك على أحد غيري إلا على رجل يخرج في آخر الزمان اسمه القائم المهدى من ولد أخيك الحسين يقيم اوجاج الحق .

فإذا أنت صليت يا حسن فتح السرير عن موضعه ثم أكشف التراب عنه فترى قبراً محفوراً ولحداً مشوباً وساجة منقوبة فاضجعني فيها ، فإذا أردت الخروج من قبرى فافتقدنى فانك لاتجدنى و انسى لاحق بجدهك رسول الله .

و اعلم يا بنى ما من نبى يموت وإن كان مدفونا بالشرق ويموت وصيه بالغرب إلا و يجمع الله عز وجل بين روحيهما وجسديهما ثم يفترقان فيرجع كل واحد منها إلى موضع قبره وإلى موضعه الذي خط فيه .

ثم اشرج اللحد باللبن و أهل التراب على ثم غيب قبرى ، وكان غرضه بذلك لثلاً يعلم بموضع قبره أحد من بنى أمينة فانته لو علموا بموضع قبره لمحفروه وأخرجوه وأحرقوه كما فعلوا بزيد بن علي بن الحسين .

ثم يا بنى بعد ذلك إذا أصبح الصباح أخرجوا تابوتا إلى ظاهر الكوفة على

ناقة و أمر بمن يسيرها بما عليها كان هاتrid المدينة بحيث يخفى على العامة موضع قبرى الذى تضعن فىه (١) ، وكأنى بكم وقد خرجت عليكم الفتن من هنا وهناك علىكم بالصبر فهو محمود العاقبة.

ثم قال : يا أبا محمد و يا أبا عبد الله كأنى بكم وقد خرجت عليكم من بعدي الفتن من هنا فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين .

ثم قال : يا أبا عبد الله أنت شهيد هذه الامة فعليك بتقوى الله والصبر على بلائه ، ثم أغمى عليه ساعة وأفاق و قال : هذا رسول الله و عمى حمزة وأخي جعفر وأصحاب رسول الله كلهم يقولون عجل قدومك علينا فانما إليك مشتاقون .

ثم أدار عينيه في أهل بيته كلهم ، وقال : استودعكم الله جميعاً سدادكم الله جميعاً ، حفظكم الله جميعاً خلائقنى عليكم الله و كفى بالله خليفة ، ثم قال و عليكم السلام يا رسول ربى ثم قال :

« لِمَنِ اتَّبَعَ هَذَا فَلَيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ » .

و عرق جبينه و هو يذكر الله كثيراً و ما زال يذكر الله و يتشهد الشهادتين ، ثم استقبل القبلة و غمض عينيه و مد رجليه و يديه و قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن مخلقاً عبده و رسوله .

ثم قضى نحبه عليته و كانت وفاته في ليلة أحدى و عشرين من شهر رمضان و كانت ليلة الجمعة سنة أربعين من الهجرة .

قال : فعند ذلك صرخت زينب بنت علي و أم كلثوم و جميع نسائه وقد شققاً الجيوب ولطموا الخدو دوارتفعت الصيحة في القصر فعلم أهل الكوفة أن أمير المؤمنين

١- في البخار من فرحة الفرى من بعض كتب القديمة مستدلاً أن جعفر بن محمد حدث ان امير المؤمنين امرابنه الحسن أن يغفر له اربع قبور في اربع مواضع في المسجد وفي الرحبة و في دار جعدة بن هبيرة و في الفرى و انا اراد بهم ان لا يعلم احد من اعدائهم موضع قبره منه .

قدقبض ، فأقبل النساء والرجال يهرون عن أفواجاً فواجاً صاحوا صيحة عظيمة فارتجلت الكوفة بأهلها ، وكثر البكاء والنحيب وكثرة الضجيج بالكوفة وقبايلها ودفرها وجميع أقطارها ، فكان ذلك كيوم مات فيه رسول الله.

فلما أظلم الليل تغير أفق السماء وارتجلت الأرض وجميع من عليها بكوه وكتنا نسمع جلبة وتسبيحاً في الهواء فعدنا أنهم أصوات الملائكة ، فلم يزل كذلك إلى أن طلع الفجر ثم ارتفعت الأصوات وسمعنا هانقاً بصوت يسمعه الحاضرون لا يرون شخصه يقول:

فداً، لمن أضحي قتيل ابن ملجم
فهدت له أر كان بيت المحرم
لمقتله البطحاء وأكتاف زمز
يهداً أو بان النقص في ماه زمز
لقتل علي لونها لون دهل
كشقة نوب لونها لون عدم
حنيناً كشكلى نوحها يترنّم
وابات العلي في قبره المتهد
لقد على خير من وطأ الحصى

بنفسى ومالى ثم أهلى واسرتى
على رقاوقد الخالقين في الوعا
على أمير المؤمنين و من بكت
يكاد الصفا والمشعررين كلاهما
و أصبحت الشمس المنير ضياؤها
و ظلّ له أفق السماء كابة
و ناحت عليه الجن إذ فجعت به
وأضحي التقى والخير والحمل والنوى

قال محمد بن الحنفية رضي الله عنه ثم أخذنا في جهازه ليلاً ، و كان الحسن يكتب يغسله والحسين يكتب يصب الماء عليه و كان لا يحتاج إلى من كان يقلبه بل يتقلب كما يريد الفاصل يميناً و شمالاً ، و كانت رائحته أطيب من رائحة المسك والعنبر ، ثم نادى الحسن باخته زينب وأمه كلثوم وقال : يا اختاه هلمي بحنوط جدي رسول الله ، فبادرت زينب مسرعة حتى أنته بـه .

قال الرأوي : فلما فتحته فاحت الدار و جميع الكوفة و شوارعها لشدة رائحة ذلك الطيب ، ثم لفوه بخمسة أنواع كما أمر عليه ثم وضعوه على السرير و تقدم الحسن والحسين إلى السرير من مؤخره وإذا مقدمه قد ارتفع ولا يرى حامله ، و كان حامله من مقدمه جبرائيل و ميكائيل فما مر بشيء على وجه الأرض إلا أنحنى

له ساجداً و خرج السرير من مایل باب كنده فحمله مؤخره وسايرا يتبعان مقدمه .
قال ابن الحميـة رضي الله : و الله لقد نظرت إلى السرير و أنه لم يمر بالحـيطان و النـخل فـتنـحنـى له خـشـوعـا و هـضـى هـستـقـيمـا إلى النـجـفـ إلى مـوضـع قـبرـهـ الآـنـ .

قال : و ضـبـجـتـ الكـوـفـةـ بـالـبـكـاهـ وـ النـحـيبـ وـ خـرـجـنـ النـسـاءـ يـتـبعـنـهـ لـاطـمـاتـ حـاسـرـاتـ فـمـنـعـمـ «ـكـذـاـ»ـ الـحـسـنـ طـلاقـ وـ نـهـاـمـ «ـكـذـاـ»ـ عـنـ الـبـكـاهـ وـ الـعـوـيلـ وـ رـدـ هـنـ إـلـىـ أـمـاـكـنـهـ ،ـ وـ الـحـسـينـ طـلاقـ يـقـولـ :ـ لـاحـولـ وـ لـاقـوـةـ إـلـاـ بـالـلـهـ الـعـلـىـ الـعـظـيمـ إـنـسـالـهـ وـ إـنـاـإـلـيـهـ رـاجـعـونـ يـاـ أـبـاهـاـ وـ اـنـقـطـاعـ ظـهـرـاهـ هـنـ أـجـلـكـ تـلـمـذـتـ الـبـكـاهـ إـلـىـ اللـهـ الـمـشـتـكـيـ .ـ

فـلـمـاـ اـنـتـهـيـاـ إـلـىـ قـبـرـهـ وـ إـذـاـ مـقـدـمـ الـسـرـيرـ قـدـ وـضـعـ الـحـسـنـ موـخـرـهـ ،ـ ثـمـ قـامـ الـحـسـنـ وـ صـلـىـ عـلـيـهـ وـ الـجـمـعـاـتـ مـخـلـفـهـ فـكـبـيرـ سـبـعاـكـمـاـ أـمـرـهـ بـهـ أـبـوهـ ،ـ ثـمـ زـحـزـ حـاسـرـيـرـهـ وـ كـشـفـاـ التـرـابـ وـ إـذـاـ بـقـيرـ مـحـفـورـ وـ لـحدـ مـشـقـوقـ وـ سـاجـةـ مـنـقـوـرـةـ مـكـتـوبـ عـلـيـهـاـ :ـ هـذـاـ مـاـ اـدـخـرـهـ لـهـ جـدـهـ نـوـحـ النـبـيـ (١)ـ .ـ

فـلـمـاـ أـرـادـواـ نـزـولـهـ سـمـعواـ هـافـقـاـيـقـوـلـ :ـ اـنـزـلـوـهـ إـلـىـ التـرـبـةـ الطـاهـرـةـ فـقـدـ اـشـتـاقـ الـحـبـيـبـ ،ـ فـدـهـشـ النـاسـ عـنـ ذـلـكـ وـ تـحـيـرـواـ وـ الـحدـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ قـبـلـ طـلـوـعـ الـفـجـرـ وـ اـنـصـرـفـ النـاسـ وـ رـجـعـ أـلـاـدـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ وـ شـيـعـتـهـ إـلـىـ الـكـوـفـةـ وـ لـمـ يـشـعـرـ بـهـمـ أـحـدـ مـنـ النـاسـ .ـ

فـلـمـاـ طـلـعـ الصـبـاحـ وـ بـزـغـتـ الشـمـسـ اـخـرـجـوـاـتـابـوتـاـ مـنـ دـارـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ وـ أـنـوـابـهـ إـلـىـ الـمـصـلـىـ بـظـاهـرـ الـكـوـفـةـ ،ـ ثـمـ تـقـدـمـ الـحـسـنـ وـ صـلـىـ عـلـيـهـ وـ رـفـعـهـ عـلـىـ نـاقـةـ وـ سـيـرـهـ مـعـ بـعـضـ الـعـيـيدـ .ـ

قال في البحار : روى البرسى في مشارق الأحوال عن محمد بن أهل الكوفة أنَّ أمير المؤمنين لما حمله الحسن والحسين على سريره إلى مكان البئر المختلف فيه إلى نجف الكوفة وجدوا فارسا يتضوّع منه رايحة المسك فسلم عليهما .

1- وفي البحار من فرحة الفرى عن ام كلثوم في حديث ثم أخذ الحسن المعول فضرب ضربة فانشق القبر عن ضريح فإذا هو بساجة مكتوب عليها سطر ان بالسر يانية بسم الله الرحمن الرحيم هذا قبر قبره نوح النبي لعلى وصي محمد قبل الطوفان بسبعين عام منه .

نَمْ قَالَ لِلْحَسْنَ أَنْتَ الْحَسْنُ بْنُ عَلَىٰ رَضِيعُ الْوَحْىِ وَالتَّنْزِيلِ وَفَطِيمُ الْعِلْمِ
وَالشَّرْفُ الْجَلِيلُ خَلِيفَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسِيدِ الْوَصِيَّينَ ؟ قَالَ : نَعَمْ قَالَ : وَهَذَا الْحَسْنُ
ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسِيدِ الْوَصِيَّينَ سَبَطُ الرَّحْمَةِ وَرَضِيعُ الْعَصْمَةِ وَرَبِّ الْحُكْمَةِ
وَدَالِّ الْأَئْمَةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : سَلَّمَاهُ إِلَيَّ وَامْضِيَ فِي دُعَةِ اللَّهِ .
فَقَالَ لِهِ الْحَسْنُ إِنَّهُ أَوْصَى إِلَيْنَا أَنْ لَا نَسْلِمَهُ إِلَّا إِلَىٰ أَحَدِ رَجُلَيْنِ جَبَرِيلَ أَوْ
الْخَضْرُ فَمَنْ أَنْتَ مِنْهُمَا ؟ فَكَشَفَ النَّقَابَ فَإِذَا هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدِ
إِنَّهُ لَا يَمُوتُ نَفْسٌ إِلَّا وَيُشَهِّدُ جَسْدَهَا (١) فَمَا يَشَهِّدُ جَسْدَهُ .

قَالَ الْبَرْسِيُّ وَرَوَىٰ عَنِ الْحَسْنِ بْنِ عَلَىٰ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ الْحَسْنُ
وَالْحَسِينَ : إِذَا وَضَعْتَ مَانِي فِي الصَّرْبِيجِ فَصَلِّيَّا رَكْعَيْنِ قَبْلَ أَنْ تَبِلَّا عَلَىٰ التَّرَابِ وَانْظَرَا
مَا يَكُونُ ، فَلَمَّا وَضَعَاهُ فِي الصَّرْبِيجِ الْمَقْدُسِ فَعَلَا مَا أَمْرَاهُ وَإِذَا الصَّرْبِيجُ مَغْطَىٰ
بِثُوبٍ مِنْ سَنْدَسٍ فَكَشَفَ الْحَسْنُ مَمْتَلِيَّا وَجْهَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَوُجِدَ رَسُولُ اللَّهِ وَآدَمُ
وَإِبْرَاهِيمَ (ع) يَتَحَدَّثُونَ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَشَفَ الْحَسِينُ مَمْتَلِيَّا رَجْلِيهِ فَوُجِدَ الْأَزْهَرُ
وَحَوَاءُ وَمَرِيمُ وَآسِيَةُ عَلَيْهِنَّ السَّلَامُ يَنْحَنِيُّنَّ عَلَىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَنْدِبِنَّهُ .

قَالَ الْمَعْلُوسِيُّ : وَلَمْ أَرْهَدْنَا النَّبَارِينَ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الْبَرْسِيِّ وَلَا أَعْتَدْنَا عَلَىٰ مَا
يَنْفَرُّ بِنَقْلِهِ وَلَا أَرْدَهُمَا لَوْرُودَ الْأَخْبَارِ الْكَثِيرَةِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ ظَهُورِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ فِي
أَجْسَادِهِمُ الْمَثَالِيَّةِ .

وَفِي الْبَحَارِ مِنْ ارْشَادِ الْمَفِيدِ : كَانَتْ اِمَامَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ النَّبِيِّ نَبِيَّنِ سَنَةَ
مِنْهَا أَرْبَعَ وَعِشْرَوْنَ سَنَةً وَأَشْهَرَ مِنْهُ عَوْنَىٰ مِنَ التَّصْرِيفِ فِي أَحْكَامِهَا مُسْتَعْمِلاً لِلتَّقْيِيَّةِ
وَالْمَدَارَةِ وَمِنْهَا خَمْسَ سَنَينَ وَسَتَّةَ أَشْهُرَ مِمَّا تَحْتَنَا بِعِجَادِ الْمَنَافِقِينَ مِنَ النَّاكِثِينَ
وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ ، وَمُضْطَهِداً بِفَقْنِ الْأَضَالِلِ .

كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ وَآلِهِ وَلَيْلَاتِهِ نَلَاثَةُ عَشَرَ سَنَةً مِنْ نَبِيِّهِ تَهْ مِنْهُ عَوْنَىٰ مِنَ اِحْكَامِهَا خَائِفًا
وَمَهْبُوسًا وَهَارِبًا مَطْرُودًا لَا يَمْكُنُ مِنْ جَهَادِ الْكَافِرِينَ وَلَا يَسْتَطِعُ دَفَاعَنِ الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ
هَاجَرَ وَأَقَامَ بَعْدَ الْهِجَرَةِ عَشَرَ سَنَينَ مُجَاهِدًا لِلْمُشْرِكِينَ كَمَّ مَهَقَّنَا بِالْمَنَافِقِينَ إِلَىٰ أَنْ قَبَضَهُ

- ١- أَيْ يَحْضُرُ هَا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع) مِنْهُ .

الله إِلَيْهِ وَأَسْكَنَهُ جَنَّاتَ النَّعِيمِ.

وَ كَانَ وَفَاتٌ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليهم السلام قَبْيلَ الْفَجْرِ مِنْ لَيْلَةِ الْجَمْعَةِ لِيَلَةً أَحَدِي وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةً أَرْبَعينَ مِنَ الْهِجْرَةِ ، قَالَتْ سُودَةُ بْنَ «بَنْتَ ظَهْرَةِ» عَمَّارَةَ الْهِمَدَانِيَّةَ وَنَعَمَّا قَالَتْ :

صَلَّى اللَّهُ عَلَى رُوحِ تَضَمَّنَهَا
قَدْ حَالَفَ الْخَيْرَ لِإِبْرَيْغَيْ بَهْ بَدْلَأَ
وَ مِنْ أَمَالِيِّ الصَّدُوقِ فِي حَدِيثِ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدْوِ أَصْبَحَ الْحَسْنُ قَامَ خَطِيبًا عَلَى
الْمِنْبَرِ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَتَّاعَهُ ثُمَّ قَالَ :
أَيُّهَا النَّاسُ فِي هَذِهِ الْلَّيْلَةِ نَزَلَ الْقُرْآنُ وَ فِي هَذِهِ الْلَّيْلَةِ رُفِعَ عِيسَىُ بْنُ
مُرِيمٍ وَ فِي هَذِهِ الْلَّيْلَةِ قُتِلَ يُوسُفُ بْنُ نُونٍ وَ فِي هَذِهِ الْلَّيْلَةِ ماتَ أَبُي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ اللَّهُ
لَا يُسْبِقُ أَبِي أَحَدٍ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْأَوْصِيَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَ لَا مَنْ يَكُونُ بَعْدَهُ وَ إِنْ كَانَ
رَسُولُ اللَّهِ لِيَبْعَثَهُ فِي السَّرْرِيَّةِ فَيُقَاتِلُ جَبَرَئِيلَ عَنْ يَمِينِهِ وَ مِيكَائِيلَ عَنْ يَسِيرِهِ وَ مَا تَرَكَ
صَفَرَاهُ وَلَا يَضَاهُ إِلَّا سَبْعَمَّا دَرْهَمًا لِيُشَتَّرِي بِهَا خَادِمَهُ لَا هُلَمَهُ .

وَ مِنَ الْمَنَاقِبِ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عليه السلام : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وآله وآله : إِنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ
لَتَبْكَى عَلَى الْمُؤْمِنِ إِذَا ماتَ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا وَ إِنَّهَا لَتَبْكِي عَلَى الْعَالَمِ إِذَا ماتَ أَرْبَعِينَ
شَهْرًا وَ إِنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ لَيُبَكِّيَانَ عَلَى الرَّسُولِ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَ إِنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ

١- فِي الْمَنَاقِبِ قَالَ الْحَسْنُ بْنُ عَلِيٍّ (ع)

إِنَّ مَنْ كَانَ لَعْنَ الْمُصْطَفَى فِي النَّاسِ بَابًا	إِنَّ مَنْ كَانَ لَعْنَ الْمُصْطَفَى فِي النَّاسِ بَابًا
إِنَّ مَنْ كَانَ اذَا نَوَدَ فِي الْعَرَبِ أَجَابَا	إِنَّ مَنْ كَانَ اذَا نَوَدَ فِي الْعَرَبِ أَجَابَا
فِي الْمَنَاقِبِ اِيْضَا قَالَ اِنْسُ بْنُ مَالِكٍ يَسْمَعُ صوتَ هَاتِفِ مِنَ الْجَنَّةِ	يَامِنَ يَوْمَ الْأَدَلَّةِ قَاصِدًا
أَدَّ الرِّسَالَةَ غَيْرَ مَا مَتَوَانَ	قَتَلَتْ شَرَارَبَنِي اَمِيَّةَ سِيدًا
خَيْرَ الْبَرِّيَّةِ مَا جَدَّا ذَاشَانَ	رَبُّ الْمُفْلِسِ فِي السَّمَاءِ وَأَرْضِهَا
سِيفُ النَّبِيِّ وَهَادِمُ الْأُونَانَ	بَكَتْ الشَّاعِرُ وَالْمَسَاجِدُ بَعْدَمَا
بَكَتْ الْأَنَامُ لَهُ بَكَلْ مَكَانَ	

لبيك يان عليك يا على إذا قتلت أربعين سنة.

قال ابن عباس : لقد قتل أمير المؤمنين على الأرض بالكوفة فامطرت السماء ثلاثة أيام دمًا.

أبو حمزة عن الصادق عليه السلام وقد روى أيضًا عن سعيد بن المسيب أنه لما قبض أمير المؤمنين عليه السلام لم يرفع من وجه الأرض حجر إلا وجد تحته دم عبيط .

أربعين الخطيب و تاريخ النسوى أنه سئل عن عبد الملك بن مروان الزهرى ما كانت عالمة يوم قتل علي عليه السلام قال : ما رفع حصاة من بيت المقدس إلا كان تحتها دم عبيط ، ولما ضرب في المسجد سمع صوت (١) الله الحكم لا لك ياعلى ولا لأصحابك ، فلما توقف سمع في داره :

« أَفَمَنْ يُلْقِي فِي النَّارَ خَيْرٌ مِّنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ » الآية .

ثم هتف آخر مات رسول الله و مات أبوكم .

وفي أخبار الطالبيين أن الروم اسروا قوما من المسلمين فاتى بهم إلى الملك فعرض عليهم الكفر فأبوا فأمر باللقائهم في الزينة المغلى و اطلق منهم رجالا يخبرونهم ، فيبينما هو يسير إذ سمع وقع حواري المخيل فوقف فنظر إلى أصحابه الذين القوا في الزينة فقلوا قد كان ذلك فنادا مناد من السماء في الشهادة البر والبحر إن علي بن أبي طالب قد استشهد في هذه الليلة فصلوا عليه فصلينا عليه و نحن راجعون إلى مصارعنا .

تسلى لهم و تسکین فؤاد في أحوال قاتله و كيفية قتله

ففي البحر من كتاب قصص الأنبياء عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن عاقر ناقة صالح كان أزرق ابن بغي ، وإن قاتل علي صلوات الله عليه و كانت مراد تقول ما نعرف له فيما أبا ولا نسبا وإن قاتل الحسين بن علي صلوات الله عليه بغي ، ولم

١- هذا الصوت كان من ابن ملجم كما ورد في بعض الروايات منه

يقتل الأنبياء ولا أولاد الأنبياء إلا أولاد البغایا.
و فيه أيضاً في ذيل الرواية السالفة التي قدمناها في كيفية شهادته عليه السلام عن

لوط بن يحيى:

قال الرأوى : ثم آتاه لما رجع أولاد أمير المؤمنين و أصحابه إلى الكوفة
و اجتمعوا لقتل اللعين عدو الله ابن ملجم فقال عبد الله بن جعفر : اقطعوا يديه ورجليه
و لسانه و اقتلوه بعد ذلك ، و قال عجل بن الحنفية : اجعلوه غرض النشّاب و احرقوه
بالنّار ، و قال آخر : اصلبوه حياً حتى يموت فقال الحسن : أنا ممثل فيه ما أمرني
به أمير المؤمنين أضر به ضربة بالسيف حتى يموت فيها و احرقه بالنّار بعد ذلك .
قال الرأوى : فأمر الحسن أن يأتوه ، فجاؤوا به مكتوفاً حتى ادخلوه الموضع الذي
ضرب فيه الإمام والنّاس يلعنونه و يوبخونه و هو ساكت لا يتكلّم ، فقال الحسن يا
عدو الله قتلت أمير المؤمنين و إمام المسلمين و أعظمت الفساد في الدين .

قال لهم : يا حسن و يا حسين ما تريدين أن تصنعا لي ؟ قالا نريد أن نقتلك
كما قتلت سيدنا و مولانا ، فقال لهم ما اصنعنا ما شئتما أن تصنعا ولا تعذفنا من استرّ له
الشيطان فصده عن السبيل ، ولقد زجرت نفسى فلم تنجز و نهيتها فلم تنته فدعها

تدوّق وبال أمرها و لها عذاب شديد ثم بكى .

قال له : يا وليك ما هذه الرقة اين كانت حين وضعت قدمك و ركبتك
خطبتك ، فقال ابن ملجم :

«إِسْتَحْوَدَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَيْهُمْ ذِكْرَ اللهِ أوَلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ

أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ .»

ولقد انقضى التسويف والمعايرة و إنما قتلت أباك و حصلت بين يديك فاصنع ما
شئت و خذ بحقك مني كيف شئت ثم برّك على ركبتيه وقال : يا ابن رسول الله الحمد
لله أجري قتلى على يديك ، فرق له الحسن لأن قلبه كان رحيمًا صلّى الله عليه ، فقام
الحسن فأخذ السيف بيده و جرده من غمه و ندبه « و نزره خل » حتى لاح الموت

في حدّه ثم ضربه ضربة أراد به اغتياله فاشتبك زحام الناس عليه وعملت أصواتهم فلم يتمكن من فتح بابه فارتفع السيف إلى بابه «رأسمه» فأبراه فانقلب عدو الله على قفاه يخور في دمه.

فقام الحسين إلى أخيه وقال : يا أخي أليس الأب واحداً والأم واحدة ولها نصيب في هذه الضربة ولها حق في قتلها فدعني أضربه ضربة أشفي بها بعض ما أجد ، فناوله الحسن السيف فأخذته وهزه وضربه على الضربة التي ضربها الحسن فبلغ إلى طرف أنفه وقطع جانبه الآخر وابتدره الناس بأسيافهم بعد ذلك فقطعواه أرباً ارباً ، فعجل الله بروحه إلى النصارى وبيس القرار ثم جمعوا جثته وأخرجوه من المسجد وجمعوا له حطباً وأحرقوه بالنار .

و في المناقب استو هبت أم الهشيم بنت الأسود النسخية حين فتحت لتوائى إحراقها فوهبها لها فأحرقها بالنار .

وقيل : طرحوه في حفرة و طمئن بالتراب فهو يعودي كعوى الكلاب في حفرته إلى يوم القيمة .

و أقبلوا إلى قطام الملعونة وأخذوها فقطعواها بالسيف أرباً ارباً و نهبوها دارها ثم أخذوها وأخرجوها إلى ظاهر الكوفة وأحرقوها بالنار و عجل الله بروحها إلى النصارى و غضب الجبار .

و أمّا الرّجلان اللذان تحالفوا معه فأحدهما قتله معاوية بن أبي سفيان بالشّام والآخر قتله عمرو بن العاص بمصر لارضي الله عنهم .

و أمّا الرّجلان (١) اللذان كانا ملجمين ابن ملجم بالجامع يساعدانه على قتل علي عليه السلام فقتلما من ليتمهما لعنهم الله و حشرهما في جهنّم خالدين مع السّالفين .

و في البخار من الخبرات مسندأ عن عمرو بن أحمد بن محمد بن عمرو ، عن الحسن بن محمد المعروف بابن الرّفّا ، قال : سمعته يقول : كنت بالمسجد الحرام فرأيت

١. وهما شبيب بن بحيرة و رجل من وكلاء عمرو بن العاص .

الناس مجتمعين حول مقام إبراهيم فقلت ما هذا ؟ قالوا : راهب أسلم فأشرف عليه فإذا بشيخ كبير عليه جهة صوف و قلنسوة صوف عظيم الخلقة وهو قاعد بحذا مقام إبراهيم فسمعته يقول :

كنت قاعدا في صومعة فأشرفت منها و إذا طاير كالنسر قد سقط على صخرة على شاطئ البحر فتقىأ فرمى بربع إنسان ، ثم طار فتفقدته فعاد فتقىأ فرمى بربع إنسان ، ثم طار فجاء فتقىأ بربع إنسان ، ثم طار فجاء فتقىأ بربع إنسان ثم طار فدنت الأربع فقام رجالا فهو قائم وأنا أتعجب منه .

ثم انحدر الطير فضر به وأخذ ربعه فطار ، ثم رجع فأخذ ربعه فطار ، ثم رجع فأخذ ربعه فطار ، ثم انحدر الطير فأخذ ربع الآخر فطار، فبقيت أتفكر و تحسّرت لا أكون لحقته و سألته من هو فبقيت أتفقد الصخرة حتى رأيت الطير قد أقبل فتقىأ بربع إنسان فنزلت فقمت بازاهه ، فلم أزل حتى تقىأ بالربيع الرابع ، ثم طار فالنّأم رجالا قائمًا.

فدنونت منه فسألت فقلت : من أنت ؟ فسكت عنى فقلت بحق من خلقك من أنت ؟ قال : أنا ابن ملجم ، فقلت له وأي شيء عملت قال : قتلت علي بن أبيطالب فوكل بي هذا الطير يقتلنـي كل يوم قتله فهو بينما يخبرنى إذا انقض الطاير فأخذ ربعه فطار فسألت عن علي طليلا فقالوا : هو ابن عم رسول الله والله يشهد فأسلمت . التذليل الثاني في موضع قبره الشريف والإشارة الى من بناه فنقول إنه كان في بعض الأزمان بين المخالفين اختلاف في موضع قبره صلوات الله عليه ، فذهب جماعة منهم إلى إنه دفن في رحبة مسجد الكوفة وقيل : إنه دفن في قصر الامارة ، وقيل : إنه أخرجها الحسن معه إلى المدينة و دفنه بالبيهق و كان بعض جملة الشيعة يزورونه بمشهده في الكرخ .

وقد اجتمعت الشيعة على أنه مدفون بالغرى في الموضع المعروف عند الخاص والع العام ، و هو عندهم من المتوارثات رواه خلفا عن سلف إلى أئمة الدين صلوات الله عليهم أجمعين و كان السبب في هذا الاختلاف إخفاء قبره خوفا من المخوارج

والمنافقين و كان لا يعرف ذلك إلا خاص الخاص من الشيعة إلى أن ورد الصادق عليه الحيرة في زمن السفاح فأظهره لشيعته.

ومن هذا اليوم يزوره كافة الشيعة في هذا المكان ، ولا حاجة لنا إلى ذكر ما ورد في تعين موضع القبر الشريف من الأخبار المرورية عن الأئمة الأطهار ، وإنما لأنّا نسب ذكر كيفية بناء المرقد الشريف والقبة المباركة زادها الله شرفا ، فاؤقول : روى عن الصادق عليه السلام إذا ركب نوح في السفينة أنت إلى مكان البيت وطاف له أسبوعا ، فأوحى الله إليه أن انزل عن السفينة و اخرج عظام آدم و جسده وادخله في السفينة فنزل نوح و كان الماء إلى ركبته فاخذ تابوتا فيه جسد آدم فأوقعه في السفينة ، ولما وصلت السفينة إلى مسجد الكوفة فاستقر هناك فانزل نوح جسده من السفينة فدفنه في التمّسج و جعل نوح لنفسه قبراً في امامه و صير صندوقاً لعلّي يدفن فيه في أيام صدره .

وفي كتاب رياض الجنّة تأليف بعض أصحابنا قدس الله روحه : مشهد النّجف على ساكنه ألف تحيّة وتحف واقع على طرف القبلة من الكوفة بنصف فرسخ . وأول من بنا القبر الشريف هارون العباسى على ما استطاع عليه ، ثم بعد مائة وثمانين سنة ونيّفابنا عضد الدّولة الدّيلمي القبة الشرفية ، ثم زاد الملوك على ذلك يوماً فيوماً إلى أن صار بلدة صغيرة جاود الناس فيها

و لما وصل دوره السلطنة إلى السلطان نادر أمر بتذهيب القبة المباركة وبناء الآيوان و المنارتين و تذهيبهما و صرف على ذلك خمسين ألف تومان نادري وصرفت زوجته كوهرشاد أمّ ابنيه امام قلي ميرزا و نصر الله ميرزا مائة ألف ربعة على تعمير الصحن المقدس و بناء جدرانه بالكاشي و صرفت أمّ سلطان و سائر زوجاته عشرين ألف تومان نادري على بناء المسجد الواقع في ظهر الرأس الشريف وأرسلن إلى الروضات المطهورة عشرين حمل بعير من الفرش والبساط ، وكان الفراغ من جميع ذلك في سنة سبع و خمسين و مائة بعد الألف ، و قيل في تاريخ تمام المنارة الشمالية

(ج)

موضع قبره الشريف والاشارة الى من بناه

تعالى شأنه الله أكبر

وفي تمام المنارة الجنوبيّة

تكرر اربعاء الله اكبر

أراد أربعة الله أكبر ثم لَمَّا صار نوبة السلطنة إلى السلطان على مراد خان زند في سنة سبع و تسعين و مائة وألف بعث جمعاً من حذقة المهندسين بوحد من نقابة إلى تعهير ما خرب من جدران البقعة الشّريفة وتجميد كواشي الجدران والطاقات وتنقية بئر الصّبحن المقدس وساير آبار المشهد واصلاح مجرى مياهها وأهدى إلى المشاهد المشرفة ولا سيما هشمت أمير المؤمنين بالفرش النّيفيسة والفتاديل المرصعة بالدرر والجواهر وأعطى الخدام والمجاورين هناك عطايا عظيمة وصلات جزيلة ثم أمر بصنعة صندوق من الخاتم يوضع فوق القبر الشريف وتوفى قبل تمامه ثم اشتغل به حذقة الصّياعين بأمر جعفر خان ، وتوفى ولم يتم ، وأتمه لطفولي خان ابن جعفر خان وكان مدة الاشتغال بصنعته سنتين

ثم بنا الضريح المقدس المفضض السلطان آقا محمد خان قدس الله روحه ، و كان أصف الدّولة الهندي أراد أن يجري نهرًا إلى المشهد من الفرات من جنب جسر المسيب على أربعة وعشرين فرسخاً فلم يتيسر ثم عزم الحاج عمل على البغدادي إلى نهر من سمت ذي الكفل وصرف مصارف كثيرة عليه ولم يمكن

أقول : و لله الحمد والمنة فقد جرى النهر في زمان اشتغالنا بالتحصيل في المشهد بشعري السيد الفاضل الجليل العالم العلامه الزاهد الورع الحاج سيد أسد الله الأصفهاني قدس الله سره و نور ضريحه من تحت الأرض منتهيا إلى البحر ، وأرخ بعضهم جريان الماء بقوله : جاء ماء الغري شكر الله مساعي المتتصدين لبناء المشاهد المشرفة والمساعين في تعمير البقاع المتبخر كة وحشرهم مع مواليهم الطاهرين وعن سيد السند نعمة الله الجزائري في مقامات النسجاة أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام مدفون بالغري ويقال له الغريان أيضًا و هما قبراً مالك وعقيل نديمه حذيمة الأبرش

سمّياً غريين لأنَّ النعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من يقتله إذا خرج في يومه (١).

وقيل: كان يناد النعمان رجلان من العرب خالد بن مفضل وعمرو بن مسعود الأسديان، فشرب معهما ليلة فرجفاه الكلام فقضى وأمر بأن يجعلوا في تابوتين ويدفنا بظهر الكوفة، فلما أصبح سألهما فأخبره بصنعه فندم وركب حتى وقف عليهما وأمر ببناء الغريرين وجعل لنفسه كلَّ سنة يوم نعم و يوم بُؤس و كان يضع صريره بينهما.

فإذا كان يوم نعم فأول من يطلع عليه يؤتى همة من الأبل، وإذا كان يوم بُؤس فأول من يطلع يؤتى رأس طربال وهي دوبية منتنة الريح وأمر بقتله فقتل ويغري به الغريان وبقي هذا حاله إلى وقوع قضية الطائي وشريك نديم النعمان، وقد مضى ذكر تلك القضية هنا في شرح الخطبة الحادية والأربعين فتذكّر التذليل الثالث في ذكر نبذ من المعجزات الظاهرة منه و من قبره الشريف بعد وفاته

فمن هذه ماعن ارشاد الديلمي عند الاستدلال على كونه مدفونا بالغرى قال:
والدليل الواضح والبرهان الالايج على ذلك من وجوه
الأول تواتر أخبار الأئمة يرويه خلف عن سلف
الثاني اجماع الشيعة والاجماع حجة
الثالث ما حصل عنده من الاسرار والآيات و ظهور المعجزات كقيام الز من
و در بصر الأعمى وغيرها

فمنها ما روى عن عبدالله بن حازم قال خرجنا يوما مع الرشيد من الكوفة فصرنا إلى ناحية الغريين فرأينا ظباء فأرسلنا عليها الصقور والكلاب فجاءت لها ساعة ثم لجأت الظباء إلى أكمة (٢) فراجعت الصقور والكلاب عنها ، فتعجب الرشيد من

١- وتسمية المشهد بالغرى من باب مجاز المجاورة لوقوعه قرب الغري، منه

٢- الاكمة كقصبة التل الصغير

ذلك ، ثم إن الظباء هبّت من الأكمة فسقطت الطيور والكلاب عنها فرجعت الظباء إلى الأكمة فترجعت الصقور والكلاب عنها مرتان ، ثم فعلت ذلك مرّة أخرى .

فقال الرشيد : اركضوا إلى الكوفة فأتوني بأكابرها سناً ، فأتى بشيخ من بنى أسد فقال الرشيد : أخبرني ما هذه الأكمة ؟ فقال : حدثني أبي عن آبائه أنهم كانوا يقولون : إن هذه الأكمة قبر علي بن أبي طالب جعله الله تعالى حرما لا يأوي إليه شيء إلا أمن .

فنزل هارون ووابمه وتوضأوا صلوة عند الأكمة وجعل يدعوا ويذكر ويترغّب عليها بوجهه وأمر أن يبني قبة بأربعة أبواب فبني ، وبقي إلى أيام السلطان عضد الدولة فجاء فأقام في ذلك الطريق قريبا من سنة هو وعسكره فبعث فاتي بالصناعة والاستادية من الأطراف وخرب تلك العمارة وصرف أموالا كثيرة جزيلة وعمر عمارة جليلة حسنة وهي العمارة التي كانت قبل عمارة اليوم

ومنها ما حكى عن جماعة خرجوا بليل مختلفين إلى الغري لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام قالوا : فلما وصلنا إلى القبر الشريف وكان يومئذ قبراً حوله حجارة ولا بناء عنده ، وذلك بعد أن أظهره الرشيد وقيل أن يعمره ، فيينا نحن عنده بعضنا يقره وبعضنا يصلي وبعضنا يزور وإذا نزع بأسد مقبل نحونا ، فلما قرب منها قدر رمح قال بعضنا البعض : ابعدوا عن القبر لنتظر ما يصنع ، فتباعدنا عن القبر الشريف فجاء الأسد وجعل يمرغ ذراعيه على القبر ، فمضى رجل منا فشاهدته فعاد فأعلمنا فزال الرعب عنا فجئنا بأجمعنا شاهدناه يمرغ ذراعيه على القبر وفيه جراح فلم يزل يمرغه ساعة ، ثم نزح عن القبر فمضى ، فعدنا إلى ما كان عليه من الزياره والصلوة والقرآن .

وعن هزار البخار قال : وقد شاع في زماننا من شفاء المرضى ومعافاة أصحاب البلوى وصحة العميان والز من أكثر من أن يحصل ولقد أخبرني جماعة كثيرة من الثقات أن عند محاصرة الروم لعنةهم الله المشهد

الشّرِيف في سنة أربع وثلاثين وألف من الهجرة تحصن أهله بالبلد و إغلاق الأبواب عليهم والتعزز لدفعهم مع قلة عددهم وعدتهم وكثرة المحاصرين لهم وقوتهم وشوكتهم ، وجلسوا زمانا طويلا ولم يظفروا بهم وكانوا يرمون بالبنادق الصغار والكبار عليهم شبه الأمطار ولم يقع على أحد منهم ، وكانت الصبيان في السُّكك ينتظرون وقوعها ليلعبوا بها حتى أنهم يرون أن بندقاً كبيراً دخل في كم جارية رفعت يدها ل الحاجة على بعض السطوح وسقط من ذيلها ولم يصبهها و يروى عن بعض المسلمين الأفضل من أهل المشهد أنه رأى في تلك الأيام أمير المؤمنين عليه السلام في المنام وفي يده سواد فسأل عنه ذلك فقال : لكثرة دفع الرصاص عنكم ، والغرائب التي ينقلونها في تلك الواقعة كثيرة فاما التي اشتهرت بين أهل المشهد بجيشه لا ينكره أحد هنهم فمنها قصة الدَّهْن و هوأن خازن الرَّوْضَة المقدسة المولى الصالح البارع التسقى مولانا محمود قدس الله روحه كان هو المتوجّه لصلاح العسكر الذي كانوا في البلد ، وكانوا محتاجين إلى مشاعل كثيرة لمحافظة أطراف الحصار فلما صاح الأمر ولم يبق في السوق ولا في البيوت شيء من الدَّهْن أعطاهم من العياض التي كانوا يصبون فيها الدَّهْن لاسراج الروضة وحواليها ، فبعد إتمام جميع مافي العياض وبأسهم من حصوله من مكان آخر رجعوا إليهافوجدوها متربعة من الدَّهْن فأخذوا منها وكفاهم إلى انقضاء وطتهم ومنها أنهم كانوا يرون في الميلالي في رؤوس الجدران وأطراف العمارات و المئارات نوراً ساطعاً بينما حتى أن الناس إذا كان يرفع يده إلى السماء كان يرى أنامله كالشّموع المشتعلة .

ولقد سمعت من بعض أشراف الشّيّقات من غير أهل المشهد أنه قال : كنت ذات ليلة نائماً في بعض سطوح المشهد الشّرِيف فانتبهت فرأيت النّور ساطعاً من الروضة المقدسة ومن أطراف جميع جدران البلد فعجبت من ذلك ومسحت يدي على عيني فنظرت مثل ذلك فأيقنـت رجلاً كان نائماً بجهني فأخبرني

بمثل ما دأيت وبقي هكذا زمانا طويلا ثم ارتفع
وسمعت أيضاً من بعض الشهادات قال : كنت نائماً في بعض الليلات على بعض
سطح البلد الشريف فانتبهت فرأيت كوكباً نزل من السماء بحذاء القبة السماوية
حتى وصل إليها وطاف حولها هراراً بحيث أراه يغيب من جانب ويطلع من آخر ثم
صعد إلى السماء .

ومن الأمور المشهورة التي وقعت قريباً من زماننا أن جماعة من صلحاء أهل
البحرين أتوا لزيارة الحسين عليه السلام لادران بعض الزيارات المخصوصة فأبطنوا ولم
يصلوا إليه ووصلوا بذلك اليوم إلى الغري وكان يوم مطر وطين وكان مولانا محمود
أغلق أبواب الروضة وقالوا قد حرمنا من زيارة ولدك فلا تحرمنا زيارتك فاتنا من
شيئتك وقد أتيناك من شقة بعيدة ، فييناهم في ذلك إذ سقطت الأقفال وفتحت
الأبواب ودخلوا وزاروا .

وهذا مشهور بين أهل المشهد وبين أهل البحرين غاية الاشتهرار
ومنها ما تواترت به الأخبار ونظموها في الأشعار وشاع في جميع الأصقاع
والاقطار واشتهر اشتهر الشّمس في رابعة النّهار و كان بالقرب من تاريخ الكتابة
سنة اثنين وسبعين بعد الألف من الهجرة ، و كان كيفية تلك الواقعة على ما سمعته
من التقى أنه .

كان في المشهد الغروي عجوز تسمى بمريم ، و كانت معروفة بالعبادة والتقوى
فمرضت مرضًا شديداً وامتدّ بها حتى صارت مقهورة هزيمة وبقيت كذلك قريباً
من سنتين بحيث اشتهر أمرها وكونها ممن قفي الغري .

ثم إنها لتسع ليال خلون من رجب تضرعت لدفع ضرّها إلى الله تعالى
وامتنعت بمولانا أمير المؤمنين عليه السلام وشكّت إليه في ذلك ونامت ، فرأأت في منامها
ثلاث نسوة دخلن إليها واحدهنّ كالقمر ليلة البدر نوراً وصفاء وقلن لها لا تخافي
ولا تحزن فرجك في الليلة الثانية عشر من الشهر المبارك .
فانتبهت فرحاً وقصّت رؤياها على من حضرها وكانت منتظرة ليلة ثانية عشر

رجب فمررت بها ولم تر شيئاً، ثم ترقّبت ليلة ثانية عشر شعبان فلم تر شيئاً أيضاً، فلما كانت ليلة تاسع شهر رمضان رأت في منامها تلك النسوة بأعيانهن وهن يبشّرنها، فقلن لها إذا كانت ليلة الشّانِي عشر من هذا الشّهر فامض إلى روضة أمير المؤمنين وارسل إلى فلانة وفلانة وسمين نسوة معرفات وباقيات إلى حين هذا التحرير وادّهبي بهن معك إليها.

فلما أصبحت قصّت رؤياها وبقيت مسرورة مستبشرة بذلك إلى أن دخلت تلك الليلة فأمرت بغسل ثيابها وتطهير جسدها وأرسلت إلى تلك النسوة ودعّعن فاجبن وذهبن بها محمولة لأنّها كانت لا تقدر على المشي

فلما مضى قريب من ربع الليل خرجت واحدة واعتذررت منها وبقيت معها انتتان وانصرف عنهن جميع من حضر الروضة المقدّسة وغلقت الْبَاب ولم يبق في الرّوّاق غيرهنّ فلما كان وقت السّحر وأرادت صاحباتها أكل السّحور أو شرب التنّ فاستحبّيوا من الضريح المقدس فتركتها عند الشّبّاك المقابل للضريح المقدس في جانب القبلة وذهبتا إلى الباب الذي في جانب خلفه يفتح إلى الصّحن وخلفه الشّبّاك ، فدخلتا هناك وأغلقتا الباب ل حاجتهما.

فلما رجعتا إليها بعد قضاء وطّرّهما لم تجداهما في الموضع الذي تركتاهم لقاء فيه ، فتحيرتا فمضتا يميناً وشمالاً فإذاً بها تمّشى في نهاية الصّحة والاعتدال. فسألتها عن حالها وما جرى عليها فأخبرتهما أنّكما لما انصرفتما عنّي رأيت تلك النسوة اللاّتى رأيتهن في المنام أقبلن وحملتنى وأدخلتنى داخل القبة المنورة وأنا لا أعلم كيف دخلت و من أين دخلت.

فلما قربت من الضريح المقدس سمعت صوتا من القبر يقول: حر كن المرة الصّحة وطفن بهن لاث مرأت فطفن بي ثلاث مرأت حول القبر، ثم سمعت صوتا آخر اخرجن المرة الصّحة من باب الفرج فأخرجتني من الباب الغربي الذي يكون خلفه يصلّي بين البابين بحذاء الرّأس وخلف الباب شباك يمنع الاستطراف ولم يكن الباب معروفاً (ج) (١١)

قبل ذلك بهذا الاسم .

قالت فالآن مضين عنّي و جستمانى وأنا لأرأبى شيئاً مما كان من المرض واللام والضعف وأنا في غاية الصحة والقوّة ، فلما كان آخر الليل جاء خازن الحضرة الشريفة وفتح الأبواب فر آهـن يمشين بحيث لا يتميّز واحدة منهـن .

و أني سمعت من المو لى الصالح التـقى مولينا عـمل طاهر الذي يـمـدـهـ مـفـاتـيحـ الرـوضـةـ المـقدـسـةـ وـ منـ جـمـاعـةـ كـثـيرـةـ منـ الصـلـاحـاءـ الـذـيـنـ كـانـواـ حـاضـرـينـ فيـ تـلـكـ اللـيـلـةـ فيـ الحـضـرـةـ الشـرـيفـةـ أـنـهـمـ رـأـهـافـيـ أـوـلـ اللـيـلـةـ بـعـدـ دـخـولـهـاـ وـ فـيـ آـخـرـ اللـيـلـ سـائـرـةـ أـحـسـنـ ماـيـكـونـ عـنـدـ خـروـجـهـ .

و في المجلد التاسع من البحار من بعض مؤلفات أصحابنا عن زيد النساج قال: كان لي جار وهو شيخ كبير عليه آثار النساج والصلاح، و كان يدخل إلى بيته و يعتزل عن الناس ولا يخرج إلا يوم الجمعة .

قال زيد النساج : فمضيت يوم الجمعة إلى زيارة زين العابدين عليه السلام فدخلت إلى مشهده فإذا أنا بالشيخ الذي هو جاري قد أخذ من البئر ما يريد أن يغسل غسل الجمعة والزيارة .

فلما نزع ثيابه و إذا في ظهره ضربة عظيمة فتحها أكثر من شبر و هي تسيل قيحاً و مدة ، فاشتمرت قلبي منها فحانت منه الفتنة فر آني فخجل فقال أنت زيد النساج ؟ فقلت: نعم ، فقال لي : يا بنى عاونى على غسلى قلت لا والله لا اعاونك حتى تخبرنى بقصة هذه الضربة التي بين كتفيك و من كف من خرجت و أى شيء كان سبباً .

قال: يا زيد اخبرك بها بشرط أن لا تحدّث بها أحداً من الناس إلا بعد موتك فقلت: لك ذلك ، فقال: عاونى على غسلى فاذبست أطماري حدائقك بقصتي ، قال زيد فسادته فاغتسل وليس ثيابه وجلس في الشمس وجلست إلى جانبه وقلت له حدثني يرحمك الله فقال لي : اعلم أننا كنا عشرة أنفس قد توأخينا على الباطل و توافقنا على قطع الطريق و ارتكاب الآثم ، وكانت يتناوبنا نديراً لها في كل ليلة على واحد منا يصنع لناطعاماً نفيساً و خمراً عتيقاً وغير ذلك .

فلاما كانت الليلة التاسعة و كنا قد تغشينا عند واحد من أصحابنا و شربنا

الخمر ثم تفرقنا و جئت إلى منزلي و نمت ، أيقظتني زوجتي وقالت لي إن الليلة الآتية نوبتها عليك ولاغتنانا في البيت حبطة من الحنطة .

قال فانتبهت وقد طار السكر من رأسي و قلت كيف أعمل و ما المحيلة والى أين أتوجه ؟ فقالت لي زوجتي : الليلة ليلة الجمعة ولا يخلو مشهد مولينا علي بن أبيطالب من زوار يأتون إليه يزورونه فقر و امض واكمم على الطريق فلا بد أن ترى أحداً فتأخذ ثيابه فتبقيها و تشتري شيئاً من الطعام لتتم هروتك عند أصحابك وتكتافيهم على ضيفهم .

قال : فقمت وأخذت سيفي و حجفتي و مضيت مبادراً و كمنت في الخندق الذي في ظهر الكوفة ، و كانت ليلة مظلمة ذات رعد و برق فأبرقت برقة فإذا أنا بشخصين مقبلين من ناحية الكوفة ، فلما قرباه برقاً برقة أخرى فإذا هما مررتان ، فقلت في نفسي في مثل هذه الساعة أتاني أمررتان ففرحت و وثبت إليهما و قلت لهما انزعوا الحلي الذي عليكم سريراً فاعفوا طرحا .

فأبرقت السماء برقة أخرى فإذا إحداهما عجوز والآخر شابة من أحسن النساء وجهاً كأنها ظبية قناس (١) أو درة غواص ، فوسوس لي الشيطان على أن أفعل بها القبيح ، فقلت في نفسي مثل هذه الشابة التي لا يوجد مثلها حصلت عندي في هذا الموضع وأخليها ، فرأودتها عن نفسها .

وقالت العجوز : يا هذا أنت في حلّ مما أخذته مني من الثياب والحلبي فخلّنا نمضى إلى أهلنا والله إنها بنت يتيمة من أمها وأيتها وأنا خالتها وفي هذه الليلة القابلة نزف إلـيـ بـعـلـهـ وـأـنـهـاـ قـالـتـ لـيـ : يا خـالـةـ إـنـ اللـيـلـةـ القـابـلـةـ أـزـفـ إـلـيـ اـبـنـ عـمـيـ وـأـنـاـ وـالـلـهـ رـاغـبـةـ فـيـ زـيـارـةـ سـيـدـيـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ عـلـيـهـ السـلـامـ وـإـنـيـ إـذـاـ مضـيـتـ عـنـدـ بـعـلـيـ رـبـعـاـلـاـيـاذـنـ لـيـ بـزـيـارـتـهـ فـلـمـاـ كـانـتـ هـذـهـ الـلـيـلـةـ الـجـمـعـةـ خـرـجـتـ بـهـاـ لـأـزـوـرـهـاـ مـوـلـاهـاـ وـسـيـدـهـاـ أـمـيرـ المؤمنـينـ فـبـالـلـهـ عـلـيـكـ لـأـتـهـتـكـ سـتـرـهـاـ وـلـأـنـفـصـ خـتـمـهـاـ وـلـأـنـفـضـحـهـاـ بـيـنـ قـوـمـهـاـ .

فقلت لها : إليك عندي و ضربتها و جعلت أدرار حول الصبية وهي تلوذ بالعجز

وهي عربانة ما عليها غير السر وال وهي في تلك الحال تعقد تكتها و تونتها عقداً فدفعت العجوز عن الجارية و صرعتها إلى الأرض و جلست على صدرها و مسكت يديها يد واحدة و جعلت أحل عقد التكمة باليد الأخرى وهي تضطرب تحت كالسمكة في يد الصياد وهي تقول: المستغاث بك يا الله المستغاث بك يا علي بن أبي طالب خلصني من يد هذا الظالم.

قال : فوالله ما استم كلامها إلا و حس حافر فرس خلفي ، فقلت في نفسي هذا فارس واحد و أنا أقوى منه و كانت لي قوة زائدة و كنت لأهاب الرجال قليلاً أو كثيراً ، فلما دنا مني فإذا عليها نيا بيب ييشن و تحته فرس أشيب تفوح منه رائحة المسك فقال لي : يا وليك خل المرة قلت له : إذهب لشأنك فأنت نجوت بنفسك تريدى تتجى غيرك؟

قال : فغضب من قوله و نقمته (١) بذبال (٢) سيفه بشيء قليل فوقعت مغشياً على لا أدري أنا في الأرض أو في غيرها و انعقد لسانه و ذهبت قوتي لكنني أسمع الصوت وأعي الكلام.

فقال لهمَا قوماً بسا نيا بكمَا ، فقلت العجوز : فمن أنت يرحمك الله وقد من الله علينا بك و إنّي أريد منك أن توصلنا إلى زيارة سيدنا و مولينا علي بن أبي طالب قال فتبسم في وجوههم وقال لهمَا : أنا علي بن أبي طالب ارجعا إلى أهل كما قبلت زيارتكما.

قال : فقامت العجوز والصبية و قبلاً يديه ورجليه و انصرفت إلى سرور وعافية قال الرجل : فأفاقت من غشوتى و انطلقت لسانى فقلت له : يا مسيدي أنا تائب إلى الله على يدك و انى لاعدت ادخل في معصية أبداً ، فقال : إن تبت تاب الله عليك ، فقلت له : تبت والله على ما أقول شهيد.

١- النقف الغرب بالرمح والمعما و نحوهما، منه .

٢- لعل المراد بذبال السيف الموضع النذابل اي الدقيق منه وهو راسه و في بعض النسخ

بالمثناة و هو ايضاً كناية عن راسه .

ثُمَّ قَلْتُ لَهُ : يَا سَيِّدِي تَرْكِتِنِي وَ فِي هَذِهِ الضَّرْبَةِ هَلْكَتْ بِلَا شَكٍ ، قَالَ : فَرَجَعَ إِلَىٰ وَأَخْذَ بِيَدِهِ قَبْضَةَ مِنْ تَرَابِ نَمٍ وَضَعَهَا عَلَىِ الضَّرْبَةِ وَ مَسَحَ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةَ عَلَيْهَا فَالْتَّحَمَتْ بِقَدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

قَالَ زَيْدُ النَّسَاجِ : فَقَلْتُ : كَيْفَ التَّحَمَتْ وَهَذِهِ حَالَتُهَا قَالَ لِي : إِنَّهَا وَاللَّهِ كَانَتْ ضَرْبَةً مَهْوَلَةً أَعْظَمَ مَمَاتِرَاهَا الْآنَ وَ لَكِنَّهَا بَقِيَتْ مَوْعِظَةً لِمَنْ يَسْمَعُ وَ يَرَىٰ وَ مِنْ فَرْحَةِ الْغَرِي مَعْنَاعَنْ عَلَيْهِ بْنَ الْحَسَنِ بْنَ الْمُهَاجَاجِ مِنْ حَفْظِهِ ، قَالَ : كَانَ جَلَوْسًا فِي مَجْلِسِ ابْنِ عَمِّي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَمَّادِ بْنِ عَمْرَيْ بْنِ الْمُهَاجَاجِ وَ فِيهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ مِنَ الْمَشَايخِ وَ فِيمَنْ حَضَرَ الْعَبَاسُ بْنُ أَحْمَدَ الْعَبَاسِيُّ وَ كَانُوا قَدْ حَضَرُوا عَنْدَ ابْنِ عَمِّي يَهْنُونُهُ بِالسَّلَامَةِ ، لَأَنَّهُ حَضَرَ وَقْتَ سُقُوطِ سَقِيقَةِ سَيِّدِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِ تَبَّعَتِ الْمُؤْمِنَاتُ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثَ وَ سَبْعِينَ وَ مَائِينَ .

فَيَسِّرَنَا هُنَّ قَوْدَ يَتَحَدَّثُونَ إِذْ حَضَرَ الْمَجْلِسُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيْسَى الْعَبَاسِيُّ ، فَلَمَّا نَظَرَتِ الْجَمَاعَةُ إِلَيْهِ أَحْجَمَتْ عَمَّا كَانَ فِيهِ وَ أَطَّالَ إِسْمَاعِيلَ الْجُلوْسَ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِمْ قَالَ لَهُمْ : يَا أَصْحَابَنَا أَعْزَّ كُمُ اللَّهُ لَمَّا قَطَعْتُ حَدِيشَكُمْ بِمَجِيئِي

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ بْنُ يَحْيَى السَّلِيمَانِيُّ وَ كَانَ شَيْخَ الْجَمَاعَةِ وَ مَقْدِمًا فِيهِمْ : لَا وَاللَّهِ يَا بَاعْدَ اللَّهِ أَعْزَكَ اللَّهُ مَا أَهْسَكَنَا بِعَالَىٰ مِنَ الْأَحْوَالِ ، فَقَالَ لَهُمْ : يَا أَصْحَابَنَا أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَسَائِلِي عَمَّا أَقُولُ لَكُمْ وَ مَا أَعْتَقَدُهُ مِنَ الْمَذَهَبِ حَتَّىٰ حَلَفَ بِعَنْقِ جَوَارِيهِ وَ مِمَالِيكِهِ وَ حَبِّسَ دَوَابَهُ أَنَّهُ لَا يَعْتَقِدُ إِلَّا وَلَا يَهْدِي إِلَيْهِ بَنْ أَبِي طَالِبٍ وَ السَّادَةَ مِنَ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَعَدَهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا وَ سَاقَ الْحَدِيثَ ، فَأَبْسَطَ إِلَيْهِ أَصْحَابَنَا وَ سَأَلُوهُمْ وَ سَأْلُوهُ .

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : رَجَعْنَا يَوْمَ جُمُعَةَ مِنَ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ مَعَ عَمِّي دَاوُودَ فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَنَازِلَنَا وَ قَبْلَ مَنْزِلَهُ وَ فَدَ خَلَا الطَّرِيقَ قَالَ لَنَا أَيْنَمَا كَتَمْ قَبْلَ أَنْ تَغْرِبَ الشَّمْسُ فَصَبَرُوا إِلَيْهِ وَ لَا يَكُونُ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَلَىٰ حَالٍ فَيَتَخَلَّفُ لَأَنَّهُ كَانَ جَمَرَةُ بَنِي هَاشِمٍ .

فَصَرَنَا إِلَيْهِ آخِرَ النَّهَارِ وَ هُوَ جَالِسٌ يَنْتَظِرُنَا ، فَقَالَ صَيْحَوْا بِفَلَانٍ وَ فَلَانٍ مِنْ

الفعلة فجاء رجالان معهما آتَاهُمَا والتفت إلينا فقال: اجتمعوا كلّكم فاركبوا في وقتكم هذا وخذنوا معكم الجمل غلاماً كان لهُ أسود يعرف بالجمل ، و كان لو حمل هذا الغلام على سكر دجلة لسُكِرْها من شدته وبأسه ، و امضوا إلى هذا القبر الذي قد افتن به الناس و يقولون إنه قبر على حتى تتبشوه و تجيئوني بأقصى ما فيه. فمضينا إلى الموضع فقلنا دونكم و ما أمر به ، فحفر المحفارون وهم يقولون: لا حول ولا قوّة إلا بالله في أنفسهم و نحن في ناحية حتى نزلوا خمسة أذرع، فلما بلغوا إلى الصلابة قال المحفارون : قد بلغنا إلى موضع صلب وليس نقوي بنقره ، فانزلوا الحبشي فأخذ المتقار ضرب ضربة سمعنا لها طنينا شديداً في البر ، ثم ضرب ثانية فسمعنا طنينا أشدّ من ذلك ، ثم ضرب الثالثة فسمعنا أشدّ مما تقدّم . ثم صاح الغلام صيحة فقمنا فأشرفنا عليه و قلنا للذين كانوا معه : أسلأوه ما باله فلم يجيبهم ، و هو يستغيث فشدّوه و أخرجوه بالحبيل فإذا على يده من أطراف أصابعه إلى مرفقه دم هو يستغيث لا يكلّمنا ولا يحيّر جوابا ، فحملناه على البغل و رجعنا طاميرين .

ولم يزل لحم الغلام ينشر من عضده و جنبيه و سائر شفته إلا يمن حتى انتهي إلى عمّي فقال : ايش و رائكم ؟ فقلنا : ما ترى و حدّ تناه بالصورة . فالتفت إلى القبلة و تاب مما هو عليه و رجع عن المذهب و تولى و تبرى و ركب بعد ذلك في الليل على مصعب بن جابر فسأله أن يعمل على القبر صندوقاً ولم يخبره بشيء مما جرى ، و وجّه من طم الموضع و عمر الصندوق عليه و مات الغلام إلا سود من ورقه.

وقال أبوالحسن الحجاج رأينا هذا الصندوق الذي هذا حديثه لطيفاً . أقول : و ما ظهر منه ^{عليه} من هذا القبيل فوق حد الأحصاء ولا حاجة إلى الإطالة ، فسبحان من آثر أولياء بالكرامات الظاهرة والمعجزات القاهرة ، وخصهم بالمناقب السنية والمآثر الرفيعة .

« ليهيلكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنَةٍ وَ يَحْيَى مَنْ حَيَ عَنْ بَيْنَةٍ »

و لشيخنا البهائي قدس الله روحه في مدح حرم الغري سلام الله على مشرفه:
 في ذالحرم الأقدس بيت معمور
 في خدمته ملائكة العرش حضور
 فيه التبس الذي ابن عمران رأى
 و قال أيضاً :

فاسجد متtxشعاً و عقر خديك
 هذا الحرم الأقدس قدلاح لدبك
 هذا حرم العزة فاخلم نعليك
 ذاتود سنين فاغتصن الطرف به
 و قال أيضاً :

هذا لملايك السماءات مطاف
 هذا النباء العظيم ما فيه خلاف
 من حلّ به فهو من النار معاف
 هذا حرم الله لمن حجّ و طاف

الترجمة

و فرمود آن حضرت در سحر آن روزی که ضربت یافت در او : مالک شد
 مرا چشم من یعنی غلبه نمود خواب بر من در حالتی که من نشسته بودم ، پس
 ظاهر شد بمن رسول خدا بِالْحَقْلَةِ پس گفتم یا رسول الله چیست اینها که رسیدم
 از امت تو از کجی و دشمنی ؟ پس حضرت رسالت فرمود که ای علی دعای بدکن
 بر ایشان ، پس گفتم که بدل گرداند و عوض دهد مرا خدای تعالی بایشان بهتری
 از برای من از ایشان یعنی بجای ایشان جماعتی بهتر بمن کرامت فرماید ، و بدل
 گرداند و عوض دهد ایشان را بمن بدتر کسی از برای ایشان بجای من تا اینکه ایشان را
 بجزا و سزای عملهای بدشان برساند .

و من كلامله عليه السلام في ذم اهل العراق و هو السبعون من المختار في باب الخطب

والظاهر أنها ملقطة من خطبة طويلة قللناها و ابتعنا عن الاحتجاج والارشاد في شرح
 الخطبة التاسعة والعشرين فليرجع هنالك:

أَمَا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ إِنَّا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ حَمَلْتُ فَلَمَّا أَتَتْ
أَمْلَصْتُ وَمَاتَ قِيمُهَا، وَطَالَ تَائِيْهَا، وَوَرَقَهَا أَبْعَدُهَا، أَمَا وَاللهِ مَا
أَتَيْتُكُمْ اخْتِيَارًا، وَلَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقًا، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنْكُمْ تَقْوُونَ
عَلَىٰ يَكْذِبُ، فَاتَّلَمْتُ اللَّهَ، فَعَلَىٰ مَنْ أَكْذِبْ؟ أَعْلَىٰ اللَّهِ؟ فَإِنَّا أَوَّلُ مَنْ
آمَنَ بِهِ، أَمْ عَلَىٰ تَبَيِّهِ؟ فَإِنَّا أَوَّلُ مَنْ صَدَقَهُ، كَلَّا وَاللهِ، وَلَكِنَّهَا
لَهْجَةُ غَبْتُمْ عَنْهَا، وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا، وَنَبِيلُ أُمِّهِ كَيْلًا بِغَيْرِ قَمِّنِ لَوْ
كَانَ لَهُ وِعَاءٌ، وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَاهَ بَعْدَ حِينٍ.

اللغة

(املصت) الحامل ألتقت ولدها ميتاً والمملachsen معتادته و (قيمة) المرأة زوجها لأنه يقوم بأمرها و (تايم) المرأة خلوتها من الزوج، والأيم في الأصل التي لا زوج لها قال سبحانه:

«وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ».

و (السوق) الاضطرار وفي بعض النسخ ولا جئت اليكم شوقا بالشين المعجمة و (اللهجة) بسكون الهاء وفتحها اللسان و يمكنني بها عن الكلام قال الفيروز آبادي : (الويل) حلول الشر وبهاء الفضيحة ، أو هو تفجيع يقال : ويله وويلك ويلي و في النسبة يقال ويلاه ، وويل كلمة عذاب وداد في جهنم أو بتر أبو باب لهاو رجل ويلمة بكسر اللام و ضمهاواه ويقال للمستجاه ويلمة أى ويل لأمه كقولهم لا أب له، فركبوه و جعلوه كالشئي، الواحد ثم المحتوه الهاء مبالغة كداهية.

الاعراب

قال الجوهري: تقول ويل لزيد و ويل لزيد ، فالنصب على اضمار الفعل والرفع

على الابتداء فإذا ألم تضفه فإذا أضفت فليس إلا النصب لأنك لورفعته لم يكن له خبر .
وقال نجم الأئمة الرضي في باب حذف عامل المفعول المطلق من شرح الكافية : ومنها أي من جملة ما يحذف عامله أسماء الأصوات قامت مقام المصادر كاما منها أي توجعا ، واهالك أي طيبا ، وفالكلأى كراهة ، إلى أن قال : والأصوات القائمة مقام المصادر يجوز اعرابها نصبا إلا أن تكون على حرفين ثانيهما حرف مدّ نحووى لزيد ، وذلك نحوها و فيها ، و يجوز إبقاءها على البناء الأصلى نحواف للكما وأوه من اخوانى وأوه من ذنبي .

والظاهر أنَّ و يلَكَ و ويحلَكَ و ولِيكَ و ويبيكَ من هذا الباب وأصل كلهاوى على ما قال الفراء جي ، بلام الجر بعدها مفتوحة مع المضمر نحووى لك ووى له ثم خلط اللام بوى حتى صارت لام الكلمة كما خلطوا اللام بيافي قوله :

فغير نحن عند الناس منكم إذ الداعي المتوب قال يالا

فصادر معربا باتمامه ثلاثة فجائز أن يدخل بعدها لام أخرى نحو ويل لك لصيرورة الأولى لام الكلمة ثم نقل إلى باب المبتدأ فقيل ويل لك كما في سلام عليك .
أقول : و تحقيق الكلام أنك إذا قلت ويل لزيد فيجوز الرفع على الابتداء والنصب على المفعولية أي حل الشر به حلوأ أو عذب الله عذابا أو هلكاله وجوز جره في القاموس ولا أرى له وجها .

و إذا قلت : ويل زيد فيجوز الضم على الابتداء و حذف الخبر أي عذابه أو هلاكه مطلوب ، والكسر على أنَّ أصله وى لزيد فكلمة وى بمعنى الحزن و المخسران اتصلت لام الجر بها لكثر الاستعمال فقيل ويل زيد ، والفتح على أنها بعد الاتصال بلام الجر حسبما قلناه خففوا اللام بالفتح .

و أمما قولهم رجل و يله بكسر اللام و ضمه فأرادوا به أنته واه يستعملونه في مقام التسُعْجُب من دهاء الرَّجُل و ذكائه ، و أصله ويل لامه فركب الكلمتان بعد التسخيف بحذف اللام و اسقاط المهمزة فصار و يله .

قال في الإقianoس : وى فيها كلمة مفردة معناها التسُعْجُب كأنه يتتعجب من

أمه أنها ولدت هذا الولد الذي لانظير له في العقل والفراسة ، أو أنه من قبيل قاتله الله و تربت يداه يعني أن الجملة موضوعة للتعجب ملغاً عن معناها الأصلية أو أن الويل بمعنى العذاب والخسران كأنه يريد عذاب أمه كيف ولدت هذا الولد الداهي الظالم فيكون مستعماً في مقام الأسف والانفعال ، أو أن المراد بذلك الحسراة والتأسف من أمه وأنها ولدت هذا الولد فرداً ولم تدلله ثانية كفواً فيكون مستعماً في مقام التعجب والاستجادة.

و قيل : إن أصل ذلك ويل لأم كما أن قولهم لاب لك مخفف لاب لك ، فالحق به الماء كاماً للمبالغة كما في الداهية فصار ويل لأمه فخفف وصار ويلمه و على ذلك فالماء ليست ضميراً ولكن المستفاد من كلام الزمخشري أنه مخفف من قولهم ويل لأمه أو من قولهم وي لأمه ، والماء ضمير يفسّره ما بعده من باب الأضمار على شريطة التفسير كما في قولهم ربّه رجلًا يقال و يلمه رجلًا قال ذو الرمة :

ويلمها روحه والريح معصفة و الغيث مرتاح و الليل مقترب
و عن النهاية و منه حديث علي كرم الله وجهه ويلمه كيلاً بغير ثمن لو كان له وعاءً أى يكيل العلوم الجمة بلا عوض إلا أنه لا يصادف داعياً الويل للتعجب ، و قيل ويل كلمة مفردة وأمه هفردة وهي كلمة تعجب وتعجب وحذفت المزة من أمه تخفيفاً والقيمة حركتها على اللام و ينصب ما بعدها على التمييز انتهى .

و في شرح المعترلي انتصب كيلاً لأنّه مصدر في موضع الحال ، ويمكن أن ينتصب على التمييز كقولهم الله دره فارساً .

المعنى

قد ظهر من رواية الاحتجاج المتقدمة في شرح الخطبة التاسعة والعشرين أن هذه الخطبة واردة في ذم أهل العراق بتشاقلم عن جهاد معاوية وأتباعه فقال لهم (أمساً بعد يا أهل العراق فانتم أئمـة كالمرأة الحاـمل حملـت فـلماً أـنـتـمـ) حملـها و تـكـامـلتـ ايـسـامـهـ (أـمـلـصـتـ) و أـسـقـطـتـ ولـدـهـ مـيـتـاـ (وـمـاتـ قـيـمـهـ) أـيـ زـوـجـهـ (وـطـالـ

تأييدها بقاها بلا زوج (و ورثها ابعدها) لفقدان الوارث القريب .
 شبههم بالمرأة الموصوفة بالأوصاف الخمسة التي هي وجوه الشيمه بينها وبينهم ، فحملها يشبه تهيؤهم للحرب واستعدادهم لها ، واتمام المحمل يشبه مشارفه لاستقبال أهل الشام والظفر على المقصود ، والاملاص يشبه باجابتهم إلى التحكيم وجنوحهم إلى السلام ورجوعهم عن العدوان بعد قرب الظفر وظهور أمارات الفتح ، فان ذلك رجوع غير طبيعي وغير معقاد للعقلاء كما أنَّ الاملاص أمر غير طبيعي وخارج عن العادة وموت القيم وطول الأيام يشبه بقائهم بلا صاحب المجرى مجرى موته عنهم وطول ضعفهم وتمادي ذلتهم ، كما أنَّ موت قيم المرأة مستلزم لطول ضعفها وتمادي عجزها .

وأما وراثة الآباء بعديين فاشارة إلى أنَّهم لتقديرهم في الأمر أخذ عدوهم الذين هم أبعد الناس عنهم بلادهم وسلطوا عليهم وصاروا بمنزلة الوارثين لها ، كما أنَّ المرأة الموصوفة بسبب املاصها وموت زوجها لا يبقى لها وارث قريب نسبي وسببي فيرثها بعيد عنها .

ثم اقسم تضجيراً من حالهم بقوله : (أَمَا وَاللَّهُ مَا أَتَيْتُكُمْ اخْتِيَارًا) وايشارأً للمقام ينكم وحبأ لكم ولبلادكم (ولكن جئت اليكم سوقاً) واضطراراً كان القضاة ساقه إليهم ، إذ خروجه من المدينة دار الهجرة لم يكن إلا لقتال أهل العمل واحتاج إلى الاستنصراء بأهل الكوفة إذ لم يكن جيش العجاجزوا فيها بمقاتلتهم ، ثم اتصلت تلك الفتنة بفتنة أهل الشام فاضطر إلى المقام بينهم .

نم قال (ولقد بلغنى أنكم تقولون على يكذب) فاته عليكم كان كثيراً ما يخبرهم عن الملاحم والأمور الغريبة وما يكون قبل كونه كما مضى نبذ من ذلك في شرح كلامه السادس والخمسين ، و يأتي كثير منها في تصاغيف الشرح أيضاً فكان منافقوا أصحابه ينسبونه في هذه الأخبارات الغريبة إلى الكذب لضعف عقولهم وقصور أفهمهم و يقولون إنه يكذب فدعوا عليهم بقوله (قاتلوك الله) أى لعنكم وأبعدكم عن رحمته .

ثم ردّ زعمهم الفاسد و اعتقادهم الكاذب بقوله : (فعلى من أكذب أعلى الله فأننا أول من آمن به ، أم على نبيه فأننا أول من صدقه) يعني أن هذه الأخبار ما الخبر كم بها من تلقاء نفسي ، وإنما هي أخبار عن الله وعن رسوله فكيف أكذب على الله وأنا أول المؤمنين به و أول مؤمن به لا يكون أول مكذب ، و كيف أكذب على علي الرسول وأنا أول المصدقين له والتابعين لمثله فكيف أكون مكذبا عليه . (كلا والله) أى لا والله أو حقا والله (ولكنها) أى تلك الاخبار الغيبة (لم يوجة غبتم عنها ولم تكونوا من أهلها) أى غابت عقولكم الضعيفة عن إدراكها و تحصيل منها فما لو إدراك نمراتها و لستم أهلا لفهمها ، أو أنكم كنتم غائبين عنها حين أخبرني بها رسول الله ﷺ فسمعت كلامه ولم تسمعواه ولو سمعتموه أيضاً لم تكونوا من أهلها .

(ويل امه كيلا بغير ثمن لو كان له وعاء) أنت بعد الخبرة بما حقيقناه في بيان الاعراب تعرف احتمال رجوع ضمير امه فيه إلى المكذب له فيكون تعجبنا من قوّة جهلهم أو استعظاماً لمقاتلتهم أو دعاء عليهم أى عذبه الله و قاتله فاني أكيل العلم لهم كيلا بلا ثمن لو وجدت له حاما .

أو أنته راجع إلى نفس العلم فيكون واردا في مقام الاستجادة و الاستعظام والتعجب كأنه يتعجب من علمه حيث يقال كيلا بلا ثمن لو كان له واعيا ، و سائر الاحتمالات غير خفي على البصير الناقد لما قدّ هنا و قوله : (ولتعلمن نباء بعد حين) اقتباس عن الآية الشرفية أى لتعلمن ثمرة جهلكم و تكذيبكم و اعراضكم عمّا أقول بعد مفارقتى عنكم و حين مماتي حينما تسلط عليكم بنو امية والعباس و ساقكم سوق العبيد وابتليتم بالقتل والذل والصغار أو أنكم تعلمون جزء ذلك و تجدونه بعد مفارقة الدنيا و مصيركم إلى الآخرة حينما وقعتم في الندامة الدائمة والمحسرة الباقيه .

الترجمة

أز جمله كلام بلاغت نظام آن عالي مقامست در مذمت أهل عراق ڈ توییخ

ایشان میفرماید:

پس از حمد الهی و درود حضرت رسالت پناهی ای اهل عراق پس بدرستی که شما مثل زن آبستن هستید که حامله شود پس چون تمام نماید حمل را بیندازد و سقط کند آن بچه را و بمیرد شوهر او که قایم امر اوست و طول یابد بی شوهر ماندن او ووارث شود بر او دودتر و راث آنزن.

وجه تشبیه اهل عراق بزن موصوف اینست که استعداد و مهیا شدن ایشان بحرب اهل شام مشابه حمل آن زن است، و هشارفه ایشان بر غلبه به دشمن در جنک صفين شبیه است با تمام ولد، و برگشتن ایشان از دشمن بعد از ظهور علامات فتح و ظفر مانند سقط کردن اوست بچه اش را، و رجوع ایشان از رأی آنحضرت و تفرق ایشان که باعث ذل مان شد شبیه است به مردن شوهر ضعیفه و بی صاحب ماندن او که مستلزم عجز و مذلتش است، و تسلط اعدا بر شهروهای ایشان به منزله وارد شدن دورترین است از آنزن.

باری حضرت ولایت مآب بعد از اینکه ایشان را باین نوع مذمت فرمود میفرماید: که آگاه باشید قسم بخدا نیامدم بسوی شما ای اهل کوفه از روی رغبت و میل و اختیار، ولکن آدم من بسوی شما از روی اضطرار که دست قضا و قدر خداوندی از گریبان من کرفته بسوی شما کشید، بجهت اینکه حرکت آن حضرت از مدینه بجهت حرب اهل بصره بود و محتاج شد بیاری اهل کوفه و بعد از انقضاء حرب جمل وقعه صفين اتفاق افتاد که لابد شدن از ماندن کوفه پس فرمود:

و بتحقیق که رسید به من اینکه شما میگوئید علی بن أبيطالب دروغ می کوید در آنچه خبر می دهد از اخبار آینده، خدا از رحمت کنار نماید شمارا بکه دروغ می بندم آیا بر خدا افترا می گویم و حال آنکه من اول کسی هستم که ایمان آورده ام باو، یا بررسی خدا کذب میگویم و حال آنکه من اول کسی هستم که یغمبر را تصدیق نمود.

نه چنین است قسم بخدا ولکن این سخنان که میگوییم بشما گفتار فصیحی است که غایب بودید شما از آن در وقتی که پیغمبر به من تعلیم فرمود و نبودید شما از اهل آن.

مادر تکذیب کننده‌هن به ماتم آن بنشینید من میبیمامیم علم رباني را ییمودنی بدون بها اگر باشد در میان شما آنرا حافظی که ظرفیت و هارائی آن را داشته باشد.

و هر آینه البته خواهید دانست نمره کردار و گفتار خودتان را بعد از زمانی، یعنی در وقتی که من از میان شما بروم و امراء جور بني امیه به شما مسلط شوند.

وَمِنْ خُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِلْمٌ فِيهَا النَّاسُ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ وَهِيَ الْحَادِيَةُ وَالسَّبْعُونُ مِنْ الْمُخْتَارِ فِي بَابِ الْخُطُوبِ

وهي مروية في المجلد السادس عشر من البخاري من مناقب ابن الجوزي عن الحسن بن عرفة عن سعيد بن عمير عن أمير المؤمنين بتغيير يسير.

اللَّهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَاتِ، وَدَاعِمَ الْمَسْمُوَاتِ، وَجَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَىٰ
فَطْرَتِهَا، شَقِيقَهَا وَسَعِيدَهَا، إِنْجَعَلْ شَرَائِفَ صَلَواتِكَ وَتَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ،
عَلَىٰ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَالْفَاتِحِ لِمَا أَنْتَقَ،
وَالْمُغْلِنِ الْحَقُّ بِالْحَقِّ، وَالْدَّافِعِ جَيْشَ الْأَبْطَلِ، وَالْدَّارِمِ صَوْلَاتِ
الْأَضَالِلِ، كَمَا حَمَلَ فَاضْطَلَعَ قَائِمًا بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِرًا فِي مَرْضَاتِكَ،

غِيرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدْمِهِ، وَلَا وَاهِي فِي عَزْمِهِ، وَاعِيًّا لِوَحْيِكَ، حَافِظًا عَلَى عَهْدِكَ
مَاضِيًّا عَلَى نَفَادِ أَمْرِكَ، حَتَّى أَوْرِي قَبَسَ الْقَابِسِ، وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ
لِلْخَابِطِ، وَهُدِيَّتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ، وَأَقَامَ مُوضِحَاتِ
الْأَعْلَامِ، وَنَيَّراتِ الْأَحْكَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ
الْمَخْزُونُ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعِيْثُكَ بِالْحَقِّ، وَرَسُولُكَ إِلَى
الْخُلُقِ.

اللَّهُمَّ افْسِحْ لَهُ مَفْسَحًا فِي ظِلِّكَ، وَاجْزِهِ مُضَاعِفاتِ الْخَيْرِ مِنْ قَضْيَكَ
اللَّهُمَّ وَاعْلِمْ عَلَى بَنَاءِ الْبَارِيْنَ بَنَاهُ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ، وَأَتِيمْ
لَهُ نُورَهُ، وَاجْزِهِ مِنْ ابْتِعَائِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ، وَمَرِضِيَّ الْمَقَاتَلِ،
ذَا مَنْطِقِ عَدْلٍ، وَخُطْطِ فَضْلٍ، اللَّهُمَّ اجْمِعْ بَيْنَمَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ
وَقَرَارِ النُّعْمَةِ، وَمَنْدِي الشَّهَوَاتِ، وَأَهْوَاءِ الْمَذَاتِ؛ وَرَحَاءِ الدَّعَةِ، وَمُنْتَهَى
الْطَّمَانِيَّةِ، وَتُحَفَّ الْكَرَامَةِ.

اللغة

(دجي) الله الأرض دحوا بسطها فهى مدحوة و (دعمت) الشيء من باب نفع
دعما حفظته بالد عامة وهي بالكسر ما يستند به الحايط والستقى و نحوهما يمنعهما
الستقط و (سمكة) سماك رفعه، والمسماكات كمكرمات السماوات، والمسمو كات
لغة و (الجبل) الخلق و (النامي) الزايد و (الجيشات) جمع جيشة من جاشت القدر
إذا ارتفع غليمانها .

و (بطل) الشيء يبطل بطلاً و بطلاناً بضم الألف فسدأً و سقط حكمه فهو باطل والجمع بواطل و أباطيل على غير قياس ، و قال أبو حاتم : الباطيل جمع ابطولة بضم الهمزة و قيل جمع ابطالة و (دمقته) دمغاً من باب نفع كسرت عظم دماغه ، فالشجنة دائمة وهي التي تخسف الدماغ ولا يبقى معها حياة و (الصّولة) السطوة و (الأضاليل) جمع الضلال على غير القياس.

و (ضلوع) الشيء بالضم ضلاعة قوى ، و فرس ضليع غليظاً لواح شديد العصب و رجل ضليع قوى و (الوفز) العجلة و استوفر في قعدهه قعد منتصباً غير مطمئن و (نكل) نكولاً نكوص و جبن و (ورى) الزند يورى خرج ناره و اوريته أناه ومنه قوله سبحانه :

« فَالْمُؤْرِياتِ قَدْحًا » .

و (القبس) بفتحتين شعلة من النار قال سبحانه :

« لَعَلَّى آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ » .

والقبس هو الذي يطلب النار يقال قبس ناراً يقبسها من باب ضرب أحذها وقبس علماً تعلمه و قبست الرجل علماً يتعدى ولا يتعدى و أقبسته ناراً و علماً بالالف و (الخابط) الذي يسير على غير جادة ليلاً و (العلم) بالتحريك ما يستدل به على الطريق.

و (البيث) بمعنى المبعوث كالجريح والقتيل و (فسحت) له في المجلس فسحها من باب نفع فرجت له من مكان يسعه ، والمفسح إما مصدر أو اسم مكان ، و بعثته رسولاً بعشاً أو صلته و ابتعثته كذلك و في المطابع فانبعث مثل كسرته فانكسر و كل شيء ينبعث بنفسه يتعدى الفعل إليه بنفسه فيقال بعثه ، و كل شيء لا ينبعث بنفسه كالكتاب والهدية يتعدى الفعل إليه بالياء فيقال بعثت به.

و (الخطة) بالضم الخصلة والحالة ، و في أكثر النسخ و خطبة فصل و هو الأظهر و (برد العيش) قال المعتزلي ، العرب يقولون عيش بارد و عيشة باردة أي لا حرب

فيها ولانزعاع ، لأنَّ البردُ والسكنُ متلازمان كتلازم الحرُّ والحركة و (قر) الشيء قرآنًا من باب ضرب استقرار والاسم القرار .

و (الأهواه) جمع هوى بالقصر وهو ما تحبه النفوس و تميل إليه من هويته هوى من باب تعب إذا أحببته و علقت به و (رخى) ورخو من باب تعب و قرب رخواة بالفتح إذا لان، وكذلك العيش رخى و رخوا إذا اتسع فهو رخى على فعيل والاسم الرخاء و (الدعة) بفتح الدال السكون والستة في العيش و (الطمأنينة) اسم من اطمأن القلب إذا سكن و (التحف) جمع التحفة بالضم و كمزءة البر واللطف والظرفة وأصلها و حفة بالواو .

الاعراب

داحي المدحوات وداعم المسمو كات منصوبان على النداء ، و شقيقها وسعيدتها بالجر على البدل من القلوب ، و اضافة الشراريف والنواomi من باب اضافة الصفة إلى الموصوف ، والكاف في قوله كما حمل إما بمعنى لام التعليل كما في قول الشاعر:

كما أو سمعنا بغياً و عدواً

اي خذ هذه الضربة لأجل بغيك و تعديك علينا ، و يتحققمل كونها على أصل التشبيه و قوله : قائمًا ، منصوب على الحال و كذلك المنصوبات بعدها أعني مستوفزاً وغيرنا كل و ما عطف عليه ، و اعيا وحافظوا ماضيا و اضافة المخوضات إلى الفتن ظرفية ، و اضافة الموضفات والتيرات إلى الأعلام والأحكام من باب اضافة الصفة إلى الموصوف ، والمخزون بالجر صفة علمك ، و مقبول الشهادة و كذلك هرمي المقالة منصوب على المفعولية من اجزه ، و ذامنطق منصوب على الحال .

المعنى

اعلم ان هذه الخطبة مشتملة على فصول ثلاثة الاول في صفات المدعو و تمجيده ، و هو الله سبحانه انه الثاني في صفات المدعوه له وهو النبي ﷺ الثالث في أنواع المدعوه .

اما الاول

فالإيه الاشارة بقوله (اللهم داحي المدحوان) أى باسط الأرضين السبع المبسوطة ، وصفها بالبسط لابنافي كرويتها إذ بسطها باعتبار سطحها البارز الذي هو مسكن الحيوان فانه في الاوهام سطح مبسوط وإن كان بالاعتبار العقلي محدداً وإلى ذلك ينظر قوله سبحانه:

« وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا » « وَالَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ

فِرَاشًا » .

(داعم المسموّات) أى حافظ السماءات المرفوعة بالدّعامة التي هي القدرة على ماهر تحقيقه في شرح الفصل الشامن من فصول الخطبة الأولى (و جايل القلوب على فطرتها شقيتها و سعادتها) أراد كونه سبحانه خالق شقي القلوب و سعيدها على فطراتها الأصلية المكتوبة في اللوح المحفوظ ، والمراد بالقلوب النفوس .

وأهل العرفان كثيراً ما يعبرون عن النفس بالقلب ، و بالسعادة ما يجب دخول الجنة والنسمة الدائمة وللنذة الأبدية ، و بالشقاوة ما يجب دخول النار والعقوبات الأبدية والآلام الدائمة .

فمحصل المعنى أنه خالق النفوس و موجدها في الخارج موافقاً لفطرتها التي كتبت في الألواح السماوية قبل خلق الخلائق وقدرت أنها من أهل الجنة أو من أهل النار موافقاً لعلمه سبحانه التابع لما يختارونه بعد فجودهم و تكليفهم بارادتهم و اختيارهم .

وإلى هذا ينظر ما رواه في الكافي بسانده عن منصور بن حازم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله خلق السعادة والشقاوة قبل أن يخلق خلقه ، فمن خلقه الله سعيداً لم يبغضه أبداً و إن عمل شرّاًبغض عمله ولم يبغضه ، و إن كان شقيساً لم يحبه أبداً و إن عمل صالحاً أحب عمله وأبغضه لما يصير إليه فإذا أحب الله شيئاً لم يبغضه أبداً و إذا أبغض شيئاً لم يحبه أبداً .

وَامَّا الثَّانِي

فاليه أشار بقوله : (اجعل شرائف صلواتك و نوامي بر كاتك على محمد عبدك و رسولك) قيل في تفسير العبد : العين علمه بالله ، والبا ، بونه عن الخلق ، والدال دنوه من الله بلا اشارة ولا كيف ، يعني أنَّ العبد لا ي يكون كامل العبودية إلا إذا كان عارفاً بالله سبحانه وتعالياً منه بالقرب المعنوي و بابينا من الخلق بأن يكون فيهم ولا يكون منهم ، و ذلك مستلزم لاستغراقه في طاعة معبوده اذلواه لما حصل التقرب ولا يحصل معنى العبودية .

و من هنا قيل : إنَّ حقيقة العبودية عنوان ثلاثة أشياء : أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله ملكا لأنَّ العبيد لا يكون لهم ملك بل يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله ، ولا يدبّر العبد لنفسه تدبيراً ، و يكون جملة اشتغاله فيما أمر الله تعالى و نهاه عنه ، فاذالم يرى العبد فيما خوله الله ملكا هان عليه الانفاق وإذا فوق العبد نفسه إلى مدبرها هانت عليه مصائب الدنيا ، وإذا اشتغل العبد فيما أمره الله ونهاه لا يتفرّغ منها إلى المرأة والمباهات مع الناس .

فإذا أكره الله العبد بهذه الثلاث هانت عليه الدنيا ولا يطلب الدنيا تفاحراً و تکاثراً ولا يطلب عند الناس عزّاً و علوًّا ولا يدع أيامه باطلة فيكون تاركاً الدنيا و فارغاً لطاعة مولاه ، فإذا وصل العبد إلى هذا المقام انكشفت له العجبات الغيبة و أدركته الألطاف الرّبانية ، و تحصل له معنى العبودية « وهي ظ » جوهرة كنهاها البوية ، و يصير مظهراً لصفات الكمال ومصدراً للنعوت الجلال .

و إلى هذا المعنى ينظر الحديث القديسي : إنَّ عبدي ليتقرّب إلىَّ بالنسافلة حتى أحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به و يده التي يبطش بها إن دعاني أحببه و إن سألهني أعطيته و لمنا كان هذا المعنى غاية الكمال وصف الله سبحانه جملة من أوليائه المقربين في كتابه المجيد بذلك فقال :

« سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بَعْدِهِ كَيْلَانَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ » و قال :

«عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا» وَقَالَ : «نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَابٌ».

إِلَى غَيْرِ هَذَا ، ثُمَّ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ مَرْتَبَةُ الرَّسَالَةِ فَوْقَ مَرْتَبَةِ الْعِبُودِيَّةِ وَمِنْ عَادَتْهُمْ تَقْدِيمُ
غَيْرِ الْأَبْلَغِ عَلَى الْأَبْلَغِ كَمَا يَقُولُونَ : عَالَمُ نَحْرِيرٍ وَ جَوَادٌ فِياضٌ لِاجْرَمِ قَدْمٌ تَوْصِيفُهُ
بِالْعِبُودِيَّةِ عَلَى تَوْصِيفِهِ بِالرَّسَالَةِ ، وَ إِنَّمَا قُلْنَا إِنْ دَرْجَةُ الرَّسَالَةِ فَوْقَ هَذِهِ الدَّرْجَةِ
لَاَنَّ الرَّسُولَ مَنْ يَسْعَ قَلْبَهُ الْجَاهِنِينَ وَ لَا يَبْحَثُ بِشَهْوَدِ الْحَقِّ عَنِ الْخُلُقِ ، فَهُوَ أَكْمَلُ
مَنْ يَسْتَغْرِقُ فِيهِ تَعَالَى غَافِلًا عَنِ خَلْقِهِ.

وَ يَدْلِلُ عَلَى تَقْدِيمِهَا عَلَيْهَا رَوَايَةُ زَيْدِ الشَّهِيْدِ الَّتِي مَرَّتْ فِي شَرْحِ الفَصْلِ الثَّانِي
مِنْ فَصُولِ الْخُطْبَةِ الثَّانِيَّةِ فَنَذَكِرُ (الْخَاتَمُ لِمَا سَبَقَ) إِنْ جَازَ اسْتِعْمَالُ كَلْمَةِ مَا فِي ذَوِي
الْعُقُولِ فَالْمَرَادُ بِهَا النَّبِيُّونَ وَ الْمَرْسُلُونَ ، وَ إِلَّا فَالْمَرَادُ أَنَّهُ خَاتَمُ لِشَرِيعَةِ
الشَّرِيعَةِ الْأَدِيَّانِ السَّابِقَةِ.

(وَالْفَاتِحُ لِمَا انْفَلَقَ) مِنْ بَابِ الْمَهْدِيِّ وَ طَرِيقِ الرَّشَادِ وَ الْجَنَّةِ ، وَ إِنَّمَا كَانَ
مَنْغَلَقًا لِغَلْبَةِ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ وَ ابْدَارِ السَّرِيرَاتِ الْمُسَابِقَةِ (وَالْمَعْلُونُ الْحَقُّ بِالْحَقِّ) قَالَ
الشَّارِحُ الْمُعْتَزِلِيُّ : أَى الْمَظَهُرِ الْحَقُّ الَّذِي هُوَ خَلَافُ الْبَاطِلِ بِالْحَقِّ أَى بِالْحَرْبِ
وَ الْخُصُومَةِ يَقَالُ حَاقَ فَلَانَ فَلَانًا أَى خَاصِّمَهُ فَخَاصِّمَهُ .

أَقْوَلُ : وَ مِنْ الْحَاجَةِ لِلْقِيَامَةِ قَالَ تَعَالَى : الْحَاجَةُ مَا الْحَاجَةُ ، سَمِّيَتْ بِذَلِكَ لَاَنَّهَا
تَحَقَّقَ الْكَفَّارُ الَّذِينَ حَاقُوا إِلَيْنَا أَى خَاصِّمُوهُمْ هَذَا ، وَ إِلَّا ظَهَرَ أَنْ يَكُونُ الْمَرَادُ
بِالْحَقِّ الْأَوَّلُ الدِّينُ وَ بِالثَّانِي الْحَقُّ الْمَرَاوِدُ لِلصَّدْقَ أَى مَظَهُرُ الدِّينِ بِقَوْلِ حَقٍّ
ثَابَتْ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَ بِيَانِ صَوَابِهِ .

(وَالدَّافِعُ جِيشَاتُ الْبَاطِلِ) أَى لِتُورَانَ فَقْنَ الْمُشْرِكِينَ وَ اجْتِمَاعِهِمْ عَلَى إِطْفَاءِ
نُورِ اللَّهِ أَوْ لِفَتْتِهِمُ الَّتِي كَانَتْ عَادَةً بَيْنَهُمْ وَ اسْتَمْرَتْ عَلَيْهَا سُجْيَتِهِمْ مِنَ الْقَتْلِ وَ الْفَارَةِ
وَ حَرْبِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ ، فَانْهَى هَذَا كَلَّهُ امْرُورٌ خَارِجٌ عَنْ قَانُونِ الْعِدْلَةِ وَ قَدْ انْدَفعَ ذَلِكُ
كُلُّهُ بِمِيَامِنْ قَدْوَمِهِ صَلْوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ آلِهِ

(وَالدَّامِغُ صَوَّلَاتُ الْأَضَالِيلِ) أَى الْمُمْلَكَ لِسُسْطَوَاتِ الصَّلَالَاتِ وَ قَامِعُ هَيَّبَاتِ أَهْلِ

الضلال المنحرفين عن سبيل الله و سبيل الرشاد إلى الفساد (كما حمل فاضطلع) معناه على جعل الكاف بمعنى اللام : اجعل شرائف صلوانك عليه لاًجل أنه حمل أباء الرسالة فنهض بها قوياً ، وعلى جعلها بمعناها الأصلى صل عليه صلاة مناسبة مشابهة لتحميلك له الرسالة إذ الجزاء من المحكيم العدل لا بد أن يكون مناسباً للمعلم المجزي عليه.

(قائم بأمرك مستوفزاً في مرضاتك) أي مستعجلأ في تحصيل رضا الله سبحانه و رضوانه غير بطيء فيه حاتماً نفسه عليه (غيرنا كل عن قدم ولا واه في عزم) أراد كونه غير جبان عن التقدّم فيما يلزمـه التقدّم فيه ولا متـوان في الاتـيان بما عزم عليه (و اعيـلـ الـوحـيـكـ) ضابـطاـ له قويـ النفسـ على قبـولـهـ (حافظـاـ لـعـهـدـكـ) المـاخـوذـ عليهـ في تـبـليـغـ الرـسـالـةـ وـ أـدـاءـ الـإـمـانـةـ (ماـضـيـاـ عـلـىـ انـفـاذـأـمـرـكـ) مـصـرـاـ فـيـ إـجـرـائـهـ وـ فـيـ جـنـبـ الخـلـقـ إـلـىـ سـلـوكـ سـبـيلـ الـآخـرـةـ .

(حتىـ) انتـهىـ فيـ اصـرارـهـ فيـ هـدـاـيـةـ الـخـلـقـ وـ جـذـبـهـمـ إـلـىـ الـآخـرـةـ إـلـىـ النـهـاـيـةـ وـ بـلـغـ الـغاـيـةـ ذـ (أـورـىـ قـبـسـ الـقـابـسـ) أـيـ أـخـرـجـ نـورـ الـحـقـ وـ أـشـعـلـهـ لـطـالـبـيـهـ وـ الـمـقـبـسـيـنـ لـهـ (وـ أـضـاءـ الـطـرـيقـ) طـرـيقـ الـجـنـةـ وـ الصـرـاطـ الـمـسـتـقـيمـ (للـخـابـطـ) فـيـ ظـلـمـاتـ الـجـهـلـ السـالـكـ عـلـىـ غـيرـ جـادـةـ وـ اـضـحـةـ .

(وـ هـدـيـتـ بـهـ الـقـلـوبـ بـعـدـ خـوـضـاتـ الـفـقـنـ) وـ الـأـقـامـ الـلـازـمـةـ عـمـاـ اـجـتـرـحـتـهـ مـنـ السـيـئـاتـ (وـ أـقـامـ مـوـضـحـاتـ الـأـعـلـامـ) أـيـ الـأـدـلـةـ الـواـضـحـةـ عـلـىـ الـحـقـ الـتـيـ هـىـ كـالـأـعـلـامـ الـمـسـتـدـلـ بـهـاـ عـلـىـ الـطـرـيقـ (وـ نـيـراتـ الـأـحـكـامـ) أـيـ الـأـحـكـامـ الشـرـعـيـةـ وـ الـتـكـالـيفـ الـأـلـهـيـةـ ذـوـاتـ الـنـورـ الـمـسـتـبـطـةـ مـنـ الـأـدـلـةـ الـواـضـحـةـ .

(فـهـوـ أـمـيـنـكـ الـمـأ~مـونـ) أـيـ اـتـمـنـهـ عـلـىـ وـحـيـهـ وـ دـسـالـتـهـ وـ الـمـأ~مـونـ تـاكـيدـ لـلـامـينـ (وـ خـازـنـ عـلـمـكـ الـمـخـزـونـ) أـرـادـ بـهـ عـلـمـهـ الـذـيـ لـاـيـقـدـرـ عـلـىـ حـمـلـهـ عـمـومـ الـخـلـقـ وـ هـوـ الـمـشارـ إـلـيـهـ بـقـولـهـ : «ـ عـالـمـ الـغـيـبـ فـلـاـ يـظـهـرـ عـلـىـ غـيـبـهـ أـحـدـاـ إـلـاـ مـنـ اـرـتضـيـ مـنـ رـسـوـلـ ».ـ

روى سدير قال : سمعت حمران بن أعين يسأل أبي جعفر عليه السلام و يقول أرأبت

(٥)

في صفات النبي ﷺ

(١٩٧)

قوله : عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ، فقال له أبو جعفر عليه السلام إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه و من خلقه رصداً ، و كان والله تعالى مملاً ممن ارتضاه و أما قوله عالم الغيب ، فان الله تعالى عالم بما غاب عن خلقه مما يقدر من شيء و يقضيه في علمه فذلك ياحمر ان علم موقوف عنده إليه في المنشية فيه قضيه فإذا أرادو بيده له فيه فلا يمضيه ، فاما العلم الذي يقدر الله و يقضيه و يمضيه فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله نهانا اليهنا .

(و شهيدك يوم الدين) يحتمل أن يكون المراد بذلك شهادته على أمته و شهادته على أمته الدين خصوصاً و جميع الحجاج الذين لم يدخل الله سبحانه وتعالى أرضه منهم من لدن آدم إلى آخر الدهر وقد ورد الاحتمالات الثلاثة في أخبار أهل البيت و مثل كلامه قوله تعالى في سورة النحل :

« وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هُؤُلَاءِ » .

وفي سورة البقرة : « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً » .

وفي سورة النساء : « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هُؤُلَاءِ شَهِيداً » .

قال الطبرسي في تفسير هذه الآية إن الله يستشهد يوم القيمة كل نبي على أمته فيشهد لهم و عليهم و يستشهد نبيها على أمته و في البحار في الأخبار ما يدل على أن حجة كل زمان شهيد على أهل ذلك الزمان و نبيها على الشهداء .

و فيه من الكافي بسانده عن سماعة قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : في قول

الله عز وجل:

« فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هُوَلَاءَ شَهِيدًا ». .

نزلت في أمة محمد خاصة نبي كل قرن منهم إمام منا شاهد عليهم و محمد شاهد علينا قال المجلس يمكن أن يكون المراد تخصيص الشاهد والمشهود عليهم جميعا بهذه الامة فيكون المراد بكل امة في الآية كل قرن من تلك الامة واحد من ائمته عليهم السلام شاهدا على من في عصرهم من هذه الامة وعلى جميع من مضى من الامم ، والأول أظهر لفظا والثاني معناه وإن كان بحسب اللفظ يحتاج إلى تكلفات أقول : ويدل على الوجه الأول ما عن تفسير فرات بن إبراهيم عن أبي جعفر عليهما السلام في تفسير الآية الثانية قال : هنا شهيد على كل زمان على بن أبي طالب في زمانه والحسن في زمانه والحسين في زمانه وكل من يدعوه هنا إلى أمر الله.

وعلى الثاني ما عن تفسير علي بن إبراهيم في تفسير الآية الثانية أيضاً بأسناده عن بريد العجمي قال : سألت أبي جعفر عليهما السلام عن تفسير هذه الآية قال نحن ائمة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في أرضه .

و ما عن بصائر الدرجات بأسناده عن سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عليهما السلام قال : إن الله ظهرنا و عصمنا و جعلنا شهادة على خلقه و حجته في أرضه و جعلنا نعم القرآن و جعل القرآن معنا لانفارقه ولا يفارقنا .

وعلى هذا معنى كونهم شهيداً أنهم عليهم السلام يشهدون على الأنبياء أن الله أرسلهم و يشهدون للأنبياء أنهم بلغوا رسالات ربهم و يشهدون لمن أجابهم وأطاعهم بآياته و اطاعته و على من خالفهم و عصاهم بمخالفته و عصيانه و يشهدون على محمد أن الله أرسله و يشهدون له أنه بلغ ما أمر بتبيغه و على امته ولهم كذلك و يشهد رسول الله عليهم بما حملهم من أمر الخلافة ولهم بما أدوا ما حملوا ولمن أجاب بما أجاب ولمن عصى بالعصيان هذا .

وغير خفي على الفطن العارف أن الشهادة لما كانت مشروطة بالعلم واليقين و من ذلك أن رسول الله أرى للشاهد الشمس وقال على مثل هذا فاشهد أودع فاللازم من كونهم صلوات الله عليهم شهادة على الناس أن يكونوا عالمين بأعمال الناس غير غائبين عنها ، ويستفاد بذلك من الأخبار وهي على قسمين

أحد هما ما دلت على أنه سبحانه أعطى الامام عموداً من نور يرى فيه أعمال الخالق كرؤيه الشخص في المرآت وأن الدنيا بأسرها و ما فيها عند الامام كالدرهم في يد أحدكم يقلبه كيف شاء.

فمن ذلك ما في البحار من بصائر الدرجات عن معاوية بن حكيم عن أبي داود المسترق عن محمد بن مروان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الامام يسمع الصوت في بطنه امه اذا بلغ أربعة أشهر كتب على عضده الأيمن :

« وَتَمَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ » .

فإذا وضعته امه سطع له نور ما بين السماء والأرض فإذا درج رفع له عمود من نور يرى ما بين المشرق والمغارب.

و منه باسناده عن ابن طبيان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الامام لسمع في بطنه امه فإذا ولد خط على منكبيه ، ثم قال هكذا بيده فذلك قول الله تعالى :

« وَتَمَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ » .

و جعل له في كل قرية عموداً من نور يرى به ما يعمل أهليها فيها .
و عن محمد بن الفضيل عن بعض رجاله عن أبي عبد الله عليه السلام يسمع الكلام في بطنه امه فإذا سقط إلى الأرض نصب له عمود في بلاده و هو يرى ما في غيرها .

وعن محمد بن مروان قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : إن الامام يسمع في بطنه امه فإذا ولد خط بين كتفيه :

« وَتَمَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ». .

فإذا صار الامر إِلَيْهِ جعل اللهم له عموداً من نور يبصر به ما يعمل به أهل كل بلدة.
و عن إسحاق القمي قال : قلت لا يبي جعفر^{عليه السلام} مأمور الامام ؟ قال يسمع في
بطن امهه فإذا وصل إلى الأرض كان على منكبه الأيمان مكتوباً :

« وَتَمَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ ». .

ثم يبعث أيضاً له عموداً من نور من تحت بطن العرش إلى الأرض يرى فيه أعمال الخالق كلها ، ثم ينشئ له عمود آخر من عند الله إلى اذن الامام كلما احتاج إلى مزيد افراغ فيه افراغاً.

أقول : والمعمود الآخر ما أشير إليه في رواية صالح بن سهل عن أبي عبد الله^{عليه السلام} قال : كنت جالساً عنده فقال لي ابتداء منه : يا صالح بن سهل إن الله جعل بينه وبين الرسول رسولاً ولم يجعل بينه وبين الإمام رسولاً ، قال : قلت : و كيف ذلك ؟ قال : جعل بينه وبين الإمام عموداً من نور ينظر الله به إلى الإمام و ينظر الإمام به إلىه فإذا أراد علم شيء نظر في ذلك التصور فعرفه .
قال المحدث المجلسي^{رحمه الله} : نظر الله تعالى إلى كنایة عن إفاضاته عليه و نظره إلى كنایة عن غایة عرفانه .

والقسم الثاني

من الأخبار ما دلت على عرض أعمال العباد على النبي^{صلوات الله عليه} و على الأئمة عليهم السلام وإلى ذلك أشير في الكتاب العزيز :
قال تعالى : « وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبَّئُكُمُّ بِمَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ ». .

(جـ ٥)

عرض أعمال العباد على النبي والآئمة (ع)

(٢٠١)

روى في البخار من تفسير علي بن إبراهيم عن أبيه عن محمد بن الحسن الصفار عن أبي عبد الله عليه السلام قال : مامن مؤمن يموت أو كافر يوضع في قبره حتى يعرض عمله على رسول الله عليه السلام و على أمير المؤمنين عليه السلام و هلم جرا إلى آخر ما فرض الله طاعته فذلك قوله :

« وَقُلِ اعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ » .

و عنه عليه السلام قال : إن أعمال العباد يعرض على رسول الله كل صباح أبراها وجارها فاحذروا فليس تحى أحدكم أن يعرض على نبيه العمل القبيح .

و من بصائر الدرجات بسانده عن معاذ بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى :

« وَقُلِ اعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ » .

قال : هو رسول الله والأئمة تعرض عليهم أعمال العباد كل خميس . و عن محمد بن مسلم و زرارة قالا سأنا بأبي عبد الله عليه السلام عن الأعمال تعرض على رسول الله ؟ قال ما فيه شك ، ثم تلا هذه الآية :

« وَقُلِ اعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ » .

قال إن الله شهداء في أرضه .

و عن ابن أبي عمر عن أمير واحد من أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صاحب حياته خير لكم و مماتي خير لكم ، قالوا : أما حياتك يا رسول الله فقد عرفناه ، فما في وفاتك ؟ قال : أما حياتي فان الله يقول : وما كان الله يبعث بهم و أنت فيهم و ما كان الله معذ بهم وهم يستغفرون ، و أما وفاتي فتعرض على أعمالكم فأستغفر لكم .

و عن داود الرقي قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال يا داود أعمالكم عرضت على يوم الخميس فرأيت لك فيها شيئاً فرحي و ذلك صلتك لابن عمك أما

أَنَّهُ سِيمْحَنْ أَجْلَهُ وَلَا يَنْقُصُ رِزْقَكُ ، قَالَ دَاؤُودُ : وَ كَانَ لَيْ ابْنَ عَمٍّ نَاصِبٌ كَثِيرُ الْعِيَالِ مُحْتَاجٌ ، فَلَمَّا خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ أَمْرَتْ لَهُ بَصْلَةً ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ تَبَّاعِيَةً أَخْبَرَنِي بِهَذَا هَذَا.

وَقَدْ تَحَصَّلَ مِمَّا ذَكَرْنَا كَلَّهُ اطْلَاعُ النَّبِيِّ وَ اطْلَاعُ الْأَئْمَةِ عَلَى جَمِيعِ أَفْعَالِ النَّاسِ وَ أَعْمَالِهِمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ وَ أَنَّهُ لَا تَنْفَوْتُ فِي ذَلِكَ بَيْنَ حَالِيَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ فَإِنْ قُلْتَ : مَا فَائِدَةُ تِلْكَ الشَّهَادَةِ وَ مَا ثُمَرَةُ عَرْضِ الْأَعْمَالِ عَلَيْهِمْ وَ اطْلَاعِهِمْ بِذَلِكَ وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ بِرَدْوَنَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَ يَنْبَثِثُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . قُلْتَ : ثُمَرَةُ ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ إِذَا عَلِمُوا أَنَّ لَهُمْ شَهَادَةً وَرُقَبَاءً وَكِتَابًا يَكْتَبُونَ مَا يَفْعَلُونَ لَا يَغَادِرُونَ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا وَ أَنَّ النَّبِيَّ وَالْأَئْمَةَ يَعْرِضُونَ عَلَيْهِمُ الْأَعْمَالَ وَيَطْلَعُونَ بِمَا يَعْمَلُونَ كَانَ ذَلِكَ رَادِعًا لِلنَّفْسِ الْإِمَارَةِ عَنِ الْإِنْهِمَاكِ فِي الشَّهَادَاتِ وَمَا نَعَلَمُ مَا يَعْمَلُونَ مُتَابِعَةً لِأَهْوَاءِ وَاللَّذَّاتِ ، فَلَا بَدِّلَ لِلْعَاقِلِ الْبَصِيرِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى عَمَلِهِ وَ يَحْذَرَ مِنْ عَرْضِ عَمَلِهِ الْقَبِيحِ عَلَى نَبِيِّهِ وَ أَئْمَتِهِ وَ يَسْتَحِي مِنْ ذَلِكَ وَلَا يَفْعَلُ مَا يَوْجِبُ هَسَانَةُ حَالِهِمْ وَاسْتِعْيَاهُمْ مِنَ اللَّهِ سَبِّحَانَهُ مِنْ قَبَائِحِ أَعْمَالِ شَيْعَتْهُمْ وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ . (وَ بَعِيْثَكَ بِالْحَقِّ وَ رَسُولَكَ إِلَى الْخُلُقِ) أَرَادَ كُونَهُ مَبْعَدَنَا بِالدَّيْنِ الثَّابِتِ الْبَاقِي نَفْعَهُ إِلَى الْخُلُقِ وَ رَسُولًا إِلَيْهِمْ ، وَ هَذَا الْوَصْفَانِ كَسَارِيَ الْأَوْصَافِ المُذَكُورَةِ فِي هَذَا الْفَصْلِ إِشَارَةٌ إِلَى جَهَاتِ اسْتِحقَاقِ الصَّلَاةِ وَالرَّحْمَةِ .

الفصل الثالث

فِي أَنْوَاعِ الْمَدْعُوبِ ، وَ إِلَيْهَا الْاِشْارةُ بِقَوْلِهِ (اللَّهُمَّ افْسِحْ لَهُ مَفْسَحًا فِي ظَلَّكَ) أَيْ مَكَانًا مُتَسْعًا فِي حَظِيرَةِ قَدْسَكَ ، وَالظَّلَّ إِمَّا اسْتِعْرَاثَ لِلْجُودِ وَالْأَفْضَالِ وَ وَجْهِ الشَّبِيهِ اسْتِرَاحَةُ الْمُسْتَقْلِ بِالظَّلَّ مِنْ حَرَارَةِ الشَّمْسِ وَ كَذَلِكَ الْمُتَبَعِيُّ إِلَى جُودِ اللَّهِ سَبِّحَانَهُ وَ أَفْضَالَهِ يَسْتَرِيعُ بِجَوْدَهِ تَعَالَى مِنْ شَدِيدِ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَ حَرَّ نَارِ الْجَحِيمِ ، وَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ مَعْنَاهُ الْحَقِيقَى كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

« وَاصْحَابُ الْيَمِينِ مَا اُصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَ طَاغٍ »

منضودٍ وَ ظُلْ مَمْدُودٌ».

قال في مجمع البيان أى دائم لاتنسخي الشّمس فهو باق لا يزول ، وقد ورد في الخبر أنَّ في الجنة شجرة يسير الرّاكب في ظلّها مائة سنة لا يقطعها ، وروى أيضاً أنَّ أوقات الجنة كغدوات الصيف لا يكون فيها حرّ ولا برد .

(و اجزه مضاعفات الخير من فضلك) أراد به أن يضاعف له الكمالات من نعمه إذ مراتب استحقاق نعمه سبحانه غير متناهية (اللهم و اعلى على بناء البانيين بناء) المراد بالبانيين إما الأنبياء و بينائهم مما شيدوه من أمر الدين فيكون المقصود بالدعاء علوُّ دينه و ظهوره على الدين كله ولو كره المشركون ، وإما مطلق عباد الله الصالحين البانيين بأعمالهم الصالحة غرفاً في الجنة و قصوراً فيها فيكون المقصود علوًّ منزله على سائر المنازل (و اكرم لديك منزلته) بائز الله المنزل المبارك الموعود و هو سبحانه خير المنشآت ، قال تعالى مخاطباً لنوح :

« وَقُلْ رَبِّ أَنْزَلَنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزَلِينَ ». »

(و اتم له نوره) المراد بذلك اتمام نوره يوم القيمة بحيث يطفي سائر الأنوار وهو النور الذي يسعى بين أيدي الأمة حتى ينزلوا منازلهم في الجنة ، وإليه الاشارة في قوله « يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيًّا وَالَّذِينَ آتَمُنَا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعُى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتَمْ لَنَا نُورُنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »

قال الطبرسي : يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم على الصراط يوم القيمة و هو دليلهم إلى الجنة و يريد بالنصرور الضيء الذي يرونـه و يمرـون فيه عن قادة ، و قيل نورهم هداهم عن الضـحـاك قال قادة : إنَّ المؤمن يضـيءـ له نورـ كما يـانـ عـدنـ إلى صـنـعاـ و دون ذلك حتى أنَّ من المؤمنـينـ من لا يـضـيءـ له نورـ إلاـ موضعـ قدـيمـهـ .

قال الشـارـحـ المـعـتـزـلـيـ : قد روى أنه يطفـيـ سـايـرـ الـأـنـوارـ إـلاـ نـورـ تـحملـ ،ـ نـمـ بـعـطـيـ الـمـعـلـصـونـ مـنـ أـصـحـابـهـ أـنـوارـ أـسـيـرـةـ يـبـصـرونـ بـهـ مـوـاطـئـ الـأـقـدـامـ فـيـدـعـونـ اللـهـ

بزيادة تلك الأنوار و إتمامها ، ثم إنَّ اللَّهَ يَقُول نورٌ مُّهْلِكٌ فِي سُطْرِهِ حَتَّى يَمْلأَ الْأَفَاقَ فَذَلِكَ إِتَّمَانٌ نُورٌ .

(و اجزء من انبعاثك له مقبول الشهادة و مرضي المقالة) أراد به أن يجزيه الله سبحانه من بعثته له الشهادة المقبولة عنده و المقالة المرضية لديه بأن يكون شهادته صَلَوةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ على أمته و غيرها نافذة و شفاعته فيهم ماضية حالكونه (ذا منطق عدل و خطوة فصل) أي صاحب نطق عادل و خصلة فاصلة بين الحق و الباطل او إذا قول (١) غيرها زل كما قال تعالى : « إِنَّهُ لَقُولٌ فَصَلٌ وَ مَا هُوَ بِالْهَزْلِ » .

والمطلوب بهذه الاعتبارات كلها على اختلاف مفاهيمها أمر واحد و هو زيادة كمالاته صَلَوةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ و قربه من الله سبحانه ، ثم إنَّه يَلْتَمِمُ بعد الصلاة على الرسول دعا لنفسه و للمؤمنين من خالصي شيعته بقوله (اللَّهُمَّ اجْمِعْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ فِي بَرِّ الْعِيشِ) الذي لا كلفة فيها من الحرب والخصوصة (وقرار النعمة) مستقرّهافي الحضرة الرّبوية (ومني الشهوات) في حظيرة القدس (وأهواه المذاهب) في الجنة العالية ، وفيها ما تشتهيه إلا نفس وتلذّل الأعين (و رخاء الدّعة و منتهى الطمأنينة) أي سعة سكون النفس و نهاية اتساع عيشها في دار الخلد (و تحف الكرامة) المعدّة لأهل اليقين من أولياء الله المقربين مملاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

تنبيهات الاول

الصلاحة على النبي صَلَوةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ مما أمر الله تعالى به وحثّ عليه بقوله :

« إِنَّ اللَّهَ وَ مَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوَا

عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا »

و ينفي لنا أن نتحقق الكلام في ذلك و نذكر ما أتى به الفاضل المقداد صاحب كنز العرفان في تفسير هذه الآية و ما يرتبط عليها و نفصل بعض ما أجمله قدس الله روحه .

١ - الترديد على دوابة خطبة فصل بالبا . كما أشرنا إليه في بيان اللغة منه .

قال «ره» قره شاذًا برفع ملائكته فقال الكوفيون بعطفها على أصل إن واسمها وقال البصريون مرفوعة بالابتداء وخبر إن محفوظ أى إن الله يصلي وملائكته يصلون فمحذف للقرينة ونظائره كثيرة كقول الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما
عندك راض والرأي مختلف
إى نحن راضون ، والصلوة و ان كانت من الله الرحمة فالمراد بها هنا هو الاعتناء
باظهار شرفة ورفع شأنه ، و من هنا قال بعضهم تشريف الله عملنا بقوله:
« إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصْلُوَنَ عَلَى النَّبِيِّ » .

أبلغ من تشريف آدم بالسجود له والتسليم ، قيل المراد به الانقياد كما في قوله:
« فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيهَا شَجَرَ يَدْفَعُهُمْ ثُمَّ لَا
يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَلِسَلَمُوا تَسْلِيمًا » .

وقيل هو قوله : السلام عليك أيها النبي قاله الزمخشري والقاضي في تفسيرهما وذكره الشيخ في تبيانه وهو الحق لقضية العطف ولا أنه المتبار إلى الفهم عرفاً ولرواية كعب الأتيه وغيرها إذا تقرر ذلك فهذا فواید.

ال الأولى ذهب أصحابنا والشافعي وأحمد إلى وجوب الصلاة على النبي في الصلاة خلافاً لما لاك وأبي حنيفة فإنهم ما لم يوجد لها شرطاً في الصلاة واستدل بعض الفقهاء بما تقريره

شيء من الصلاة على النبي واجب ولا شيء من ذلك في غير الصلاة بواجب ينبع منها في الصلاة واجب ، أمّا الصغرى فلقوله تعالى : صلوا ، والأمر حقيقة في الوجوب ، وأمساكبرى ظاهرة ، وفيه نظر لمنع الكبرى كما يجيء ، وحيثنى فال أولى الاستدلال على الوجوب بدليل خارج .

أمّا من طرقهم فمارووه عن عايشة قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تقبل صلاة إلا بظهور وبالصلوة على ، وكذا عن أنس عن النبي ﷺ قال : إذا صلّتى

أحدكم فليبيه بعمر الله ثم ليصل على

ومن طرقنا ما رواه أبو بصير وغيره عن الصادق عليه السلام قال : من صلى ولم يصل على النبي وتركه متعمداً فلا صلاة له ، حتى أن الشيخ جعلها ركنا في الصلاة فان عنى الوجوب والبطلان بتركها عمداً فهو صحيح وإن عنى تفسير الركن بأنّه ما يبطل الصلاة بتركه عمداً سهواً فلا .

الثانية قال علمائنا اجمع : إن الصلاة على النبي عليه السلام واجبة في التشهدين وبه قال أحمد ، وقال الشافعي : مستحبة في الأول واجبة في الآخر ، وقال مالك وأبو حنيفة : مستحبة فيهما ، دليل أصحابنا روايات كثيرة عن أئمتهم عليهم السلام .

الثالثة هل تجب الصلاة على النبي في غير الصلاة أم لا ، ذهب الكرخي إلى وجوبها في العمر مرة ، وقال الطحاوي : كلما ذكر ، واختاره الزمخشري ، ونقل عن ابن بابويه من أصحابنا ، وقال بعضهم : في كل مجلس مرة ، والمختار الوجوب كلما ذكر لدلالة ذلك على الشنويه (١) برفع شأنه والشك لاحسانه المأمور بها ، ولأنه لولاه لكان كذكر بعضنا بعضاً وهو منه عنه في آية النور .

أقول : وأشار بها إلى قوله سبحانه : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً » ولما روى عنه عليه السلام : من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فأبعده الله ، والوعيد أمارة الوجوب .

وروى أنه قيل له : يا رسول الله أرأيت قول الله إن الله وملائكته يصلون على النبي ؟ فقال : هذا من العلم المكنون ولو لا أنتم سألتموني عنه ما أخبرتكم به إن الله عز وجل وكل بي ملكين فلا ذكر عند مسلم فيصل على إلا قال له ذلك الملكان غفر الله لك ، وقال الله وملائكته : آمين ، ولا ذكر عند مسلم فلا يصل على إلا قال له الملكان : لا غفر الله لك وقال الله وملائكته : آمين .

أقول : ومثل ذلك في إفادة الوعيد ما رواه الصدوق في عقاب الأعمال باسمه عن محمد بن هارون عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا صلى أحدكم ولم يصل على النبي

خطيء به طريق الجنة .

وقال النبي ﷺ : من ذكرت عنده فنسى الصلاة على خطيء به طريق الجنة قال (ره) : وأما عند عدم ذكره صلوات الله عليه فيستحب استحباباً مؤكداً ، لتفاظر الرِّوايات أنَّ الصلاة عليه وآلَه تهدم الذُّنوب وتوجب اجابة الدُّعاء المقرؤن بها .

الرابعة روى كعب بن عجرة قال : لما نزلت الآية قلنا : يا رسول الله هذا السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة عليك ؟ فقال قولوا : اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وببارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وعلى هذا الحديث سؤال مشهور بين العلماء ذكرناه في ضد القواعد وذكرنا ما قيل في أجوبته من أراده وقف عليه هناك .

أقول : ولا يحضرني كتاب ضد القواعد حتى نقف على ما ذكره ولعل المراد بالسؤال المشهور ما ذكره من أن التشبث به يقتضي أن يكون المشبه به أقوى من المشبه فيلزم أن يكون التشبيه الواقع فيه من باب إلحاق الناقص بالكامل ، واجيب تارة بأن التشبيه لبيان حال من لا يعرف ، وثانية بأن التشبيه في أصل الصلاة لا في قدر الصلاة ، وثالثة بأن معناه : أجعل لمحمد صلاة بمقدار الصلاة لابراهيم وآلَه وفي آل إبراهيم خلائق لا يحصون من الأنبياء ، وليس في الله نبيٌّ فطلب إلحاق جملة فيها نبيٌّ واحد ، بما فيه الأنبياء ، وربما اجيب باجوبة آخر ولا حاجة إليها والآخر ظهر الأوسط .

الخامسة دل حديث كعب المذكور على مشروعية الصلاة على الآل تبعاً له عليه عليه السلام ، وعليه اجماع المسلمين ، وهل يجوز عليهم لاتبعاً بل افراداً كقولنا : اللهم صل على آل محمد بل الواحد منهم لغير أملا ؟ قال أصحابنا : بجواز ذلك ، وقال الجمهور : بكراهته لأن الصلاة على النبي صارت شعاراً فلا يطلق على غيره ولا يهامة الرفض والحق ما قاله الأصحاب لوجوه .

الأول قولى تعالى مخاطباً للمؤمنين كافة : « هو الذي يصلّي عليكم وملائكته »

وهو نص في الباب .

الثاني قوله تعالى : « الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة » ولاريب أن أهل البيت أصيروا بأعظم المصائب الذي من جملتها انتصافهم مقام امامتهم .

أقول : و هذا الدليل لعله مأخوذ من العلامة قدس الله روحه وقد حكم في مؤلوفة البحرين من كتاب حياة القلوب أنه قدس الله سره ناظر أهل الخلاف في مجلس سلطان محمد خدا بنده أنوار الله برهانه وبعد إتمام المناشرة وبيان حقيقة مذهب الإمامية الثانية عشرية خطب قدس الله لطفة خطبة بلغة مشتملة على حمد الله و الصلاة على رسوله والأئمة عليهم السلام .

فلم يسمع ذلك السيد الموصلي الذي هو من جملة المسكونتين بالمناظرة قال ما الدليل على جواز توجيه الصلاة على غير الآباء ؟ فقرئ الشیخ العلامة في جوابه بلا انقطاع الكلام : الذين إذا أصابتهم مصيبة ، الآية فقال الموصلي بطريق المکابرة : ما المصيبة التي أصابت إليهم حتى يتوجبون بها الصلاة ؟ فقال الشیخ : من أشنع المصائب وأشدّها أن حصل من ذرايهم مثل ذلك الذي ترجح المنافقين الجهم والمستوجبين اللعنة والنکال على آل رسول المتعال ، فاستضحك الحاضرون وتعجبوا من بداهة آية الله في العالمين وقد انشد بعض :

إذا لعلويٌ تابع ناصبياً
وكان الكلب خيراً منه قطعاً
الثالث أنه لما أتى أبواً وفى بز كاته قال النبي ﷺ : اللهم صل على أبي
أو فى وآل أبي أو فى ، فيجوز على أهل البيت بطريق أولى
الرابع إن الصلاة من الله بمعنى الرحمة ويجوز الرحمة عليهم إجماعاً
فيجوز مراد فيها لما تقرر في الأصول من أنه يجوز إقامة أحد المترادفين مقام الآخر
الخامس قولهم إنه صار شعاراً للرسول قناعة صادرة على المطلوب ، لأنها كما

دللت على الاعتناء برفع شأنه كذلك تدل على الاعتناء برفع شأن أهله القائمين مقامه فيكون الفرق بينه وبينهم وجوبها في حقه عَلَيْهِ السَّلَامُ كلاماً ذكر كما اخترناه.

أقول: التفريق بذلك غير خال عن التأمل

فإن قلت: عادة السلف فصره على الأنبياء.

قلت: العادة لا يخصّص كما تقرّر في الأصول، هذا مع أنَّ من أعظم السلف الباقي والصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم يقولوا بذلك.

السادس أنَّ قوله: إنَّ ذلك يوهم الرَّفض تعصب ممحض وعناد ظاهر، نظير قولهم من السنة تسطيح القبور لكن لما اتخذته الرَّأفة شعاراً لقبورهم عدلنا منه إلى التسميم، فعلى هذا كان يجب عليهم أنَّ كلَّ مسألة قال بها الإمامية أن يفتوا بخلافها وذلك ممحض التعصب والعناد، نعوذ بالله من الأهواء المضللة والآراء الفاسدة

السادسة مذهب علمائنا أجمع أنه يجب الصلاة على آل محمد في التشذيبين، وبه قال بعض الشافعية، وفي إحدى الروايتين عن أحمد، وقال الشافعى بالاستحباب لنا رواية كعب وقد تقدّمت في كيفية الصلاة عليه وإذا كانت الصلاة عليه واجبة كانت كيفيةتها أيضاً واجبة.

وردى كعب أنَّ النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يقول ذلك في صلاته و قال: صلوا كما رأيتموني أصلّى.

وعن جابر الجعفي عن الباقي عَلَيْهِ السَّلَامُ عن ابن مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صلى صلاة ولم يصل فيها على وعلى آلي وأهل بيتي لم يقبل منه السابعة الآل الذين يجب الصلاة عليهم في الصلاة ويستحب في غيرها هم الأئمة المعصومون، لاطلاق الأصحاب على أنهم هم الآل ولأنَّ الأمر بذلك مشعر بغاية التعظيم المطلق الذي لا يستوجبه إلا المعصوم، وأما فاطمة عليهم السلام فتدخل أيضاً لأنها بضعة منه.

الثاني

قال الجمهور: الصلاة من الله الرحمن ومن الملائكة الاستغفار ومن الأدميين

الدّعاء، واستبعد تارة باقتضائه كونه مشتركاً لفظياً والأصل العدم، وأخرى بأنّا لا نعرف في العربية مسندًا واحدًا يختلف معناه باختلاف المسند إليه إذا كان الأسناد حقيقةً، وثالثة بأن الرحمة فعلها متعدّد والصلة فعلها قاصر وتفسير القاصر بالمتعدّ غير مناسب، ورابعة بأنه لو قيل مكان صلّى عليه دعا عليه انعكس المعنى ولو كانوا متراوين صحيح حلول كلّ منها محلّ الآخر.

وقال المحققون : إنّه لغة بمعنى العطف والعلف بالنسبة إلى الله الرحمة اللائقة وإلى الملائكة الاستغفار وإلى الآدميين دعاء بعضهم لبعض ، قال السمهيلي : الصّلاة كلّها وإن اختلفت معانّيها راجعة إلى أصل واحد فلا تظنّها لفظ الشّرائط ولا استعارة إنّما معناها العطف ويكون محسوساً ومعقولاً انتهى . فعلى ما ذكره يكون مشتركاً معنويًا وهو أولى من الاشتراك اللفظي إذا دار الأمر بيده وبينه

الثالث

قال الشّهيد الثاني نور الله مضجعه في الرّوضة غاية السؤال بالصلوة عايدة إلى المصلي لأنّ الله تعالى قد أعطى نبيه من المنزلة والزّلفى لديه ما لا يؤثر فيه صلاة مصلٍ كما نطق به الأخبار وصرّح به العلماء الآخرين .

أقول : أمّا انتفاع المصلي بالصلوة واستحقاقه بها الثواب الجزييل والجزاء الجميل فممّا لا يعبر عليه وستطلع على ذلك في التقبيه الآتى ، وأمّا عدم تأثيره في حقه صلوات الله عليه وآله فممنوع ، لأنّ مرتب التّقرب إليه تعالى والزّلفى لديه غير متناهية فيجوز أن يوجب كلّ صلاة عليه الارتفاع من مرتبة إلى مرتبة فوقها .

فإن قلت : يستلزم ذلك أن يكون صلوات الله عليه ناقصاً في ذاته ومرتبته مستكملاً بالصلوة والذّعاء .

قلت : إن أردت نقصه بالنسبة إلى الواجب فمسلم ولا ضير فيه وإن أردت النقص بالنسبة إلى الموجودات الممكنة فلا ، بيان ذلك أنه أفضل الموجودات وأشرف المجعلات وأكمل المخلوقات ، لا موجود سواه إلّا و هو دونه ولا مجموع غيره إلّا و هو ناقص بالنسبة إليه ، ليكنه صلوات الله عليه و آله مع ذلك كله ممكناً

محاجة في وجوده وبقاءه واستكمال ذاته إلى الواجب تعالى وهو قديم وفيضه غير متناهٍ، وهو قابل بذاته لكتاب الفيوضات وازدياد الدرجات وهو تعالى ولها الخيرات والحسنات، وهو على كل شيء قادر هذا.

وقد عشرت بعد ما حققت المقام على كلام المحدث العلامة المجلسي في هذا المرام ذكره في كتاب هرأت العقول على بسط وتفصيل فأحببت نقل ما أورده لتضمنه فوائد سنوية.

قال «ره» : اختلف العلماء في أنه هل ينفعهم الصلاة شيئاً أم ليس إلا لاتفاقنا فذهب الأكثرون إلى أنهم صلوات الله عليهم لم يبق لهم كمال منتظرون بل حصل لهم جميع الخصال السننية والكمالات البشرية ولا يتصور للبشر أكثر مما منحهم الله تعالى ، فلا يزيدتهم صلواتنا عليهم شيئاً بل يصل نفعها إلينا وإنما أهمنا بذلك لاظهار حبهم ولامتهم ، بل هي إنشاء لاظهار الأخلاق والولاء لنا ، وليس الغرض طلب شيء لهم.

ويترتب عليه أن يفيض الله علينا بسبب هذا الاظهار فيوضه ومواهبه وعطياته كما أنه إذا كان لا أحد محظوظ بمحبته حبّاً شديداً وقد أعطاه كلّما يمكن فإذا كان لرجل حاجة عند المحب يتقرّب إليه بالشّفاعة على محبوبه وطلب شيء له تقرّباً إليه باظهار حبه وتصويبه في إكرامه وأنه مستحق لما أعطاه حقيق بما أولاه . وهذا الكلام عندي مدخول بل يمكن توجيهه بوجوه أخرى لكن منها شواهد من الأخبار.

الأول أن تكون الصلاة سبباً لمزيد قربهم وكمائهم ولم يدل دليلاً على عدم ترقیهم إلى ما لا يقتضاه من الدرجات العلى في الآخرة والأولى ، وكثير من الأخبار يدل على خلافه كما ورد في كثير من أخبار التفویض أنه إذا أراد الله سبحانه أن يفيض شيئاً على أمام العصر يفيضه أو لا على رسول الله نعم على إمام إمام حتى ينفعه إلى إمام الزمان لتأليه يكون آخرهم أعلم من أولهم .

و كما أن بيننا وبين موالينا صلوات الله عليهم من أبواب العصمة والطهارة

درجات غير متناهية لا يمكن لأحدنا وإن عرج على معارج القرب والكمال أن يصل إلى أدنى منازلهم ، فكذا بينهم عليهم السلام وبين جناب الالوهية وساحة الربوية معارج غير متناهية كلّما صعدوا بأجنحة الرفعة والكمال على منازل القرب والجلال لاتنتهي تلك المعارج و يعودون أنفسهم في جنب ساحة القدس مثل الذرة أو دونها.

وقد أفيض على وجه وجيه في استغفار النبي وأئمّة صلوات الله عليهم يناسب هذا الوجه وهو : أنّهم صلوات الله عليهم لما كانوا دائماً في الترقي في مدارج المعرفة والقرب والكمال ففي كل آن تحصل لهم معرفة جديدة وقرب جليل وكمال عتيد عدوا أنفسهم مقصرين في المرتبة السابقة في المعرفة والقرب والطاعة كانوا يستغفرون منها وهكذا إلى ما لا نهاية لها.

وقد ورد في الروايات الكثيرة أنَّ أشرف علو منا علم ما يحدث بالليل والنهار آنا فآنا وساعة فساعة ، و يؤيده ما روى في تفسير قوله سبحانه : وَلَدِينَا مَزِيدٌ ، أنَّ أهل الجنة في كل يوم جموع يجتمعون في موضع يتجلّى لهم رب تبارك وتعالى بأنوار جلاله ، فيرجع المؤمن بسبعين ضعفاً مما في يديه فيتضاعف نوره وضياؤه ، وهذا كنایة عن تضاعف قربه ومعرفته.

الثاني أن تكون سبباً لزيادة المثوابات الأخرى و إن لم تصر سبباً لمزيد قربهم و كمالهم.

و كيف يمكن ذلك عنهم وقد ورد في الأخبار الكثيرة وصول آثار الصدقات الجارية والأولاد والمصحف وتعليم العلوم والعبادات إلى أموات المؤمنين والمؤمنات وأى دليل دل على استثنائهم عن تلك التفضائل والمثوابات ، بل هم آباء هذه الأمة المرحومة والأمة عبدهم و بيركتهم فازوا بالسعادة ونجوا من المهملات ، و كما صدر عن الأمة من خير وسعادة و طاعة يصل إليهم نفعها و بركتها ولا منقصة لهم في ذلك مع أنَّ جميع ذلك من آثار مساعدتهم الجميلة و أياديهم الجليلة.

الثالث أن تصير سبباً لأمور تنسب إليهم من رواج دينهم وكثرة امتهن واستيلاء

قائمهم و تعظيمهم و ذكرهم في الملاع الْأَعْلَى بالجميل و بالتفخيم والتبيحيل . وقد ورد في بعض الأُخبار في معنى السَّلَام عَلَيْهِمْ : أنَّ المراد سلامتهم وسلامة دينهم و شيعتهم في زمن القائم عليه السلام ، انتهى كلامه رفع مقامه .

الرابع

في فضيلة الصلاة و نوابها ، والأُخبار في ذلك كثيرة لاتحصى .

فمنها ما في نواب الأُعمال للصادق باسناده عن عباس بن ضمرة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : الصلاة على النبي و آلـه عليه السلام أمحق للمخطايا من الماء إلى النار والسلام على النبي و آلـه أفضل من عتق رقاب وحب رسول الله أفضل من هرج الأنفس أو قال ضرب السيف في سبيل الله .

و عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا ذكر النبي عليه السلام فأكثر الصلاة عليه فما من صلٰى على النبي صلاة واحدة صلٰى الله عليه ألف صلاة في ألف صفة من الملائكة ولم يبق شيء مما خلق الله إلا صلٰى على ذلك العبد لصلاة الله عليه و صلاة ملائكته ، ولا ير غب عن هذا إلا جاهل مغور قد برى الله منه و رسوله ، ورواه أيضاً في جامع الأخبار كالكتيني في الكافي نحوه .

و عن أبي البختري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السَّلَام قال : قال رسول الله عليه السلام : أنا عند الميزان يوم القيمة فمن نقلت سيئاته على حسناته جئت بالصلاحة على حتى أُنقل بها حسناته ، ورواه في جامع الأُخبار مثله .

و عن عبد السَّلام بن نعيم قال : قلت لا يعبد الله عليه السلام : إني دخلت البيت فلم يحضرني شيء من الدعاء إلا الصلاة على النبي عليه السلام فقال عليه السلام : و لم يخرج أحد بأفضل مما خرجت .

و عن الحارث الأعور قال : قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : كل دعاء من حجوب عن السماء حتى يصلٰى على محمد وآلـه .

و عن الصَّدَّيق بن سِيَابَةَ عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ألا أعلمك شيئاً يقى الله وجهك من حر جهنم ؟ قال : قلت : بلى ، قال : قل بعد الفجر : اللهم صل على محمد وآلـه

مأة مَرَّة يقى الله به وجهك من حر جهنم.

و عن محمد بن أبي عمير عن أخباره ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : وجدت في بعض الكتب : من صلى على محمد وآل محمد كتب الله له مائة حسنة ، و من قال صلى الله على محمد و أهل بيته كتب الله له ألف حسنة .

و عن محمد بن الفضيل عن أبي المحسن الرضا قال : قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم من صلى على يوم الجمعة مائة صلاة قضى الله له ستين حاجة ثلاثة نلائون للدنيا و ثلاثة نلائون للآخرة . و عن أبي المغيرة قال : سمعت أبا المحسن عليه السلام يقول : من قال في دبر صلاة الصبح و صلاة المغرب قبل أن يشئ رجليه أو يكلم أحداً : إن الله وما تكتبه يصلدون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما اللهم صل على محمد و ذريته قضى الله له مائة حاجة سبعين «سبعين» في الدنيا و ثلاثين «ثلاثون» في الآخرة ، قال : قلت : ما معنى صلوات الله و صلوات الملائكة و صلوات المؤمن ؟ قال : صلوات الله رحمة من الله و صلوات الملائكة تزكية منهم له ، و صلوات المؤمنين دعاء منهم له .

و من سر آل محمد في الصلاة على النبي ص و آله : اللهم صل على محمد وآل محمد في الأولين ، و صل على محمد وآل محمد في الآخرين ، و صل على محمد وآل محمد في الملاء الأعلى ، و صل على محمد وآل محمد في المرسلين اللهم اعط محمدًا الوسيلة والشرف والفضيلة والدرجة الكبيرة ، اللهم إني آمنت بمحمد ولم أره فلاتحرمني يوم القيمة رؤيته ، وارزقني صحبته وتوفيقى على ملتقاه واسقنى من حوضه مشربا «شربان» رويَا سايغا هنينا لاظماً بعده أبداً إنت على كل شيء قدير اللهم كما آمنت بمحمد ولم أره فعرفني في الجنة ووجهه اللهم بلع روح محمد تحية كثيرة وسلاماً .

فإن من صلى على النبي بهذه الصلاة هدمت ذنبه ومحيت خططيه ودام سره و استجيب دعاؤه واعطى أمله وبسط له في رزقه وأعين على عدوه وهىء له سبب أنواع الخير و يجعل من رفقاء نبيه في الجنان الأعلى ، يقول من ثلث مرأت غدة وثلاث مرات عشيّة .

و عن عبدالله بن سfan عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم ذات يوم

لأمير المؤمنين : ألا أبشرك ؟ قال : بلى بآبى أنت وأمّتى ، فانك لم تزل مبشر بأكل خير فقال : أخبرني جبرئيل آنفًا بالعجب ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام وما الذي أخبرك يا رسول الله ؟ قال : أخبرني أنَّ الرَّجُلَ مِنْ أُمْتَيَّ إِذَا صَلَّى عَلَى فَاتِّيَعَ بِالصَّلَاةِ عَلَى أَهْلِ بَيْتِي فَتَحَتَ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ وَصَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ سَبْعِينَ صَلَاةً وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ مِنَ الْمُذَنبِينَ تَحَاتَ عَنْهُ الذَّنَوبُ كَمَا تَحَاتُ الْوَرَقَ مِنَ الشَّجَرِ ، وَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : لَبِيكَ عَبْدِي وَسَعْدِيَكَ يَا مَلَائِكَتِي أَتَمْ تَصْلُونَ عَلَيْهِ سَبْعِينَ صَلَاةً وَأَنَا أَصَلِّ عَلَيْهِ سَبْعِمَائَةَ صَلَاةً ، فَانْصَلَّى عَلَى وَلَمْ يَتَبَعِ بِالصَّلَاةِ عَلَى أَهْلِ بَيْتِي كَانَ يَسْهُوا وَبَيْنَ السَّمَاوَاتِ سَبْعِونَ حِجَابًا وَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالَهُ : لَبِيكَ وَلَا سَعْدِيَكَ يَا مَلَائِكَتِي لَا تَصْدِعُوا دُعَاهُ إِلَّا أَنْ يَلْمَعَ بِالنَّبِيِّ عَتْرَتَهُ ، فَلَا يَزَالْ مَهْجُوباً حَتَّى يَلْمَعَ بِأَهْلِ بَيْتِي .

وَعَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ : مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَائَةَ مَرَّةَ رَبَّ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، قَضَى اللَّهُ لَهُمَا حَاجَةً ثَلَاثَةَ مِنْهَا لِلْدُنْيَا ، وَسَبْعَوْنَ مِنْهَا لِلآخرة .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَنَانٍ عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه ارْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالصَّلَاةِ عَلَى فَانَّهَا يَذْهَبُ بِالنَّسْفَاقِ .

وَفِي جَامِعِ الْأَخْبَارِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ عليه السلام قَالَ : مَنْ صَلَّى عَلَى فِي كِتَابِهِ لَمْ يَزِلْ الْمَلَائِكَةُ تَصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ ذَلِكَ مَكْتُوبًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَفِيهِ أَيْضًا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه : مَنْ صَلَّى عَلَى مَرَّةٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَلْفَ مَرَّةٍ لَا يَعْذَّبُ بِهِ «كَذَا» فِي النَّسَارِ أَبْدًا ، وَقَالَ : مَنْ صَلَّى عَلَى مَرَّةٍ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ الْعَافِيَةِ ، وَقَالَ مَنْ صَلَّى عَلَى مَرَّةٍ لَمْ يَبْقَ مِنْ ذَنْبِهِ ذَرَةً .

وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ عليه السلام قَالَ : إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ صَلَاةً ، وَقَالَ النَّبِيُّ عليه السلام فِي الْوَصِيَّةِ : يَا عَلِيٌّ مَنْ صَلَّى كُلَّ يَوْمٍ أَوْ كُلَّ لِيَلَةٍ وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي وَلَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ .

عَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه إِنَّ أَقْرَبَكُمْ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ أَكْثَرُكُمْ عَلَى صَلَاةٍ فِي دَارِ الدُّنْيَا ، وَمَنْ صَلَّى فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ أَوْ فِي لِيَلَةٍ

الجمعة مائة مرّة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وزنانين من حوائج الدنيا ، ثم يوكّل الله له بكل صلاة ملكياتدخل في قبرى كما يدخل أحدكم المدایا ويخبرني من صلّى على باسمه ونسبة إلى عشيرته فاتبته عندي في صحيفه بيضاء عن الرضا ثابت الامان لم يقدر على ما يكفر به ذنبه فليكتشر من الصلاة على محمد وآله فانها تهدم الذنب هدمها.

و قال النبي ﷺ من قال : صلّى الله على محمد وآل محمد أعطاه الله أجر اثنين وسبعين شهيداً و خرج من ذنبه كيوم ولدته أمها .

روى عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ ما من أحد يذكرني ثم صلّى على إله غفر الله له ذنبه وإن كان أكثر من رمل عالج .

و قال صلوات الله عليه و آله : من صلّى على يوم الجمعة مائة مرّة غفر الله له خطبيته تمامين سنة .

و قال ﷺ : من صلّى على مائة خلق الله تعالى يوم القيمة على رأسه نوراً وعلى يمينه نوراً و على شماله نوراً و على فوقه نوراً و على تحته نوراً ، وفي جميع أعضائه نوراً .

و قال ﷺ : لن يلتحم النصارى من صلّى على إله .

و قال ﷺ : الصلاة على نور على الصراط ، ومن كان له على الصراط من التور لم يكن من أهل النصارى .

و في رواية عبد الرحمن بن عون أنه قال : جاتني جبريل وقال : إنّه لا يصلّى عليك أحد إلا و يصلّى عليه سبعون ألف ملك و كان من أهل الجنة . عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال : من صلّى على ألف مرّة لم يمت حتى يبشر بالجنة .

و قال قال رسول الله ﷺ من صلّى على إله و على آله تعظيم ما خلق الله من ذلك القول ملكا يرى جناح له بالمغرب والآخر بالشرق و رجاله معموساتان من الأرض السفلية و عندهما حلتوى تحت العرش ، فيقول الله عز وجل : صل على عبدي كما صلّى

على النبي ، فهو يصلى عليه إلى يوم القيمة إلى غير هذه من الأخبار المتجاوزة عن حد الأحصاء .

والحمد لله الذي جعل صلاتنا عليه و آله و ما خصّنا به من ولائهم طيباً لخلقنا و طهارة لأنفسنا و تزكية لنا و كفارة لذنبينا ، و له الشّكر على ما آثرنا بذلك و خصّنا به دون غيرنا كثيراً كثيراً .

الترجمة

از جمله خطب آنحضرتست که تعلیم فرموده خلق را در آنصلوات فرستادن به پیغمبر را .

ای خداوند ما ای کسترانته گستردها چون هفت طبقه زمین و ای نگه دارنده بلند شدها چون طبقات چوخرین و ای مجبول نماینده قلبمابر فطرت اصلیه آنها که مجبول نموده قلبهای با شقاوت را بشقاوت و قلبهای با سعادت را بسعادت ، بگردان شریف ترین درود های خودرا و بلندترین و افزونترین برکتهای خود بر محمد بن عبدالله که بنده برگزیده و رسول پسندیده تو است که ختم کننده آن چیزی است که گذشته از پیش از شریعت و ملت ، و گشاینده آن چیزیست که بسمه شده از باب رشاد و هدایت ، و اظهار کننده دین حق است بایان درست و حق ودفع کننده غلبهای باطلان و شکننده صولتهای گمراهان .

صلوات فرست بر آن حضرت صلواتی که مشابه باشد برسالتی که برداشت آنرا وقوی شد به برداشتن او درحالی که استاده بود بفرمان تو و صاحب تعجیل بود در تحصیل رضای تو ، و درحالی که جبون نبود از پیشی گرفتن در آواه اوامر شریعت و سنت نبود در عزیمت بابلغ أحكام ملت ، نگاه دارنده بود وحی تورا ، حفظ کننده بود عهد تورا ، گذرنده باجراء فرمان تو تا آنکه برافروخت شعله نور حق را بجهة طالین ، و روشن ساخت راه شرع متین را از برای خبط کننده و جاهلین ، وهدایت یافته شده بوجود مبارک آن قلبهها بعداز غوطه خوردن درفتنه ، و برپانمود علمهای راه نماینده و احکام روشنی دهنده را .

پس اوامین تو است و خزینه دار علم مخزون و سر مکنون تو، و شاهد تواست در روز جزا و فرستاده تو بسوی خلق بار خدایا گشاده گردان از برای آن حضرت مکان با وسعت در سایه کشیده خود، و جزا بدء او را زیادتیهای خیر را از فضل و رحمت خود.

بار خدایا بلند گردان بر بنای بانیان بنای او را که عبارتست از دین همین و شرع همین، و گرامی دار نزد خود منزل اورا که جنت عدن است و فردوس برین، و تمام گردان از برای او نور او را که احاطه نماید بهمه خلائق، و پاداش ده اورا از جهه مبعوث نمودن تو اورا شهادت پذیرفته شده و گفتار پسندیده در حالتی که او صاحب نطق عادلست و صاحب خصلت جدا کننده میان حق و باطل.

بار خدایا جمع کن میان ما و میان او در خوشی زندگانی و در ثبات نعمت جاودانی و در مطلوبهای آرزوها و در خواهشات لذتها و در گشادگی آسايش و راحت و در پایان آرامی و استراحت و در تحفهای کرامت که معده است و همیاب رای اهل جنت

و من كلام له عليه السلام قاله لمروان بن الحكم
بالبصرة وهو الثاني والسبعون من المختار في باب الخطب

قالوا : أخذ مروان بن الحكم اسيراً يوم الجمل فاستشفع الحسن والحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين عليهما السلام فكلماه فيه فخلّي سبيله فقال له : يبايعك يا أمير المؤمنين .
 فقال : أَوَ لَمْ يُبَايِعِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ ؟ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ، إِنَّهَا كَفَّرَ
يَهُودِيَّةٌ لَوْ بَايَعَنِي بِكَفَّهِ لَغَدَرَ بِسَبَبِهِ، أَمَّا إِنَّ لَهُ إِمْرَةٌ كَلْعَةُ الْكَلْبِ
أَنْفَهُ، وَهُوَ أَبُو الْأَكْبَشِ الْأَزْبَعِيَّةِ، وَسَتَلَقُ الْأَمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ
يَوْمًا أَخْمَرَ.

اللغة

قال الشارح المعتزلي يقال استشفعت فلانا إلى فلان وسألته ان يشفع لي إليه وتشفّع إلى فلان في فلان فشفعي فيه تشفياً، وقول الناس استشفعتم بفلان إلى فلان ليس بذلك العجمي انتهى، و (السبة) بالفتح الامت، و (الامرة) بالكسر مصدر كلامارة وقيل اسم و (لعقه) كسمه لحسه لعقة و يضم و (كبش) القوم رئيسهم و (الولد) بالتحريك مفرد وجمع.

الاعراب

فاعل استشفع في كلام السيد راجع إلى مروان ، قوله : إنها وارد في مقام التعليل لعدم الحاجة و حذف منه الجار ، والضمير فيه راجع إلى الكف المفهوم من البيعة لجريان العادة بوضع المبایع كفه في كف المتابع ، و يهودية بالرفع صفة لكتف .

المعنى

اعلم أن مروان الملعون هو ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف ، وكان أبوه الحكم لعنه الله عم عثمان بن عفان وقد طرده رسول الله صلوات الله عليه وسلم ونفاه عن المدينة مع ابنه مروان ، وكان مروان يومئذ طفلاً فلم يزال بالطائف حتى ولى عثمان فرده إلى المدينة مع ولده .

واختلف في السبب الموجب لتفيقه له فقيل : إنه يتحمّل ويستخفى ويسمع ما يسره رسول الله إلى أكابر الصحابة في هشر كي قريش وساير الكفار والمنافقين ، وقيل : يتتجسس على رسول الله وهو عند نسائه ويصفع إلى ما لا يجوز الإطلاع عليه ثم يحدث به المنافقين على طريق الاستهزاء ، وقيل : كان يحكى في بعض مشيه وبعض حر كاته ، فقد قيل : إن النبي صلوات الله عليه وسلم إذا مشى يتكتأ ، وكان الحكم بن العاص يحكى و كان شأنه له حاسداً مبغضاً ، فالتفت رسول الله يوماً فرأى يمشي خلفه يحكى في مشيته فقال له كذلك فلتكن يا حكم ، فكان الحكم مختلجاً يرتعش من يومئذ . وفي شرح المعتزلي من كتاب الاستيعاب باسناد ذكره عن عبدالله بن عمرو بن

العاشر أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ لَعِنَ، قَالَ: وَكُنْتَ قَدْ رأَيْتَ أَبِي يَلْبَسَ نِيَابَةً لِيَقْبِلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَلَمْ أَزِلْ مُشْفِقًا أَنْ يَكُونَ أَوْلَى مَنْ يَدْخُلُ، فَدَخَلَ الْحَكْمَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ.

وَعَنِ النَّهَايَةِ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ قَالَتْ لِمَرْوَانَ: إِنَّ اللَّهَ لَعِنَ أَبَاكَ وَأَنْتَ فَضَّلْتَ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ أَىْ قَطْعَةً وَطَافَةً مِنْهَا، وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ فَظَاظَةً مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ بِظَاهِرِيَّةِ وَهُوَ مَاءُ الْكَرْشِ. وَقَالَ الزَّمْخَشْرِيُّ افْتَظَطَ الْكَرْشَ اعْتَصَرَتْ مَاءَهَا كَأَنَّهَا عَصَادَةً مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ.

وَكَيْفَ كَانَ فَهْوَ الطَّرِيدَ بْنَ الطَّرِيدِ، وَاللَّعِينَ أَبْنَ اللَّعِينِ وَمَنَافِقَ أَبْنَ مَنَافِقَ، وَلَذِلِكَ أَنَّ الْحَسَنَيْنَ عَلَيْهِمَا لَعْنَةُ اللَّهِ لَمَّا قَالَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلَيْهِ إِنَّهُ يَبَايِعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِيْنَ فَقَالَ (أَوْلَمْ يَبَايِعَنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ) فَغَدَرَ وَحَضَرَ فِيمَنْ حَضَرَ حَرْبَ الْجَمْلِ (الْاحْاجَةُ لِي فِي بَيْعَتِهِ إِنَّهَا) أَىْ كَفْهَ (كَفْ يَهُودِيَّةَ) غَادِرَةً وَالنَّسْبَةُ إِلَى الْيَهُودِ لِشَيْوَعِ الْغَدَرِ فِيهِمْ كَمَا نَبَّهَ يَهُودَهُمْ عَلَى ذَلِكَ بِقُولِهِ (لَوْ يَبَايِعَنِي يَدِهِ لَغَدَرَ بِسَبِّتِهِ) أَرَادَ أَنَّهُ لَوْ يَبَايِعَ فِي الظَّاهِرِ لَغَدَرَ فِي الْبَاطِنِ وَذَكَرَ السَّبَّبَةَ إِهَانَةً لَهِ.

(أَمَا إِنَّ لَهُ امْرَأَةً كَلْعَةً الْكَلْبِ أَنْفَهُ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى قَصْرِ مَدَّةِ امْارَتِهِ، فَقَدْ قِيلَ: أَنَّهُ وَلِيَ الْأَمْرِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ: سَتَّةَ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرَةَ أَيَّامٍ (وَهُوَ أَبُو الْكَبِشِ الْأَرْبَعَةِ) فَسَرَّ الْأَكْثَرُ ذَلِكَ بَنْيَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ: الْوَلِيدِ، وَسَلِيمَانَ، وَيَزِيدَ، وَهَشَامَ، وَلَمْ يَلِ الخَلَافَةَ مِنْ بَنِي امِيَّةٍ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ أَرْبَعَةَ إِلَّا هُولَاءَ.

قَالَ الْمُعْتَزِلِيُّ: وَعِنْدِي أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَعْنِي بِهِ بَنْيَ مَرْوَانَ لَصْلِبِهِ، وَهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ الَّذِي وَلِيَ الْخَلَافَةُ، وَبَشَرُ الَّذِي وَلِيَ الْعَرَاقُ، وَمُحَمَّدُ الَّذِي وَلِيَ الْجَزِيرَةُ، وَعَبْدُ الْغَزِيزِ الَّذِي وَلِيَ مَصْرُ، وَلَكُلِّ مِنْهُمْ آنَارَ مَشْهُورَةً (وَسَتَلَقِي الْأَمْمَةُ مِنْهُ وَمِنْ ولَدِهِ يَوْمًا أحْمَرً) أَىْ شَدِيدًا وَفِي بَعْضِ النَّسْخِ هُوتَأْ أَحْمَرُ وَهُوَ كَنْيَةُ عَنِ القَتْلِ.

نَكْمَلَةٌ

هَذَا الْكَلَامُ مَرْوِيٌّ بِنَحوِ آخَرَ، وَهُوَ مَا دَوَاهُ فِي الْبَحَارِ مِنَ الْخَرَاجِ عَنِ

ابن الصّيرفي عن رجل من مراد قال : كنت واقفاً على رأس أمير المؤمنين عليهما السلام يوم البصرة إذ أتاه ابن عباس بعد القتال فقال : إنَّ لي حاجة فقال ما اعرفني ما الحاجة التي جئت فيها تطلب الأَمان لابن الحكم ؟ قال : نعم أُريد أن تؤمنه قال أمنتـه ولكن أذهب وجئـني به ولا تجئـني به إلَّا ردـيفـاً فانـه أذـلـ له .

فجاءـ به ابن عباس ردـاً خلفـه كـانـه قد قال أمـير المؤـمنـين عليهـما السلام : أتبـاعـ ؟ قال : نـعـ ، وـفـي التـسـفـ مـاـفـيهـهاـ قال : اللـهـ أـعـلمـ بـمـاـفـيهـهاـ فـلـمـاـ بـسـطـ يـدـهـ لـيـبـاعـهـ أـخـذـ كـفـهـ عنـ كـفـ مـرـوـانـ فـتـرـهـاـ فـقـالـ لـاـحـاجـةـ لـيـ فـيـهـ إـنـهـاـ كـفـ يـهـودـيـةـ لـوـ بـاـيـعـيـ يـدـهـ عـشـرـينـ هـرـةـ لـنـكـتـ باـسـتـهـ ، ثـمـ قال :

هـيـهـ هـيـهـ يـاـبـنـ الـحـكـمـ خـفـتـ عـلـىـ رـأـسـكـ أـنـ تـقـعـ فـيـ هـذـهـ الـمـعـمـعـةـ ، كـلـاـ وـالـلـهـ حـتـىـ يـخـرـجـ مـنـ صـلـبـكـ فـلـانـ وـفـلـانـ يـسـوـمـونـ هـذـهـ الـأـمـمـ خـسـفـاـ وـ يـسـقـونـهـ كـاسـأـصـبـرـةـ قـالـ الـمـعـلـسـيـ : قـوـلـهـ فـتـرـهـاـ ، كـذـاـ فـيـ أـكـثـرـ النـسـخـ بـالـشـاءـ وـالـرـاءـ الـمـهـمـلـةـ فـيـ الـقـامـوسـ تـرـ العـظـمـ وـيـتـرـ تـرـيرـاـ وـتـرـورـ أـبـانـ وـانـقـطـعـ ، وـقـطـعـ كـافـرـ وـالـشـمـرـ تـرـ كـالـتـرـازـلـ وـالـتـقـلـقـلـ ، وـفـيـ بـعـضـ النـسـخـ فـشـرـهـاـ بـالـنـسـنـونـ وـالـشـاءـ الـمـثـلـثـةـ أـئـ نـفـضـهـاـ ، وـفـيـ بـعـضـهـاـ فـتـرـهـاـ بـالـنـسـنـونـ وـالـشـاءـ الـمـشـتـأـةـ مـنـ النـسـنـ وـهـوـالـجـذـبـ بـقـوـةـ وـفـيـ الـقـامـوسـ يـقـالـ لـشـيـءـ يـطـرـدـ هـيـهـ هـيـهـ بـالـكـسـرـ وـهـيـ كـلـمـةـ اـسـتـرـادـةـ أـضـاـ ، وـفـيـ النـهـاـيـةـ الـمـعـاـمـعـ شـدـةـ الـمـوـتـ وـالـجـدـ فـيـ الـقـتـالـ وـالـمـعـمـعـةـ فـيـ الـاـصـلـ صـوـتـ الـحـرـيقـ وـالـمـعـمـعـانـ شـدـةـ الـحـرـ .

أـقـولـ : وـلـعـلـهـ أـرـادـ بـقـوـلـهـ كـأـسـأـمـرـاـ كـأـسـأـمـرـاـ كـانـ فـيـهـ صـبـراـ .

الترجمة

از جمله کلام بلاغت نظام آن حضرت است که فرمود از برای مروان بن حکم در شهر بصره، راویان گویند که گرفتند مروان بن حکم را اسیر در روز حرب جمل پس شفیع نمود حسن و حسین عليهما السلام را مروان بسوی أمیر المؤمنین علیهم السلام پس سخن کفتند آن دو بزرگوار با آن حضرت درخصوص آن بی اخلاص، پس رها کرد آن را، پس عرض کردند ایشان که بیعت میکنند مروان بتوا ای أمیر مؤمنان پس آن حضرت فرمود که :

آیا بیعت نکرد آن بیدین بعده کشته شدن عثمان لعین هیچ حاجت نیست
مرا دریعت آن بد بخت ، بدرستی که دست آن ملعون دست یهودی است یعنی مثل
طائفه یهود مکار و غدار است اگر بیعت کند بمن بدست خود هر آینه غدر کند
بادرخود ، یعنی اگر ظاهراً بیعت نماید باطنًا نقض آن را خواهد نمود .

آگاه باشد که بدرستی باشد اورا امارتی بغايت کوتاه مانند ليسيدن سك
بینی خودرا واوامت پدر چهار رئیس ، مراد عبدالملك و عبد العزیز و بشرو محمد است
که همه پسران مروان بودند ، وزود باشد که بر سند این امت از جانب مروان و از
جانب پسران او روز باشدت ، مراد قتل وغاریست که از ایشان صادرشد .

ومن كلامه عليه السلام لما عزّموا على بيعة عثمان وهو الثالث والسبعون من المختار في باب الخطب

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِيْ، وَ اللَّهُ لَأَسْأَمَنْ مَا سَلِمْتُ
أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ، وَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيْ خَاصَّةَ الْتَّهَاسِ لِأَجْرِ ذَلِكَ
مِنْ فَضْلِهِ، وَ زُهْدًا فِيهَا تَنافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرِفِهَا وَ زِرْجِهَا .

اللغة

(نافست) في الشيء منافسة و نفاساً إذا رغبت فيه على وجه المبارات
و (الزُّخْرُف) بالضم الذهب وكمال حسن الشيء قال تعالى : « حتى إذا أخذت
الأرض زخرفها » و (الزِّرْج) بالكسر الزينة .
الاعراب

كلمة ما في قوله ما سلمت ظرفية مصدرية ، وخاصة منصوب على الحالية ،
و تماماً مفعول له والعامل لأسأمن ومن زخرفها بيان لاما .

المعنى

المستفاد من شرح المعتزلي أن هذا الكلام صدر منه عَلَيْهِ الْمَسْكَنُ بعد أن بايع أهل الشورى عثمان وعد عَلَيْهِ الْمَسْكَنُ فصائله وسوابقه، وناشد أصحاب الشورى قطع عبد الرحمن ابن عوف كلامه وقال يا علي : قد أبى الناس إلا على عثمان فلا تجعلن على نفسك سبيلا ، ثم قال عَلَيْهِ الْمَسْكَنُ : ياباطحة ما الذي أمرك به عمر ؟ قال : أن أقتل من شق عصا الجماعة ، فقال عبد الرحمن لا مير المؤمنين بايع إذن وإلا كنت متبعا غير سبيل المؤمنين وانفذنا فيك ما أمرنا به فعنده ذلك قال :

(لقد علمتم أئتي أحق بها) أي بالخلافة المستفادة من قرينة المقام (من غيري) لاستجماعه عَلَيْهِ الْمَسْكَنُ الكلمات النفسانية والفضائل الداخلية والخارجية مضافا إلى وصية رسول الله عَلَيْهِ الْمَسْكَنُ بها ، فيكون أولى وأحق وذلك لا يستلزم كون غيره حقيقة أيضا إذا سمت التفضيل في كلامه نحوه في قوله تعالى :

« قُلْ أَذْلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخَلْدِ ». »

ثم نبه عَلَيْهِ الْمَسْكَنُ على أن رغبته فيهم ليست حر صاعلى ذخافر الدنيا وزينتها وامارتها كما هي في غيره ، وإنما هي لرعاية مصلحة الإسلام وصلاح حال المسلمين فقال (وَاللهُ لِأَسْلَمَنْ) واتركن المخالفه (ما سلمت أمور المسلمين) أي مهما كان في تسليمي سلامه أمور المسلمين (ولم يكن فيها جور إلا على خاصة) وإنما سلمت ذلك (التماسا لأجر ذلك من فضاه) أي لأجر المظلومية والجور الواقع في حق من فضل الله سبحانه (وزهدا في ماتنا فستموه) ورغبة عمما رغبتم فيه (من زخرفها وزبرتها) أي ذهب الدنيا وزينتها.

قال المحدث المجلسي : في هذا الكلام دلالة على أن خلافة غيره جور مطلقا وأن التسلیم على التقدیر المفروض وهو سلامه أمور المسلمين وإن لم يتم تحقق الفرض لرعاية مصالح الاسلام والتقویة انتهى .

وبذلك يظهر ما في كلام الشّارح المعتزلي حيث قال :
فإن قلت : فهل أسلم إلى معاوية وإلى أصحاب الجمل واغضى على اغتصاب

حَقْهُ حفظاً للإسلام من الفتنة.

قلت : إن الجور الداخل عليه من أصحاب العمل ومن معاویة وأهل الشّام لم يكن مقصوراً عليه خاصة ، بل كان يعمّ الإسلام والمسلمين جميعاً ، لأنّهم عنده لم يكونوا هم من يصلح لرئاسة الأمة وتحمل أعباء الخلافة ، فلم يكن الشرط الذي اشترطه متحققاً و هو قوله : ولم يكن فيها جور إلا على خاصة.

نَمْ قَالَ : وَهَذَا الْكَلَامُ يَدْلِي عَلَى أَنَّهُ تَعَلَّمَ لِمَ يَكُونَ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ خَلَافَةَ عُثْمَانَ تَضَمَّنَ جُوراً عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَالإِسْلَامِ وَإِنَّمَا يَتَضَمَّنُ جُوراً عَلَيْهِ خَاصَّةً وَإِنَّمَا وَقَعَتْ عَلَى جِهَةِ مُخَالَفَةِ الْأُولَى لِأَعْلَى جِهَةِ الْفَسَادِ الْكَلَى وَالْبَطْلَانِ الْأَصْلِيِّ وَهَذَا مَحْضُ مَذْهَبُ أَصْحَابِنَا انتهى .

وَأَوْلَى : أَمَّا مَا ذَكَرْتُهُ مِن التَّفَرْقَةِ بَيْنَ الْمُتَخَلَّفِينَ الْثَّلَاثَةِ وَبَيْنَ النَّاسَكَيْنِ وَالْقَاطِنِينَ بِكُونِ جُورَ الْأُولَى مَقْصُوراً عَلَيْهِ خَاصَّةً وَجُورَ الْآخَرَيْنَ عَامِّاً لَهُ وَالإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، فَضَعِيفٌ جَدًّا كَضَعْفِ تَوْهِيمِ صَلَاحِيَّةِ الْأُولَى عَنْهُ بِلِكِيمَ لِرِئَاسَةِ الْأُمَّةِ وَعدم صلاحية الآخرين لها .

أَمَا أَوْلَاقَلْمَنْعُ انحصار جور الْأُولَى فِيهِ خَاصَّةً أَمْ بَيْعَتِ الْأُولَى خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدَ لِعَنِهِ اللَّهُ إِلَى مَالِكَ بْنَ نُوبِرَةَ فَقْتَلَهُ وَأَصْحَابَهُ وَزَنْبُرَهُ امْرَأَتَهُ بِمَجْرِ دَامِسَاكِهِ عَنِ الزَّكَاةِ وَمَنْعِ بَعْضِ الرَّسُولِ مِنْ فَدْكِ أَلِيسِ جُوراً بَيْنَا وَظَالِمًا فَاحْشَأَ فَضْلًا عَنِ سَائِرِ مَا صَدَرَ عَنْهُ ؟

أَوْلَمْ يَأْمُرُ الشَّانِي بِاحْرَاقِ بَيْتِ الصَّدِيقَةِ وَمَنْعِهَا حَقَّهَا وَأَعْطِيَ عَائِشَةَ وَحْفَصَةَ عَشْرَةَ آلَافَ درَهْمَ فِي كُلِّ سَنَةِ وَظَلَمَ الْمُسْلِمِينَ فِي بَيْتِ مَالِهِمْ ؟
أَوْلَا تَنْتَظِرُ إِلَى الشَّالَّثِ كَيْفَ اخْرَجَ أَبِي ذَرَ إِلَى الرَّبْدَةِ وَكَسَرَ ضَلْعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُسْعُودِ وَحَمَلَ بْنَي أَبِي مُعِيطٍ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ وَأَنْتَفَ مَالَ الْمُسْلِمِينَ وَظَلَمَهُمْ فِي حَقِّهِمْ وَقَامَ مَعَهُ بَنُو امِيَّةٍ « أَبِيهِ » يَخْضُمُونَ مَالَ اللَّهِ خَضْمَ الْأَبْلَى بَنْتَ الرَّبِيعِ ؟ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ جُورٌ إِلَّا فِي حَقِّهِ لَكَفَى فِي بَطْلَانِ خَلَافَتِهِمْ إِذَا جَاءُوكُنْ إِمَامًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى :
(ج) ١٤

« لا يَنْالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ » .

واماثانياً فلمنع صلاحية الاولين عنده ^{تفصيلاً} للرياسة، وكيف يتوجه ذلك مع تصريحه في الخطبة الشقيقة وغيرها متسارّة و يأتي بذلك ببطلان خلافتهم و اعتقادهم حقه فضلاً عما حققنا سابقاً في غير موضع فساد خلافتهم و بطلان دعواهم لها.

فإن قلت : فلم أمسك عنهم و نهض إلى معاودة وأصحاب الجمل؟
 قلت : قد بيّنا جواب ذلك فيما سبق و قلنا إن إمساكه النكير على الأولين
 لعدم وجود ناصر و معين له يومئذ ينصره و يحمي له فأمسك عنهم تقية و حفاظاته
 بخلاف يوم الجمل و صفيين كما هو تفصيلاً في تنبیهات كلامه السابع و الشلائين ،
 وبالجملة لاريب في بطلان خلافة الجميع و كون الكل جايراً ظالماً في حقه وفي
 حق المسلمين ، غاية الأمر أن معاودة وأصحاب الجمل هتكوا حرمة الاسلام بالمرة
 و أعلنتوا بعذاته ^{بتفصيلاً} و شهر و اسيوفهم عليه ، والأولين لم يبلغوا هذه المثابة.
 و بهذا كله ظهر فساد ما توهمه أخيراً ونبيه إليه ^{تفصيلاً} من عدم ذهابه إلى بطلان
 خلافة عثمان أصلاً و رأساً و إنما كان يذهب إلى أنها متضمنة للمجرور عليه خاصة
 فافهم جيداً.

الترجمة

از جمله کلام آن امام همام است که فرموده در زمانیکه عزم کردند اهل
 شوری بییعت عثمان.

بتحقیق هر آینه دانسته اید که آنکه بدرستی من سزاوارترم بخلافت از غیر
 هن و قسم بذات خداوند که هر آینه تسلیم میکنیم مادامیکه صلامت باشد کارهای
 هسلمانان و نباشد در خلافت دیگران ستمی مگر بر من تنها از جهت خواهش
 نمودن نواب آنرا از فضل خداوند تبارک و تعالی و از جهت اعراض نمودن در آنچه
 شما رغبت نمودید در آن از طلای آن و زینت و آرایش آن.

و من كلام له عليه السلام لما بلغه اتهام بنى امية
له بالمشاركة في دم عثمان وهو الرابع والسبعون
من المختار في باب الخطب

أَوْلَمْ يَنْهَا أُمِيَّةٌ عِلْمُهَا بِيَعْنَ قَرْفِيْ؟ أَوْ مَا وَزَعَ الْجُهَالَ سَابِقَتِيْ عَنْ
تُهْمَيْ؟ وَلَمَا وَعَظَهُمُ اللَّهُ بِهِ أَبْلَغَ مِنْ لِسَانِي أَنَا حَجَجِيْ الْمَارِقِينَ، وَخَصِيمُ
الْمُرْتَابِينَ، وَعَلَى كِتَابِ اللَّهِ تُعَرَضُ الْأَمْتَالُ، وَبِمَا فِي الصُّدُورِ تُجَازَى الْعِبَادُ

اللغة

قوله (أولم ينه امية) في بعض النسخ بنى امية وكلاهما صحيحان، والمراد
القبيلة يقال كلب و بنو كلب و يراد بهما القبيلة قال الشاعر:

وأشار كلب بالأكف الأصابع

وقال آخر: أبني كلب إن عمى اللذا

و (قرف) فلانا من باب ضرب انْهَمَهُ و عابه و (وزعه) عنه صرفه و كفه و (الستابة)
الفضيلة والتقدّم و (الحجيج) المحاج من حجّ فلان فلانا إذا غلبه بالحججة و (المارق)
الخارج من الدين و (الخصيم) المخاصم.

الاء، اب

الهمزة في قوله أولم ينه و أو ما وزع استفهام على سبيل الاتكال التوبيني نحو
قوله تعالى:

« أَتَبْعُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ، أَءْفَكَا آلَهَةُ دُونَ اللَّهِ تُرْبِدُونَ ». .

والواو في قوله و لما وعظهم بمحتمل القسم والاستثناف والحال.

المعنی

اعلم أنَّ هذا الكلام له وارد في توبیخ بنی امية والطعن عليهم ، فانه ظاهر
لما بلغه اتهامهم له بالمشاركة في دم عثمان وبخهم بقوله (أولم ينْهَا امية علمها بـ
عن قوله) قال الشارح المعتزلي : يقول ظاهر أما كان في علم بنی امية بحال ما
ينهیها عن قوله واتهامي بدم عثمان ، وحاله التي أشار إليها ذكر أنَّ علمهم به يقتضي
أن لا يقرفوه بذلك هى منزلة في الدين التي لامنزة أعلى منها ، و ما نطق به الكتاب
الصادق من طهارة وطهارة بنية و زوجته في قوله :

« إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَهِّبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُظْهِرَ كُمْ تَطْهِيرًا »

و قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، و ذلك يقتضي عصمه عن
الدم العرام كما أن هارون معصوم عن مثل ذلك ثم أكَد ذلك بقوله (أو ما وزع
الجهال) و ردتهم (سابقتي) في الاسلام (عن تهمتي) ثم اعتذر لبيك لنفسه في عدم
تأثير موعظه فيهم بقوله (ولما عظهم الله به) في كتابه (ابلغ من لسانه) و قوله .
يعنى أنَّ كلام الله سبحانه وتعالى مع كونه أبلغ الموعظة وأكمل في الردع والتحذير
لا يوجب وزعهم وردتهم عن القول والاعتقاد بما لا يجوز ولا يؤثر فيهم ، فكيف بكلامي
و هذا الكلام نظير قوله في الخطبة الرابعة : و قر سمع لم يفقه الواعية وكيف يراعي
النبأ من أصمه الصحيح ، والمراد بما وعظهم الله به الآيات الناهية عن الظن
والرادة عن الغيبة والمحذرة من ايذاء المؤمنين مثل قوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَبِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظُّنُونِ إِنْ أَنْهِيَ
وَلَا تَجْسِسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيْحِبْ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلْ لَحْمَ
آخِيهِ مَيْتًا فَكَرَهْتُمُوهُ » و قوله : « وَالَّذِينَ يَؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
بِغَيْرِ مَا كَسْبَهُوْ فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا » .

إلى غير ذلك و هو كثير في القرآن ثم قال (أنا حجيج المارقين وخصيم المرتلين) أى مغالب الخارجين عن الدين باظهار الحجة عليهم في الدنيا والآخرة و مخاصم الشاكرين في الدين أو في كل حق في خصوص الامامة منبني امية وغيرهم.

روى في غاية المرام عن الشیخ في أيامه بسانده عن قيس بن سعد بن عبادة قال : سمعت على بن أبي طالب يقول : أَوْلُ مَنْ يَعْثُرُ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفَّارِ وَجْهُ الْخُصُومَةِ أَقُولُ : إِلَيْكُمْ خُصُومَةً أُشِيرُتُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

« هَذَا نَاسٌ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعْتُ لَهُمْ نِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصْبَثُ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ يُضَهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامٌ مِنْ حَدِيدٍ ».

روى في غاية المرام عن ابن بابويه مسنداً عن النصر بن مالك قال : قلت للحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام : يا أبا عبد الله حدثني عن قول الله عزوجل :

« هَذَا نَاسٌ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ »

قال : نحن و بنو امية اختصمنا في الله عزوجل قلنا صدق الله و قالوا كذب الله فنحن وإياهم الخصماء يوم القيمة.

و من كشف الغمة عن مسلم والبغاري في حديث في قوله تعالى:

« هَذَا نَاسٌ أَخْتَصَمُوا ».

نزلت في علي و حمزة و عبيدة بن الحارث الدين بارزوا المشركين يوم بدر عتبة وشيبة ابنار بيعة والوليد بن عتبة.

و من تفسير علي بن إبراهيم في معنى الآية قال : قال يعني الصادق عليه السلام نحن وبنو امية نحن قلنا صدق الله ورسوله ، وقالت بنو امية كذب الله و رسوله :

« فَالَّذِينَ كَفَرُوا » يعني بنو امية « قُطِعْتُ لَهُمْ نِيَابٌ مِنْ نَارٍ »

إلى قوله «حَدِيدٌ» .

قال قال عليه السلام : تشويف النار فتستر حتى شفته السفلية حتى يبلغ سرّه وتعلق شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، ولهم مقامع من حديد ، قال : قال الأعمدة التي يضربون بها .

ومن تفسير الثعلبي في تفسير قوله تعالى :

« ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ »

قال : روى خلف بن خليفة عن أبي هاشم عن أبي سعيد الخدري قال : كنا نقول ربنا واحد ونبين واحد وديننا واحد فما بهذه الخصومة ، فلما كان يوم صفين وشد بعضا على بعض بالسيوف قلنا : نعم هو هذا ، ثم قال عليه السلام (وعلى كتاب الله تعرض الأمثال) يريد نحو قوله تعالى :

« هُذَا نَحْمَانٌ أَخْتَصَمُوا » الآية . وقوله تعالى : « أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ فِي أَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَعَقِّنَ كَالْفُجَارِ »

روى في غاية المرام من طريق العامة عن ابن عباس في قوله :

« أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » قال علي و حمزة و عبيدة « كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ » عتبة و شيبة و الوليد بن عتبة « أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَعَقِّنَ كَالْفُجَارِ » هؤلاء علي و أصحابه « كَالْفُجَارِ » عتبة و أصحابه ، و قوله : « أَمْ حَسِيبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلْهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَا تَمُّ مَوْتُهُمْ سَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ »

قال ابن عباس فالذين آمنوا بنوهاشم وبنوبعد المطلب ، والذين اجترحوا السيئات بنوبعد شمس ، و قال بعضهم لما كان في أقواله وأفعاله لبيك ما يشبه الأمر بالقتل أو

فعمله فأُوقع في نفوس الجهل شبهة القتل نحو ما روي عنه عليهما الله قتله و أنا معه و كختلفه عن الخروج يوم قتل عثمان حسبما تقدّم في شرح كلامه التاسع والعشرين فقال عليهما الله : ينبغي أن يعرض ذلك على كتاب الله فان دل على كون شيء من ذلك قتلاً فيحكم به وإلا فلا ولن يدل عليه أبداً.

قال المحدث العلامه المجلسي : ويحتمل أن يراد بالأشال الحجج أو الأحاديث كما ذكر في القاموس أيه احتاج به في مخاصمة المارقين والمرتابين وما يحتيجون به في مخاصمتهم ينبغي عرضها على كتاب الله حتى يظهر صحتهم وفسادهم ، أو مايسندون إلى في أمر عثمان وما يروي في أمري و أمر عثمان يعرض على كتاب الله (وبما في الصدور تجاري العباد) أي بالنيات والعقائد أو بما يعلم الله من مكتون الضمير لا على وفق ما يظهره المتخاصمون عند الاحتجاج بجاري الله العباد .

الترجمة

ازجمله کلام آن عالی مقام است در حینی که رسید باو متهم کردن بنی امیه اورا بشریک شدن او درخون عثمان عليه اللعنة والنیران .

آیا نهی کرد بنی امیه را علم ایشان بحالت من از متهم داشتن من ؟ آیا منع ودوع نکرد جاهلان را سابقه فضیلت من از اتهام من و هر آینه آنچه که موعظه فرموده است خداوند ایشان را باو ابلغ است از کلام من ، من احتاج کندهام با کسانی که از دین خارجند و خصوصیت کندهام با اشخاصی که در دین شک دارند بر کتاب خدا عرض و تطیق شود شبهها ومثلها و با آنچه در سینه است از اعتقادهای نیک و بد جزا داده میشوند بندگان در این جهان و آن جهان .

و من خطبة له عليه السلام وهي الخامسة والسبعون من المختار في باب الخطب

رَحْمَ اللَّهُ عَبْدًا «أَمْرًا» سَمِعَ حُكْمًا فَوْعَى، وَدُعِيَ إِلَى رَشادٍ فَدَنَى،

وَأَخْذَ بِحُجْزَةِ هَادِ فَنَجَى، رَاقَبَ رَبَّهُ، وَخَافَ ذَنْبَهُ، قَدَمَ خَالِصًا، وَعَمِلَ صَالِحًا، أَكْتَسَبَ مَذْخُورًا، وَاجْتَثَبَ مَخْدُورًا، رُمِيَ غَرَضًا، وَأَحْرَزَ عَوْضًا، كَابَرَ هَوَاءً، وَكَذَبَ مُنَاهًا، جَعَلَ الصَّبَرَ مَطِيهَ نَجَاَتِهِ، وَالتَّقَوَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ، رَكَبَ الطَّرِيقَةَ الْفَرَّاءَ، وَلَزَمَ الْمَحْجَةَ الْبَيْضَاءَ، اغْتَسَمَ الْمَهَلَ وَبَادَرَ الْأَجَلَ، وَتَرَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ.

اللغة

(وعيت) الحديث حفظه قال تعالى : « وَتَعِيهَا أَذْنُ وِاعِيَةٍ » و(الحجرة) بالضم معقد الازار و (رقبته) أرقبه من باب قتل حفظته وأنا رقيب وراقبت الله خفت عذابه و (اكتسب) بمعنى كسب و (الفرض) ما يرمي بالسهام وفي بعض النسخ عرضاً بالعين المهملة وهو متاع الدنيا و (كابرته) مكبارة غالبته وعandته ، وفي بعض النسخ كاثر بالثاء المثلثة وهو بمعنى غالب أيضاً ، يقال : كاثرناهم فكسرناهم أي غلبناهم بالكثرة و (المطية) المركب و (الفراء) و (البيضاء) بمعنى و (المحججة) بالفتح معظم الطريق و (المهل) بالفتح فالسكنون وبفتحتين أيضاً اسم من المهلة أو مصدر

الأعراب

جملة سمع وما بعدها من صوب الم محل على الوصفية و قوله : راقب ربَّه ، وقدم خالصا ، وما بعدهما من الأفعال بمحذف العواطف فيها نوع من الفصاحه كثير في استعمالهم قال سبحانه :

« وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ، لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، لَا يَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةٌ، فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ، فِيهَا سُرُورٌ مَرْفُوعَةٌ »

وربته وذنبه مفعولان بالواسطة ونسبة الخوف إلى الذنب مجاز لأنَّه إنما هو من الله سبحانه إلا أنَّه لما كان سببه الذنب نسب إليه وحقيقة الكلام خاف من الله

لأجل ذنبه .

المعنى

اعلم أنه عليك بالغفران ترحم في كلامه ذلك على عبد اتصف بما ذكر فيه من الأوصاف وفيه حث وترغيب على ملازمة تلك الصفات و الأتصف بهذه الأوصاف وهي على ما ذكره عليك بالغفران عشرون .

الأول ما أشار إليه بقوله (رحم الله عبداً سمع حكمها فوعي) أراد بالحكم الحكمة الأعم من العلمية والعملية كما في قوله تعالى : « وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا » .

الثاني قوله (ودعى إلى رشاد فدني) أى إلى رشد و هداية فدني من الداعي وقرب من المرشد والهادي .

الثالث قوله (وأخذ بجزء هاد فنجى) أى اعتمد به والتبع إليه واستهدى به فهداه من الضلاله و إنقذه من الجهلة فاهتدى ونجى من الهلاكة و امن من العقوبة والهادي في كلامه وإن كان مطلقا إلا أن الأظاهر عندي أن المراد به الأئمة الذين يهدون بالحق وبه يعدلون ، فيكون المراد بالأخذ بجزء هاد المتسكين بحب الولادة والمقتبسين من أنوارها ، ويدل على ما استظهرته ما ورد في تفسير قوله تعالى إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ، بطرق كثيرة أن الهادي هو أمير المؤمنين ولده المعصومون سلام الله عليهم أجمعين .

فمنها ما في غایة المرام من تفسير العياشي عن مساعدة بن صدقة عن جعفر بن عدل عن أبيه عن جده عليهم السلام قال : قال أمير المؤمنين : فيما نزلت هذه الآية :

« إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادِ » .

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنا المنذر وأنت الهادي يا علي ، فمنا الهادي و النجاة و السعادة إلى يوم القيمة .

و منه أيضاً عن بريد ، عن معاوية عن أبي جعفر عليه السلام

« إِنَّا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادِ ». .

فقال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ أنا المنذر وفي كل زمان إمام مننا يهدى بهم إلى ما جاه به نبي الله والهداة من بعده على ثم الأوصياء من بعده واحد بعد واحد ، والله ما ذهبت مننا وما زالت فينا إلى الساعة ، رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ المنذر وبعلي يهدي الممتنون .

والأخبار في هذا المعنى كثيرة بالغة حد الاستفاضة يطول الكتاب بذلكها وقد روی في غایة المرام نَالَيْنِ رواية من طريق العامة والخاصة في ذلك من أراداطلاع فليراجع إليه .

الرابع قوله (راقب ربّه) والمراقبة أخذى ثمرات الإيمان وهي على مقاييل رتبة عظيمة من رتب السالكين ، وحقيقة أنها حالة للنفس يثمرها نوع خاص من المعرفة ولها تأثير خاص في القلب والجوارح أمّا الحالة فهى مراعات القلب للرقيب واحتفاله به ، وأمّا العلم المشمر لها فهو العلم بأن الله تعالى مطلع على الضمائر والسرائر قائم على كل نفس بما كسبت كما قال تعالى :

« إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ». .

فهذه المعرفة إذا استولت على القلب ولم يبق فيها شبهة فلابد أن تجذبه إلى مراعات الرقيب ، والمؤمنون بهذه المعرفة طائفتان .

أحداها الصديقون و مراقبتهم الشعظام والإجلال واستفرار قلوبهم بملاحظة ذلك الجلال والانكسار تحت الميبة والعظمة بحيث لا يبقى فيه مجال للالتفات إلى الغير أصلًا ، وجوارحهم معطلة عن الالتفات والتلفت إلى المباحات فضلًا عن المحظورات وإذا تحركت بالطاعة كانت كالمستعمل لها فلا تصلح لغيرها ولا يحتاج إلى تدبير في ضبطها على سنن السداد ، ومن نال هذه المرتبة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصرهم ولا يسمع أقوالهم .

و الطائفة الثانية الورعين من أصحاب اليمين وهم قوم غالب بعض اطلاعات الله على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال ، بل بقيت قلوبهم على الاعتقاد متسمعة

للتسلفت ، إلى الأقوال والأعمال إلا أنّها مع مدارستها للعمل لا تخلو عن المراقبة فقد غالب الحياة من الله على قلوبهم فلا يقدمون ولا يجهمون «يجهمون» إلا عن ثبت فيمتنعون عن كل أمر فاضح يوم القيمة إذ يرون الله مشاهداً لأعمالهم في الدنيا كما يرونه مشاهداً في القيمة .

ولابد لأهل هذه الدرجة من المراقبة في جميع حركاته وسكناته ويلزم عليه أن يرصد كل خاطر يسنح له ، فإن كان إهياً يعيجل مقتضاه ، وإن كان شيطانياً يبادر إلى قمعه ، وإن شك فيه توقيف إلى أن يظهر له بنور الحق من أي جانب هو روى في الوسائل عن محمد بن يعقوب عن علي بن إبراهيم مسندًا عن داود الدارقي عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل :

« وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ » .

قال : من علم أن الله يراه أو يسمع ما يقول و يعلم ما يفعله من خير أو شر فيحيجزه ذلك عن القبح من الأفعال فذلك الذي خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى . الخامس قوله (و خاف ذنبه) و الخوف توقع حاول مكرره أو فوات محظوظ وإذا علق بالذوات كما تقول خفت الله وخفت زيداً فمعنى توقع مكرره أو حرمان يقع من جهته وإلا فالذوات لا يتعلّق بها خوف فمعنى الخوف من الذنب الخوف مما يكون الذنب سبباً له من العقوبة الدنيوية أو الأخروية أو نقصان الدرجة وانحطاط الرتبة وحرمان الجنة .

قال بعض العلماء : خوف الخائفين من الله قد يكون لامور مكرروهه لذاته وقد يكون لامور مكرروهه لادائهم إلى ما هو مكرر لذاته .

أما القسم الأول فمثل أن يتمثل في نفوسهم ما هو المكرر لذاته كمسكرات الموت وشدّته أو سؤال القبر أو عذابه أو هول الموقف بين يدي الله تعالى والحياة من كشف السرّ وسؤال عن كل صغيرة وكبيرة ، أو الخوف عن المرور على الصراط مع حدّته ومن النصار وأهوالها وأغلالها أو عن حرمان الجنة أو من نقصان الدرجات فيها أو خوف المحجّب من الله ، وكل هذه الأسباب مكرروهه في أنفسها و يختلف أحوال

السالكين إلى الله فيهم وأعلاها رتبة خوف الفراق والحجاج عن الله وهو خوف العارفين
وما قبل ذلك فهو خوف العبادين والصلحاء والزاهدين .

وأما القسم الثاني فأقسام كثيرة كخوف الموت قبل التوبة أو خوف نقض التوبة
أو خوف الانحراف عن القصد في عبادة الله أو خوف استيلاء القوى الشهوانية بحسب
مجرى العادة في استعمال الشهوات المألفة أو خوف تبعات النفس عنده أو خوف يوم
الخاتمة أو خوف سبق الشقاوة في علم الله ، وكل هذه ونحوها مخاوف عباد الله الصالحين
وأغلبها على قلوب المتقين خوف الخاتمة فإن الأمور فيه خطير .

قال بعض أولى الالباب : إذا أسكن الخوف القلب أحرق الشهوة وأطرد
عنه الغفلة .

الستادس قوله (قدم حالصاً) قال الصادق عليه السلام العمل الخالص الذي لا تزيد
أن يمدحك عليه أحد إلا الله وهذا هو معنى الاخلاص قال تعالى :
« وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينُ » .

وللقوم في تعريف الاخلاص عبارات فقيل : هو تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين
حتى عن ملاحظة النفس فلا يشهد غير الله ، وقد مر تفصيل ذلك في شرح الخطبة الأولى
 عند قوله تعالى وكمال توحيده الاخلاص له ، وقيل : هو تنزيهه العمل عن ان يكون
لغير الله فيه نصيب ، وقيل : هو إخراج الخلق عن معاملة الحق ، وقيل : هو ستر العمل
من الخالق وتصفيته من العلائق ، وقيل : إنه لا يريد عامله عليه عوضاً في الدارين
و هذه درجة رفيعة و إليها أشار أمير المؤمنين و سيد الموحدين بقوله : ما عدتك
خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك .

السابع قوله (وعمل صالحها) و العمل ما صدر عن الحيوان بقصده قليلاً أو
كثيراً فهو أخص من الفعل ، والمراد بالعمل الصالح إتيان المأمور به كما أمر به
ويقابله العمل الفاسد قال تعالى :

« فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ
رَبِّهِ أَحَدًا » .

وقال في سورة الفاطر : « إِلَيْهِ يَضْعُدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ

مِنْ فِعْلِهِ » .

قال الصادق ع : الكلم الطيب قول المؤمن لا إله إلا الله محمد رسول الله على ولبي الله وخليفة رسول الله قال ع : والعمل الصالح الاعتقاد بالقلب أن هذا هو الحق من عند الله لا شك فيه من رب العالمين .

أقول : و لعل مقصوده ع أن العمل الصالح الموجب لرفع الكلم الطيب بالمعنى الذي ذكره هو الاعتقاد الذي نبه عليه ، لما قد علمت أن متعلق العمل أعم من الاعتقاد .

الشامن قوله (اكتبه مذخوراً) أى ذخيرة مرجوة ليوم فاقته و زاداً معداً لوقت حاجته و خير الزاد هو التقوى كما أفصح به الكتاب المبين و صرّح به أخبار سيد المرسلين .

الحادي عشر قوله (و اجتنب مذخوراً) أى تجنبه مما يلزم العذر منه و يجب الاحتراز عنه وهو مخالفة الأوامر الشرعية ومنابذة التكاليف الازامية قال سبحانه « فَلَا يَحْذِرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبُهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » .

أوجب العذر لمخالفتي أمره من إصابة الفتنة وهي العقوبة الدنيوية و إصابة العذاب الأليم وهي العقوبة الأخروية .

العاشر قوله (رمى غرضاً) أى رمى بسهام أعماله الصالحة الباطنة و الظاهرة فأصاب الغرض غير خاطئة (١) فأدرك منه و حاز ما تمناه ، وعلى روایة عرضاً بالمعنى أنه رمى عرض الدنيا و حذف متاعها و رفض حطامها وأخرج جسمها من قلبه علماً منه بسرعة زوالها و فنائها .

الحادي عشر قوله (و احرز عوضا) اى احرز متعال الآخرة الباقيه الذي هو عوض من متع الدنـيا الفانية ، وادخر ما يفاض عليه من الحسنات وأعد ما يشـاب عليه من الصالـحـات .

« وَ الْبِرِّيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ أَمَلًا » .

الثاني عشر قوله (كابر هواه) اى غالب هواه بوفور عقـله ويـجـاهـد نـفـسـه الـأـمـارـة ويطـوـعـها لـقوـتهـ العـاقـلـةـ ، قوله تعالى :

« وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهُوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ

هـيـ الـمـأـوـيـ » .

أى نهى نفسه عن المحارم التي تهويها وتشتـهـيمـها فـانـ الجـنـةـ مستـقرـهـ وماـواـهـ .
روى في الوسائل عن الصـدـوقـ باـسـنـادـهـ عنـ الحـسـينـ بنـ زـيدـ عنـ الصـادـقـ عنـ آـبـائـهـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ عنـ رـسـولـ اللهـ عليه السلام في حـدـيـثـ المـنـاهـيـ قالـ : مـنـ عـرـضـتـ لهـ فـاحـشـةـ أـوـ شـهـوـةـ فـاجـتـبـهاـ مـخـافـةـ اللهـ عـزـ وـجـلـ حـرـمـ اللهـ عـلـيـهـ النـسـارـ وـآـمـنـهـ مـنـ الفـزـعـ الـأـكـبـرـ وـأـنـجـزـلـهـ مـاـ وـعـدـهـ فـيـ كـتـابـهـ :

« وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتـانـ » .

أـلـاـ وـ مـنـ عـرـضـتـ لـهـ دـنـيـاـ وـ آـخـرـةـ فـاخـتـارـ الدـنـيـاـ عـلـىـ الـآـخـرـةـ لـقـىـ اللهـ عـزـ وـجـلـ يـوـمـ الـقيـامـةـ وـلـيـسـ لـهـ حـسـنـةـ يـتـقـىـ بـهـ النـسـارـ ، وـمـنـ اـخـتـارـ الـآـخـرـةـ وـتـرـكـ الدـنـيـاـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ وـغـفـرـلـهـ مـسـاوـيـ عـمـلـهـ .

وـ عـنـ عـبـدـالـلـهـ بـنـ سـنـانـ قـالـ سـأـلـتـ أـبـاـعـبـدـالـلـهـ جـعـفرـ بـنـ عـمـلـ الصـادـقـ عليـهـ السـلامـ فـقـلتـ المـلـائـكـةـ أـفـضـلـ أـمـ بـنـوـ آـدـمـ ؟ فـقـالـ : قـالـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ عـلـىـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ : إـنـ اللهـ رـكـبـ فـيـ المـلـائـكـةـ عـقـلاـ بـلاـ شـهـوـةـ وـ رـكـبـ فـيـ الـبـهـائـمـ شـهـوـةـ بـلاـ عـقـلـ وـ رـكـبـ فـيـ بـنـيـ آـدـمـ كـلـيـتـهـمـاـ مـنـ غـلـبـ عـقـلـهـ شـهـوـتـهـ فـهـوـ خـيـرـ مـنـ الـمـلـائـكـةـ وـ مـنـ غـلـبـ شـهـوـتـهـ عـقـلـهـ فـهـوـ شـرـ مـنـ الـبـهـائـمـ .

وعن السكوني عن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله ﷺ طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعده لم يره الثالث عشر قوله (و كذب منه) أى قابل ما يلقيه إليه الشيطان من الاماني الباطلة بالتكذيب ، قال تعالى :

« وَقَالَ لَا تَخِذُنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيمًا مَفْرُوضًا وَلَا إِضْلُونَمْ وَلَا مُنْيِنَمْ وَلَا مَرَّنَمْ فَلَيَقِنُوكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرَّنَمْ فَلَيَغِيْرُوكُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا يَعْدُهُمْ وَيَمْنِيْهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا أَوْ لَئِكَ مَأْوِيَهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيقًا » .

قال في مجمع البيان في تفسير قوله ولا منيهم يعني امنيهم طول البقاء في الدنيا فيؤثرون بذلك الدنيا ونعيهم على الآخرة ، وقيل معناه أقول لهم ليس ورائكم بعث ولا نشر ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب فافعلوا ما شئتم عن الكلبي ، وقيل : امنيهم بالأهواء الباطلة الداعية إلى المعصية وأذين لهم شهوات الدنيا وزهراتها أدعوكلاً منهم إلى نوع ميل طبعه إليه فأقصده بذلك عن الطاعة والقيمة في المعصية .

الرابع عشر قوله (جعل الصبر مطية نجاته) والصبر قوّة ثابتة وملكة راسخة بها يقتدر على حبس النفس ومنعه عن قبائح اللذات ومني الشهوات وعلى حمله على مشاق العبادات والتکلیفات وعلى التحمل على المصائب والآفات والدواهي والبلایات وبها يحصل النجاة والخلاص من غضب العجیار وعذاب النار ، ولذلك جعلها مطیة يتتمكن بها من الهرب والفرار عن العدو في مقام الحاجة والاضطرار ، والآيات القرآنية والأخبار المعصومية في مدحها وفضلها والحمد عليها أكثر من أن تحصى ولعلنا نشبع الكلام في تحقيقها وبيان أقسامها في شرح الخطبة المأة والثانية والسبعين

(ج)

في تعداده عَلَيْهِ الْحَمْدُ من الصفات المحمودة

(٢٣٩)

ونقتصر هنا على بعض ما ورد فيها على ما اقتضاه المقام .

فأقول في الوسائل من الكافي بأسناده عن هشام بن الحكم عن أبي عبدالله عَلَيْهِ الْبَرَكَاتُ

قال : إذا كان يوم القيمة فيقوم عنق من الناس فإذا تون بباب الجنة فيقال من أنت ، فيقولون نحن أهل الصبر ، فيقال لهم على ما صبرتم ؟ فيقولون : كنا صبر على طاعة الله ونصبر عن معاصي الله فَقُولَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : صدقوا الدخلوهم الجنة وهو قول الله عز وجل .

« إِنَّمَا يُؤْمِنُ فِي الصَّابِرِينَ أَجْرُهُمْ بَغْرِ حِسَابٍ ». لِلْكَلَمِ الْمُبَارَكِ

وعن عمرو بن شمر اليماني يرفع الحديث إلى علي عَلَيْهِ الْبَرَكَاتُ قال : قال رسول الله لِلْكَلَمِ الْمُبَارَكِ الصابر ثلاثة : صبر عند المصيبة ، وصبر عند الطاعة ، وصبر عن المعصية ، فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائمها كتب الله له ثلاثة درجة مابين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء والأرض ، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستة درجة مابين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش ، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعة درجة مابين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش .

و عن عثمان بن عيسى عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عَلَيْهِ الْبَرَكَاتُ قال اصبروا على الدنيا فانما هي ساعة فمامضي منه لا تجد له ألمًا ولا سرورًا ، وما لم يجئه فلاتدرى ما هو وإنما هي ساعتك التي أت فيها ، فاصبر فيها على طاعة الله واصبر فيها عن معصية الله .

الخامس عشر قوله (والتقوى عدة وفاته) قد مر معنى التقوى وبعض ما ورد فيها في شرح الخطبة الثالثة والعشرين، وأقول هنا إن العدة لما كانت عبارة عن أعدّها الإنسان وهي لها لحوادث دهره و ملمات زمانه وكان الموت أعظم الحوادث ، وبالتقوى يحصل الوقاية من سكراته و عمراته وبه يتلقى من شدائد البرزخ و كرباته ويستراح من طول الموقف ومخاوفه ، لاجرم جعلها عَلَيْهِ الْبَرَكَاتُ عدة للوفات ووقاية يحصل بها النجاة ، واستعار عنها الكتاب المجيد بالزاد فقال :

« وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الرِّزْقِ الْتَّقْوَىٰ » .

بملاحظة أنَّ الرِّزْقَ لِمَا كَانَ هُوَ الطَّعَامُ الَّذِي يَتَّخِذُ لِلصَّفَرِ لِيَتَقَوَّىُ بِهِ الطَّبِيعَةُ عَلَىِ الْحَرَكَاتِ الْحُسْنِيَّةِ وَكَانَتْ تَقْوَىُ اللَّهُ مِمَّا تَقَوَّىُ بِهِ النَّفْسُ عَلَىِ الْوَصْولِ إِلَىِ حَظِيرَةِ الْقَدْسِ حَسْنَ الْاسْتِعْدَارَةِ بِهِ عَنْهَا لِمَا يَبْيَنُ الْمُغْنِيَّينَ مِنْ كَمَالِ الْمَشَابِهَةِ وَتَمَامِهَا .

قال بعض العارفين : ليس السَّفَرُ مِنَ الدُّنْيَا أَهُونُ مِنَ السَّفَرِ فِي الدُّنْيَا وَهَذَا لَابْدُ لَهُ مِنْ زَادٍ وَكَذَلِكَ ذَلِكَ بَلْ يَزْدَادُ ، فَإِنْ زَادَ الدُّنْيَا يَخْلُصُكَ عَنْ عَذَابِ مُنْقَطِعٍ مُوْهُومٍ وَزَادَ الْآخِرَةَ يَنْجِيُكَ مِنْ عَذَابٍ مُقْطَعٍ مَعْلُومٍ ، زَادَ الدُّنْيَا يَوْصِلُكَ إِلَىِ مَتَاعِ الْفَرُورِ وَزَادَ الْآخِرَةَ يَلْفَكَ دَارَ السَّرُورِ ، زَادَ الدُّنْيَا سَبَبُ حَظْوَظِ النَّفْسِ وَزَادَ الْآخِرَةَ سَبَبُ الْوَصْولِ إِلَىِ عَتْبَةِ الْجَلَالِ وَالْقَدْسِ .

السادس عشر قوله (رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْفَرَّاءَ) أَيْ سَلَكَ جَادَةَ الشَّرِيعَةِ الْوَاضِحةِ الْمُسْتَقِيمَةِ الْمُوَصَّلَةِ لِسَالِكِهَا إِلَىِ الْجَنَانِ وَمَقَامِ الْقُرْبَىِ وَالرَّضْوَانِ .

السابع عشر قوله (وَلَزِمَ الْمَحْجَةَ الْبَيْضَاءَ) قال الشَّارِحُ الْبَهْرَانِيُّ وَالْفَرَقُ بَيْنَ ذَلِكَ وَالَّذِي قَبْلَهُ أَنَّ الْأَوَّلَ أَمْرٌ بِرِكوبِ الطَّرِيقَةِ الْفَرَّاءِ وَالثَّانِي أَمْرٌ بِلَزْوِمِهَا وَعَدْ مَفَارِقَهَا وَأَنْهَا وَإِنْ كَانَ دَاضِحَةً إِلَّا أَنْهَا طَوِيلَةٌ كَثِيرَةُ الْمَخَاوِفِ وَسَالِكُهَا أَبْدَأَ مَحَارِبَ لِلشَّيْطَانِ وَهُوَ فِي مَعْرِضٍ أَنْ يَسْتَرِلَّ عَنْهَا .

الثامن عشر قوله (اغْتَمِ الْمَهْلَةَ) أَيْ أَيَّامَ مَهْلَتِهِ وَهُوَ مَدْدَعٌ عَمْرَهُ وَأَيَّامَ حَيَاتِهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا .

قال زين العابدين وسيد الساجدين عليهم السلام في دعاء مكارم الْأَخْلَاقِ مِنَ الصَّحِيفَةِ :

اللَّهُمَّ صُلُّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَنَبِيِّنِي لِذِكْرِكَ فِي أَوْقَاتِ الْفَقْلَةِ وَاسْتَعْمَلْنِي بِطَاعَتِكَ فِي أَيَّامِ الْمَهْلَةِ وَانْهِجْ لِي إِلَىِ مَحْبَبِكَ سَبِيلًا سَهْلَةً .

وَأَنَّمَا عَبَرَ عَنْهَا بِأَيَّامِ الْمَهْلَةِ لِأَنَّ الْعِنَايَةَ الْأَزْلِيَّةَ لِمَا كَانَتْ مَقْتَضِيَّةً لِسُوقِ النَّاقِصِ إِلَىِ كَمَالِهِ فَاقْتَضَتِ الْعِنَايَةَ عَدَمَ مَعْاجِلَةِ الْعِبَادِ بِالْعَقُوبَةِ وَالسَّنْعَطُ وَالْأَخْذُ

بالذنب والمعصية في هذه الحياة الدنيا يرجعوا إلى التوبة ويراجعوا الانابة فكانه تعالى أمهلهم مدة حياتهم في الدنيا وأنظرهم طول بقائهم فيها وجعلهم في التظاهرة و المهلة .

الثاسع عشر قوله (بادر الأجل) أى سارع إلى أجله الموعود بصحبة عمله الصالح و هو كنایة عن جعله الموت نصب عينيه وعدم غفلته عنه وترقبه له فإذا كان كذلك لا يخاف من حلول الموت و نزوله ولا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه . العشر ون قوله (و تزود من العمل) أى تزود من أعماله الصالحة لقطع منازل الآخرة نسأل الله سبحانه أن يوفقنا للاتصف بتلك الأوصاف الشامخة الفايقة حتى نستوجب بذلك رحمته العامة الواسعة بمحمة وعتره الطاهرة .

الترجمة

از جمله خطبهای شریفه آن حضرت است که میفرماید : خداوند رحمت کند بنده را که بشنود حکمت را پس گوش کنید و حفظ نماید و خوانده شود به سوی رشد و صلاح پس اجابت کند و تزدیک آید ، و بکیرد کمر گاه هدایت کننده را و معتصم او بشود پس نجات یابد ، مراقب باشد پروردگار خود را و بررسد از گناه خود ، پیش فرستد کردار پاکیزه و عمل کند عمل شایسته ، کسب نماید چیزی را که ذخیره میشود از برای آخرت ، و اجتناب نماید از چیزی که باعث حذر است و ندامت .

بیندازد با تیر اعمال حسنہ بسوی غرض و نشانه و جمع کند متاع دار جاودانیرا بعوض متاع دنیای فانی ، غلبه نماید بهوا و هوس و شهوت نفسانیه و تکذیب نماید آمال و امانی باطله شیطانیه بگرداند صبر و شکریانیرا مرکب نجات خویش و تقوی و پرهیز کاری را توشه وفات خود ، سوار بشود بر طریقه وشن شریعت و لازم شود بر جاده آشکار ملت ، غنیمت شمار دایام مهلت حیات را و مبادرت نماید بنیکو کاری قبل از ممات و توشه بکیرد از اعمال صالحه بجهت سفر آخرت .

و من كلامه عليه السلام و هو السادس والسبعون من المختار في باب الخطب

إِنَّ بَنِي أُمَّيَّةَ لِيَفْوُتُونِي تِراثٌ مُحَمَّدٌ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} تَفْوِيقًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِقِيمَتِهِ
لَهُمْ لَا نَفْضُنَّهُمْ نَفْضَ الْلَّحَامِ الْوِذَامَ التَّرِبَةَ .

قال السيد : و يروى التراب الوذمة وهو على القلب ، قوله عليه السلام : ليغوقوننى
أى يعطوننى من المال قليلاً قليلاً كفواق الناقة وهي الحلة الواحدة من لبنها ، والوذام
جمع و ذمة وهي الحزة من الكرش والكبديقع في التراب فتنقض .

اللغة

(التراث) بضم التاء الارث والتاء والهمزة فيهما بدل من الواو ، و (نفضه) نفضا
من باب قتل حر كه ليزول عنه الغيار ونحوه فانتقض أى تحرك لذلك ونفضت الورق
من الشجر نفضاً اسقطته والنفض بفتحتين ما تساقط فعل بمعنى مفعول و (اللحام)
القصاب و (الوذام) كتاب جمع و ذمة محركة و (تراب) الشيء يترب من باب تعب
لصق بالتراب ، وفي القاموس التراب بالكسر أصل ذراع الشاة و منه التراب الوذمة
أو هي جمع ترب مخفف ترب والصواب الوذام التربة انتهى .
و «الحزة» بالضم القطعة من اللحم ونحوه تقطع طولاً والجمع حزز كفرقة وغرف
و «الكرش» أذى الخف والظلف كالمعدة للانسان .

الأعراب

اضافة تراث إلى مدل من قبيل الحذف والإصال أى يغوقوننى تراثى من مدل
والقرابة صفة للوذام

المعنى

قوله (ان بني أمية ليغوقوننى تراث مدل عليه السلام تفويقا) اي يعطوننى إرثى من

رسول الله و هو الفيء الحاصل ببركته صلوات الله عليه و آله قليلاً قليلاً، استعار لفظ التسفيق عن اعطائهم المال قليلاً بمشابهة الكلمة و كونه في دفعات كما يدفع الفضيل ضرع امهه لتمرد ثم يدفع عنها لتحلبه ثم يعاد إليها لتمرد و هكذا ، ثم قال (والله لئن بقيت) و صرت أميراً (لهم لا نفضنهم نفض اللحام الوذام التربة).

قيل الظاهر أن المراد من نفضهم منهم من غصب الأموال وأخذ ما في أيديهم من الأموال المغصوبة و دفع بغيرهم و ظلمهم و مجازاتهم بسيئات أعمالهم.

وقال الشارح البحرياني : أقسم ^{عليه} ان بقى امية ليحرر منهم التقدم في الامور ، واستعار لفظ النفض لبعادهم عن ذلك و شبه نفضه لهم بنفض القصاص القطعة من الكيد أو الكرش من التراب إذا أصابته.

أقول : والأظهر عندي أنه شبّههم بالوذام التربة من حيث إن^ـ الوذمة إذا وقعت في التراب و تلطخت به يتفرق عنها الطياع ولا يرغب إلـيـها الناس فينفضها القصاص أـيـ يـسـقطـهاـ وـ يـعـزـلـهاـ عـنـ سـاـيـرـ لـهـمـاتـهـ لـمـكـانـ ذـلـكـ التـفـرـ فـيـقـوـلـ ^{عليـهـ}: إـنـيـ لـوـبـقـيـتـ لـهـ لـاسـقطـهـمـ عـنـ دـرـجـةـ الـاعـتـباـرـ وـ اـعـزـلـهـمـ عـنـ الـامـارـةـ وـ الـمـاـخـلـةـ لأـمـورـ الـمـسـلـمـينـ بـحـيـثـ لـاـ يـرـغـبـ إـلـيـهـمـ أـحـدـ وـ يـتـنـفـرـ النـاسـ عـنـهـمـ وـ يـكـوـنـونـ حـقـيرـأـعـنـهـمـ كـمـاـ لـاـ يـرـغـبـونـ إـلـىـ الـوـذـامـ لـمـحـقـارـتـهـاـ وـ الـعـالـمـ بـحـقـائـيقـ كـلـامـ وـ لـيـهـهـذـاـ.

وقد روى عنه ^{عليه} هذا الكلام في رواية أخرى بزيادة ونقصان وتفاوت لما هنا وهي ما رواها أبو الفرج في كتاب الأغانى باسناد رفعه إلى الحرب بن جيش قال:

بعشى سعيد بن العاص و هو يومئذ أمير الكوفة من قبل عثمان بهدايا إلى المدينة و بعث معه هدية إلى علي ^{عليه} و كتب إليه أني لم أبعث إلى أحد مما بعثت به إليك إلا إلى أمير المؤمنين فلما أتت علياً و قرأ كتابه قال : لشد ما يخطر على ^ـ بنو امية ترات تحد أما والله لان وليتها لأنفضنها نفض القصاص التراب الوذمة.

قال أبو الفرج هذا خطاء إنما هو الوذام التربة قال : وقد حدثنى بذلك أحمد ابن عبد العزيز الجوهري عن أبي يزيد عمرو بن شيبة باسناد ذكره في الكتاب أن سعيد

ابن العاص حيث كان أمير الكوفة بعث مع ابن أبي العاشرة مولاه إلى علي بن أبي طالب بصلة فقال علي والله لا يزال غلام من غلمان بني أمية يبعث إلينا مما أفاء الله على رسوله بمثل قوت الأرملة ، والله لئن بقيت لهم لأنفسهم نفخ القصاص الوذام التربة.

تدنيسان الاول

في بيان نسب بنى أمية .

فأقول في البحار من كامل البهائي أن أمية كان غلاماً رومياً لعبد الشمس فلما ألقاه كيساً فطناً اعتقد و تتباه فقيل : أمية بن عبد الشمس كما كانوا يقولون قبل نزول الآية : زيد بن محمد ، ولذا روى عن الصادقين عليهمما السلام في قوله تعالى : الْمَلْكُ الرَّوْمَ ، أَنَّهُمْ بْنُو أَمِيَّةَ وَ مَنْ هُنَّ يَظْهَرُ نَسْبُ عُثْمَانَ وَ مَعَاوِيَةَ وَ حَسَبُهُمَا وَ أَنَّهُمَا لَا يَصْلَحُانَ لِلخَلَافَةِ لِقُولِهِ ﴿إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قَرِيشٍ﴾ .

وقال مؤلف كتاب إلزم النواصب : أمية لم يكن من صلب عبد شمس وإنما هو من الروم فاستلحقه عبد شمس فنسب إليه فبني أمية كلهم ليس من صميم قريش وإنما هم يلتحقون بهم ويصدق ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام : إنَّ بَنِي أَمِيَّةَ لَصَاقُوا بِصَاحِبِ الْجَنَاحِ وَ لَمْ يَسْتَطِعْ مَعَاوِيَةَ إِنْكَارُ ذَلِكَ .

الثاني

في ذكر بعض ما ورد من الآيات والأخبار في لعن بنى أمية و كفرهم وإلحادهم.

فأقول : في الكافي عن الصادق عليه السلام روى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه أنَّ بَنِي أَمِيَّةَ يصدرون على منبره ويضلون الناس عن الصراط المهرئ ، فأصبح كثييراً حزيناً، قال عليه السلام فهبط عليه جبريل فقال : يا رسول الله ما لي أراك كثيراً حزيناً ؟ قال : يا جبريل إني رأيت في ليلتي هذه يصدرون منبرى من بعدي يضللون الناس عن الصراط المهرئ ، فقال : والذى يبعثك بالحق ؟ نبياً إنى ما اطلعت عليه فعرج إلى السماء فلم يلبث أن نزل بأى من القرآن يونسه بها قال :

« أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ ثُمَّ جَاءُهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ » وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرِيكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ » .

جعل الله ليلة القدر لنبيه خيراً من ألف شهر ملك بنى امية .
وَفِي مَفْتَحِ الصَّحِيفَةِ الْكَامِلَةِ السَّجَادِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا أَلْفَ سَلَامٍ وَتَحْمِيَّةٍ عَنِ الْصَّادِقِ قَالَ، إِنَّ أَبِي حَدَّثِنِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ تَعَالَى أَخْدَتْهُ نَعْسَةً وَهُوَ عَلَى مِنْبَرِهِ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ رِجَالًا يَنْزَوُنَ عَلَى مِنْبَرِهِ نَزْوَ الْقَرْدَةِ يَرْدَوْنَ النَّاسَ عَلَى أَعْقَابِهِمُ الْقَهْرَرِيِّ ، فَاسْتَوَى رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْقَعْدَةِ جَالِسًا وَالْحَزَنُ يَعْرُفُ فِي وَجْهِهِ فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ بِهَذِهِ الْآيَةِ:

« وَمَا جَعَنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةِ الْمَلْمُوَنَةِ فِي الْقُرْآنِ وَنُخُوفُهُمْ فَإِنَّ يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا » .

بعنی بنی امية قال : يا جبریل أعلى عهدی يكونون و في زمنی ؟ قال : لا ولكن تدور رحی الاسلام من مهاجرک فتثبت بذلك عشرأ ، ثم تدور رحی الاسلام على رأس خمس و ثلاثةين من مهاجرک فتثبت بذلك خمسا ، ثم لا بد من رحی ضلالله هی قائمة على قطبهما ، ثم ملك الفراعنة وأنزل الله في ذلك.

« إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرِيكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ »

يملکها بنو امية ليس فيها ليلة القدر .

أقول : قوله والشجرة الملعونة في القرآن فيه تقديم وتأخير أى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنۃ للناس ، وقيل: الشجرة الملعونة بالرفع مبتدأه و حذف الغير أى الشجرة الملعونة كذلك أى فتنۃ للناس

وقوله : يعني بنى امية تفسير الشجرة الملعونة ، و قوله : تدور رحى الاسلام من مهاجرك ، أى من هجرتك فتثبت بذلك عشرأى عشر سنين هي مدة حياته ثم تدور على رأس خمس و ثلاثين هي العشر المذكورة و مدة خلافة المتخلفين ، وهي خمس و عشرون سنة فتلوك خمس و ثلاثون ، قوله فثبت بذلك خمسا هي مدة خلافة أمير المؤمنين ، ثم لابد من رحى ضلالة اشاره إلى ملك بنى امية ، و قوله ثم ملك الفراعنة اشاره إلى ملك بنى عباس .

و في مجمع البيان في تفسير قوله تعالى :

« وَمِثْلُ كَلَامِ حَبِيْثَةَ كَشَجَرَةِ حَبِيْثَةِ اجْتَثَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ
مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ »

قال هي كلمة الشرك والكفر وقيل : كل كلام في معصية الله كشجرة حبيثة غير زاكية وهي شجرة لا تحظى وقيل : انها شجرة هذه صفتها وهو أنه لا يراد لها في الأرض ، وروى أبوالحار ودعن أبي جعفر عليه السلام أن هذامثل لبني امية و فيه أيضا في تفسير قوله : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعَمَ اللَّهِ كُفُرًا وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ
جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارِ ».

قال سأل رجل أمير المؤمنين عن هذه الآية فقال هما الأفجران من قريش بنو امية و بنو المغيرة ، فاما بنو امية فمتعوا إلى حين وأما بنو المغيرة ففكفيتهم يوم بدر .

وفي البخار من تفسير علي بن ابراهيم في قوله تعالى :

الَّذِينَ يَتَخَذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَغُونَ
عِنْدُهُمُ الْعِزَّةُ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ».

قال : نزلت في بنى امية حيث خالفوه على ان لا يردوا الامر في بنى هاشم ، وفي قوله :

«وَلَوْ تُرِي إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدِّدُ لَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»

قال : نزلت في بنى امية ثم قال :

«بَلْ بَدَاهُمْ مَا كَانُوا يُخْفِونَ عَنْهُ مِنْ قَبْلُ»

قال من عداوة أمير المؤمنين .

«وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لَهُنُّوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» وفي قوله تعالى :
«إِنَّ شَرَ الدَّوَابَ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» .

عن أبي جعفر عليه السلام قال نزلت في بنى امية فهم شر خلق الله لهم الذين كفروا في باطن القرآن أن فهم لا يؤمنون .

و عن أبي جعفر عليه السلام أيضاً في قوله :

«وَكَذِلِكَ حَقَّتْ كَلِمة رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ» يعني بنى امية .

و من كنز جامع الفوائد و تأويل الآيات بسانده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سأله عن تفسير المثل غلب الرُّوم ، قال : هم بنى بنو امية وإنما انزلهم الله لهم غلبت الرُّوم بنو امية في أدنى الأرض وهم من بعد غلبيهم سيغلبون في بعض سنين الله الأمر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، عند قيام القائم .

أقول : كذا في النسخ غلبت الرُّوم بنو امية ، فيحتمل أن أصل الكلام غلبت بنو امية فزاد النسخ لفظ الرُّوم كما احتمله في البحر أو أنه كذلك و بنو امية بدل من الرُّوم ، و على كل تقدير فلا بد أن يكون غلبت على ذلك بصيغة المعلوم ، و قوله سيغلبون بصيغة المجهول والتعبير عن بنى امية بالروم من حيث إنها نسبتهم إلى عبد رومي حسبما قدّمنا ، والله العالم .

و من تفسير الشعبي في قوله تعالى:

«فَهَلْ عَسِيْتُمْ إِنْ تُولِّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ»

نزلت في بني امية و بنى هاشم و في غاية المرام عن الكليني باسناده عن صالح بن سعد الهمданى قال قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله عزوجل :

«الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكوة» فاطمة

عليها السلام «فيها مصباح» الحسن «المصباح في زجاجة» الحسين

«كانها كوب دري» فاطمة فكوب دري بين نساء أهل الدنيا

«يوقد من شجرة مباركة» إبراهيم «زيتونه لا شرقية ولا غربية»

لا يهودية ولا نصرانية «يكاد زيتها يضي» يعني يكاد العلم ينفجر «ولو

لم تمسسه نار نور على نور» إمام منها بعد إمام «يهدي الله لنوره

للآئمة «من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس» قلت «أو كظلمات

قال الأول وصاحبه «يفشيه موج» الثالث «ظلمات» الثاني «بغضا

فوق بغض» فتنبني أمية «إذا أخرج يده» المؤمن في ظلمة فتنتهم

«لم يكدر يريها ومن لم يجعل الله له نوراً» أما أنا (اما ما ظ) من ولد فاطمة

«فما له من نور»

يوم القيمة هذا ، والآيات والروايات في هذا المعنى كثيرة و فيما ذكرناه كفاية لمن اهتدى أو ألقى الاستمع و هو شهيد.

الترجمة

از جمله کلام آن حضرتست فرمود آنرا هنگامیکه فرستاده بود سعید بن عاص اموی که امیر عراق بود از جانب عثمان هدیه بخدمت آن حضرت از مال غنیمت واژ کمی آن اعتذار کرده بود.

بدرسنی بنی امیه میدهنند اندک اندک بمن میراث محمد بن عبد الله صلی اللہ علیہ وساتھے را اندک اندک دادنی بخدا قسم اکر بمانم از برای آن قوم عندو والی امر بشوم هر آینه ساقط میکنم ایشان را از درجه اعتبار همچو ساقط نمودن قصاب شکنیه یا جگر پاره خاک آلود را از میان سایر کوشت های گوسفند ، یا اینکه بیفشنام ایشان را هم چو افساندن قصاب شکنیه و پاره جگر خاک آلود را ، و این استعاره میشود از دور کردن ایشان از امر خلافت و از بازگرفتن اموال مغصوبه از دست ایشان علیهم اللعنة والبیران.

و من كلمات له عليه السلام كان يدعى بها وهي السابعة والسبعون من المختار في باب الخطب

اللَّهُمَّ أَغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، إِنْ عُذْتُ فَعُذْ عَلَيْ بِالْمُغْفِرَةِ
اللَّهُمَّ أَغْفِرْ لِي مَا وَأْبَتُ مِنْ نَفْسِي وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي، اللَّهُمَّ أَغْفِرْ
لِي مَا تَقَرَّبَتْ بِهِ إِلَيْكَ بِإِيمَانِ ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي، اللَّهُمَّ أَغْفِرْ لِي رَمَّاتِ
الْأَلْحَاظِ، وَسَقَطَاتِ الْأَلْفَاظِ، وَشَمَوَاتِ الْجِنَانِ، وَهَفَوَاتِ الدَّسَانِ.

اللغة

(غفر) الله له ذنبه غفرا وغفرا نامن بباب ضرب صفح عنه وستره عليه ذنبه وغضبه ، وأصل الف لفظ السنت وقال الصسته أغفر للمسخر اي استره له و (الواي) الوعد الذي يوئقه

الرَّجُل على نفسه و يعزّم على الوفاء به ، و منه وأيتها و أيها وعدته و (الرَّمز) هو تحريرك الشفتين في اللفظ من غير انباته بصوت وقد يكون اشارة بالعين وال حاجب و (اللحظ) النظر بمؤخر العين و (السقط) بالتحرير يكرر دى المتابع والخطاء من القول والفعل و (الهفوءة) الزلة .

الاعراب

قوله ما وأيت كلمة ما موصول اسمى بمعنى الذي ، و وأيت صلته و العايد محنوف و قول البحرياني إن ماهبنا مصدرية لا أرى له وجها ، و من في قوله من نفسى نشيطة ، و جملة ولم تجد في محل النصب على الحال ، والباء في قوله تقربت به سبيّة ، و في قوله بلسانى استعانة .

المعنى

اعلم أن المطلوب بهذا الكلام هو غفران الله سبحانه له ، و مغفرة الله للعبد عبارة عن صفحه عما يؤدّي إلى الفضاحه في الدُّنيا والهلكة في الآخرة و ستره عليه عيوباته الباطنة والظاهرة و أن يوْفقه لأسباب السعادة الرادعة عن متابعة الشيطان والنفس الأمارة ، وهذا كله في حق غيره عليه السلام و أما طلبه سلام الله عليه و آله للمغفرة و كذلك استغفار سائر المعصومين من الأنبياء و أئمة الدِّين سلام الله عليهم أجمعين فقد قدّمنا تحقيقه بما لامزيد عليه في التّنبية الثالث من تنبّيات المفصل الثالث عشر من فصول الخطبة الأولى فليتذكّر .

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى شرح ما يؤدّيه ظاهر كلامه عليهم السلام فأقول : قوله : (اللهم اغفر لى ما أنت أعلم به مني فان عدت فعد على بالاغفرة) طلب للمغفرة مما هو عند الله معصية و مسيئة في حقه و هو لا يعلمهما فيفعلهما أو يعلمها لا يعلم الله سبحانه إن كان صيغة التفضيل على معناها الأصلى و طلب لتركار المغفرة لما يعاوده ويكرره كذلك .

فإن قلت : الطاعة والمعصية عبارة عن امتثال التكاليف ومخالفتها و هو فرع العلم به و مع الجهل وعدم العلم لأمر ولأنه لا خطاب ولا طاعة ولا معصية ولا نواب ولا عقاب إذ الناس في سعة مما لا يعلمون ولا يكلف الله نفسها إلا ما آتتها .

قلت : الجهل بالله كثيف قد يكون ناشئاً عن القصور وقد يكون ناشئاً من التقصير

في تحصيل العلم فحينئذ لا يصبح المؤاخذة عليه كما لا يصبح المؤاخذة عن النسيان إن نشأ عن قلة المبالاة و عن التقصير في المقدّمات ، و لذلك قال رسول الله ﷺ رَبِّنَا لَأَنَّهُ أَخْذَنَا إِنْ نَسِيْنَا أَوْ أَخْطَانَا ، مع أَنَّ الْمُؤَاخَذَةَ عَلَيْهِ مَرْفُوعَةٌ عَنِ الْأُمَّةِ بِحُكْمِ حَدِيثِ رَفْعِ التَّسْعَةِ هَذَا.

مع أَنَّ الْعِلْمَ بِأَنَّهُ مَا وَقَعَ عَنِ الْجَهْلِ وَالنَّسِيَانِ مَغْفُورٌ عَنْهُ وَغَيْرُهُ مَوْآخِذٌ عَلَيْهِ لَا يَمْنَعُ مِنْ حَسْنِ طَلْبِ الْعَفْوِ عَنْهُ بِالدَّعَاءِ ، فَرِبَّمَا يَدْعُوا الدَّاعِيَ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ حَاصلٌ قَبْلَ الدَّعَاءِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى إِمَّا لِاعْتِدَادِ تِلْكَ النِّسْعَةِ وَإِمَّا لِاستِدَامِ امْتِهَا أَوْ لِغَيْرِ ذَاكَ كَوْلَهُ تَعَالَى :

« قُلْ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ » وَقُولُ إِبْرَاهِيمَ « وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُعَثُّونَ »

(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا وَأْيَتْ مِنْ نَفْسِي وَلَمْ تَجْدَلْهُ وَفَاءَ عِنْدِي) وَهُوَ اسْتِغْفَارٌ مَمَّا وَعَدَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَعَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَعَلَأَوْ تَرَكَ زَجْرَاً أَوْ شَكْرَأَنْ لَمْ يَفِ بِهِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ حَنَثَ إِيمَنِي وَنَقْصَنَ الْعَهْدَ مَوْجِبٌ لِلْخَذْلَانِ وَمَعْقِبٌ لِلْخَسْرَانِ كَمَا صَرَّحَ عَلَيْهِ فِي غَيْرِ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقْرَةِ :

« وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيَّنَاتِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ »

أَنْ يُوَصِّلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أَوْ لَيْكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ »

وَفِي سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ : « وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا

الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ »

قال الطبرسي في تفسير الآية الأخيرة : قال ابن عباس : الوعد من العهد ، و قال المفسرون : العهد الذي يجب الوفاء به والوعد هو الذي يحسن فعله وعاهد الله ليجعله فائضاً يصبروا جبا عليه ، ولا تنتقضوا الإيمان بعد توكيدها ، هذا نهى منه سبحانه عن

حنت الايمان و هوأن ينقضها بمخالفة موجبها و ارتکاب ما يخالف عقدها ، و قوله :
بعد توکیدها أى بعد عقدها و ابرامها و توثيقها باسم الله تعالى و قيل: بعد تشديدها
وتغایظها بالعزم والعقد على اليمين بخلاف لغو اليمين.

(اللهم اغفر لى ما تقررت به اليك) أى ما عملته لك (بلسانى) و يدى و رجلى
و بصرى و سائر جوارحى (ثم خالفه قلبي) او جعله مشوبا بالرّيا والسمعة المنافي
للقربة (اللهم اغفر لى رمذات الألحاظ) أى اشارات الملاحظ لتعيين شخص و هجائه
و نحو ذلك (و قطات الالفاظ) أى دوستها و ساقطتها عن مناط الاعitar بأن لا يكون
له مبالغ في قوله وكلامه ،

روى عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليهما السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا
رأيتم الرجل لا يبالى ما قال، ولا ما قيل له فهو شرك شيطان (و شهوات الجنان) أى
مشتكيات القلوب المخالفة للشرع .

و روی في الوسائل عن الكليني باسناده عن أبي محمد الواشى قال : سمعت أبي
عبد الله عليهما السلام يقول: احذر وأهواكم كما تحدرون أعدائكم فليس بشيء أعدى للرجال
من اتباع أهوائهم و حصاد السننهم .

و عن عبد الرحمن بن الحجاج قال : كان أبوالحسن عليهما السلام يقول : لاتدع النفس
و هوها فان هوها في رواها و ترك النفس و ماتهوى اذها ، و ترك النفس عما
تهوى دواوها ، هذا .

و في بعض النسخ شهوات القلوب بالسين المهملة فالمراد بها غفلاتها كما في
قوله سبحانه:

« فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاةِهِمْ سَاهُونَ » .

أى غافلون عنها تاركين لها أو تحمل شهواتها على شهواتها الناشئة عن ترك التحفظ
و قلة المبالاة فانها لاتقيح المؤاخذة عليها حيثفذ كما أشرنا إليه آنفا في شرح
قوله اللهم اغفر لى ما أنت أعلم به منى ، فإن السهو والنسيان متقاربان و كلامهما من

الشيطان بهما يقطع العبد عن سلوك سبيل الجنان والرُّضوان كما قال أمير المؤمنين في رواية الكافي «في القلب ظُلمة من الشيطان ولهم من الملك فلامة الملك الرُّقة والفهم ولهم الشيطان السُّوء والقصوة هذا».

و ذكر قوله : (و هفوات اللسان) بعد سقطات اللفاظ إِمَّا من قبيل التَّاكيد أو ذكر الخاصَّ بعد العامَّ لمزيد الاهتمام بأن يكون المراد بسقوطات اللفاظ ماليس فيها نمرة أخرى يتَّسِّعُها كثرة حراماً و مضرَّةً في الآخرة أو لا يكون فيها نفع ولا ضرر كالكلام اللغو ، وبهفوات اللسان خصوص ما يوجب المؤاخذة في الآخرة كالغيبة والبهتان والنميمة والسب والتهكم والاستهزاء والسب والكذب إلى غير ذلك ، فإنَّ كلَّ ذلك مبادر لمحارم الأخلاق و حسن الشَّيمَة هناف لمقتضى الإيمان والتقوى والمرءَة و معقب للخسار والندامة في الآخرة .

ولذلك قال رسول الله ﷺ طوبى لمن اتفق فضلات ماله وأمسك فضلات لمسانه .

وقال أيضاً إنَّ مقعد ملكيك على تنبيك (١) لسانك قلمهما وريبك مدادهما و أنت تجري فيما لا يعنيك (٢) ولا تستحي من الله ولا منهما .

و عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ يعذَّب اللسان بعذاب لا يعذَّب به شيء من الجوارح فيقول : أى دَبْ عذبني بعذاب لا تعذَّب به شيئاً من الجوارح قال فيقال له : خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض و مغاربها فسفكت بها الدُّمُّ الحرام و أخذ بها المال الحرام و انتهك بها الفرج الحرام فوعزَّتْ لآذنبي بعذاب لا يعذَّب به شيئاً من جوارحك ، رواه في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام عن رسول الله ﷺ نحوه .

و من غريب ما وقع لأبي يوسف وهو من أكبر علماء الأديمة و عظماء الشيعة و هو من أصحاب الجود والهادي عليه السلام أنَّه قال في التَّحذير من عشرات اللسان .
و ليس يصاب المرء من عشرة الرجال
يصاب الفتى من عشرة بلسانه

١- أى تنايا الاسنان
٢- أى لا يهمك .

فغثّرته في القول تذهب رأسه
و غثّرته في الرّجل تذهب عن مهل
فافتّفق أنَّ المُتوكِل العباسى أَزمه تأديب ولديه المعتزُّ والمُؤيَّد، فقال له يوماً: أَيْمَا^{أَيْمَا}
أَحَبَ إِلَيْكَ ابْنَى هذان أَمَ الْحَسْنَ وَالْحَسْنَ ؟ فقال: وَاللَّهِ إِنْ قَبْرُ الْخَادِم خادِم عَلَى
خَيْرٍ مِنْكَ وَمِنْ ابْنِكَ، فَقَالَ الْمُتوكِل لعنة الله لا تراكه : سُلُّوا لسانَه مِنْ قَفَاهُ، فَفَعَلُوا
فَمَاتَ رَحْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ.

و روی عن سید السّاجدين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قال : لسان ابن آدم يشرف كلَّ يوم على
جوارحه فيقول : كيف أصبحتم ؟ فيقولون : بخير إن تركتنا ويقولون : الله الله فينا
و ينشدونه ويقولون : إنما نشأ ونعاقب بك.

إِلَى غَيْرِ هَذِهِ مِنَ الْأَخْبَارِ الْوَارَدَةِ فِي مَدْحِ الصَّمْتِ وَذَمِ التَّكَلُّمِ وَيَأْتِي إِنْشَاءُ
الله جملة منها في شرح الخطبة المأة والثالثة والتسعين، فاللازم على العاقل الصمت
والسکوت بقدر الامکان کی یسلم عن زلات اللسان وعثرات البيان وفضول الكلام
و ما یلفظ من قول إلا لدیه رقیب عتید.

الترجمة

از جمله کلمات آن امامت که دعا میکرد با آنها و میگفت:
بار خدایا بیامرز از برای من آن چیزی را که تو داناتری با آن از من پس
اگر من باز گردم بسوی آن پس باز گرد تو از برای من با مرزیدن ، خداوندا
بیامرز از برای من آن چیزی را که من وعده کردم از نفس خود از برای تو
و نیافتنی هر اورا وفا در نزد من بار خدایا بیامرز از برای من عملهایی که تقرّب
جسم با آنها بسوی تو پس مخالفت نمود آنرا قلب من . بار خدایا بیامرزا زبرای
من اشارهای گوشه های چشم بیدیها و بیهوده های گفتارها و شهوت قلب ولغز شات
زبان را ، ولنغم ها قیل :

زبان سر را عدوی خانه زاد است	زبان بسیار سر بر باد داد است
تو از خصم برون پرهیز کرده	عدوی خانه خنجر تیز کرده
از آن شد طعمه باز شکاری	نشد خاموش کبک کوهساری

اگر طوطى زبان می بستدر کام
نه خود را در قفس دیدی نه در دام
خموشی پرده پوش راز باشد
نه مانند سخن غمّاز باشد

و من كلام له عليه السلام و هو الثامن و السبعون من المختار في باب الخطب

و هو مروي في غير واحد من الكتب المعتبرة باختلافات كثيرة على ما استطاع
عليها ، وفي الاحتياج مثل الكتاب قاله عليهما السلام بعض أصحابه لما عزم على المسير
إلى الخوارج فقال له بعض أصحابه : يا أمير المؤمنين إن سرت في هذا الوقت خشيت
أن لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم فقال :

ترعمْ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرْفَ عَنْهُ السُّوءِ
وَتُخُوفُ السَّاعَةَ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضُّرُّ، فَمَنْ صَدَقَكَ بِهِذَا فَقَدْ
كَذَّبَ الْقُرْآنَ وَأَسْتَغْنَى عَنِ الْإِسْتِعَاْتَةِ بِاللَّهِ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَدَفَعَ
الْمَكْرُوهِ، وَيَنْبَغِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَالِمِ بِأَمْرِكِ أَنْ يُوَلِّكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ،
لَا إِنَّكَ بِزَعْمِكَ أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي ثَالَ فِيهَا النَّفْعُ وَأَمِنَ الضَّرُّ،
ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ النَّاسُ فَقَالَ : أَئِهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَتَعَالَمُ النَّجُومُ إِلَّا مَا
يُهَتَّدِي إِلَيْهِ فِي بَرٍّ أَوْ تَبَرُّ إِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكَهَانَةِ، الْمُنْجُمُ كَالْكَاهِنِ،
وَالْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ، وَالسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ، وَالْكَافِرُ فِي التَّارِيْخِ سِرُوا
عَلَيْهِ اسْمُ اللَّهِ .

اللغة

(حاق بهضر) أحاط قال تعالى : ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ، والضر بالضم و في بعض النسخ بالفتح ضد النفع أو بالفتح مصدر وبالضم اسم أو بالفتح ضد النفع وبالضم سوء الحال قال تعالى : رب إني مسني الضر ، و (يوليك) مضارع باب الأفعال أؤمن بباب التفعيل يقال أوليته الأمر وليته أيامه أى جعلته والياله ومتسلطا عليه و (كون) له من باب نصر ومنع و كرم كمانة بالفتح و تكهن تكمنا قضى له بالغيب فهو كاهن والجمع كمنة وكهان وحرفة الكمانة بالكسر .

الاعراب

الفاء في قوله فمن صدقك فصيحة اى انت إذا زعمت هذا فمن صدقك بهذه اوه و قوله : وينبغي في قوله اى على قوله اوبسبب قوله اورهى للظرفية المجازية ، و قوله دون ربه ، ظرف مستقر متعلق بممحذف وقع حالاً من فاعل يولي اى متجاوزاً ربه ودون مما يتواتر فيه ويستعمل في كل مجاوز حد الى حد وتحطى أمر الى أمر ، و قوله انت هديته ، لفظ انت اما تأكيد لكاف انت او ضمير فصل بين الاسم والخبر على حد قوله : إنك انت السميع العليم .

وقوله أيها الناس كلمة اى اسم وضع للتوصيل إلى نداء ما فيه ألل استكراها لاجتماع آلتى التعريف أعني الندا وحرف التعريف فحاولوا أن يفصلوا بينهما بشيء فطلبوا اسم ما بينهما غير ذلك على ماهية معينة محتاجاً بالوضع في الدلالة عليها إلى شيء آخر يزيل عنه الابهام يقع النداء في الظاهر على ذلك الاسم المبهم وفي الحقيقة على ذلك المخصوص الرافع للابهام عنه .

فوجدوا الاسم المتصف بهذه الصفة ايا بشرط قطعه (١) عن الاضافة واسم الاشارة حيث وضعها مبهمين مشروطاً بازالة إيهاماً بما بشيء اما اسم الاشارة فبالإشارة المحسنة وأما اى فباسم آخر بعده إلا أن اى لما كان أدخل في الابهام من اسم

١- وانا شرطوا ذلك لأن الاضافة يختصه نحو اى رجل، منه

الإشارة وأحوج إلى الوصف منه لأنَّ زوال ابهامه إنما هو باسم بعده بخلاف اسم الاشارة فأنَّه قد يزول ابهامه بالاشارة الحسية حسبما ذكرنا ، ولهذا جاز ياهذا ولم يجزيا أى لاجرم خصوا الفصل بين حرف النداء واللام التعريف به وجعلوا المعرف باللام المزيل عنه الابهام وصفا له .

فأى في قوله أيها الناس منادي مفرد معرفة مبني على الضمّ وها حرف تنبيه والناس صفة لأى وقال الأخفش في يا أيها الرجل : إنَّ أيها لا تكون وصلة وإنما هوموصول وذو اللام بعده خبر سب戴اء محفوظ والجملة صلة أى وإنما وجب هذا المبتداء لمناسبة التخفيف للمنادي ولا سيما إذا زيد عليه كلمتان أعني أيها فالمعنى يامن هو الرجل .

قال الرضي ويصح تقوية مذهبة بكثرة وقوع أى موصولة في غير هذا الموضع وندور كونها موصوفة قوله : إياكم وتعلم النجوم تحذير وقال ابن الحاجب في الكافية التحذير معه معمول بتقدير اتنق تحذيراً مما بعده أو ذكر المحدث منه مكررًا نحو إياك والأسد وإياك وأنْ تمحفف والطريق الطريق .

وقال نجم الأئمة الرضي في شرحه : قال المصنف : كان أصل إياك والأسد إنك ثم أنتم لما كانوا لا يجمعون بين ضمير الفاعل والمفعول لواحد إذا اتصلا جاؤوا بالنفس مضافاً إلى الكاف فقالوا اتنق نفسك ثم حذفوا الفعل لكثر الاستعمال ، ثم حذفوا النفس لعدم الاحتياج إليه لأنَّ اجتماع الضميرين زال بحذف الفاعل مع الفعل فرجع الكاف ، ولم يجز أن يكون متصلة لأنَّ عامله مقدم كما يجيء في باب المضرر فصار منفصلاً .

قال الرضي : وأرى أنَّ هذا الذي ارتكبه تطويل مستنقى عنه والأدلى أن يقال هو بتقدير إياك باعد أونج باضمار العامل بعد المفعول وإنما جاز اجتماع ضميري الفاعل والمفعول لواحد لكون أحدهما منفصلاً كما جاز ما ضربت إلإياك وما ضربت إلإياتي ، إلى أن قال وإنما وجوب حذف الفاعل في نحو إياك لأنَّه

في معنى المكرر الذي ذكرنا (١) أنه يجب حذف فعله لأنَّ معنى إِيْسَكُ أَيْ بَعْدَ نفسك من الأسد .

وفحوى هذا الكلام احضر الأسد ومعنى الأسد أى بَعْدَ الأَسْد عن نفسك وهو أيضاً بمعنى لحضر الأسد لأنَّ تبعيد الأسد عن نفسك بأن تبتعد عنه فكانك قلت : الأَسْد الأَسْد .

فإن قلت المعطوف في حكم المعطوف عليه و إِيْسَكُ مَحْذُّرُو الأَسْد المَحْذُّر منه وهمما متخالفاً فكيف جاز المعطف ؟

فالجواب أَنَّه لا يجب مشاركة الاسم المعطوف للمعطوف عليه إِلَّا في الجهة المتنسب بها المعطوف عليه إلى عامله وجهة انتساب إِيْسَك إلى عامله كونه مفعولاً به أى مبعداً وكذا الأَسْد إذا المعنى إِيْسَك بَعْدَ و بَعْدَ الأَسْد .

المعنى

اعلم أَنَّ هذا الكلام قاله (لما عزم إلى المسير إلى) حرب (الخوارج فقال له بعض أصحابه) و هو عفيف بن قيس أخوا شعث بن القيس الكندي الملعون دأْس المنافقين و مثير الفتنة في أيام خلافة أمير المؤمنين و لا سيما وقعة صفين حسبما عرفت فيما سبق .

و كيف كان فقال له عفيف (يا أمير المؤمنين إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك) الذي هو الغلبة على أهل النهر (من طريق علم النجوم) فقال له على سبيل الاستفهام التقريري أ (تزعم أَنْك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السُّوء) لسعود الساعة (و تخوف) من (الساعة التي من سار فيها حاق به الضُّر) و أحاط به سوء الحال بلحظة نسوان الساعة (فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن) أى من صدقك بدعوك العلم بالساعتين فقد كذب كتاب الله لأنَّ الله

١- و هو ما ذكره سابقاً بقوله و حكمة اختصاص وجوب الحذف بالمحذف منه المكرر كون تكريبه دالاً على مقارنة محذف منه للمحذف بحيث يضيق الوقت إلا عن ذكر محذف منه على البالغ ما يمكن وذلك بتكريبه ولا يتسم بذلك العامل مع هذا المكرر انتهي

تعالى يقول :

«وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًّا» و «قُلْ لَا يَنْكِلُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ» «وَعِنْهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ».

إلى غير ذلك مما أفاد انحصر العلوم الغيبية في الله سبحانه .

وقال العالمة المجلسي (ره) : و يمكن حمل الكلام على وجه آخر وهو أن قول المنجم بأن صرف السّوء و تزول الضّرّ تابع للسّاعة سواه قال إن الأوضاع العلوية مؤثرة تامة في السفليات ولا يجوز تخلّف الآثار عنها أو قال بأنّها مؤثرات ناقصة ولكن باقي المؤثرات أمور لا يتطرق إليها التغيير أو قال بأنّها علامات تدل على وقوع الحوادث حتما فهو مخالف لما نسبت من الدين من أنه سبحانه يهمّ ما يشاء ويبيّن وأنّه يقبض و يبسّط و يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، ولم يفرغ من الأمر وهو تعالى كل يوم في شأن .

و الظاهر من أحوال المنجمين السابلين و كلماتهم جلّهم بل كلّهم أنّهم لا يقولون بالتأخّل و قوّاً أو إمكاناً فيكون تصديقهم مخالفًا لتصديق القرآن و ماعلم من الدين والإيمان من هذا الوجه .

ولو كان منهم من يقول بجواز التخلّف و وقوعه بقدرة الله و اختياره وأنّه تزول نحوسة السّاعة بالتوكل والدعاء والتّوسل والتّصدق وينقلب السعد نحساً والتّحس سعداً أو بأنّ الحوادث لا يعلم وقوعها إلا إذا علم أنّ الله سبحانه لم تتعلق حكمته بتبدل أحكامها ، كان كلامه عليه السلام مخصوصاً بمن لم يكن كذلك ، فالمراد بقوله صرف عنه السّوء وحاج به الضّرّ أى حتماً هذا .

ولما نسبته على فساد زعم المنجم بكون تصديقه موجباً لتكذيب كلام الله سبحانه نسبه على فساده ثانياً بقوله (واستنقني) أي مصدقك و متبعك (عن الاستعانة بالله) تعالى (في نيل المحبوب و دفع المكرoro) لأنك اذا كنت عارفاً بالسّاعة السعيد

والساعه التسعاً وهادياً إليهم فيهتدى بك التابعون لك والمصدقون بك و يتراقبون بعد الساعات فينالون الخير والسعادة ويستقون نحسم فيسلمون من النحوسة والكراهة فيلزم على ذلك استغاثتهم بك عن الله و غناهم برأيك عن اللجوء إلى الله و الفزع إليه سبحانه .

(و) أيضاً (ينبغي في قوله للعامل بأمرك أن يوليك الحمد دون ربه لأنك بزعمك أنت هديته إلى الساعة التي نال فيها النفع وآمن فيها الضر) فكنت أنت المنعم عليه بتلك النعمة فلابد أن تستحق الحمد والثنا، بذلك ولزم أن يكون حمده على تلك النعمة راجعاً إليك .

(ن) إنه بعد التنبيه على فساد زعم المنجم بالوجوه الثلاثة (أقبل على الناس) ونهام عن الأخذ بالنجوم وحضرهم عن تعلمها (فقال أيها الناس إياكم وتعلم النجوم) قال الشارح البحرياني : الذي يلوح من سررنى الحكمة النبوية عن تعلم النجوم أمران الأول اشتغال متعلماً بها واعتماد كثير من الخلق السامعين لأحكامها فيما يرجون و يخافون عليه فيما يسنده إلى الكواكب والأوقات والاشتغال بالفزع إليه وإلى ملاحظة الكواكب عن الفزع إلى الله والفلة عن الرجوع إليه فيما يفهم من الأحوال وقد علمت أن ذلك يضاد مطلوب الشارع إذ كان غرضه ليس إلا دوام التفاتات الخلق إلى الله وتذكرهم لمعبودهم بدوام حاجتهم إليه .

الثاني أن الأحكام النجومية اخبارات عن أمور سيكون و هي تشبه الاطلاع على الأمور الغيبية وأكثر الخلق من المهام النساء والصبيان لا يتميزون بينها وبين علم الغيب والأخبار به فكان تعلم تلك الأحكام و الحكم بها سبباً لضلال كثير من الخلق وموهنا لاعتقاداتهم في المعجزات أو الأخبار عن الكائنات منها وكذلك في عظامة بارئهم ويشككهم في عموم الآيات الدالة على اختصاص علم الغيب بالله سبحانه ، وكان هذين الوجهين هما المقتضيان لتحريم الكهانة والسحر والعزائم ونحوهما .

وكيف كان فلما نهى الناس عن تعلم النجوم بالوجهين الذين عرفت استثنى عن ذلك قوله (إلا ما يهتدى به في بر أو بحر) لعدم استلزم ذلك الجھتين المذكورتين

وقد نص على جواز الاهتداء بها الآيات الكريمة مضافة إلى الأخبار الكثيرة قال تعالى
 « هوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ
 فَصَّلَنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَلْمُمُونَ » وقال تعالى : « وَعَلَامَاتٌ وَّبِالنَّجْمِ مُ
يَهْتَدُونَ ».

قال الطبرسي لأن من النجوم ما يكون بين يدي الإنسان ومنها ما يكون خلفه
 و منها ما يكون عن يمينه ومنها ما يكون عن يساره ويهدى بها في الأسفار وفي
 البلاد وفي القبلة وأوقات الليل وإلى الطرق في ممالك البراري والبحار ، وقيل أراد
 الاهتداء به في القبلة ، قال ابن عباس : سأله رسول الله بِإِيمَانِهِ عنه فقال : الجدى
 علامة قبلتكم وبه تهتدون في برككم وبحركم .

أقول : و هذه الرواية موافقة لما رواه الصدوق مرسلا قال : قال رجل للصادق
بِكَلَمَةِ : أنا أكون في السفر ولا اهتدي إلى القبلة بالليل قال أتعرف الكوكب الذي
 يقال له جدى ؟ قلت : نعم قال : أجعله على يمينك وإذا كنت في طريق الحج فاجعله
 بين كتفيك .

و روى أيضاً محمد بن سنان عن أحد هم بِكَلَمَةِ قال : سأله عن القبلة قال : ضع الجدى
 في قفاك و صل هذا .

ولainحصر جواز تعلمها فيما ذكر بل ربما يجوز التعلم لما يترتب عليها من
 الأحكام الشرعية المتعلقة بها في أبواب العبادات والمعاملات بل قد يجحب لوجوب
 الحكم المرتب عليها فيجب معرفتها من باب المقدمة مثلاً لوجوب معرفة الأوقات
 الخمسة للصلوة ومعرفة المضروبة للزكاة وبيان الحج والعمرة في الأشهر المعلومات
 وضبط عدد المحولين لرضاخ الحاملات و تعيين أيام العدة للمتوفى عنها زوجها
 وللحامل و سائر المطلقات ، والعلم بما ضربت للدين المؤجل من الأوقات كما اشير
 إلى ذلك في غير واحدة من الآيات قال تعالى :
 « أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسْقِ اللَّيْلِ » وقال « يَسْأَلُونَكَ

عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجَّ» وَقَالَ «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ
ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدْرُهُ مَنَازِلٌ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّنَينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ
اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ»

وقد مضى في سادس تنبیهات الفصل الثامن من فصول الخطبة الأولى ما يوجب اذدياد بصیر تک في المقام فتقـرر ، و قوله (فانـها تدعـوا لـى الكـهـانـة) تعـليل للـهـى عن التـسـجـومـ والـكـهـانـةـ بالـكـسرـ .

قال في البحارـى عملـ يوجـبـ طـاعـةـ بعضـ الجـانـ لـهـ بـحيـثـ يـائـيهـ بـالأـخـبارـ الغـایـيـةـ
وـ هوـ قـرـيبـ منـ السـحـرـ قـيلـ : قدـ كانـ فـىـ العـربـ كـهـانـةـ كـشـقـ وـ سـطـيـحـ وـ غـيرـهـ ماـ فـمـنـهـ مـنـ
يـزـعـمـ أـنـ لـهـ تـابـعاـ مـنـ الجـنـ وـ دـئـيـاـ يـلـقـىـ إـلـيـهـ الأـخـبارـ ، وـ مـنـهـ مـنـ كـانـ يـزـعـمـ أـنـ يـعـرـفـ الـأـمـورـ
بـمـقـدـمـاتـ وـ أـسـبـابـ يـسـتـدـلـ بـهـ عـلـىـ مـوـاقـعـهـ مـنـ كـلـامـ مـنـ يـسـأـلـهـ أـوـ فـعـلـهـ أـوـ حـالـهـ
وـ هـذـاـ يـخـصـوـنـهـ بـاسـمـ الـعـرـافـ كـالـذـىـ يـدـعـىـ مـعـرـفـةـ الشـيـءـ الـمـسـرـوقـ وـ مـكـانـ الـضـالـةـ
وـ نـحوـهـماـ .

وـ دـعـوـةـ عـلـمـ النـسـجـومـ إـلـىـ الـكـهـانـةـ إـمـاـ لـأـنـهـ يـنـجـرـ أـمـرـ النـجـمـ إـلـىـ الرـغـبـةـ فـيـ تـعـلـمـ
الـكـهـانـةـ وـ التـكـسـبـ بـهـ أـوـ دـعـاءـ ماـ يـدـعـيـهـ الـكـاهـنـ ، نـمـ إـنـهـ شـبـهـ الـمـنـجـمـ بـالـكـاهـنـ وـ قـالـ
(الـمـنـجـمـ كـالـكـاهـنـ) وـ وـجـهـ الشـبـهـ إـمـاـ لـاشـتـراكـ فـيـ الـاـخـبـارـ عـنـ الـغـایـيـاتـ أـوـ فـيـ الـكـذـبـ
وـ الـاـخـبـارـ بـالـظـنـ وـ التـخـمـينـ وـ الـاستـنـادـ إـلـىـ الـاـمـارـاتـ الـضـعـيفـةـ وـ الـمـنـاسـبـاتـ السـخـيـفـةـ أـوـ فـيـ
الـعـدـولـ وـ الـانـعـرافـ عـنـ سـبـيلـ الـحـقـ وـ التـمـسـكـ فـيـ نـيـلـ الـمـطـالـبـ وـ دـرـكـ الـمـأـرـبـ بـأـسـبـابـ
خـارـجـةـ عـنـ حدـودـ الشـرـيـعـةـ وـ صـدـهـمـ عـنـ التـوـسـلـ إـلـىـ اللـهـ بـالـدـعـاءـ وـ الصـدـقـةـ وـ سـاـبـرـ أـصـنـافـ
الـطـاعـةـ ، أـوـ فـيـ الـبـعـدـ عـنـ الرـحـمـةـ وـ الـمـغـفـرـةـ

وـ يـجـرـىـ بـعـضـ هـذـهـ الـلـوـجـوـهـ فـيـ التـشـبـيـهـيـنـ فـيـ قـولـهـ : (وـ الـكـاهـنـ كـالـسـاحـرـ وـ السـاحـرـ
كـالـكـافـرـ) وـ الـمـشـبـهـ بـهـ فـيـ التـشـبـيـهـاتـ أـقـوىـ .

وـ السـحـرـ عـلـىـ هـاـقـيلـ كـلـامـ أـوـ كـيـتابـةـ أـوـ رـقـيـةـ أـوـ أـقـسـامـ وـعـزـاـيمـ وـ نـحوـهـاـ يـحدـثـ
بـسـبـبـهـ ضـرـرـ عـلـىـ الغـيرـ ، وـ مـنـهـ عـقـدـ الرـجـلـ عـنـ زـوـجـتـهـ وـ القـاءـ الـبغـضـاءـ بـيـنـ النـاسـ ، وـ هـنـهـ
استـخدـامـ الـمـلـائـكـةـ وـ الـجـنـ وـ استـنـزالـ الشـيـاطـينـ فـيـ كـشـفـ الـغـایـيـاتـ وـ عـلاـجـ الـمـصـابـ

و استحضارهم وتلبسهم بيدن صبي أو امرأة و كشف الغايبات على لسانه انتهى .
والظاهر أنه لا يختص بالضرر بل ربما يفعل شيئاً أولاً بدءاً أمر غريب وعن
صاحب العين السحر عمل يقرب إلى الشياطين و من السحر الاخنة التي تأخذ العين
حتى تظن أن الأمر كما ترى ، وليس الأمر كما ترى فالسحر عمل خففي لخفاء سببه بصورة
الشيء بخلاف صورته و يقلبه من جنسه في الظاهر ولا يقلبه من جنسه في الحقيقة إلا

ترى إلى قوله تعالى :

« يُخْيِلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ » .

و قال : الشَّيْخُ فِي مَحْكَمَىٰ كَلَامِهِ عَنِ التَّبَيَانِ قِيلَ فِي مَعْنَى السِّحْرِ

أربعة أقوال :

أحدها أنه خدع و مخاريق و تمويهات لا حقيقة يخيلي إلى المسحور أنها حقيقة .

والثاني أنه أخذ بالعين على وجه الحيلة .

والثالث أنه قلب الحيوان من صورة إلى صورة وإنشاء الأجسام على وجه
الاختراع فيمكن الساحر أن يقلب الإنسان حماداً و ينشي أجساماً .

والرابع أنه ضرب من خدمة الجن و أقرب الأقوال الأولى لأن كل شيء .

خرج عن العادة الجارية فاته سحر لا يجوز أن يأتي من الساحر ، و من جوز شيئاً
من هذا فقد كفر لأنّه لا يمكن بذلك العلم بصحبة المعجزات الدالة على النبوات
لأنه أجاز مثله على جهة الحيلة والسحر و في الرّياض و السحر عرف تارة بما في

الكتاب قال تعالى :

« فَيَتَعَالَمُونَ مِنْهُمَا مَا يَفْرُّقُونَ بِهِ لَيْنَ الْمَرْءُ وَزَوْجُهُ » .

و في الاحتجاج من أكبر السحر النميمة يفرق بها بين المتعابين و يجعل العداوة
بين المتصادفين ، قيل : ومنه استخدام الجن وعرف بأنه عمل يستفاد منه حصول ملكة
نفسانية يقتدر بها على أعمال غريبة و أخرى لوجه يدخل فيه العلم الطلسماوات والتبريجات
و غير ذلك ، و ذلك أن يقال هو استحداث الخوارق إما بمجرد التأثيرات النفسانية

و هو السحر أو بالاستعانة بالفلكيات فقط و هو دعوة الكواكب ، أو على تمزيع القوى السماوية بالقوى الأرضية و هو الطلسات ، أو على سبيل الاستعانة بالأرواح الساذجة و هو العزائم قيل : والكل حرام في شريعة الاسلام.

و ظاهره اجمع المسلمين عليه و هو المحجة مضافا إلى النصوص المستفيضة منها ، ويدخل فيه النيرنجات على ما ورد في الساحر أن دم الساحر حلال وأن تعلم السحر آخر العهد بالله تعالى وحده القتل و نحو ذلك ، و ظاهرها التسحر بمطلاقا وقد استثنى منه السحر للتوقى ودفع المتنبى وربما وجوب كفاية.

و روى في العيون في تفسير آية هاروت و هاروت أنه كان بعد نوح قد كثرت السحر و الممدوهون فبعث الله ملكين إلى نبي ذلك الزمان يذكر ما يسحر به السحرة و ذكر ما يبطل به سحرهم و يرد به كيدهم فتلقاء النبي من الملkin وأداء إلى عباد الله بأمر الله أن يقفوا به على السحر وأن يبطلوه ونهياهم أن يسحروا به الناس ، و ربما خصت روايات الحل بغير السحر كالقرآن والذكرة والتعويذون وهو جمعا وهو أحوط .
ثم إنّه بعد تشييه المنجم بالكافر والكاهن بالساحر والساخر بالكافر أشار بقوله (والكافر في النار) إلى نتيجة الجميع وهو دخول النار إما على وجه الخلود كما في الكافر أولاً كما في غيره ، ولما فرغ من تنفير أصحابه عن تعلم النجوم و قبول أحكامها أمرهم بالمسير بقوله : (سيروا على اسم الله) وعونه .
و ينبغي تذليل المقام بامور مهمه

الأول علم أن هذا الكلام مما أشتهرت روايتهين الخاصة والعامّة وقد روى بطرق مختلفه مع اختلاف كثير في منته ولا يأس بالاشارة إلى بعض تلك الطرق استبصاراً و اطلاعاً منك على موقع الاختلاف واستظهاراً و استنصراداً لما أورد السيد في الكتاب فأقول :

منها ما في شرح المعترضي عند شرح الخطبة السادسة والثلاثين قال: روى ابن ويزيل قال: عزم على الخروج من الكوفة إلى الحرورة و كان في أصحابه منجم فقال له يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة و سر على ثلات ساعات مضيين من النهار

فإنك إن سرت في هذه الساعة أهابك وأصاب أصحابك أذى وضرّ شديد، وإن سرت في ساعة التي أمرتك بها ظفرت (١) وظهرت وأصبت ما طلبت.

فقال له عاليًّا أتدرك ما في بطن فرسى هذه أذكر هو أم انشي؟ قال: إن حسبت علمت، فقال من صدقك بهذا فقد كذب القرآن قال الله تعالى: إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام الآية.

ثم قال إنَّ تهدى ما كان يدعى علم ما أدعى علمه، أتزعم أنك تهدى إلى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها وتصرف عن الساعة التي يحيق (٢) السوء لمن سار فيها فمن صدقك فقد استغنى عن الاستعانة بالله جلَّ ذكره في صرف المكروه عنه وينبغى للمؤمن بأمرك أن يوليك الحمد دون الله جلَّ جلاله لأنك بزعمك هديته إلى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها، وصرفته عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها فمن آمن بك في هذا الماء أمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ضداً وندأً، اللهم لا طير إلا طيرك ولا ضير إلا ضيرك ولا إله غيرك.

ثم قال: نخالف ونسير في الساعة التي نهيتنا عنها، ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس إياكم والتعلم للنجوم إلا ما يهتم به في ظلمات البر والبحر إنما المنجم كالكافر والكافر في النار، أما والله لان بلغني أنك تعمل بالنجوم لا تخلدنك في السجن أبداً ما بقيت ولا حرمتك العطاها كان لي من سلطان.

ثم سار في الساعة التي نهاء عنها المنجم فظفر بأهل النهر وظهر عليهم، ثم قال لهم لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها المنجم لقال الناس سار في الساعة التي أمر بها المنجم فظفر وظهر أما أنه ما كان لمحمد صلوات الله عليه منجم ولا لنا من بعده حتى فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر أيها الناس توكلوا على الله واتقوا الله فإنه يكفي ممَّن سواه.

ومنها ما في البحار من مجالس الصدوق عن محمد بن عليٍّ ماجيلويه عن محمد

١- ظفر بطلوبه فاز، لغة
٢- حاق به السوء لزمه.

ابن أبي القاسم عن محمد بن علي القرشى عن نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد عن يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الأحرم .

قال : لما أراد أمير المؤمنين المسير إلى النهر و ان أتاه منجم قال له : يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة و سرف في ثلاثة ساعات مضيin من النهار ، فقال أمير المؤمنين : ولم ذلك ؟ قال : لأنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك أذى و ضر شديد وإن سرت في الساعة التي أمرتك ظفرت و ظهرت وأصبت كما طلبت.

فقال له أمير المؤمنين عليهم السلام تدرى ما في بطن هذا الدابة ذكر أم انت ؟ قال : إن حسبت علمت ، قال له أمير المؤمنين عليهم السلام من صدقك على هذا القول كذب بالقرآن قال الله تعالى : إن الله عند علم الساعة و ينزل الغيث و يعلم ما في الأرحام و ما تدرى نفس ماذا تكسب غداً و ما تدرى نفس بأي أرض تموت إن الله علیم خبير.

ما كان محمد يدعى ما ادعى أنت أزعجت أنك تهدى إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه سوء الساعة التي من سار فيها حاق به الضر من صدقك بهذا استغنى بقولك عن الاستعانة بالله عز وجل ، وفي ذلك الوجه وأحوج إلى الرغبة إليك في دفع المكره عنه و ينبغي له أن يوليك دون ربه عز وجل فمن آمن لك بهذا فقد اتخاذك من دون الله ندأ و ضدأ .

ثم قال : اللهم لاطير إلا طيرك ولا ضير إلا ضيرك ولا خير إلا خيرك ولا غيرك بل نكذبك و نخالفك و نسيئ في الساعة التي نهيت عنها .

قال المحدث المجلسي بعد ما أورد الرواية : قوله : من صدقك على هذا القول فقد كذب بالقرآن لادعائه العلم الذي أخبر الله سبحانه أنه مختص به إدراجه قوله تعالى عنده الاختصاص .

فإن قيل : فقد أخبر النبي ص فالآئمة بالخمسة المذكورة في الآية في مواطن كثيرة فكيف ذلك ؟

قلنا : المراد أنَّه لا يعلمها أحدٌ بغير تعليمه سبحانه وَمَا أَخْبَرُهُ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّمَا كَانَ بِالوَحْيِ وَالْإِلَهَامِ أَوِ التَّسْعِلَمَ مِنَ النَّبِيِّ الَّذِي عَلَمَهُ بِالوَحْيِ لَا يَقُولُ : عِلْمُ النَّجْوَمِ أَيْضًا مِنْ هَذَا الْقَيْلِ لِمَا سَيَّأَتِي مِنَ الْأَخْبَارِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهُ لَهُ أَصْلًا وَأَنَّهُ مَمْتَعْلَمُهُ اللَّهُ أَنْبَيَّهُ فَكَيْفَ يَكُونُ تَصْدِيقُ الْمَنْجَمِ تَكْذِيبًا بِالْقُرْآنِ ؟

لَا نَأْنَقُولُ الَّذِي شَيَّظَهُ مِنَ الْأَخْبَارِ أَنَّ نَوْعًا مِنْ هَذَا الْعِلْمِ حَقًّا يَعْلَمُهُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْصِيَاءُ وَأَمْتَأْنَ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ فَلَا .

وَقُولُهُ أَنَّ يُولِيكَ الْحَمْدُ ، عَلَى بَنَاءِ الْأَفْعَالِ أَوِ التَّسْعِيلِ أَيْ يَقْرِبُكَ مِنَ الْحَمْدِ مِنَ الْوَلِيِّ بِمَعْنَى الْقَرْبِ أَوْ مِنْ قَوْلِهِمْ وَلَا إِلَّا مِنْهُمْ كَذَلِكَ اِيَّاهُ أَيْ بِجَعْلِكَ وَلِيَا لِمُحَمَّدٍ «لِلْمَحْمَدَةِ» وَأَهْلَاهُ لَهُ أَوْ مِنْ قَوْلِهِمْ أَوْ لِيَتَهُمْ مَعْرُوفًا إِنْعَمْتَ عَلَيْهِ لَا طِيرٌ إِلَّا طِيرٌ الطِيرُ مِنَ الطِيرَةِ وَهِيَ التَّشَّامُ بِالشَّيْءِ ، أَيْ لَا تَأْتِي لِلْطِيرَةِ إِلَّا طِيرٌ أَيْ قَضَاؤُكَ وَقَدْرُكَ عَلَى الْمَشَائِلَةِ وَيَدْلِلُ عَلَى أَنَّ ضَرَرَ النَّجْوَمِ مِنْ جَهَةِ الطِيرَةِ ، وَالضَّيْرُ الضَّرُرُ .

الثاني

قال السَّيِّدُ الْجَلِيلُ عَلَيْهِ الْبَرَكَاتُ مِنَ اللَّهِ فِي مُحَكَّمٍ كَلَامَهُ عَنْ كِتَابِ النَّجْوَمِ بَعْدَ مَا أُورِدَ هَذَا الْكَلَامَ لِعَلَيْهِ الْبَرَكَاتُ عَنِ الرَّضِيِّ (ره) فِي الْكِتَابِ :

إِنَّمَا رأَيْتُ فِيمَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فِي كِتَابِ عَيْنِ الْجَوَاهِرِ تَأْلِيفِ أَبِي جَعْفَرِ تَمَّادِ بْنِ بَابُوِيهِ (ره) حَدِيثُ الْمَنْجَمِ الَّذِي عَرَضَ لِمَوْلَانَا عَلَيْهِ الْبَرَكَاتُ عَنْهُ مَسِيرَهُ إِلَى النَّهْرَوَانَ مَسِندًا عَنْ تَمَّادِ بْنِ عَلَيِّ مَاجِيلِوِيهِ عَنْ عَمِّهِ تَمَّادِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ عَنْ تَمَّادِ بْنِ عَلَيِّ الْقَرْشِيِّ عَنْ نَصْرِ بْنِ هَزَاحِمِ الْمَقْرَبِيِّ عَنْ عَمِّ بْنِ سَعْدٍ عَنْ يَوْسُفِ بْنِ يَزِيدٍ عَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَوْفٍ ابْنِ الْأَحْمَرِ قَالَ : لَمَّا أَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَتَبَيَّنَ الْمَسِيرُ إِلَى النَّهْرَوَانَ أَتَاهُ مَنْجَمٌ ، ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَهُ .

قال : فَأَقُولُ إِنَّمَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَدْ قَرْجَالَ لَا يَعْمَلُ عَلَمَاءُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى رَوَايَتِهِمْ وَيُمْنَعُ مِنْ يَجْوَزُ الْعَمَلَ بِأَخْبَارِ الْأَحَادِيدِ مِنَ الْعَمَلِ بِأَخْبَارِهِمْ وَشَهَادَتِهِمْ وَفِيهِمْ عَمَرِ بْنِ سَعْدٍ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ مُقَاتِلَ الْحَسَنِ يَتَبَيَّنُ فَانَّ أَخْبَارَهُ وَرَوَايَاتَهُ مَهْجُورَةٌ

ولا يلتفت عارف بحاله إلى ما يرويه أو يسند إليه .

ثم طعن في الرواية بأنها لو كانت صحيحة لكان عليه السلام قد حكم في هذا على صاحبه الذي قد شهد مصنف نهج البلاغة أنه من أصحابه أيضاً بأحكام الكفار إما بكونه مرتد عن الفطرة فيقتله في الحال أو يرده عن غير الفطرة فيتباهي أو يمتنع من التوبة فيقتل لأنّ الرواية قد تضمنّت أنَّ المنجم كالكافر أو كان يجري عليه أحكام الكهنة أو السحراء لأنَّ الرواية تضمنّت أنه كالكاهن والستاهر وما عرفنا إلى وقتنا هذا أنه حكم على هذا المنجم بأحكام الكفار ولا السحرة ولا الكهنة ولا أبعده ولا عزره بل قال : سروا على اسم الله والمنجم من جملتهم لأنَّه صاحبه .

و هذا يدلُّك على تباعد الرواية من صحة النقل أو يكون لها تأويل غير ظاهر موافق للعقل .

ثم قال : ومما نذر من التنبيه على بطلان ظاهر الرواية بتعريض علم النجوم قول الرَّاوي فيها إنَّ من صدقك فقد كذب القرآن واستغنى عن الاستعانة بالله و نعلم أنَّ الطلائع للحروب مدبوون على السَّلامَة من هجوم الجيش و كثير من النَّحوش و يبشرُون بالسلامة وما الزم من ذلك أن يوليهم الحمد دون ربِّهم ثمَّ اثنا وجدنا في الدُّعَوات الكثيرة التَّسْعُود من أهل الكهانة والسُّحراء فلو كان المنجم مثلهم كان قد تضمن بعض الأدعية التَّسْعُود منه وما عرفنا في الأدعية التَّسْعُود من النجوم والمنجم إلى وقتنا هذا .

و من التنبيه على بطلان ظاهر هذه الرواية أنَّ الدُّعَوات تضمن كثير منها وغيرها من صفات النبي صلوات الله عليه وسلم أنه لم يكن كاهناً ولا ساحراً وما وجدنا إلى الآن ولا كان عالماً بالنجوم ، فلو كان المنجم كالكاهن والساحر ما كان يبعد أن يتضمنه بعض الروايات والدعوات في ذكر الصفات انتهى كلامه رفع مقامه .

وأورد عليه المحدث المجلسي (ره) بعد نقل كلامه في البخاري بقوله : وأقول : أمّا قدحه في سند الرواية فهي من المشهورات بين الخاصة وال العامة ولذا أوردته السيد (ره) في النجع اذ دأبه فيه أن يروى ما كان مقبول الطرفين وضعف سند الرواية

التي أورده الصدوق لا يدل على ضعف سائر الأسانيد .

وعمر بن سعد الذي يروى عنه نصر بن مزاحم ليس الملعون الذي كان محارب الحسين عليهما السلام كما يظهر من كتابه كتاب الصفين الذي عندنا، فإن أكثر ما رواه فيه رواه عن هذا الرجل وفي كثير من المواقع عمر ومكان عمر ، ولم يكن الملعون من جملة رواة الحديث وحملة الأخبار حتى يروى عنه هذه الأخبار الكثيرة وأيضاً رواية نصر عنه بعيد جداً فان نصر كان من أصحاب الباقر عليهما السلام و الملعون لم يبق بعد شهادة الحسين عليهما السلام إلا قليلاً ، والشواهد على كونه غيره كثيرة لاتخفى على المتدرّب في الأخبار المأرف بأحوال الرّجال وهذا من السيد غريب وأما قوله إنه لم يحكم بكافر المنجم فيرد عليه أن ظاهر التشبيه بالكافر كقتله في الحال أو بعد امتناعه من التوبة على أنه لم يشبه بالكافر بل بالمشبه بالكافر .

وأما قوله ولا يبعد ولا عزره ، ففيه أنه قد ظهر مما رواه ابن أبي الحديد الابعاد بالحبس المؤبد والتحرير من العطاء ، ولم يعلم أنه أصر المنجم على العمل بالنتائج بعد ذلك حتى يستحق تعزيزاً أو نكالاً وعدم اشتتمال رواية السيد على هذه الزيارة لا يدل على عدمها ، فإن عادة السيد الاختصار على ما اختاره من كلامه عليهما السلام بزعمه استيفاء النقل والرواية مع عدم النقل في مثل هذا لا يدل على العدم .

وكونه من أصحابه عليهما السلام وبينهم لا يدل على كونه مرضياً فان جيشه عليهما السلام على كثير من الخوارج والمنافقين كالأشعث أخي هذا المنجم على ما ذكره السيد وغيره أنه كان عفيف بن قيس أخا الأشعث رأس المنافقين ومشير أكثر الفتن .

واما قياسه على طائع العرب فالفرق بين الامررين بين ، فان ما يهدى إليه الطائع و نحوهم ليست أموراً يتربّ عليها صرف السوء و نيل المحبوب حتى لما بل يتوقف على اجتماع أمور كوجود الشراءط وارتفاع المواقع وكل ذلك لا يتيسر الظفر بها الا بفضل مسبب الأسباب بخلاف ما ادعاه المنجم من أن الظفر يتربّ حتماً على

على الخروج في الساعة التي اختاره .

وأما عدم التعود من النجوم والمنجم فلأن المنجم إنما يعود ضرره إلى نفسه بخلاف الساحر والكافر فإنه يتربّع منها ضرر كثير على الناس ، مع أن الدعاء الذي رواه السيد في كتاب الاستخارات وأوردناه في هذا الباب يتضمّن البراءة إلى الله من اللجوء إلى العمل بالنّجوم وطلب الاختيارات منها .

وأما عدم وصف النبي بأئمة لم يكن منجّما لأنّ الكفار إنما كانوا يصفونه بالسحر والكهانة والشعر فورد برأته عنها ردًا عليهم ولم يكونوا يصفونه بالنّجوم مع أنه كان عالماً بما هو الحقّ من علم النجوم وكان من فضائله بِالْبَيِّنَاتِ

الثالث

روى في الاحتجاج والبحار قصة المنجم معه عَلَيْهِ الْمُبَرَّكَةُ بنحو آخر مشتمل على مطالب غريبة وأحكام عجيبة أحببت إيراد ذلك ضمناً مني أن يخلو الشرح عن ذلك فأقول .

في الاحتجاج عن سعيد بن جبير قال استقبل أمير المؤمنين دهقان من دهاقين الفرس فقال له بعد التهنئة : يا أمير المؤمنين تناهست النّجوم الطالعات و تناهست السّعود بالنجوس وإذا كان مثل هذا اليوم وجب على الحكيم الاختفاء ويومك هذا يوم صعب قد انقلب فيه (كوكبان خل) و ان kedح من برجك النّيران وليس العرب لك بمكان .

فقال أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْمُبَرَّكَةُ ويحك يا دهقان المنبي ، بالآثار المحذّر من الأقدار ما قصة صاحب الميزان وقصة صاحب السّرطان ؟ وكم المطالع من الأسد والستّ ساعات من المحرّكات وكم بين السرارى والدرارى ؟

قال : سانظر وأوّلاً يده إلى كمه وأخرج منه اسطر لابأينظر فيه ، فتبسم بِالْبَيِّنَاتِ فقال أتدرى ماحدث البارحة ؟ وقع بيت بِالصَّيْنِ ، وانفرج برج ماجين ، وسقط سور سر انديب ، وانهزم بطريق الروم بارمنيه (بارمينية خل) ، وفقد ديان اليهودي بايلة ، وهاج النّمل بوادي النّمل ، وهلك ملك أفريقيا أكنت عالماً بهذا ؟

قال : لا يا أمير المؤمنين .

قال عليه السلام : البارحة سعد سبعون ألف عالم ، و ولد في كل عالم سبعون ألفاً والليلة يموت منهم وهذا منهم ، وأوّلما يمده إلى سعد بن مساعدة الحارثي لعنه الله و كان جاسوساً للمخواج في عسكر أمير المؤمنين ، فظن الملعون أنه يقول خذوه فأخذ بنفسه فمات ، فخر الدّهقان ماجداً .

قال أمير المؤمنين ألم أروك من عين التّوفيق ؟ قال : بلّى يا أمير المؤمنين قال عليه السلام أنا وصاحبي لاشرق ولا غربي نحن ناشئة القطب وأعلام الفلك أما قولك انقدح من برجك النيران ، فكان الواجب أن تحكم به لي لاعلي ، وأمّا نوره وضياؤه فعندي وأمّا حرقه ولوبه فذهب عنّي فهذه مسألة عميقة احسبها إن كنت حاسباً .

قال المحدث المجلسي في شرحه بعد ما أوردته في البحار : « ماقصة صاحب الميزان » أي الكواكب التي الآن في برج الميزان أو الكواكب المتعلقة بتلك البرج المناسبة لها ، وكذا صاحب السرطان و « كم المطالع » أي كم طلع من ذلك البرج الان و « السّاعات » أي كم مضى من طلوع السّاعات من طلوع ساير المحرّكات . ولعلّ المراد « بالسراري » الكواكب الخفية تشبيهاً لها بالسريرية « والدراري » الكواكب الكبيرة المضيئة أو اصطلاحاً في الكواكب لا يعرفها المنجمون ، والغرض أنه لو كان هذا العلم فانّما يمكن الحكم به بعد الاطلاع بجميع أوضاع الكواكب وأحوالها وخصوصيتها في كل آن و زمان و المنجمون لم يرصدوا من الكواكب إلا أقلّها ومناط أحكامهم أوضاع السيارات فقط مع عدم احاطتهم بأحوال تلك أيضًا .

نم نبهه عليه بيته على عدم احاطته بذلك العلم أو عدم كفايته للعلم بالحوادث بجهله بكثير من الامور العادنة ، و في القاموس « البطريق » كبريت القايد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل انتهى و « ديان اليهود » عالمهم وفي بعض النسخ بالشون جمع دن وهو الجب العظيم « وصاحب » أي النبي « لاشرق ولا غربي » أيماه إلى قوله سبحانه لا شرقية ولا غربية ، والغرض لسنا كساير الناس

حتى تحكم علينا بأحكامهم كالنجوم المنسوبة إلى العرب أو إلى الملوك أو إلى العلماء والأشراف فانا فوق ذلك كله .

« نحن ناشرة القطب » أي الفرقة الناشئة المنسوبة إلى القطب أي حقيقة لنشاثهم واستقرارهم في درجات العز والكمال أو كنادية عن أنهم غير منسوبين إلى الفلك والكواكب بل هي منسوبة إليهم وسعادتها بسببيهم ، أو أنهم قطب الفلك إذ الفلك يدور ببركتهم « و » هم « أعلام الفلك » بهم يتزين ويتركت ويسعد .

نم الزم ^{بِيَتِهِ} عليه في قوله « انقدر من بر جك النيران » بأن للنار جهتين جهة نور وجهة إحراق فنورها لنا وإحراقها على عدونا ، ويحتمل أن يكون المراد به أن الله يدفع ضررها عتابتنا به تعالى وتكلنا عليه « فهذه مسألة عميقة » أي كوننا ممتازين عن سائر الخلق في الأحكام أو كون النيران خيراً لنا وشراً لعدونا وأن التوسل والدعاء يدفع النحوس والبلاء مسألة عميقة خارجة عن قانون نجومك وحسابك ويبطل جميع ما تظن من ذلك .

وفي البخار رويانا بأسنادنا إلى الشيخ سعيد محمد بن رستم بن جرير الطبراني الإمامي عن الحسين بن عبد الله الجرمي وعمر بن هارون التلعكري عن محمد بن أحمد ابن محروم عن أحمد بن القاسم عن يحيى بن عبد الرحمن عن علي بن صالح بن حمزة الكوفي عن زياد بن المنذر عن قيس بن سعد قال :

كنت كثيراً أساير أمير المؤمنين ^{بِيَتِهِ} إذا سار إلى وجه من الوجوه فلما قصد أهل النهروان وصرنا بالمداين و كنت يومئذ مسايراً له إذ خرج إليه قوم من أهل المداين من دهاقينهم معهم براذين قد جاؤوا بها هدية إليه فقبلها ، وكان فيمن تلقاه دهقان من دهاقين المداين يدعى سرفيل ، وكانت الفرس تحكم برأيه فيما مضى وترجع إلى قوله فيما سلف فلما بصر بأمير المؤمنين قال له :

يا أمير المؤمنين لترجم عمما قصدت قال ولم ذاك يا دهقان ؟ قال : يا أمير المؤمنين تناهست النجوم الطوالع فتحس أصحاب السعود وسعد أصحاب النحوس ولزم الحكم

في مثل هذا اليوم الاستخفاء والمجلس ، وأن يومك هذا يوم مميت قد اقترب فيك كوبك
فتـالـان ، وشرف فيه بهرام في برج الميزان ، واندرج «وانفذتـخ» من برجك النـيرـان
وليسـالـحـربـلكـبـمـكـانـ.

فتبسمـأـمـيـرـالمـؤـمـنـينـعـلـيـهـالـثـمـ قالـأـيـهـالـدـهـقـانـالـمـنـبـيـ،ـبـالـاـخـبـارـوـالـمـحـذـرـ
منـالـاـقـدـارـماـنـزـلـالـبـارـحةـفـيـآـخـرـالـمـيـزـانـوـأـيـنـجـمـحـلـفـيـالـسـرـطـانـ؟ـقـالـسـأـنـظـرـذـلـكـ
وـأـخـرـجـمـنـكـمـهـاسـطـرـلـبـاـوـتـقـوـيـمـاـ،ـقـالـلـهـأـمـيـرـالـمـؤـمـنـنـ:ـأـنـتـمـسـيـرـالـجـارـيـاتـ؟ـقـالـلـاـ
قـالـفـأـنـتـتـقـضـىـعـلـىـالـشـابـيـاتـ؟ـقـالـلـاـ:ـقـالـفـاخـبـرـنـىـعـنـطـوـلـاـسـدـوـتـبـاعـدـهـمـنـ
الـمـطـالـعـوـالـمـرـاجـعـوـمـاـالـزـهـرـةـمـنـالـتـوـابـعـوـالـجـوـامـعـ؟ـقـالـلـاـعـلـمـلـىـبـذـلـكـ.
قـالـعـلـيـهـلـيـهـ:ـفـمـاـبـيـنـالـسـوـارـىـإـلـىـالـدـرـارـىـوـمـاـبـيـنـالـسـسـاعـاتـإـلـىـالـمـعـجـزـاتـ
وـكـمـقـدـرـشـعـاعـالـمـبـدـرـاتـوـكـمـتـحـصـلـالـفـجـرـفـيـالـغـدوـاتـ؟ـقـالـلـاـعـلـمـلـىـبـذـلـكـ،ـ
قـالـفـهـلـعـلـمـيـاـدـهـقـانـأـنـالـمـلـكـالـيـوـمـاـنـتـقـلـمـنـبـيـتـإـلـىـبـيـتـبـالـصـيـنـوـاـنـقـلـبـ
برـجـمـاجـينـوـاحـتـرـقـدـورـبـالـزـنـجـوـطـفـحـجـبـسـرـانـدـيـبـوـتـهـدـمـحـصـنـالـانـدـلـسـوـهـاجـ
نـمـلـالـشـيـعـوـانـهـزـمـمـرـاقـالـهـنـدـيـوـفـقـدـدـيـانـالـيـهـودـبـاـيـلـةـوـهـزـمـبـطـرـيـكـالـرـوـمـبـرـوـمـيـةـ
وـعـمـىـرـاهـبـعـمـودـيـةـوـسـقـطـتـشـرـفـاتـالـقـسـطـنـطـنـيـةـأـفـعـاـلـمـأـنـتـبـهـدـهـالـحـوـادـثـوـمـاـ
الـذـيـأـحـدـنـهـشـرـقـيـهـأـوـغـرـيـبـهـمـنـالـفـلـكـ؟ـقـالـلـاـعـلـمـلـىـبـذـلـكـ.

قـالـوـبـأـيـالـكـوـاـكـبـتـقـضـىـفـيـأـعـلـىـالـقـطـبـوـبـأـيـهـاـتـنـحـسـمـنـتـنـحـسـ؟ـقـالـلـاـعـلـمـلـىـبـذـلـكـ
قـالـفـهـلـعـلـمـتـأـنـهـسـعـدـالـيـوـمـاـنـهـانـوـسـبـعـوـنـعـالـمـاـفـيـكـلـعـالـمـسـبـعـوـنـعـالـمـاـمـنـهـمـ
فـيـالـبـرـوـمـنـهـمـفـيـالـبـحـرـوـبـعـضـفـيـالـجـبـالـوـبـعـضـفـيـالـغـيـاضـوـبـعـضـفـيـالـعـمـرـانـ
وـهـاـالـذـيـأـسـعـدـهـمـ؟ـقـالـلـاـعـلـمـلـىـبـذـلـكـ.

قـالـيـاـدـهـقـانـأـظـنـكـحـكـمـتـعـلـىـاـقـتـرـانـالـمـشـتـرـىـوـزـحـلـلـمـاـاـسـتـنـارـلـكـفـىـ
الـغـسـقـوـظـهـرـتـلـلـاـشـعـاعـالـمـرـيـخـوـتـشـرـيقـهـفـيـالـسـحـرـوـقـدـسـارـفـاتـقـلـجـرـمـبـجـرـمـ
تـرـيـعـالـقـمـرـ،ـوـذـلـكـدـلـيلـعـلـىـاـسـتـحـقـاقـأـلـفـأـلـفـمـنـالـبـشـرـكـلـهـمـيـوـلـدـونـالـيـوـمـ
وـالـلـيـلـةـوـيـمـوـتـمـتـلـهـمـوـأـشـارـيـدـهـإـلـىـجـاـسـوـسـفـيـعـسـكـرـهـلـمـعـاوـيـةـفـقـالـ:ـوـيـمـوـتـ
هـذـاـفـانـهـمـنـهـمـ.

فَلَمَّا قَالَ فَلَقَّى ذَلِكَ ظُنُونَ الرَّجُلَ أَنْهَ قَالَ : خُذُوهُ فَأَخْذَهُ شَيْءٌ بِقُلْبِهِ وَتَكْسُرَتْ نَفْسُهُ فِي صُدُورِهِ فَمَا لَوْقَتْهُ .

فَقَالَ : يَا دَهْقَانَ أَلَمْ أَرَكَ عَيْنَ «غَيْرِ خَلٰ» التَّقْدِيرِ فِي غَايَةِ التَّصْوِيرِ ؟ قَالَ : يَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : يَا دَهْقَانَ أَنَا مُخْبِرُكَ إِنِّي وَصَاحِبُ هُؤُلَاءِ الْأَشْرَقِيُّونَ وَلَا غَرَبِيُّونَ إِنَّمَا نَحْنُ نَا شَتَّةَ الْقَطْبِ وَمَا زَعَمْتُ أَنَّهُ اتَّقَدَحَ الْبَارِحةَ مِنْ بَرْجِ النَّيْرَانِ فَقَدْ كَانَ يَجْبُ أَنْ تَحْكُمَ مَعْهُ لِي لَأَنَّ نُورَهُ وَضَيَّاعَهُ عِنْهُ فَلَهُبِهِ ذَاهِبٌ عَنِّي .

يَا دَهْقَانَ هَذِهِ قَضِيَّةٌ عِصْمَةٌ فَإِحْسَبُهَا وَلَدَهَا مَا إِنْ كَنْتَ عَالَمًا بِالْكَوَادِ وَالْأَدَوَارِ ، فَقَدْ-إِلَى : لَوْ عَلِمْتَ ذَلِكَ لَعِلْمَتْ تَحْصِي عَقُودَ الْقَصْبِ فِي هَذِهِ الْاجْمَةِ . وَمَضِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ أَهْلَ النَّهْرَانِ وَقَتْلُهُمْ وَعَادَ بِالْغَنِيمَةِ وَالظَّفَرِ ، فَقَالَ الدَّهْقَانُ لَيْسَ هَذَا الْعِلْمُ بِمَا فِي أَيْدِي أَهْلِ زَمَانِنَا هَذَا عِلْمٌ مَادِهِ فِي السَّمَاءِ .

قَالَ الْمَجْلِسِيُّ أَكْثَرَ السَّوْلَاتِ الْمَذْكُورَةِ فِي الرِّوَايَةِ عَلَى تَقْدِيرِ صَحَّتِهَا وَضَبْطِهَا مُبْنِيَّةً عَلَى اصْطِلَاحَاتِ مَعْرِفَتِهَا مُخْتَصَّةً بِهِمْ أَوْرَدَهَا لِبَيَانِ عَجْزِهِ وَجَهْلِهِ وَعَدْمِ إِحْاطَةِ عِلْمِهِ بِمَا لَا يَدِيْدُ مِنْهُ فِي هَذَا الْعِلْمِ « وَكُمْ تَحَصَّلُ الْفَجْرَ فِي الْغَدُوَاتِ » يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِهِ زَمَانٌ مَا بَيْنَ طَلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى طَلُوعِ الشَّمْسِ فَإِنْ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ فِي الْفَصُولِ وَ« طَفْحُ جَبَ سَرَانِدِيبَ » اهْتَلَاهُ وَارْتَفَعَ ، وَمِنْهُ سَكْرَانَ طَافِحُ وَ« الشَّيْحُ » نَبْتُ مَعْرُوفٍ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ هَذِهِ الْوَادِيُّ الَّذِي هُوَ هَبْنَتُهُ .

وَ« الْعَمُودِيَّةُ » مَاهٌ لِلنَّصَارَى يَغْمَسُونَ فِيهِ أَوْلَادَهُمْ وَ« مَا الَّذِي أَحَدَنَهَا » أَيْ بِزَعْمِكَ « شَرَقِيَّهَا » أَيْ الْكَوَاكِبِ « أَلَمْ أَرَكَ غَيْرَ التَّقْدِيرِ » بِكَسْرِ الْغَيْنِ وَفَتْحِ الْيَاءِ إِيْ التَّغْيِيرَاتِ النَّاسِيَّةِ مِنْ تَقْدِيرَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَفِي بَعْضِ النَّسْخِ عَيْنَ التَّقْدِيرِ أَيْ أَصْلُهُ « هَذِهِ قَضِيَّةٌ عِصْمَةٌ » بِالْأَضَافَةِ إِيْ الْأَصْلِ فِي الْقَامُوسِ الْعَيْنِ بِالْكَسْرِ الْأَصْلِ وَفِي بَعْضِ النَّسْخِ عَوْيِصَةٌ أَيْ صَعْبَةٌ شَدِيدَةٌ وَ« لَدَهَا » بِصِيَغَةِ الْأَمْرِ وَتَشْدِيدِ الْأَلَامِ أَيْ اسْتَنْتَجُ مِنْهَا .

الرابع

فِي تَحْقِيقِ الْكَلَامِ فِي عِلْمِ النَّجْوَمِ وَجُوازِ الْعَمَلِ بِأَحْكَامِهِ ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي

ذلك الاخبار ككلمات علمائنا الاخيار والبحث في مقامات ثلاثة.
المقام الاول

في بطلان ما زعمه قدماء المنجمين من أن الكواكب تفعل في الأرض ومن عليها
أفعالاً يسندونها إلى طباعها.
فأقول: إن اعتقاد ذلك كفر و زندقة و الحادد لـ على امتناعه أدلة النقلية
والبراهين العقلية.

قال الشـيخ إبراهيم بن نوبخت في كتاب الياقوت: قول المنجمين يبطله قدم
الصـانع و اشتراط اختياره ويلزم عليهم أن لا يستقر الفعل على حال من الأحوال وقول
أهل الطـبـاـيـعـ يـبـطـلـ بمـثـلـ ذـلـكـ.

وقال العـلامـةـ فيـ شـرـحـ ذـلـكـ: اخـتـلـفـ قـوـلـ الـمـنـجـمـيـنـ عـلـىـ قـسـمـيـنـ: أحـدـهـماـقـوـلـ مـنـ قالـ
إنـ الـكـوـاـكـبـ السـبـعـةـ حـيـةـ مـخـتـارـةـ، وـالـثـانـيـ قـوـلـ مـنـ قالـ إـنـهـاـ مـوـجـبـةـ وـالـقـوـلـ بـاطـلـانـ أـمـاـ
الـأـوـلـ فـلـأـنـهـاـ أـجـسـامـ مـحـدـثـةـ فـلـاـ تـكـوـنـ آـلـهـةـ، وـلـأـنـهـاـ مـحـاجـةـ إـلـىـ مـحـدـثـ غـيرـ جـسـمـ فـلـابـدـ
مـنـ القـوـلـ بـالـصـانـعـ، وـأـمـاـ الشـانـيـ فـلـأـنـ الـكـوـاـكـبـ الـمـعـيـنـ كـالـمـرـيـغـ مـثـلـ إـذـاـ كـانـ مـقـضـيـاـ
لـلـحـرـبـ لـزـمـ دـوـامـ وـقـوـعـ الـهـرـجـ وـالـمـرـجـ فـيـ الـعـالـمـ وـأـنـ لـاـ يـسـتـقـرـ أـفـعـالـهـمـ عـلـىـ حـالـ مـنـ الأـحـوـالـ
وـلـمـ كـانـ ذـلـكـ بـاطـلـاـ كـانـ مـاـ ذـكـرـوـهـ بـاطـلـاـ، وـأـمـاـ الـقـائـلـوـنـ بـالـطـبـاـيـعـ يـسـنـدـونـ
الـأـفـعـالـ إـلـىـ مـعـجـرـدـ الطـبـيـعـةـ فـيـ بـطـلـ قـوـلـهـمـ بـمـثـلـ ذـلـكـ أـيـضاـ فـانـ الطـبـيـعـةـ قـوـةـ جـسـمانـيـةـ
فـيـ كـلـ جـسـمـ مـحـدـثـ فـكـلـ قـوـةـ حـالـةـ فـهـيـ مـحـدـثـةـ تـفـتـقـرـ إـلـىـ مـحـدـثـ غـيرـ طـبـيـعـةـ وـإـلـاـزـمـ
الـتـسـلـسـلـ فـلـابـدـ مـنـ القـوـلـ بـالـصـانـعـ سـبـحـانـهـ.

وـقـالـ أـيـضاـ فـيـ مـحـكـيـ كـتـابـ الـمـنـتـهـيـ: التـنجـيـمـ حـرـامـ وـكـذـاـ تـعـلـمـ النـجـومـ مـعـ
اعـتـقـادـ أـنـهـاـ مـؤـثـرـةـ أـوـ أـنـ لـهـاـ مـدـخـلـاـ فـيـ التـائـيـرـ بـالـنـفـعـ وـالـضـرـرـ وـبـالـجـمـلـةـ كـلـ مـنـ
يـعـتـقـدـ رـبـطـ الـحـرـكـاتـ الـنـفـسـانـيـةـ وـالـطـبـيـعـيـةـ بـالـحـرـكـاتـ الـفـلـاكـيـةـ وـالـاـنـصـالـاتـ الـكـوـكـيـةـ
كـافـرـ وـأـخـذـاـجـرـةـ عـلـىـ ذـلـكـ حـرـامـ.

وـقـالـ عـلـمـ الـهـدـىـ فـيـ كـتـابـ الـغـرـرـ وـالـدـرـرـ: وـقـدـ فـرـغـ الـمـتـكـلـمـوـنـ مـنـ الـكـلـامـ فـيـ
أـنـ الـكـوـاـكـبـ لـاـ يـجـوزـ أـنـ تـكـوـنـ فـيـنـاـ فـاعـلـةـ وـتـكـلـمـنـاـ نـحـنـ أـيـضاـ فـيـ مـوـاضـعـ عـلـىـ ذـلـكـ

وَبَيْنَا بُطْلَانُ الطَّبَابِيعِ الَّتِي يَهْذُونَ بِذِكْرِهَا وَإِضَافَةِ الْأَفْعَالِ إِلَيْهَا وَبَيْنَا أَنَّ الْفَاعِلَ لَابِدَ أَنْ يَكُونَ حَيَا قَادِرًا وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ الْكَوَاكِبَ لَيْسَتْ بِهَذِهِ الصَّفَةِ فَكَيْفَ تَفْعَلُ وَمَا يَصْحَحُ الْأَفْعَالَ مَفْقُودٌ فِيهَا.

وَقَدْ سَطَرَ الْمُتَكَلِّمُونَ طَرْفًا كَثِيرًا فِي أَنَّهَا لَيْسَتْ بِحَيَّةٍ وَلَا قَادِرَةً أَكْثَرُهُمْ مُعْتَرِضٌ وَأَشَفَ (١) مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْحَيَاةَ مَعْلُومٌ أَنَّ الْحَرَارَةَ الشَّدِيدَةَ كَحَرَارَةِ النَّارِ تَنْفِيَهَا وَلَا تَبْثِبُ مَعْهَا وَمَعْلُومٌ أَنَّ حَرَارَةَ الشَّمْسِ أَشَدُّ وَأَقْوَى مِنْ حَرَارَةِ النَّارِ بِكَثِيرٍ لِأَنَّ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْنَا عَلَى بَعْدِ الْمَسَافَةِ مِنْ حَرَارَةِ الشَّمْسِ بِشَعَاعِهَا يَمَاهِلُ أَوْ يَزِيدُ عَلَى حَرَارَةِ النَّارِ وَمَا كَانَ بِهَذِهِ الصَّفَةِ مِنَ الْحَرَارَةِ يَسْتَحِيلُ كَوْنَهُ حَيَا.

وَأَقْوَى مِنْ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي نَفْيِ كَوْنِ الْفَلَكِ وَمَا فِيهِ مِنْ شَمْسٍ وَقَمَرٍ وَكُوكَبٍ أَحْيَاهُ السَّمْعُ وَالْأَجْمَاعُ وَأَنَّهُ لَا خَلَافٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي ارْتِفَاعِ الْحَيَاةِ عَنِ الْفَلَكِ وَمَا يَشْتَهِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْكَوَاكِبِ وَأَنَّهَا مَسْخَرَةٌ مَدْبِرَةٌ مَهْرَفَةٌ، وَذَلِكَ مَعْلُومٌ مِنْ دِينِ رَسُولِ اللَّهِ صَرُورَةٌ وَإِذَا قَطَعْنَا عَلَى نَفْيِ الْحَيَاةِ وَالْقَدْرَةِ عَنِ الْكَوَاكِبِ فَكَيْفَ تَكُونُ فَاعِلَةً.

وَعَلَى أَنَا قَدْ سَلَمْنَا لَهُمْ اسْتَظْهَارًا فِي الْحِجَةِ أَنَّهَا قَادِرَةٌ قَلْنَا إِنَّ الْجَسْمَ وَإِنَّ كَانَ قَادِرًا قَدْرًا فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَفْعُلَ فِي غَيْرِهِ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ التَّوْلِيدِ، وَلَابِدُ مِنْ وَصْلَةٍ بَيْنَ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ فِيهِ، وَالْكَوَاكِبُ غَيْرُ مَمَاسَةٍ لَنَا وَلَا وَصْلَةٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا فَكَيْفَ تَكُونُ فَاعِلَةً فِينَا، فَإِنْ أَدْعَى أَنَّ الْوَصْلَةَ يَبْيَنُنَا الْهَوَاءَ فَالْهَوَاءُ أَوْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ آلَةً فِي الْحَرْكَاتِ الشَّدِيدَةِ وَحَمْلِ الْاِتْقَالِ، ثُمَّ لَوْ كَانَ الْهَوَاءُ آلَةً تَحْرِكَنَا بِهَا الْكَوَاكِبَ لَوْجَبَ أَنْ نَحْسَنَ بِذَلِكَ وَنَعْلَمَ أَنَّ الْهَوَاءَ يَحْرِكُنَا وَيَصْرُفُنَا كَمَا نَعْلَمُ فِي غَيْرِنَا مِنَ الْأَجْسَامِ إِذَا حَرَّ كَنَا بِآلَةٍ عَلَى أَنَّ فِي الْحَوَادِثِ الْمَحَادِثَةِ فِينَا مَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَفْعُلَ بِآلَةٍ وَلَا يَتَوَلَّ دُرُّ سَبِبِ كَالَّا رَادَاتِ وَالْأَعْتَقَادَاتِ وَأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ فَكَيْفَ فَعَلَتِ الْكَوَاكِبُ ذَلِكَ فِينَا.

وَهِيَ لَا يَصْحَحُ أَنْ تَكُونَ مُخْتَرِعَةً لِلْأَفْعَالِ لِأَنَّ الْجَسْمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَادِرًا إِلَّا

بقدرة والقدرة لا يجوز لأمر يرجع إلى نوعها أن تخترع بها إلا فعال فاما الأدمة (١) فليس تؤثرها الشمس على الحقيقة في وجوهنا وأبداننا وإنما الله تعالى هو المؤثر لها وفاعليها بتوسيط حرارة الشمس كما أنه تعالى هو المحرق على الحقيقة بحرارة النار والهاشم لما يهشمه العجر بثقله وحرارة الشمس مسودة الأجسام من جهة معقوله مفهومة كما أن النار تحرق الأجسام على وجه معقول فاي تأثير للكواكب فيما يجري هذا المجرى في تمييزه والعلم بصحته فليشر إليه فان ذلك لا قدرة عليه.

و مما يمكن أن يعتمد في إبطال أن تكون الكواكب فاعلة ومصرفة لأن ذلك يقتضي سقوط الأمر والنفي والمدح والذم عنا ، ونكون معذورين في كل إساءة تقع هنا ونجيئها بأيدينا وغير مشكورين على شيء من الاحسان والافضال وكل شيء نفسد به قول المجبرة فهو مفسد لهذا المذهب.

الثاني

في أنه بعد ما تحقق بطلان كون الكواكب عملاً مؤثراً ممددة لهذا العالم السفلي موجودة لما فيه فهل يمكن كونها أمارات وعلامات على وقوع بعض الحوادث في هذا العالم مما يوجده الله تعالى بقدرته، وهل يمكن الاطلاع بالحوادث الاستقبالية من أشكال الكواكب واتصالاتها وما يعرض لها من الأوضاع والهياكل بقرب بعضها من بعض أو بعده بأن يجري عادة الله سبحانه على فعل كذا عند كذا.

الحق إمكان ذلك وفاقا لاكثر الأصحاب لما سمعنا وشاهدنا من إصابة كثير من المنجمين في حكمتهم النجومية وإن كان خطائهم فيها كثيراً أيضاً، ويبعد بأن تكون تلك الإصابة كلها من باب البحث والاتفاق.

وقد خالف في ذلك المرتضى وبالغ كل المبالغة في إنكار أصل هذا العلم وزعم أن جميع ما اتفق من أخبار المنجمين من باب الاتفاق والتخييم نحو ما يقوله القوالون .

قال في كتاب الغرر والدرر ما ملخصه : إن جريان عادة الله بأن يفعل أفعالاً مخصوصة عند طلوع كوكب أو غروبه أو اتصاله أو مفارقته وإن كان جائزأً لكن لا طريق إلى العلم بأن ذلك قد وقع وثبت من أين لنا بأن الله تعالى قد أجرى العادة بأن يكون زحلاً والمربيخ إذا كان في درجة الطالع كان نحساً ، وأن المشترى إذا كان كذلك كان سعداً ، وأيّ سمع مقطوع به جاء بذلك وأيّ نبي خبر به واستفید من جهته.

فإن عولوا في ذلك على التجربة باتّها جرّبنا ذلك . و من كان قبلنا فوجدناه على هذه الصفة و إذا لم يكن موجباً وجّب أن يكون معتاداً.

قلنا و من سلم لكم صحة هذه التجربة و انتظامها و اطرادها و قدر أنسا خطائكم فيها أكثر من صوابكم و صدقكم أقل من كذبكم فالأقرب من الصحة إذا اتفقت منكم إلى الافتاق الذي يقع من المخمن والمرجّم ، فقد رأينا من يُصيب من هؤلاء أكثر من يخطئ و هو غير أصل معتمد ولا قاعدة صحيحة.

فإذا قلت : سبب خطاء المتنجّم لدخل عليه فيأخذ الطالع أو تسيير الكواكب ، قلنا ولم لا كانت اصابة سببها التخمين وإنما كان يصح لكم هذا التأويل والتغريج لو كان على صحة أحكام النجوم دليل قاطع هو غير اصابة المتنجّم ، فاما إذا كان دليلاً صحة الأحكام الاصابة فالأ كان دليلاً فسادها الخطأ فيما أحدهما في المقابلة إلا كصاحبه إلى أن قال .

و بعض الرؤساء بل الوزراء ممّن كان فاضلاً في الأدب والكتابه و مشعوفاً بالنجوم عاماً عليها قال لي يوماً وقد جرى حديث يتعلق بأحكام النجوم ورأى من مخايله التعجب من يتشاغل بذلك ويفنى زمانه به : اريد أن أسألك عن شيء في نفسي ، فقلت : سل عمّا بدا لك ، فقال : اريد أن تعرّفني هل بلغ بك الشكريب بأحكام النجوم إلى أن لاختيار يوماً لسفر ولبس ثوب جد يدو توجه في حاجة ؟ فقلت : قد بلغت إلى ذلك والحمد لله وزيادة عليه و ما في داري تقويم ولا انظر فيه وما رأيت مع ذلك إلا خيراً.

نُمْ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ فَقَلَتْ نَدْعَ مَا يَدْلِلُ عَلَى بَطْلَانِ احْكَامِ النَّجُومِ مَمَّا يَحْتَاجُ إِلَى ظَنِّ دِقْيَقٍ وَ رَوْيَةً طَوِيلَةً وَ هُنَّا شَيْءٌ قَرِيبٌ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ مِّمَّنْ عَلِتْ طَبْقَتْهُ فِي الْفَهْمِ أَوْ انْخَفَضَتْ .

خَبَرْنِي لَوْ فَرَضْنَا جَادَةً مَسْلُوكَةً وَ طَرِيقًا يَمْشِي فِيهِ النَّاسُ لِيَلَّا وَ نَهَارًا وَ فِي مَحْجَجَتْهُ آبَارٌ مَتَّقَارِبَةٌ وَ بَيْنَ بَعْضِهَا وَ بَعْضٌ طَرِيقٌ يَحْتَاجُ سَالِكَهُ إِلَى تَأْمِيلٍ وَ تَوْقِفٍ حَتَّى يَتَخلَّصَ مِنْ السَّقْوَطِ فِي بَعْضِ تَلْكَ الْآبَارِ هُلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ سَلَامَةً مِنْ يَمْشِي فِي هَذَا الطَّرِيقِ مِنَ الْعُمَيَّانِ كَسَلَامَةٍ مِنْ يَمْشِي مِنَ الْبَصَرَاءِ ، وَ قَدْ فَرَضْنَا أَنَّهُ لَا يَخْلُو طَرْفَةُ عَيْنٍ مِنَ الْمَشَاةِ فِيهِ بَصَرَاءُ وَ عُمَيَّانُ وَ هُلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَطْبَ الْبَصَرَاءِ يَقْارِبُ عَطْبَ الْعُمَيَّانِ أَوْ سَلَامَةَ الْعُمَيَّانِ مَقَارِبَةً بِسَلَامَةِ الْبَصَرَاءِ ؟
فَقَالَ : هَذَا مَمَّا لَا يَجُوزُ بَلِ الْوَاجِبُ أَنْ تَكُونَ سَلَامَةُ الْبَصَرَاءِ أَكْثَرُ مِنْ سَلَامَةِ الْعُمَيَّانِ وَ لَا يَجُوزُ فِي مُثْلِ هَذَا التَّقَارِبِ .

فَقَلَتْ : إِذَا كَانَ هَذَا مَمَّا حَالَ فَاحْجِلُوهُ نَظِيرَهُ وَ مَا لَا فَرْقَ بَيْنِهِ وَ بَيْنِهِ وَ أَنْتَمْ تَجْيِزُونَ شَيْئَهُ مَا ذَكَرْنَاهُ وَ عَدِيلَهُ ، لَا إِنَّ الْبَصَرَاءَ هُمُ الَّذِينَ يَعْرُفُونَ احْكَامَ النَّجُومِ وَ يَمْيِيزُونَ سَعْدَهَا هُنْ نَحْسَبُهَا وَ يَتَوَقَّونَ بِهَذِهِ الْمَعْرِفَةِ مَضَارَ الزَّمَانِ وَ يَتَحَفَّظُونَهَا وَ يَعْتَمِدُونَ مَنَافِعَهُ وَ يَقْصُدُونَهَا ، وَ مَثَلُ الْعُمَيَّانِ كُلُّ مِنْ لَا يَحْسِنُ تَعْلِمَ النَّجُومِ وَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ مِنَ الْفَقَهَاءِ وَ الْفَهْمَاءِ وَ أَهْلِ الدِّيَانَاتِ وَ الْعَبَادَاتِ ثُمَّ سَايِرُ الْعَوَامِ وَ الْأَعْرَابِ وَ الْأَكْرَادِ وَ هُمْ أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَنْ يَرَاعِي عَدْدَ النَّجُومِ ، وَ مَثَلُ الطَّرِيقِ الَّذِي فِيهِ آبَارٌ لِلَّذِي مَانَ الَّذِي يَمْضِي عَلَيْهِ الْخُلُقُ أَجْمَعُونَ ، وَ مَثَلُ آبَارِهِ مَصَابِيهِ وَ نَوَائِبِهِ وَ مَحْنَهِ .

وَ قَدْ كَانَ يَجُبُ لَوْصِحُ الْعِلْمَ بِالنَّجُومِ وَ احْكَامِهَا أَنْ تَكُونَ سَلَامَةُ الْمُنْجَمِينَ أَكْثَرُ وَ مَصَابِيهِمْ أَقْلَى لَا نَهُمْ يَتَوَقَّونَ الْمَحْنَ لِعِلْمِهِمْ بِهَا قَبْلَ كَوْنَهَا وَ تَكُونُ مَحْنَ كُلِّ مِنْ ذَكْرِ نَاهَمَ الْطَّبِيقَاتِ الْكَثِيرَةِ أَوْفَرَ وَ أَظْهَرَ حَتَّى تَكُونَ السَّلَامَةُ هِيَ الطَّرِيقَةُ الْغَرِيبَةُ وَ قَدْ عَلِمْنَا خَلَافَ ذَلِكَ أَنَّ السَّلَامَةَ وَ الْمَحْنَ مَتَّقَارِبَةٌ غَيْرُ مَتَّفَوِتَهُ .

فَقَالَ : رَبِّـمَا افْتَقَقَ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَقَلَتْ لَهُ : فَيَجُبُ أَنْ نَصْدِقَ مِنْ خَبَرْنَا فِي ذَلِكَ الْطَّرِيقِ الْمَسْلُوكِ الَّذِي فَرَضْنَاهُ بِأَنَّ سَلَامَةَ الْعُمَيَّانِ كَسَلَامَةِ الْبَصَرَاءِ ، وَ نَقُولُ لَعَلِّ

ذلك اتفق ، وبعد فانَّ الاتفاق لا يستمرُّ بل ينقطع وهذا الذي ذكرناه مستمرٌّ غير منقطع إلى أن قال :

و من أدلَّ الدليل على بطلان أحكام النجوم إننا قد علمنا أنَّ من جملة معجزات الأنبياء عليهم السلام الأخبار عن الغيب وعده ذلك خارقاً للمعادات كاحياء الميَّت وابرا، الاَّ كمه والاَّ برص ، ولو كان العلم بما يحدث طريقاً نجومياً لم يكن ما ذكرناه معجزاً ولا خارقاً للمعاذه ، و كيف يشتبه على مسلم بطلان أحكام النجوم . وقد أجمع المسلمون قديماً و حديثاً على تكذيب المنجمين والشهادة بفساد مذاهبهم و بطلان احكامهم ، و معلوم من دين الرسول ﷺ ضرورة التكذيب بما يدعوه والازراء عليهم والتعجيز لهم وفي الروايات عنه ﷺ من ذلك ما لا يحصى كثرة و كذلك عن علماء أهل بيته عليهم السلام و خيار أصحابه فما زالوا يبرون من مذاهب المنجمين و بعد و نها ضلالاً و محلاً و ما اشتهر هذه الشهرة في دين الاسلام كيف يفتى بخلافه من ينسب إلى الملة و يصل إلى القبلة .

فاماً ما صاحت بهم في الاخبار عن الكسوفات فالأجل أن الكسوفات واقرارات الكواكب وانفصالها طريقة الحساب وتسخير الكواكب ، وله اصول صحيحة وقواعد سديدة ، وليس كذلك ما يدعونه من تأثيرات الكواكب في الخير والشر والنفع والضر ، انتهى كلامه رفع مقامه .

ومثله شيخ المتكلمين محمود بن علي الحمصي قال في محكى كلامه في البحار : إنما لأنزل رداً عليهم فيما يتعلق بالحساب في تسخير النجوم و اتصالاتها التي يذكر و منها فان ذلك مما لا يفهمنا ولا هو مما يقابل بانكار و رد فـ قال :

فإن قيل : كيف تنكرون الأحكام وقد علمنا أنهم يحكمون بالكسوف ورؤيتها الأهلة و يكون الأمر على ما يحكمون في ذلك ، وكذلك يخبرون عن أمور مستقبلة تجري على الإنسان و تجري تلك الأمور على ما أخبروا عنها فمعوضها وضوح الأمر فيما ذكرناه كيف تدفع الأحكام ؟

قلنا إن إخبارهم عن الكسوف والكسوف ورؤيتها الأهلة فليس من الأحكام

و إنّما هو من باب الحساب إنّما الحكم أن يقولوا إذا كان كسوف أو خسوف كان من الحوادث كذا و كذا ، فاما الامور المستقبلة التي يخبرون عنها فأكثرها لا ينفع على ما يخبرون عنه و إنّما يقع قليل منه بالاتفاق و مثل ذلك يتافق لا صحاب الفال والزجر الذين لا يعرفون النجوم بل للعجائز اللواتي يتلقّى لن بالاً حجار والذي قد يخبر المتصروع و كثير من ناقصي العقول عن أشياء فيتفق وقوع ما يخبرون عنه انتهى .

ونحوهما الشّيخ محمد بن الحسين الكيدري قال في شرحه على الكتاب على ما حكى عنه في البخاري : كيف يمكن أن يكون الإنسان يعرف الحوادث وأسبابها في الحال حتى يعرف المسبيبات في المستقبل كما في الجزر والمد ، ومن أدعي أنه يعرف أسباب الكائنات فمقدّماته ليست برهانية وإنما هي تجريبية أو شعرية أو خطابية مؤلفة من المشهورات في الظاهر أو المقبولات والمظنونات .

و مع ذلك فلا يمكنه أن يتعرض إلا لجنس من أجناس الأسباب و هو تعرض بعض الأسباب العمليّة ولا يمكنه أن يتعرض لجميع الأسباب السّماوية والقوابيل فإذا تغيرت القوابيل عن أحوالها تغير أثر الفاعل فيها فان النّساد في الخطب اليابس مؤثرة تأثيراً لا تؤثر في الرّماد و كذلك معرفة بقائهما على استعداد القبول شرط و يمكن أن يكون القوابيل عوائق فلا يعلم تلك الأسباب والمسبيبات إلا الله تعالى .

و أيضاً فإنَّ المنجم يحكم على مفردات الكواكب ولا يحكم على جميعها ممتزجة و كما أنَّ أحكام مفردات التربiac و سائر المعاجين غير أحكام المركب الذي حصلت له صورة نوعية ، كذلك حكم الكواكب المركبة في الأفلاك غير حكم أفرادها ، و إذا لم يمكن المنجم الحكم إلا على المفردات كان الحكم ناقصاً غير موثوق به .

نعم إنّه ربّما يحصل التّوأمان في غشاء فيكشف عنّهما فإذا فيه صبيان حيّان وعلى قوانين الأحكامين يجب أن يكونا مشلين في الصورة والعمّر و الحركات حتى لا يجوز أن يختلفا في شيء من الأشياء ولا يجوز أن يسكن أحدهما في وقت كلام

الآخر ولا يقوم في وقت قعود الآخر ولا ينام في وقت لا ينام فيه الآخر، وإذا دخلنا بيته في باب ضيق فلا يمكنهما الدخول فانه لا بد هنـا من التـقدم والتـأخر ، ولا يجوز أن يمسـ الإنسان أحدهـما دون الآخر ، ولا يجوز أن يكونـ في التـزوـيج امرأة أحدهـما غير امرأة الآخر ولا أن يكونـ مكانـ أحدهـما غير مكانـ الآخر في الأرض وهذا مـا لا يخفى فسادـه .

وأيضاً فـانـ الحـكم الـكـلـي عـندـ أـكـثـرـهـ يـغـلـبـ الجـزـئـيـ الـأـتـرـىـ أنـ طـالـعـ نـاحـيـةـ أو بلـدـ إـذـاـكـانـ فـاسـدـاـ فـانـهـ لـاـ يـفـيـدـ عـطـيـةـ الـكـدـخـدـاهـ لـاـنـسـانـ فـكـيـفـ يـعـمـدـ عـلـىـ الطـوـالـعـ وـالـاخـتـيـارـاتـ معـ نـفـيـ الـعـلـمـ بـالـكـلـمـاتـ .

وـ منـ شـنـيعـ قولـهـمـ أـنـهـمـ يـقـولـونـ إـذـاـ ولـدـ لـلـمـلـكـ فـيـ حـالـ ولـدـ وـلـسـوقـىـ ولـدـ ، فـانـ الـكـواـكـبـ تـدـلـ لـاـبـنـ الـمـلـكـ بـخـلـافـ ماـ يـدـلـ لـاـبـنـ السـوـقـىـ مـعـ اـتـقـاـقـهـمـ فـيـ كـمـيـةـ الـعـمـرـ لـأـنـ حـيـلـاجـهـمـ وـ كـدـخـدـاهـمـ لـاـ يـخـتـلـفـانـ ، فـاـذاـ جـازـ دـلـالـةـ النـجـومـ مـخـتـلـفـةـ فـيـ سـعـادـهـ هـذـيـنـ الـوـلـدـيـنـ فـمـاـ أـنـكـرـواـ أـنـ يـكـوـنـ مـقـادـيرـ أـعـمـارـهـمـ أـيـضـاـ مـخـتـلـفـةـ .

وـ اـخـتـلـفـواـ فـيـ تـقـوـيمـ الـكـواـكـبـ باـخـتـلـافـ الزـيـجـاتـ وـلاـ بـرهـانـ عـلـىـ فـسـادـ بـعـضـهـاـ وـ صـوـابـ بـعـضـهـاـ فـرـبـاـ يـوـجـدـ فـيـ تـقـوـيمـ الشـمـسـ مـنـ التـقـاوـاتـ خـمـسـ درـجـ وـ تـخـتـلـفـ درـجـ الطـوـالـعـ وـ بـرـوجـ التـسـحاـوـيلـ بـسـبـبـ ذـلـكـ فـتـفـسـدـ الـاـحـكـامـ .
نـمـ أـرـدـ عـلـيـهـمـ كـثـيرـاـ مـنـ الـاـخـتـلـافـاتـ وـ التـقـاـضـاتـ لـاـ نـطـيلـ الـكـلامـ باـيـرـادـ هـاـ .

اقـولـ : وـ مـاـ ذـكـرـهـ هـؤـلـاءـ الـأـفـاضـلـ مـنـ الـاـخـتـلـافـاتـ وـ التـقـاـضـاتـ وـ الـاـسـتـبعـادـاتـ كـلـمـاـ مـسـلـمـ إـلـاـ أـنـ دـلـالـتـهـاـ عـلـىـ بـطـلـانـ عـلـمـ النـجـومـ مـنـ أـصـلـهـمـ مـنـوـعـةـ ، وـ نـهـنـ لـاـ نـضـاـيقـ مـنـ كـثـرـةـ خـطـاءـ الـمـنـجـمـيـنـ وـ خـبـطـهـمـ فـيـ أـحـكـامـهـمـ إـلـاـ أـنـ إـصـابـتـهـمـ فـيـهـاـ أـيـضـاـ غـيـرـ عـزـيزـ وـ دـعـوـيـ أـنـ كـلـ هـذـهـ الـاـصـابـةـ عـلـىـ كـثـرـتـهـاـ مـنـ بـابـ الـاـنـفـاقـ كـمـاـ تـرـىـ ، وـ سـرـ كـثـرـةـ وـقـوعـ الـخـطـاءـ فـيـهـاـ أـنـ مـاـ فـيـ أـيـدـيـ النـاسـ مـنـ هـذـاـ عـلـمـ غـيـرـ تـامـ وـ تـمامـهـ إـنـمـاـ هـوـ عـنـدـ أـئـمـةـ الـدـيـنـ الـذـيـنـهـمـ خـرـجـ أـنـ الـعـلـمـ وـالـيـقـينـ .

وـ يـشـمـ بـمـاـ ذـكـرـنـاهـ مـنـ صـحـةـ هـذـاـ عـلـمـ فـيـ الـجـمـلـةـ وـ عـلـىـ أـنـ لـهـ أـصـلـاـ الـأـخـبـارـ

و الاعتبار.

اما الاخبار فهى كثيرة لاتحصى.

منها روايتنا الاحتجاج والبحار السالقان في التنبيه الثالث.

و منها ما رواه في الكافي بأسناده عن معلى بن خنيس قال سالت أبا عبد الله عليه السلام عن النجوم أحق هي ؟ قال : نعم إن الله عز وجل بعث المشترى إلى الأرض في صورة رجل فأخذ رجلا من العجم فعلمته النجوم حتى ظن أنه قد بلغ ، ثم قال له : انظر أين المشترى ، فقال : ما أراه في الفلك وما أدرى أين هو ، قال : فتحاه وأخذ ييد رجل من الهند فعلمته حتى ظن أنه قد بلغ ، وقال : انظر إلى المشترى أين هو فقال : إن حسابي ليدل على أنك أنت المشترى ، و قال فشقق شقة فمات و ورث علمه أهله فالعلم هناك.

و منها ما في البحار من كتاب النجوم عن الرّيان بن الصّلت ، و ذكر اجتماع العلماء بحضور المأمون و حضور الصّبّاح بن نصر الهندي عند مولانا الرّضا عليه السلام و سؤاله عن مسائل كثيرة منها سؤاله عن علم النجوم فقال عليه السلام ما هذا لفظه :

هو علم في أصل صحيح ذكره أن أول من تكلم في النجوم إدريس و كان ذوالقرنين بها ماهراً و أصل هذا العلم من عند الله عز وجل و يقال إن الله بعث النجم الذي يقال له المشترى إلى الأرض في صورة رجل فأتى بلد العجم فعلمهم في حديث طويل فلم يستكملوا ذلك ، فأتى بلد الهند فعلم رجالا منهم فمن هناك صار علم النجوم بها وقد قال قوم هو علم من علم الأنبياء خصّوا به لأسباب شتى فلم يستدرك المنجمون الدقيق منها فشابوا الحق بالكذب.

هذا آخر لفظ مولينا علي بن موسى الرّضا عليه السلام في هذه الرواية الجليلة الأسناد و قوله عليه السلام حجة على العياد ، و قوله عليه السلام ذكره ذكره و يقال فإن عادته عند التسقية من المخالفين والعامّة يقول نحو هذا الكلام و تارة يقول كان أبي يقول وتارة روى عن رسول الله عليه السلام .

و منها ما فيه أيضاً من كتاب النجوم و جاءه في كتاب عتيق عن عطا قال: قيل
لعلي بن أبي طالب عليه السلام: هل كان للنجوم أصل ؟ قال : نعم نبي من الأنباء قال له قوله
إنا لاؤمن بك حتى تعلّمـنا بـدـهـ الخـلـقـ و آـجـالـهـ فـأـوـحـيـ اللـهـ عـزـ وـ جـلـ إـلـىـ غـمـامـةـ فـأـمـطـرـهـمـ
و استنقع حول الجبل ماء صافيا ، ثم أوحى الله عز وجل إلى الشمس والقمر والنجم
أن تجري في ذلك الماء، ثم أوحى الله عز وجل إلى ذلك النبي أن يرتقى هو و قومه على
الجبل فارتقا الجبل فقاموا على الماء حتى عرفوا بهذه الخلق و آجاله بمغارى
الشمس والقمر والنجوم و ساعات الليل والنهار.

و كان أحدهم يعلم متى يموت و متى يمرض و من ذا الذي يولد له و من ذا
الذى لا يولد له فبقاء كذلك برهة من دهرهم.

ثم إن داود عليه السلام قاتلهم على الكفر فاخروا إلى داود في القتال من لم
يحضر أجله و من حضر أجله أخلفوه في بيوتهم فكان يقتل من أصحاب داود ولا يقتل
من هؤلاء واحد ، فقال داود عليه السلام رب أقاتل على طاعتك ويقاتل هؤلاء على معصيتك
فيقتل أصحابي ولا يقتل من هؤلاء أحد ؛ فأوحى الله عز وجل إني كنت علمتم بـهـ
الخلق و آجاله إنما أخرجوا إليك من لم يحضر أجله و من حضر أجله خلفوه في
بيوتهم فمن ثم يقتل من أصحابك ولا يقتل منهم أحد قال داود: يا رب على ما ذا علمتم؟
قبل تعالى: على مغارى الشمس والقمر والنجوم و ساعات الليل والنهار.

قال عليه السلام فدعا الله عز وجل فحبس الشمس عليهم فزاد في النهار و اخترط
الز يادة بالليل والنهار فلم يعرفوا قدر الز يادة فاختلط حسابهم قال عليه عليه السلام فمن
ثم كره النظر في علم النجوم، و رواه فيه أيضاً عن الدر المنشور ، نعم زاد فيه أن النبي
المذكور كان يوشع بن نون.

و منها ما رواه يونس بن عبد الرحمن قال: قلت لا بـيـ عـبـدـ الـلـهـ يـلـيـهـ جعلت فداك
أخبرني عن علم النجوم ما هو ؟ قال عليه السلام هو علم من علم الأنباء ، قال فقلت: كان
علي بن أبي طالب عليه السلام يعلمـهـ ؟ فقال : كان أعلم الناس به .

والأخبار في هذا المعنى كثيرة لانطيل بذكرها و من أراد الز يادة فليراجع

إلى كتاب السماوات والعلم من البحر ، فقد عقد المجلسي «ره» فيه باباً على ذلك واستو في الكلام فيه.

واما الاعتبار فهو إننا قد سمعنا تظافراً بل توائراً وحصل لنا العلم وجداً بأنَّ من المنجمين من حصل له العلم بجملة من الحوادث الاستقبالية في موارد شتى من طريق النجوم وحكموا فيه فكان حكمه مطابقاً للواقع ولا يأس بالاشارة إلى بعض تلك الموارد تاييداً واستظهاراً.

فمنها دلالة النجوم على نبوة نوح فقد رواه في البحر من كتاب التجميل باسناده عن جميل عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام عن ذكره قال : قد كان علم نبوة نوح بالنجوم .

و منها دلالتها على إبراهيم ففي البحر أيضاً من كتاب النجوم من كتاب التجميل إنَّ آذن أباً إبراهيم كان منجماً لنمرود ولم يكن يصدر إلاً عن أمره فنظر ليلة في النجوم فأصبح وهو يقول لنمرود لقد رأيت في النجوم عجباً ، قال : وما هو ؟ قال : رأيت مولوداً يولد في زماننا يكون هلاكاً على يديه ولا يلبث إلا قليلاً حتى يحمل به قال : فتعجب من ذلك ثم قال : هل حملت به النساء بعد ؟ قال : لا ، فعجب الرجال عن النساء ولم يدع امرأة إلاً جعلها في المدينة ولا يخلص إليها بعلمه .

قال فوقع آذن على أهله فحملت بابراهيم فظنَّ أنه صاحبه فأرسل إلى قوابل ذلك الزَّمان وكنَّ أعلم الناس بالجهنن ولا يكُون في الرَّحم شيء إلا عرفنه وعلمن به ، فنظرن فالزم ما في الرَّحم الظاهر فقلن ما نرى في بطنه شيئاً ، قال و كان مما اوتى من العلم أنَّ المولود سيحرق بالنار ولم يؤت علمًا أنَّ الله سينجيه منها .

قال المجلسي وقد روى هذا الحديث على بن إبراهيم في كتاب تفسير القرآن بأبسط من هذه الرواية و رواه أيضاً أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى في الجزء الأول من تاريخه ، و رواه أيضاً سعيد بن هبة الله الرواوى في كتاب قصص الأنبياء ، و رواه الشعيبى في تفسيره وغيره من العلماء .

و منها دلالتها على نبوة موسى عليه السلام وكتب التواريخ مشحونه بذلك وقد روى

المجلسى من كتاب المرايis للشاعبى قال إن فرعون رأى في منامه أن نارا قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتعلت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرقت القبط وتركت بنى إسرائيل ، فدعى فرعون السحرة والكهنة والمعبرين والمنجمين وسألهم عن رؤياه فقالوا له : إنه يولد في بنى إسرائيل غلام يسلبك ملكتك ويغلبك على سلطانك ، ويخرك وقومك من أرضك وينزل دينك وقد اطلع زمانه الذي يولد فيه .

و منها دلالتها على نبوة عيسى عليهما السلام روى في البحر من كتاب النبوة لابن بابويه فى باب سياقه حديث عيسى بن هريم فقال ما هذا لفظه : وقدم عليها وفد من علماء المجروس زائرين معظمين لامر ابنها وقالوا إننا قوم ننظر في النجوم فلما ولد ابنك طلع بمولده نجم من نجوم الملك فنظرنا فيه فإذا ملكه ملك نبوة لا يزول عنه ولا يفارقه حتى يرفعه إلى السماء ويجاور ربّه عزوجل ما كانت الدنيا مكانها ثم يصير إلى ملك هو أطول وأبقى مما كان فيه .

فخرجنا من قبل حتى رفينا إلى هذا المكان فوجدنا النجم متطلعا عليه من فوقه فبذلك عرفنا موضعه وقد أهدينا له هدية جعلناها له قربانا لم يقرب مثله لأحد قط و ذلك إنا وجدنا هذا القرابان يشبه أمره وهو الذهب والمر اللبان لأن الذهب سيد المتع كلّه وكذلك ابنك سيد الناس ما كان حيثا ، ولأن المر جبار الجراحات والعاهات كلها لأن اللبان يبلغ دخانه السماء ولن يبلغها دخان شيء غيره وكذلك ابنك يرفعه الله عزوجل إلى السماء وليس يرفع من أهل زمانه غيره .

و منها دلالتها على النبي ﷺ في البحر في كتاب دلائل النبوة جمع أبي القاسم الحسين بن محمد السكوني بسانده عن حسان بن ثابت قال إنني والله لغلام يافع بن سبع أو ثمان سنين أعقل كلّما سمعت إذ سمعت يهوديا و هو على أكمه يشرب يصرخ يا معاشر اليهود فلما اجتمعوا قالوا ويلك مالك ؟ قال : طلع نجم أحمد الذي يبعث به الليلة .

قال : ووجدت كتابا عندنا الآخر اسمه كتاب البد الصيني عمله ك شيئا ملك

المهند يذكر فيه تفصيل دلالة النجوم على نبوة نبيتنا محمد ﷺ
و منها موارد متفرقة ذكر السيد بن طاووس (ره) في رسالته التي دونها في
النجوم و ذكر جماعة من العلماء المعتبرين بهذه العلوم العارفين به تأييداً لصحتها.
قال المجلسي : والسيد الجليل النسيلي علي بن طاووس (ره) لانس قليل له بهذا
العلم عمل في ذلك رسالة و بالغ في الانكار على من اعتقد أنَّ النجوم ذات إرادة
فاعلة أو مؤثرة ر استدل على ذلك بدلائل كثيرة و أيدَه بكلام جم غير من الأفضل
إلا أنه انكر على السيد الأجل المترضي (ره) في تحريمها و ذهب إلى أنه من
العلوم المباحثات و أنَّ النجوم علامات و دلالات على الحادثات لكن يجوز للقادر
الحكيم أن يغيرها بالبر والصدقة والدعاء و غير ذلك من الاسباب والدواعى على وفق
إرائه و حكمته، و جوز تعليم علم النجوم و تعلمه والنظر فيه والعمل به إذالم يعتقد
انها مؤثرة ، و حمل أخبار النهي والذم على ما إذا اعتقد ذلك.

ثم ذكر تأييداً لصحة هذا العلم أسماء جماعة من الشيعة كانوا عارفين به فقال:
إنَّ جماعة من بني نوبخت كانوا علماء بالنجوم وقدوة في هذا الباب و وقفت على
عدة مصنفات لهم في النجوم و أنها دلالات على الحادثات .

منهم الحسن بن موسى التسويختي .

و من علماء المنجمين من الشيعة أحمد بن محمد بن خالد البرقي و ذكر النجاشي
في كتابه كتاب النجوم .

و منهم أحمد بن محمد بن طلحة ، فقد عدَّ الشيخ النجاشي من كتبه كتاب النجوم
والشيخ النجاشي كان له تصنيف في النجوم .
و من المذكورين بعلم النجوم المجلودي البصري .

و منهم علي بن محمد بن العدوى والشــمشاطى فأنه ذكر النجاشي أنَّ له رسالة
في إبطال أحكام النجوم .

و منهم علي بن محمد العباس فإنَّ النجاشي ذكر في كتابه كتاب الرــدع على المنجمين
كتاب الرــدع على الفلاسفة .

و منهم محمد بن أبي عمير.

و منهم محمد بن مسعود العياشي فانه ذكر في تصانيفه كتاب النجوم.

و منهم موسى بن الحسن بن عباس بن اسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت قال
النجاشي كان حسن المعرفة بالنجوم و له مصنفات فيه و كان مع ذلك حسن العبادة
و الدين .

و منهم الفضل بن أبي سهل بن نوبخت وصل إلينا من تصانيفه ما يدل على قوله
معرفته بالنجوم و ذكر عن العيون ما أوردته في أبواب تاريخ الرضا عليه السلام من أنه أخبر
المأمون بخطاء المنجمين في الساعة التي اختاروها لولايته العمد ، فزجره المأمون
و نهاده أن يخbir به أحداً فعلم أنه تعمد ذلك.

أقول : والظاهر أن المراد بهما ما رواها في العيون عن البيهقي عن الصولي
عن عون بن شمل قال : حدّثني الفضل بن أبي سهل النوبختي أو عن أخي له قال : لما
عزم المأمون على العقد للرضا عليه السلام بالعهد قلت والله لا اعتبر ما في نفس المأمون من
هذا الأمر أحبّ تمامه أو هو تصنع به ، فكتبت إليه على يد خادم له كان يكتبني
بمساروه على يده :

قد عزم ذوالرّياستين على عقد العهد و الطالع السّرطان و فيه المشترى
والسرطان و إن كان شرف المشترى فهو برج منقلب لا يتم أمر يعقد فيه و مع هذا
فإن المريخ في الميزان في بيت العاقبة و هذا يدل على نكبة المعقود له و عرفت
أمير المؤمنين ذلك لثلا يعتب على إذا وقف على هذا من غيري .

فكتب إلى إذ أقرأت جوابي إليك فارددت إلى مع الخادم و نفسي أن يقف
أحد على ما عرفتنيه أو أن يرجع ذوالرّياستين عن عزمه فأنه إن فعل ذلك الحقّ
الذّنب بك و علمت أنك سببه ، قال فضاقت على الدنيا و تمنيت أنتي ما كنت
كمبيت إليه .

ثم بلغنى أن الفضل بن سهل ذوالرّياستين قد تنبأ على الأمر و رجع عن

عزم و كان حسن العلم بالنجوم فخفت والله على نفسي و ركبت إليه فقلت له: أتعلم نجما في السماء أسعد من المشترى؟ قال: لا، قلت: أتعلم أن في الكواكب نجما تكون في حال أسعد منها في شرفها؟ قال: لا، قلت: فامض العزم على رأيك إذ كنت تعتقد أن الفلك في أسعد حالاته فامضي الأمْر على ذلك فماعلمت أنتي من أهل الدنيا حتى وقع العقد فزعا من المأمون

قال: و منهم السيد الفاضل علي بن أبي الحسن العلوي المعروف بابن الأعلم و كان صاحب الزَّيْج.

و منهم أبوالحسن النقيب الملقب أباقياط.

و منهم الشَّيخ الفاضل الشَّيعي على بن الحسين بن علي بن المسعودي مصنف كتاب مروج الذهب.

و منهم أبوالقاسم ابن نافع من أصحابنا الشَّيعة.

و منهم ابراهيم الفرازى صاحب القصيدة في النجوم و كان منجماً منصور.

و منهم الشَّيخ الفاضل أحمد بن يوسف بن إبراهيم المصرى كاتب آل طولون.

و منهم الشَّيخ الفاضل محمد بن عبد الله بن عمر الباز يار القمي تلميذ أبي عشر.

و منهم الشَّيخ الفاضل أبوالحسين بن أبي الخصيب القمي.

و منهم أبوجعفر السقاء المنجم ذكره الشَّيخ في الرجال.

و منهم محمد بن أحمد بن سليم الجعفي مصنف كتاب الفاخر.

و منهم محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك المعروف بكشاجم ذكر ابن شهر آشوب أنه كان شاعراً منجماً ماماً كلما.

و منهم العفيف بن قيس أخيه أشعث ذكره المفرد، وقد مر أنه قيل إنه هو الذي أشار إلى أمير المؤمنين بترك قتال الخوارج في الساعة التي أراد. ثم قال (ره) و من من أدر كنه من علماء الشَّيعة العارفين بالنجوم و عرفت بعض إصاباته

الفقيه العالم الزاهد الملقب خطير الدين محمود بن محمد .
وهم من رأيته الشيخ الفاضل أبو نصر الحسن بن علي القمي ، ثم عد من اشتهر بعلم النجوم وقيل انه من الشيعة فقال :

منهم أحمد بن عبد السنجرى ، والشيخ الفاضل علي بن أحمد العمرانى ،
والفاضل إسحاق بن يعقوب الكندى .

قال و ممن اشتهر بالنجوم من بنى العباس محمد بن عبد العزيز الهاشمى و علي بن القاسم القسرى ، و قال وجدت فيما وقفت عليه أن علي بن الحسين بن بابويه القمي كان من أخذ طالعه في النجوم وأن ميلاده بالسبنبلة ، ثم قال روى الشيخ في اختيار الكىشى في بيان حال أبي خالد السجستاني حمدوه و إبراهيم عن محمد بن عثمان قال : حدتنا أبو خالد السجستاني أنه لما مضى أبوالحسن ظاهر وقف عليه ثم نظر في نجومه فزعم أنه قد مات فقطع على موته و خالف أصحابه .

ثم قال : ففي هذا عدة فوايد منها أن هذا أبو خالد كان وافقياً يعتقد أن أبو الحسن موسى عليهما السلام فدلله الله تعالى بعلم النجوم على موته وقد كان هذا العلم سبباً لهدايته .
و منها أنه كان من أصحاب الكاظم عليهما السلام و لم يبلغنا أنه عليهما السلام أنكر عليه علم النجوم و منها أنه لوعلم أبو خالد أن علم النجوم منكر عند إمامه لما اعتمد عليه في عقيدته و منها اختيار جدي الطوسي لهذا الحديث و تصحيحه وقد تقدم تناوه على جماعة من العلماء بالنجوم ثم قال :

و هم من اشتهر بعلمه من بنى نوبخت عبد الله بن أبي سهل .

و من العلماء بالنجوم محمد بن إسحاق النديم كان من جماعة للعلوي المصري .
و من المذكورين بالتصنيف في علم النجوم حسن بن أحمد بن محمد بن عاصي
المعروف بالعامى المحدث الكوفي نقة سكن بغداد فمن كتبه الكتب النجومية
ذكر ذلك ابن شهر آشوب في كتاب معالم العلامة

و هم من اشتهر بعلم النجوم من المنسوبين إلى مذهب الإمامية الفضل بن سهل
وزير المأمون فروى محمد بن عبدوس الجهمي و غيره مامعنده أنه لما وقع بين الإمامين
و المأمون ما وقع و اضطربت خراسان و طلب جند المأمون أرزاقهم و توجه عليه بن

عيسى بن ماهان من العراق لمحرب المأمون و صعد المأمون إلى منظرة المخوف على نفسه هن جنده و معه الفضل وقد ضاق عليه مجال التدبير و عزم على مفارقة ما هو فيه أخذ الفضل طالعه و رفع اسطرلاباً و قال ما تنزل من هذه المنزلة إلا خليفة غالباً لا يخيفك الأمين فلما تعجل و ما زال يسكنه و يثبته حتى ورد عليهم في تلك الساعة رأس عليّ بن عيسى وقد قتله طاهر و ثبت ملكه و زال ما كان يخافه و ظفر بالامان و روى خبراً آخر مثل ذلك.

ثم قال و منْ كان عالماً بالنجم من المنسوبين إلى الشيعة الحسن بن سهل ثم ذكر ما أخرجنا من العيون في أبواب تاريخ الرضا عليهما السلام من حديث الحمام وقتل الفضل فيه.

أقول : الرواية في العيون بسنده عن ياسر الخادم يذكر فيها خروج الرضا عليهما السلام والمأمون و ذي الرئاستين من مرو إلى المدينة وفيها : و خرج المأمون و خرجنا مع الرضا عليهما فلما كان بعد ذلك بأيام و نحن في بعض المنازل ورد على ذي الرئاستين كتاب عن أخيه الحسن بن سهل إني نظرت في تحويل هذه السنة في حساب النجوم فوجدت فيه أنك تذوق في شهر كذا يوم الأربعاء حر العديد و حر النار و أرى أن تدخل أنت والرضا عليهما و أمير المؤمنين الحمام في ذلك اليوم فتحتججم أنت فيه و تصب الدم ليزول نحسه عنك.

فبعث الفضل إلى المأمون و كتب إليه بذلك و سأله أن يدخل الحمام معه و سأله أبوالحسن عليهما السلام أيضاً ذلك فكتب المأمون إلى الرضا عليهما السلام رقعة في ذلك فسأله أن يدخل الحمام معه فكتب إليه أبوالحسن عليهما السلام لست بداخل غداً الحمام ولا أرى لك يا أمير المؤمنين أن تدخل الحمام غداً ولا أرى الفضل أن يدخل الحمام غداً فأعاد إليه مررتين فكتب إليه أبوالحسن عليهما السلام لست بداخل غداً الحمام فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم في هذه الليلة يقول لى يا على لا تدخل الحمام غداً فكتب إليه المأمون : صدقت يا سيدى وصدق رسول الله لست بداخل غداً الحمام والفضل فهو أعلم وما فعله .

قال ياسر فلما أمسينا و غابت الشمس فقال لنا الرضا عليهما السلام قولوا نعوذ بالله من

شرّ ما ينزل في هذه الليلة فأقبلنا نقول ذلك فلما صلّى الرّضا عليه الصّبح قال لنا: قولوا نعوذ بالله من شرّ ما ينزل في هذا اليوم فما زلنا نقول ذلك.

فلما كان قريباً من طلوع الشّمس قال لي الرّضا عليه الصّبح أصعد السّطح فاستمع هل تسمع شيئاً فلما صعدت سمعت الصّيحة «الضّجة خل» والنّجحيب وكثرة ذلك فإذا بالمؤمن قد دخل من الباب الذي كان إلى داره من دار أبي الحسن عليهما السلام يقول يا سيدِي يا أبي الحسن آجرك الله في الفضل و كان دخل الحمام فدخل عليه قوم بالسيوف و أخذ من دخل عليه في الحمام و كانوا ثلاثة نفر أحدهم ابن خالة الفضل ذو العلمين قال و اجتمع القواد والجنود و من كان من جند ذي الرّياستين على باب المؤمن فقالوا الغتاله و قتلهم فانطلبن بدمه.

فقال المؤمن للرّضا عليهما السلام يا سيدِي ترى أن تخرج إليهم فتفرقهم قال : ياسر فركب الرّضا عليهما السلام و قال لي اركب فلما خرج من الباب نزل الرّضا عليهما السلام وقد اجتمعوا و جاءوا بالسيران ليحرقوا الباب فصالح بهم وأومأ إليهم بيده تفرقوا ، فتفرقوا قال ياسر فأقبل الناس والله يقع بعضهم على بعض و ما اشار إلى أحد إلا ركب و مرّ ولم يقف به.

نم قال السيد رأيت في كتاب الوزراء جمع عبد الرحمن بن المبارك أنه ذكر محمد بن سعيد أنه وجد على كتاب من كتب ذي الرّياستين بخطه هذه السنة الفلانية التي تكون فيها النكبة وإلى الله نرحب في رفعها وإن صح من حساب الفلك شيء فالامر الواقع فيها لامحالة و نسأل الله أن يختتم لنا بخير بمنه، و كان يعمل لدى الرّياستين تقويم في كل سنة فيوقع عليه هذا يوم يصلح لكذا و يتجنب في هذا اليوم كذا ، فلما كان في السنة التي قتل فيها عرض عليه اليوم يجعل يوقع فيه مما يصلح حتى انتهي إلى اليوم الذي قتل فيه فقال : اف لهذا اليوم ما أشره على ورمي بالتسقّي .

و روى عن اخت الفضل قالت : دخل الفضل إلى أمّه في الليلة التي قتل في صبيحةها فاقعد إلى جانبها وأقبل يعظها و يعزّيها عن نفسه و يذكرها حوادث الدهر

و تقضى أمور العباد ، ثم قَبْل صدرها و نديها و دعها وداع المفارق ، ثم قام فخرج و هو قلق منزعج لما دلّه عليه الحساب ، فجعل ينتقل من موضع إلى موضع و من مجلس إلى مجلس وامتنع عليه النوم.

فلما كان السحر قام إلى الحمام و قدر أن يجعل غمه و حرارته و كربه هو الذي دلت عليه النجوم ، و قدّمت له بغلة فركبها و كان الحمام في آخر البستان فكبّت به البغله فسره ذلك و قدر أنها هي النكبة التي كان يتخوّفها ، ثم مشى إلى الحمام ولم يزل حتى دخل الحمام و اغتسل فيه فقتل.

قال : و من المذكورين بعلم النجوم بوران بنت الحسن بن سهل ، وجدت في مجموع عتيق أن بوران كان في المنزلة العليا بأصناف العلوم لاسيما في النجوم فانها بربعت فيه و بلغت أقصى نهايته و كانت ترفع الاسطراطاب كل وقت و تنظر إلى مولد المعتصم فغرت يوما بقطيع عليه سبيبه الخشب.

فقالت لوالدها الحسن انصرف إلى أمير المؤمنين و عرفه أن الجارية فلانة قد نظرت إلى المولد و رفعت الاسطراطاب فدل الحساب والله أعلم أن قطعا يلحق أمير المؤمنين من خشب في الساعة الفلانية من يوم بعيدته.

قال الحسن : يا قرة عيني يا سيدة الحرائر إن أمير المؤمنين قد تغير علينا و ربّما أصغي إلى شيء يخالف ما يقتضيه وجه المشورة والنصححة ، قالت يا به و ما عليك من نصيحة إمامك لأنّه خطر بروح لا عوض منها ، فإن قبلها و إلا كنت قد أديت المفروض عليك.

قال : فانصرف الحسن إلى المعتصم و عرفه ما قالت بوران ؛ قال المعتصم : أيها الحسن أحسن الله جزائهما و جزائك انصرف إليها و خصّها عنى بالسلام و أسأّلها ثانية و احضر عندي اليوم الذي عيّنت عليه و لازمني حتى ينصرم النوم و يذهب فلست اشار لك في هذه المشورة والتّدبير أحداً من البشر.

قال فلما كان صباح ذلك اليوم دخل عليه الحسن فأمر المعتصم حتى خرج كلّ من في المجلس و خلا إليه و أشار عليه أن ينتقل عن المجلس الشقفي إلى مجلس

ابن ارخي «رازجي كذافي الاصل» لا يوجد فيه وزن درهم واحد من الخشب، وما زال الحسن يتحدث والمعتصم يمازحه وينشطه حتى أظهر التهار وضررت نوبة الصلاة فقام المعتصم ليتوضأ فقال الحسن لاتخرج أمير المؤمنين عن هذا المجلس ويكون الوضوء والصلاه وكل ماتريده فيه حتى ينصرم اليوم.

فجاءه خادم و معه المشط والمسواك فقال الحسن للخادم امتشط بالمشط واستثك بالمسواك فامتنع قال وكيف أتناول آلة أمير المؤمنين ، قال المعتصم ويلك امثلك قول الحسن ولا تختلف ففعل فسقطت ثنيا ياه و انتفخ دماغه و خرّ مغشياً عليه ورفع ميتاً ، و قام الحسن ليخرج فاستدعاه المعتصم إليه . و احتضنه ولم يفارقه حتى قبل عينيه وردد على بوران أملاكاً و ضياعاً ، و كان ابن الزيات سلبها عنها و ذكر مثله برواية أخرى.

و روى من كتاب الوزراء لمحمد بن عبدوس عن إسماعيل بن صبيح قال: كنت يوماً بين يدي يحيى بن خالد البرمكي فدخل عليه جعفر بن يحيى فلما رأاه صاح و اعرض بوجهه عنه و قطب و كره رؤيته فلما انصرف قلت له : أطال الله بقائك ففعل هذا بابنك و حاله عند أمير المؤمنين حالة لا يقدر عليه ولداً ولا ولينا ، فقال : إليك عن أيها الرجل فوالله لا يكون هلاك أهل هذا البيت إلا بسيبه.

فلما كان بعد مدة من ذلك دخل عليه أيضاً جعفر و أنا بحضرته ففعل مثل ما فعل الأول وأكدت عليه القول فقال : ادن مني الدّوات ، فأدّنيتها و كتب كلامات يسيرة في رقعة و ختمها و دفعها إلى و قال : بل ليكن عندك فإذا دخلت سنة سبع و ثمانيين و مائة و ماضى النجوم فانظر فيها ، فلما كان في صفر أوقع الرشيد بهم فنظرت في الرقعة فكان الوقت الذي ذكره ، قال إسماعيل: وكان يحيى أعلم الناس بالنجوم.

و روى أيضاً عن محمد بن عبدوس صاحب كتاب الوزراء عن موسى بن نصر الوصيف عن أبيه قال : غدوت إلى يحيى بن خالد في آخر أمرها اريد عيادته من علة كان يجدها ، فوجدت في دهليزه بغلام سرجا فدخلت إليه فكان يأنس بي و يفضي إلى بسره ، فوجدته مفكراً مهموماً و رأيته مستخلاً مشتغلاً بحساب النجوم و هو

ينظر فيه فقلت له:

إني لما رأيت بغلًا مسرّجًا سرني لأنّي قدرت انصراف العلة وأنّ عزّمك الرّكوب ، ثمّ قد غمّني ما أراه من همك قال : فقال لي : إنّ لهذا البغل قصة إني رأيت البارحة في النّسوم كأنّي راكبة حتى وافيت رأس الجسر من الجانب الأيسر فوققت فإذا بصايح يصيح من الجانب الآخر :

كان لم يكن بين الحجّون إلى الصفا
انيس ولم يسمّ بمكة سامر

قال فضربت يدي على قربوس السبورج و قلت :

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليلى والجعدود العوانز

ثم انتبهت فلتجأ إلى أخذ الطالع فأخذته و ضربت الاًمر ظهراً لبطن فوققت على أنه لابد من انقضاء مدتنا و زوال أمرنا ، قال : فما كان يكاد يفرغ من كلامه حتى دخل عليه مسرور الخادم بخوانة مقطّنة وفيها رأس جعفر بن يحيى و قال له : يقول لك أمير المؤمنين : كيف رأيت نعمة الله في الفاجر فقال له يحيى قوله يا أمير المؤمنين أرى أنك أفسدت عليه ودنياه و أفسد عليك آخرتك .

ثم قال : و من رأيت ذكره في علماء النجوم و إن لم أعلم مذهبـه إبراهيم بن السندي بن شاهـك و كان منجـما طيبـا متكلـما .

و من العلماء بالنجوم عـضـالـدـولـةـ بنـبـويـهـ وـ كانـ منـسـوـباـ إـلـىـ التـشـيـعـ وـ لـعـلـهـ كانـ يـرـىـ مـذـهـبـ الزـيدـيـةـ .

وـ منـهمـ الشـيـخـ الـمعـظـمـ مـحـمـودـبـنـ عـلـيـ الـحـمـصـيـ كـمـاـ حـكـيـنـاـ عـنـهـ .

وـ منـهمـ جـاـبـرـبـنـ حـيـانـ صـاحـبـ الصـادـقـ عـلـيـهـ الـسـلـطـةـ وـ ذـكـرـهـ ابنـ النـسـدـيـمـ فـيـ رـجـالـ الشـيـعـةـ .

وـ مـمـنـ ذـكـرـ بـعـلـمـ النـجـوـمـ مـنـ الـوزـرـاءـ أـبـوـ أـبـيـوـبـ سـلـيـمـانـ بـنـ مـخـلـدـ الـمـوـرـيـانـيـ .
وـ مـمـنـ ظـهـرـ فـيـهـ الـعـمـلـ عـلـىـ الـنـجـوـمـ الـبـرـامـكـةـ ذـكـرـ عـبـدـالـلـهـ الـرـحـمـنـ فـيـ الـأـصـلـ،ـ بـنـ الـمـبـارـكـ
أـنـ جـعـفـرـ الـمـاعـزـمـ عـلـىـ الـاـنـتـقـالـ إـلـىـ قـصـرـهـ الـذـيـ بـنـاهـ وـ جـمـعـ الـمـنـجـمـيـنـ لـاـخـتـيـارـوقـتـ يـنـتـقـلـ فـيـهـ
فـاخـتـارـ وـالـهـ وـقـتاـ منـ اللـيـلـ ،ـ فـلـمـاـ حـضـرـ الـوقـتـ خـرـجـ عـلـىـ حـمـارـ مـنـ الـمـوـضـعـ الـذـيـ

ينزل على قصره والطرق خالية والناس ساكنون فلما وصل إلى سوق يحيى رأى رجال يقولون :

يدبر بالنجوم و ليس يدرى و رب النجوم يفعل ما يريد

فاستوحش و وقف و دعا بالرجل فقال له : أعد على ما قلت فأعاده فقال : ما أردت بهذا ؟ قال : والله ما أردت به معنى من المعانى لكنه عرض لي و جاء على لسانى فأمر له بذنابير .

ثم ذكر اصابات كثيرة من المنجمين نقالا من كتبهم، ونقل من كتاب رئيس
الأبرار أن رجالا دخل اصبعيه في حلقتي مقراض وقال لمنجم : ايش ترى في يدي ؟
فقال : خاتمي حذيف .

وقال : فقدت في دار بعض الرؤساء شهرة فضة فوجه إلى ابن هامان يسأله
فقال : المشربة سرقت نفسها ، فضحك منه و اغتصض وقال : هل في الدار جارية
اسمها فضة أخذت الفضة فكان كما قال .

وقال : سعى بمنجم فامر بصلبه فقيل له هل رأيت هذافي نجومك ؟ فقال : زأيت
ارتفاعاً ولكن لم أعلم أنت فوق خشبة .

وقال : من الملوك المشهورين بعلم النجوم و تقريب أهلة المؤمن ، و ذكر
محمد بن اسحاق أنه كان سبب نقل كتب النجوم من بلاد الروم و نشرها
بين المسلمين .

و ذكر المسعودي في حديث وفات المؤمن قال : فأمرنا باحضار
جماعة من أهل الموضع فسألهم ما تفسير التدبيون فقالوا : تفسيره مد
رجليك ، فلما سمع المؤمن بذلك اضطرب و تطير بهذا الاسم و قال سلو هم
ما اسم هذا الموضع بالعربية قالوا : اسمه بالعربية الرقة ، و كان فيما عمل من مولد
المؤمن أنه يموت بالرقة ، فلما سمع اسم الرقة عرفه أنه الموضع الذي ذكر في
مولده و أنه لا يموت إلا برقة فمات به كما اقتضت دلالة النجوم ، انتهى ما أردنا
إيراده من كلام السيد .

فقد بان و ظهر منه و مما قدّمنا أنَّ الاصابة في التجوم غير عزيزة وإن كان الخطأ فيها كثيراً أيضاً إلا أنَّ وقوع الخطأ لا يدل على بطلانها من أصلها و سرُّ كثرة الخطأ هو ما أشرنا إليه سابقاً من عسر الضبط والاحاطة بأطرافها.

وإليه الاشارة في خبر عبد الرحمن بن السيبابة قال : قلت لا يا عبد الله عليه السلام : جعلت فداك إنَّ الناس يقولون إنَّ التجوم لا يحلُّ النظر فيها فان كان يضر بديني فلا حاجة لي في شيء يضر بديني ، وإن كان لا يضر بديني فوالله إني لأشتهيها وأشتوي النظر إليها ، فقال عليه السلام ليس كما يقولون لا يضر بدينك ، ثم قال عليه السلام : إنكم تنظرون في شيء كثيرو لا يدرك وقليله لا ينفع .

وفي خبر هشام قال قال لي أبو عبد الله عليه السلام كيف بصرك في التجوم ؟ قلت : ما خلفت بالعراق أبصر بالتجوم ثم سأله عن أشياء لم يعرفها ، ثم قال عليه السلام : بما بالعسكريين يلتقطان في هذا وفي ذاك فيحسب هذا لصاحبه بالظفر ويحسب هذا الصاحب بالظفر فيلتقطان فيه زم أحدهما الآخر فإذاً كانت التجوم ؟ قال : فقلت : والله ما أعلم بذلك ، فقال عليه السلام : إنَّ أصل المحساب حق ولكن لا يعلم ذلك إلا من علم مواليد الخلق .

الامر الخامس

في الحكم الشرعي للعمل بالتجوم وأنَّه هل يجوز تعليمه وتعلمه واستنباط الأحكام منه والأخبار عن الحوادث الاستقبالية على وجه القطع أو الظن من طريق التجوم

المستفاد من السيد بن طاووس (ره) في كلامه الذي قدّمنا ذكره في المقام الثاني هو الجواز بحمل الأخبار النهاية على ما إذا اعتقاد التأثير .

ومثله شيخنا البهائي (ره) في محكى كلامه وما يدعوه المنجمون من ارتباط بعض الحوادث السفلية بالأجرام السارية إن زعموا أنَّ تلك الأجرام هي العلة المؤثرة في تلك الحوادث بالاستقلال أو أنها شريكة في التأثير وهذا لا يحل للمسلم اعتقاده ، وعلم التجوم المبني على هذا كفر والعياذ بالله ، وعلى هذا حمل ما ورد في

ال الحديث من التحذير عن علم النجوم والنوى عن اعتقاد صحته . وإن قالوا إن اتصالات تلك الاجرام وما يعرض لها من الوضاع علامات على بعض حوادث هذا العالم مما يوجده الله سبحانه بقدرته وإرادته كما أن حركات النبض واختلافات أوضاعه علامات يستدل بها الطبيب على ما يعرض للبدن من قرب الصحة وشدة المرض ونحو ذلك ، وكما يستدل باختلاج بعض الأعضاء على بعض الأحوال المستقبلة ، فهذا الامانع منه ولاحرج في اعتقاده ، ومداروي من صحة علم النجوم وجواز نقله محمول على هذا المعنى .

ثم قال : الأمور التي يحكم بها المنجمون من الحوادث الاستقبالية أصول بعضها مأخوذة من أصحاب الوحي سلام الله عليهم ، وبعضاها يد عون فيها التجربة ، وبعضاها هي بنى على أمور منشعة لاتفاق قوة البشرية في الأغلب بضميتها والاحاطة بها كما يؤمّن إليه قوله الصادق عليه السلام : كثيرة لا يدرك وقليله لا ينتفع «ينفع» ، فلذلك وجد الاختلاف في كلامهم وتطرق الخطأ إلى بعض أحكامهم ومن اتفق له الجرى على الأصول الصحيحة صحة كلامه وصدقت أحكامه لا محالة كما نطق به كلام الصادق عليه السلام في الرواية المذكورة قبيل هذا الفصل يعني رواية ابن سيابة ، ولكن هذا أمر عزيز المنازل لا يظفر به إلا القليل والله المداد إلى سوء السبيل .

أقول : ولقد أجاد (ره) فيما أفاد إلا أن في الأخبار الناهية ما يأبى عن العمل الذي ذكره مثل خبر المنجم الذي عرض لأمير المؤمنين عليه السلام عند المسير إلى النهر وان على ما تقدم روايته منا ومن السيد (ره) في المتن ، فإن الظاهر منها أن المنجم المذكور لم يكن معتقدا للتأثير في النجوم ومع ذلك فقد نهاه عليه السلام عنه بمحض حكمه المستند إليه فافهم .

ويظهر من شيخنا صاحب الجوادر الميل إلى الجواز أيضا حيث قال : والتحقيق أنه لا بأس بالنظر في هذا العلم وتعلمه وتعليمه والأخبار عمّا يقتضيه مما وصل إليه من قواعده لا على جهة الجزم بل على معنى جريان عادة الله بفعل كذا عند كذا وعدم اطّراده غير قادر ، فإن الله يمحو ما يشاء ويثبت وعنه ألم الكتاب ، بل قد يتوقف

في الكراهة فضلاً عن الحرمة ، بل يمكن حصول زيادة العرفان بمعرفته والترقى إلى بعض درجات الإيمان بعممارسته .

و دعوى أنَّ فيه تعرضاً للوقوع في المحظور من اعتقاد التأثير فيحرم لذلك أو لأنَّ أحكامه تخمينية كماترى خصوصاً الشأنى ضرورة عدم حرمة مراعات الظنون في أمثال ذلك بل لعلَّ المعلوم من سيرة الناس وطريقتهم خلافه في الطب و غيره والتعرِيز المزبور مع أنه ممنوع لا يكفى في الحرمة و إلَّا لحرم النَّظر في علم الكلام الذي خطره أعظم من ذلك فلا ريب في رجمان ما ذكرناه بل لا يبعد أن يكون النظر فيه نحو النَّظر في علم هيئة الأفلاك الذي يحصل بسببه الاطلاع على حكمة الله وعظم قدرته .

نعم لا يشغلي الجزم بشيء من مقتضياته لاستئثار الله تعالى الغيب ، انتهى .

وذهب المترضي (ره) إلى الحرمة ، وهو ظاهر المحدث المجلسي بل صريحة في البحار حيث قال بعد بسط الكلام في علم النجوم ونقل الأخبار وآقوال العلماء فيه ما لفظه : وأما كونها إمارات وعلامات جعلها الله دلالة على حدوث الحوادث في عالم الكون و الفساد فغير بعيد عن السداد وقد عرفت أنَّ كثيراً من الأخبار تدلُّ على ذلك .

وهي إمام مفيدة للعلم العادي لكنَّه مخصوص بعض الأنبياء والأئمة عليهم السلام و من أخذها منهم لأنَّ الطريق إلى العلم بعدم ما يرفع دلالتها من وحي أو إلهام والاحاطة بجميع الشيريات والموانع والقواعد مختصة بهم .

أو مفيدة للظن ، ووقوع مدلوانها مشروط بتحقق شروط ورفع موانع ، وما في أيدي الناس ليس ذلك العلم أصلاً أو بعضه منه لكنَّه غير معلوم بخصوصه ولا يفيد العلم قطعاً؛ وافادته نوعاً من الظن مشكوك فيه .

وأما تعليمه وتعلمه و العمل به والأخبار بالأمور الخفية و المستقبلة و أخذ الطوالع و الحكم بها على الأعمار والأحوال الظاهرة حرمة ذلك لشمول النهي له ، وما ورد أنَّها دلالات و علامات لا يدلُّ على التجويز لغير من أحاط علمه بجميع

ذلك من المعصومين وما دلّ على الجواز فأخبار أكثرها ضعيفة .
ويمكن حملها على التّقىة لشيوخ العمل بها في زمن خلفاء الجبور والسلطين في أكثر الأعصار وقرب المنجمين عندهم وربما يؤمن بعض الأخبار إليه ، ويمكن حمل أخبار النّهى على الكراهة الشديدة والجواز على الاباحة أو حمل أخبار النّهى على ما إذا اعتقد التأثير والجواز على عدمه كما فعله السيد ابن طاوس وغيره ولكن الأول أظهر وأحوط .

أقول : والأَظْهَرُ عِنْدِي هُوَ الْجَوازُ مَعَ الْكَرَاهَةِ ، أَمّْا الْجَوازُ فَلَلَا خُبَارُ الْمَجُوزَةِ
وأَمّْا الْكَرَاهَةُ فَخُرُوجًا عَنْ خِلَافِ مَنْفَعِهِ وَلَوْجُودِ أَخْبَارِ النّهْيِ الْمَهْمُولَةِ عَلَيْهَا .

فَانْ قَلْتَ : أَخْبَارُ النّهْيِ ظَاهِرَةٌ فِي الْحَرْمَةِ فَلَمْ لَا تَحْمِلْهَا عَلَى ظَاهِرِهَا .
قَلْتَ : إِبْقَاؤُهُ عَلَى ظَاهِرِهَا مُوْجِبٌ لِطْرَحِ الْأَخْبَارِ الْأُخْرَ وَالْجَمْعُ بِقَدْرِ
الْإِمْكَانِ أُولَئِكَ ، فَلَا بَدْ مِنْ صِرْفِهَا عَنِ الظَّاهِرِ بِحَمْلِهَا عَلَى الْكَرَاهَةِ أَوْ بِالْحَمْلِ عَلَى
صُورَةِ اعْتِقَادِ التَّأْثِيرِ وَذَلِكَ إِنْسَمَا يَجْرِي فِي بَعْضِهَا حَسِيبًا أَشْرَنَا ، وَأَمّْا حَمْلِ الْأَخْبَارِ
الْمَجُوزَةِ عَلَى التّقىةِ فَبَعِيدٌ لِا شْتِهَارِ الْعَوْلَمِ بِهَا بَيْنَ الْخَاصَّةِ كَالْعَالَمَةِ كَمَا عُرِفَ فِي
الْمَقَامِ الثَّالِثِ (١) وَعَمِلَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْأَئْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِهَا مَعَ دَعْمِ مَنْعِهِمْ عَنْ
ذَلِكَ حَسِيبًا قَدْمَنَا .

وَإِلَى ذَلِكَ ذَهَبَ الْمُحْقِنُ الْكَرْكَيُّ (رَه) حِيثُ قَالَ بَعْدَ الْحُكْمِ بِعِرْمَةِ اعْتِقَادِ
الْتَّأْثِيرِ وَكُونِهِ كُفَّارًا : أَمّْا التَّنْجِيمُ لَا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ مَعَ التَّسْهِرِ عَنِ الْكَذْبِ فَإِنَّهُ
جَائِزٌ فَقَدْ ثَبَتَ كَرَاهِيَّةُ التَّزْوِيجِ وَسَفَرِ الْحَجَّ فِي الْعَقْبَرِ وَذَلِكَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ، نَعَمْ
هُوَ مَكْرُوهٌ وَلَا يَنْجُرُ إِلَى الاعْتِقَادِ الْفَاسِدِ وَقَدْ وَرَدَ النّهْيُ عَنْهُ مُطْلَقاً حَسِيبًا لِلْمَادَةِ
وَهُوَ أَيْضًا مَذَهَبٌ شَيْخُنَا الْعَالَمَةِ الْأَنْصَارِيِّ فِي الْمَكَابِسِ ، قَالَ بَعْدَ ذِكْرِ الْأَخْبَارِ
الَّذِي عَلَى أَنَّ لِلنَّجْوِمِ أَصْلًا وَالْأَخْبَارِ الدَّالَّةِ عَلَى كُشْرَةِ خَطَاطِ الْمَنْجِمِينَ مَا هَذَا
لِفَظُهُ : وَمَنْ تَبَيَّنَ هَذِهِ الْأَخْبَارُ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ ظُنُونٌ بِالْأَحْكَامِ الْمُسْتَخْرِجَةِ عَنْهَا فَضْلًا

١- لا يخفى أنَّ المقام الثالث لم يتقدِّم ذكره فيما قبل ، نعم ذكر المصطف (قدره) فيما سبق ما أشار إليه هنا في ضمن المقام الثاني فتقذر «المصحح»

عن القطع ، نعم قد يحصل من التجربة خلافاً عن مسلف الظن بل العلم بمقارنة حادث من الحوادث لبعض الأوضاع الفلكية ، فالآولى التجنّب عن الحكم بها ومع الارتكاب فالآولى الحكم على سبيل التقرير وأنه لا يبعد أن يقع كذا عند كذا ، والله المستعان

الترجمة

از جمله کلام هدایت نظام آن حضرت است که فرموده است آن را از برای بعض اصحاب خود در حینی که عزم فرموده بود بر رفتن بسوی خوارج نهر وان ، پس گفت آن حضرت را بعض اصحاب او ای أمیر مؤمنان اکر سیر بفرمائی در این وقت می ترسم که نرسی بمقصود خویش از طریقه و قاعدة علم نجوم پس فرمود او را که :

آیا گمان میکنی که تو راه می یابی بساعتی که هر که سفر کند در آن بگردد ازاو بدی و میترسانی از ساعتی که هر که سیر نماید در آن احاطه کند با وضر هر که تصدیق کند تورا باین سخنان پس بتحقیق که تکذیب نموده است بر قرآن و مستقیم شده است از یاری جستن بخدا در رسیدن بأمر محظوظ و در دفع کردن مکروه و سزاوار است در گفتار تو اینکه تورا حمد نماید نه پروردگار خود را از جهه اینکه تو بگمان خود راه نما شدی او را بساعتی که رسیده در آن بمنفعت ، خواطر جمع شد در آن از مضرت ، بعد از آن توجه فرمود آنحضرت بمردمان پس فرمود که ای مردمان حذر نمایید از تعلم علم نجوم مگر آن چیزی که هدایت بیایید بآن در بیابان یا در دریا پس بدرستی که معرفت نجوم داعی میشود بر کاهنی و منجم همچو کاهن است و کاهن همچو ساحر است و ساحر همچو کافر است و کافر در آتش است ، بعد از آن حضرت فرمود با صحاب خود که : سپر کنید بسوی دشمن بر نام خداوند و یاری او .

و من كلام له عليه السلام و هو التاسع
والسبعون من المختار في باب الخطب
بعد حرب الجمل في ذم النساء

مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّ النِّسَاءَ نَوَافِقُ الْأَيَّانِ، نَوَافِقُ الْحُظُوظِ، نَوَافِقُ
الْعُقُولِ، فَإِنَّمَا لُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُمُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ فِي أَيَّامِ
حَيْضِهِنَّ، وَأَمَّا لُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ كَشْهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ
وَأَمَّا لُقْصَانُ حُظُوْظِهِنَّ فَمَوَارِيْثَهُنَّ عَلَى الْأَئْنَاصَفِ مِنْ مَوَارِيْثِ الرِّجَالِ،
فَاقْتُلُوا شِرَارَهُنَّ وَكُوْنُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذْرٍ، وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي
الْمَعْرُوفِ حَتَّى لا يَطْمَعُنَّ فِي الْمُنْكَرِ.

اللغة

(العاشر) جمع العشر و هي الجماعة من الناس و (الانصاف) بفتح
الهمزة و كسرها وقد يضم كما في القاموس جمع النصف بتثنية النون وهو أحد
جزئي الشيء .

الاعراب

الفاء في قوله فاما لقصان ايمانهن عاطفة قال الرضي (ره) في مبحث فاء العطف
و إن عطفت الفاء جملة على جملة أفادت كون مضمون الجملة التي بعدها عقيب
مضمون التي قبلها بالأفصل ، نحو قام زيد فقعد عمرو ، وقد تقيد فاء العطف في الجمل
كون المذكور بعدها كلاما مرتبا في الذكر على ما قبلها لأن مضمونه عقيب مضمون

ما قبلها في الزَّمَانِ كقوله تعالى: «أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِسْرَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ» و قوله «وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَتَبِعُهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَالَمِينَ» فان ذكر ذم الشيء أو مدحه يصبح بعد جرى ذكره ، قال و من هذا الباب عطف تفصيل المجد على المجمل كقوله: «وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ قَالَ رَبِّ إِنِّي مِنْ أَهْلِي» .

و تقول : أجبته فقلت لِيَكَ انتهى ، و كلام الإمام عليه السلام من هذا القبيل لا تنه بعد الاشارة إلى نقصان ايمانهن و عقولهن و حظوظهن اجمالاً نبه على تفصيل جهة النقصان بقوله فاما نقصان ايمانهن اه ، و نظيرها الفاء في قوله :

«هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحَكَّمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَآخِرَ مُتَشَابِهَاتٍ فَامَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَفَرَ فَيَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ» وفي قوله «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَامَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَامَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِذَا مَثَلًا» .

فافهم والفاء في قوله : فعمود هن رابطة للجواب و في قوله فاتقوا شرارهن فصيحة .

المعنى

اعلم أن الغرض من هذا الكلام التعریض على عایشة و توییخها و ذم من تبعها و ارشاد النساء إلى ترك طاعة النساء والانتقام منها لكونهن ناقصات في أنفسهن ولا ينبغي للکامل إطاعة الناقص والایتمام به ووجوه النقصان ثلاثة كما نبه عليهما بقوله (معاشر النساء إن النساء نواقص الایمان نواقص الحظوظ نواقص العقول) ولها

نبه على نقصانهن بهذه الوجوه الثلاثة أشار إلى علة جهات النقص بقوله (فاما نقصان ايمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام في أيام حيضهن) وقعودهن عنها وإن كان بأمر الله سبحانه إلا أن سقوط التكليف لنوع من النقص فيهن و سبب النقص هو حالة الاستقدار والحدث المانعة من القرب المعنوي المشروط في العبادات وفي كلامه دلالة على كون الأعمال أجزاء الإيمان.

و يشهد به ما رواه في الكافي بسانده عن أبي الصباح الكناني عن أبي جعفر عليهما السلام قال : قيل لا أمير المؤمنين عليهما السلام : من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله كان مؤمنا ؛ قال : فأين فرايض الله ؟ قال : وسمعته يقول : لو كان الإيمان كلاما لم ينزل فيه صوم ولا صلاة ولا حلال ولا حرام .

(وأما نقصان عقولهن فشهادة امرتین کشهادة الرجل الواحد) قال تعالى :

« إِنْ لَمْ يَكُنَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرَتَانِ ».

روى في الوسائل عن تفسير العسكري عليهما السلام عن أمير المؤمنين عليهما السلام في تفسير هذه الآية قال : عدل امرتتان في الشهادة برجل واحد فإذا كان رجلان أو رجل وامرتان أقاموا الشهادة قضى بشهادتهم .

قال عليهما السلام وجاءت امرأة إلى رسول الله عليهما السلام فقالت : ما بال امرتین برجل في الشهادة وفي الميراث ؟ فقال رسول الله عليهما السلام إن ذلك قضاء من ملك عدل حكيم لا يجور ولا يحيف أيتها المرأة لأنك ناقصات الدين والعقل إن أحد اثنتين تقعدين صف دهرها لاتصلّي بحيمضة، وأنك تكسن اللعن وتکفرن العشير تمكث إحداكم عند الرجل عشر سنين فصاعداً يحسن إليها وينعم عليها فإذا ضاقت يده يوماً أو ساعة خاصمهه وقلت : ما رأيت منك خيراً قط .

و فيه عن محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي قال مر رسول الله عليهما السلام على نسوة فوق عاليهن ثم قال عليهما السلام : يا معاشر النساء ما رأيت نوافع عقول و دين

أذهب بقول ذوى الالباب منكِنْ إنى رأيت أنكِنْ أكثر أهل النّار عذاباً فتقرَّ بنَ إلى الله ما مستطعتنَ ، فقالت امرأة منها : يا رسول الله ما نقصان ديننا و عقولنا ؟ فقال : أما نقصان دينكِنْ فالحيض الذي يصيبكِنْ فتمكث إحداكمَ ما شاء الله لانصلَى ولا تصوم ، و أمّا نقصان عقولكِنْ فشهادتكِنْ إنّما شهادة المرأة نصف شهادة الرّجل.

وقال وهب بن مهبة قد عاقب الله النساء بعشر خصال : بشدة النّفاس والحيض و جعل ميراث اثنين ميراث رجل و شهادتهما شهادة واحد و جعلها ناقصة الدّين والعقل لانصلَى أيام حيضها ولاتسلم على النساء وليس عليهما جمعة ولا جماعة ولا يكون منها نبيّ ولا سافر إلاّ بوليّ هذا .

وقوله (و أمّا نقصان حظوظهنَ فمواريثهنَ على الانصاف من مواريث الرّجال) قد مرَّ في ثالث تذنيبات الفصل الثاني عشر من فصول الخطبة الأولى علة زيادة حظَ الذُّكر على الأنثى في الميراث و نقول هنا مضافاً إلى ما سبق : إنَّه قد ذكر لها في بعض الأخبار علل وأسرار أخرى .

و هو مافي الوسائل عن نفقة الإسلام الكليني باسناده عن الأحول قال قال ابن أبي العوجا : ما بال المرأة المسكينة الضعيفة تأخذ سهماً واحداً و يأخذ الرجل سهرين ؟ قال : فذكر ذلك بعض أصحابنا لا يعبد الله يلبيك فقال : إنَّ المرأة ليس عليها جهادٌ ولا نفقة ولا معقلة و إنّما ذلك على الرّجال فلذلك جعل للمرأة سهماً واحداً و للرّجل سهرين .

و فيه عن الصدوق باسناده عن محمد بن سنان أنَّ الرّضا قطّلة كتب إليه فيما كتب من جواب مسائله : علة إعطاء النساء نصف ما يعطى الرجال من الميراث لأنَّ المرأة إذا تزوجت أخذت والرّجل يعطي فلذلك وفر على الرجال ، و علة أخرى في إعطاء الذكر مثل ما تعطى الأنثى لأنَّ الأنثى في عيال الذكر إن احتاجت و عليه أن يبعولها و عليه نفقتها ، و ليس على المرأة أن تعول الرجال ولا تؤخذ بنفقتها إن احتاج

فوفَرَ عَلَى الرِّجَالِ لِذَلِكَ وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :

« الْرِّجَالُ قَوْمٌ عَلَى النِّسَاءِ يَا فَضْلَ اللَّهِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ». .

وَعَنْهُ أَيْضًا بِأَسْنَادِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَنَانَ قَالَ : قَلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ظَاهِرًا : لَا يُعَلِّمُ صَارَ الْمِيرَاثُ لِلذِّكْرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُشْتَرِينَ ؟ قَالَ : لِمَا جَعَلَهُ اللَّهُ لَهَا مِنَ الصَّدَاقِ.

وَبِأَسْنَادِهِ عَنْ عَلَيِّ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ظَاهِرًا فَقَلْتُ لَهُ : كَيْفَ صَارَ الْمِيرَاثُ لِلذِّكْرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُشْتَرِينَ ؟ قَالَ ، لَا إِنَّ الْحَبَاتِ الَّتِي أَكَلَ آدُمُ وَحَوَّاهُ فِي الْجَنَّةِ كَانَتْ زَمَانِيَّةً عَشَرَ حَبَّةً أَكَلَ آدُمُ مِنْهَا اثْنَتِي عَشَرَ حَبَّةً وَأَكَلَتْ حَوَّاهُ سَتَّاً فَلَذِكْرِ صَارَ الْمِيرَاثُ لِلذِّكْرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُشْتَرِينَ .

ثُمَّ إِنَّهُ تَلَقَّا بَعْدَ التَّنْبِيَّهِ عَلَى جِهَةِ النَّقْصَانِ فِي النِّسَاءِ أَمْرٌ بِقَوْلِهِ (فَاتَّقُوا شَرَارَهُنَّ) عَلَى التَّجَنُّبِ وَالْهَرَبِ مِنَ الشَّرَارِ ، وَبِقَوْلِهِ (وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذْرِ) عَلَى الْعَدْرِ مِنَ الْخِيَارِ ، قَالَ الْبَحْرَانِيُّ : وَيَقِيمُونَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَابِدَّ مِنْ مَقَارِبِهِنَّ (۱) وَكَانَ الْإِنْسَانُ إِنْسَمَا يَخْتَارُ مَقَارِبَةَ الْخَيْرِ مِنْهُنَّ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونُ مَعَهَا عَلَى تَحْرِزٍ وَتَثْبِتَ فِي سِيَاسَتِهَا وَسِيَاسَةِ نَفْسِهِ إِذَا لَمْ تَكُنِ الْخَيْرُ مِنْهُنَّ خَيْرًا إِلَّا بِالْقِيَامِ إِلَى الشَّرِيرَةِ .

رُوِيَ فِي الْفَقِيهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ : كَتَبَ جَلوْسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ فَتَذَكَّرْنَا النِّسَاءُ وَفَضَلَ بَعْضُهُنَّ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَلَا أَخْبُرُكُمْ بِخَيْرِ نَسَائِكُمْ ؟ قَالُوا : بَلِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَخْبِرْنَا ، قَالَ : إِنَّ مِنْ خَيْرِ نَسَائِكُمُ الْوَلُودَ الْوَدُودَ السَّتِيرَةَ الْعَفِيفَةَ الْعَزِيزَةَ فِي أَهْلِهَا الْذِلْسَلَةَ مَعَ بَعْلِهَا الْمَتَبَرِّجَةَ مَعَ زَوْجِهَا الْحَصَانَ مَعَ غَيْرِهِ الَّتِي تَسْمَعُ قَوْلَهُ وَتَطْبِعُ أَمْرَهُ وَإِذَا خَلَبَهَا بِذَلِكَ لَهُ مَا أَرَادَ مِنْهَا وَلَمْ تَبْذَلْ لَهُ تَبْذِيلَ الرَّجُلِ .

قَالَ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَلَا أَخْبُرُكُمْ بِشَرِّ نَسَائِكُمْ ؟ قَالُوا : بَلِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَخْبِرْنَا

- ۱- أَيْ مَقَارِبَةُ الْخَيَارِ مِنْهُ .

قال : من شر نسائكم الذليلة في أهلها العزيزة مع بعلها العقيم الحقوود التي لا تورع عن قبيح المترجحة إذا غاب عنها زوجها المحسان معه إذا حضر التي لاتسمع قوله ولا تطيع أمره فإذا خلابها تمنعت تمنع الصعبية عند ركوبها ولا تقبل له عذرًا ولا تغفر له ذنبها ورواه في الكافي عن جابر بن عبد الله نحوه في كتاب السكاح في باب خيسر النساء وشرار النساء ، وروى فيه أخباراً أخرى في معنى الخير والشر .

و قوله (ولا تطيرونهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر) من قبيل المثل الساير : لانعط عبدك كرعايا فباخذ ذراعا قال العالمة المجلسي : و ترك طاعتهن في المعروف إما بالعدول إلى فرد آخر منه أو فعله على وجه يظهر أنه ليس طاعتهن بل لكونه معروفاً أو ترك بعض المستحبات ويكون الترك حينئذ مستحبة كما ورد تركها في بعض الأحوال كمال الحال هذا .

وقد ورد الحديث على ترك طاعتهن في غير واحد من الأخبار مثل ما في الفقيه عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في النساء : لاشاؤذوهن في النجوى ولا تطعوهن في ذيقرابة إن المرأة إذا كبرت ذهب خير شطريها وبقي شرها ، ذهب جمالها واحتدم لسانها وعمق رحمها ، وإن الرجل إذا كبر ذهب شر شطريه وبقي خيرهما ثبت عقله واستحكم رأيه وقل جهله .

وفيه أيضاً قال علي عليه السلام : كل أمره تدبره امرأة فهو ملعون ، وقال : في خلافهن البركة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الحرب دعى نسائه فاستشارهن ثم خالفهن . وفي بعض الروايات العامية قال أمير المؤمنين عليه السلام لاتطعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على مال ، ولا تذروهن لتديير العيال ، فأنبهن إن تركن و ما يردن أوردن المهالك ، وأذلن الممالك ، لادين لهن عند لذتهن ، ولا ورع لهن عند شهوتهن ، ينسين الخير ويحفظن الشر ، يتهاون بالبهتان و يتمارين للطغيان يتصدّين للشيطان .

و من طريق العامة أيضاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شاوروهن خالفوهن .

تنبيه طريف

ينبغي لنا أن نذكر هنا شطراً من أوصاف النساء وأخبارهن وبعض مكايدهن من طريق الأخبار وغيرها، والمقصود بذلك التحذير عنهن والتنبيه على كيدهن، حيث وصفه الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بالعظمة مع أنه جعل كيد الشيطان ضعيفاً حيث قال :

«إِنَّهُ مِنْ كَيْدِ كُنَّ إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ» و قال : «إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا .»

و لذلك قال بعض أهل العرفان : إننا من النساء أحذر من الشيطان فأقول : قال رسول الله شاوروهن و خالفوهن وقيل : إياك و موافقة النساء فرأيهن إلى أفن (١) و عزمهن إلى وهن ، وقيل : أكثروا لهن من لا ، فإن نعم بغيرهن بالمثلة قال الشاعر : تعيرني بالغزو عرسى و مادرت بائني لها في كل ما أمرت ضدّ و رأى سقراط امرأة تحمل ناراً فقال ناراً تحمل ناراً والحاصل شر من المحمول وقيل له : أى السباع شر قال : المرأة إذا أحببتك آذتك و إذابغضتوك خانتك فحببها أذى وبغضها داء وقيل المرأة سبع معاشر وقيل حيوان شرير .

وفي الحديث أنه لما خلقت المرأة نظر إليها إبليس فقال أنت سولي وموضع سرى ونصف جندي و سهمي الذي أرمى به فلا اخطى و إذا اختصمت هى وزوجها في البيت قام في كل زاوية من زوايا البيت شيطان يصفق و يقول فرح الله من فرج حنى حتى إذا اصطلاحا خرجوا عمياً يتعدون يقرئون : أذهب الله نور من ذهب بنورنا . وفي القصيدة عن إسحاق بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث إن إبراهيم

١- قال في مجمع البحرين في حديث النساء فإن رأيهن إلى الألف و عزمهن إلى الوهن الألف بالتحريك ضعف الرأى قاله الجوهرى و قال غيره : الألف النقص و رأى أفن و ما فوقه ناقص منه .

خليل الرحمن شكى إلى الله خلق سارة فأوحى الله عز وجل إليه إن مثل المرأة مثل الصنائع إن أقمته انكسر وإن تركته استمتعت به.

وفي حديث إبليس مع يحيى بن زكرياء على نبيه ما عليهما السلام المروى في المجلد السادس من العالى من البحار وجادة في كتاب الترمذ قال أى إبليس : يأنبئ الله فأول ما أصيده به المؤمن من قبل النساء « إلى أن قال » يا نبى الله إن أرجى الأشياء عندي وأدعمه لظهوره وأقره لعىنى النساء ، فانها احبابى ومصالدى وسهمى الذى به لا خطى بابائى هن لولم يكن هن ما اطعت (١) اضلال أدنى آدمي ، قررت عينى بهن أظفر بمقراتى وبهن أوقع في المهالك إذا اغتمنت ليشت (٢) على النساء والعباد والعلماء غالبونى بعد ما ارسلت عليهم العجيوش فانهزموا وبعد ما ركبوا وقهرت ذكرت النساء طابت وسكنت غضبى واطمأن كظمى وانكشف غيظى وسلمت كأبتي وقررت عينى واشتدا زري ، ولو لاهن من نسل آدم لسجدت بهن فهن سيداتى وعلى عنقى سكناهن وعلى تمماهن ما اشتهرت امرأة من جبارى حاجة إلا كنت أسعى برأسى دون رجلى في اسعافها ب حاجتها ، لأنهن رجائى و ظهري و عصمتى و سندى و نفقي و غوثى ، الحديث .

أقول : النسخة كانت سقيمة جداً فأنبئه كما وجدت .

وفي الأنوار النعمانية للسيد نعمة الله الجزائري ومن أسباب الدنيا والميل إليها النساء وإطاعتهن .

روى أن رجلاً من بنى إسرائيل رأى في المنام أنه خير ثلاث دعوات مستجابات بأن يصرفها حيث شاء ، فشاور امرأته في محل الصرف فرأى أن يصرف واحدة منها في حسنها وجمالها ليزيد حسن المعاشرة بينهما فصرفها في ذلك فصارت جميلة فيما بين بنى إسرائيل فاشتهر أمرها إلى أن غصبتها ملك ظالم فدعا الرجل غيره بأن يصيرها الله تعالى على صورة كلب فصارت كلباً أسود وجاءت إلى باب زوجها

١ - هكذا في البحار والظاهر أن المجرد بمعنى المزيد أي ما تستطع أو أنه من تصحيف

الناسخ والاصل أطبقت بالكاف بمعنى قدرت وهو الظاهر، منه ٢ - ايش واس فرح

وَتَضَرَّعَتْ إِلَيْهِ مَدَّةً حَتَّى رَقَ قَابِهِ فَدَعَابَانْ يَصِيرُهَا اللَّهُ عَلَى صُورَتِهِ الْأُولَى، فَضَاعَتِ الدُّعَوَاتِ الْثَلَاثُ فِيهَا وَهِيَ كَمَا كَانَتْ بِشَوْمٍ مَشَاوِرَةً لِلنِّسَاءِ.

وَحَكَى أَنَّ خَسِرَ الْمَلْكُ أَنَّى إِلَيْهِ رَجُلٌ بِسَمْكَةٍ كَبِيرَةٍ فَأَمْرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ درَهمٍ فَقَالَتْ شَيْرِينَ فَكِيفَ تَصْنَعُ إِذَا احْتَرَمْتِ مِنْ أَعْطِيَتِهِ شَيْئاً مِنْ حَشْمِكَ وَقَالَ: أَعْطِنِي مَا أَعْطَى الصَّيَادُ أَوْ أَقْلَى، فَقَالَ خَسِرُوا الْمَلْكُ إِنَّ الرَّجُوعَ عَنِ الْهَبَةِ قَيْعَ خَصُوصَةِ مِنِ الْمُلُوكِ فَقَالَتْ شَيْرِينَ: التَّدْبِيرُ أَنْ تَدْعُوهُ وَتَقُولُ لَهُ هَذِهِ السَّمْكَةُ ذَكْرًا وَأَنْتَ، فَإِنْ قَالَ ذَكْرٌ فَتَقُولُ لَهُ إِنَّمَا أَرْدَتْ ذَكْرًا وَإِنْ قَالَ أَنْتَ فَتَقُولُ لَهُ إِنَّمَا أَرْدَتْ ذَكْرًا فَاسْتَدْعَاهُ فَسَأَلَهُ عَنِ ذَلِكَ فَقَالَ: أَيْسَهَا الْمَلْكُ إِنَّهَا خَسَنَى لَا ذَكْرٌ وَلَا أَنْتَ، فَاسْتَحْسَنَ جَوَابَهُ وَأَمْرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ درَهمٍ أَخْرَى؛ فَلَمَّا تَسْلَمَ الصَّيَادُ نِمَانِيَةَ آلَافِ درَهمٍ مِنِ الْخَزْنَ وَرَجَعَ سَقْطَهُنَّمَا فِي الطَّرِيقِ درَهمٍ فَاشْتَغَلَ بِأَخْذِ الدَّرَهمِ السَّاقِطِ فَقَالَتْ شَيْرِينَ لِلْمَلْكِ: انْظُرْ إِلَيْهِ خَسَنَتْهُ وَغَلَبةَ حَرَصِهِ، فَاسْتَدْعَاهُ وَسَأَلَهُ عَنِ غَرْضِهِ فِي اشْتِفَالِهِ بِأَخْذِهِ فَقَالَ أَيْسَهَا الْمَلْكُ: كَانَ عَلَيْهِ اسْمُكَ وَحُكْمُكَ فَخَفَقَتْ أَنْ يَطَأْ أَحَدٌ بِرِجْلِهِ غَافِلًا عَنْهُ، فَاسْتَحْسَنَ أَيْسَهَا جَوَابَهُ وَأَمْرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ درَهمٍ أَخْرَى وَذَهَبَ الصَّيَادُ بِأَنْتَ عَشْرَ أَلْفَ درَهمٍ.

وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْهُ أَنَّ كُلَّ فَتْنَةٍ وَقَعَتْ فِي الْعَالَمِ فَإِنَّمَا جَاءَتْ مِنْ قِبَلِهِنَّ وَذَلِكَ:

إِنَّ الْفَتْنَةَ الْأُولَى وَهِيَ أَكْلُ آدَمَ مِنِ الشَّجَرَةِ وَأَخْرَاجُهُ إِلَى الْأَرْضِ إِنَّمَا جَاءَهُ مِنْ قِبَلِ حَوَّاً، لِأَنَّ آدَمَ لَمْ يَقْبِلْ وَسَاوِسْ الشَّيْطَانُ وَسُوسُ إِلَى حَوَّا فَجَاءَتْ إِلَيْهِ آدَمَ وَكَلَمَتْهُ فِي أَمْرِ الْأَكْلِ مِنِ الشَّجَرَةِ حَتَّى حَمَلَتْهُ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا الْفَتْنَةُ الْآخِيرَةُ الَّتِي نَشَأَ مِنْهَا خَرَابُ الْعَالَمِ وَهِيَ غَصْبُ خَلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَاسْتِظْهَارُهُمْ وَاتِّفَاقُهُمْ عَلَى عِدَادِهِ فَإِنَّمَا جَاءَ مِنْ قِبَلِ عَائِشَةَ وَعِدَادِهَا وَحَسَدِهَا لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ بِسَبَبِ أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه كَانَ يَظْهِرُ الْمُحِبَّةَ لَهَا وَلَوْلَدِهِمْ أَفْغَارَتْ مِنْ هَذِهِ عَائِشَةَ وَأَضْمَرَتِ الْعِدَادَةَ لَهَا ثُمَّ أَظْهَرَتْهَا فَنَخَطَتْ تَلْكَ الْعِدَادَةَ مِنِ النَّسَاءِ إِلَى الرَّجَالِ فَبَغَضَ عَلَيْهَا رضي الله عنه أَبُوبَكَرَ وَعَمِرَ فَعَلَالًا مَافَعَلَ وَفَعَلَتْ عَائِشَةَ بِعَدِهِمَا مَا فَعَلَتْ.

أقول : و شهادة أمير المؤمنين عليه السلام بسبب قطام و سُم جمدة للحسن . بن علي عليه السلام غير خفي .

وفي البخار روى عن جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام أنه قال : كان في بني اسرائيل رجل صالح و كان له مع الله معاملة حسنة و كان له زوجة و كان ظنيناً بها و كانت من أجمل أهل زمانها مفرطة في الجمال والحسن ، و كان يغلب عليها الباب فنظرت يوماً شاباً فهوته وهوها فعمل لها مفتاحاً على باب دارها و كان يخرج و يدخل ليلاً ونهاراً متى شاء وزوجها لم يشعر بذلك .

فبقيا على ذلك زماناً طويلاً فقال لها زوجها يوماً و كان أعبد بني اسرائيل وأزهدهم : إنك قد تغيرت على و لم أعلم ما سببه و قد تووس قلبي على و كان قد أخذها بكرأ ، ثم قال و اشتئى منك أنك تحلف لي إنك لم تعرفي رجالاً غيري ، و كان لبني اسرائيل جبل يقسمون به و يتحاكمون عنده و كان الجبل خارج المدينة عنده نهر جار و كان لا يحلف أحد عنده كاذباً إلا هلك ، فقالت له و يطيب قلبك إذا حلفت لك عند الجبل ؟ قال : نعم ، قالت : متى شئت فعلت .

فلما خرج العابد لقضاء حاجته دخل عليها الشاب فأخبرته بما جرى لها مع زوجها و أنها تريده أن تحلف له عند الجبل و قالت ما يمكنتني أن أحلف كاذبة ولا أقول لزوجي فبهت الشاب و تحير وقال فما تصنعين ؟ فقالت بـكـرـ غـدـاـ وـالـبـسـ ثـوبـ مـكـارـ وـخـذـ حـمـارـاـ وـاجـلـسـ عـلـىـ بـابـ الـمـدـيـنـةـ فـإـذـاـ خـرـجـنـاـ فـأـنـاـ أـدـعـهـ يـكـتـرـىـ منـكـ الـحـمـارـ فـإـذـاـ أـكـتـرـاهـ مـنـكـ بـادـرـ وـاحـمـلـنـىـ وـأـرـفـعـنـىـ فـوـقـ الـحـمـارـ حـتـىـ اـحـلـفـ لـهـ وـأـنـاـ صـادـقـةـ آـنـهـ مـاـسـتـنـىـ أـحـدـ غـيرـكـ وـغـيرـ هـذـاـ الـمـكـارـيـ ، فقال : حـبـاـ وـكـرـامـةـ .

و آـنـهـ مـلـاـ جـاءـ زـوـجـهـاـ قـالـ لـهـ قـومـيـ إـلـىـ الـجـبـلـ لـتـحـلـفـيـ بـهـ قـالـتـ مـالـيـ طـاقـةـ بالـمـشـيـ فقال : اـخـرـجـيـ فـانـ وـجـدـتـ مـكـارـيـاـ أـكـتـرـيـتـ لـكـ فـقـامـتـ وـلـمـ تـلـبـسـ لـبـاسـهـاـ فـلـمـاـ خـرـجـ العـابـدـ وـرـجـتـهـ رـأـتـ الشـابـ يـنـتـظـرـ هـافـصـاـتـ بـهـ يـاـمـكـارـيـ أـكـتـرـىـ «ـكـذـاـ»ـ حـمـارـكـ بـنـصـفـ دـرـهـمـ إـلـىـ الـجـبـلـ قـالـ : نـعـمـ .

ثـمـ تـقـدـمـ وـرـفـعـهـاـ عـلـىـ الـحـمـارـ وـسـارـوـاـ حـتـىـ وـصـلـوـاـ إـلـىـ الـجـبـلـ فـقـالـتـ لـلـشـابـ

انزلني عن الحمار حتى أصعد الجبل ، فلما تقدم الشاب إليها القت بنفسها إلى الأرض فانكشفت عورتها فشتمت الشاب فقال : والله ما لي ذنب .

ثم مدت يدها إلى الجبل وحلقت له أنه لم يمسها أحد ولا نظر إنسان مثل نظرك إلى مذعر قتك غيرك وهذا الميكاري ، فاضطراب الجبل اضطرباً شديداً وزال عن مكانه وانكرت بنواسرائيل فذلك قوله تعالى :

« وَإِنْ كَانَ مَرْأُومٌ لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ». »

وفي زهر الريّع كان في الهند رجل شجاع غيور وله امرأة جميلة فاتفق انه سافر عنها ، فجلسست يوماً على قصرها فرأى برهمن من براهمة الهند شاباً فحصل بينهما عشق و وصال و كان يأتي إليها متى ما أراد ، فخرجت يوماً إلى بيت جارها وأتى ذلك الشاب إلى منزلها فلم يجدوها فخرج في طلبها فلما دخلت أخذ الشاب الهندي سوطاً كان معه وضر بها .

وكان في تلك الحالة أتى زوجها من السفير فقال لها برهمن : هذا زوجك أتى فكيف الحيلة ؟ فقالت : اضربني بهذا السوط فإذا دخل زوجي وسألتك فقل إن هذه المرأة فيها صرع أتى إليها بعد سفرك و طلبيوني لا عذبها بالأسماء و أقره عليها وأضر بها حتى يخرج منها الجن ، فتكلمت على زوجها عيشه وخرج الشاب الهندي وبعد هذا صارت كلما اشتهرت وصال الشاب الهندي صرعت نفسها ومضى زوجها يلتمس من الهندي و الهندي يمن عليه وبأخذ منه حق الجماعة حتى يأتي إلى منزله لأجل أن يعود ذها مما عنده فصار الرجل الغيور قواداً ديواناً .

وفي حكمية آل داود امرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها إلا من رضى الله عنه والمرأة السوء غل يلقيه الله في عنق من يشاء .

وقال داود عليه السلام المرأة السوء كا الحمل الثقيل على الشیخ الكبير ، والمرأة الصالحة كالتساح المرصع بالذهب كلاماً رآها قررت عينه .

وعن مولينا أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى :

« رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً » قال عليه السلام : المرأة الحسنات الصالحة

« وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً » حور ية من حور العين « وَقَاتَ عَذَابَ النَّارِ » امرئه السوء .

قال بعضهم :

لقد كنت محتاجاً إلى موت زوجتي
فياليتها صارت إلى القبر عاجلاً
أقول ، وحيث انجر الكلام إلى هذا المقام فينبغي أن نختمه بحديث المتكلمة بالقرآن
تذكرة للمغافلين وتنبيها للمغافلين وإشارة إلى أن الأخبار المطلقة في مذمة النساء
محمولة على الأفراد الغالبة وإنما فيها من لا يوجد مثلها في الرجال زهداً ورعاً
وصلاحاً .

قال عبد الله بن المبارك : خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام في بينما أنا في بعض
الطريق فإذا أنا بسواد يلوح فإذا هي عجوز فقلت : السلام عليك ، فقالت : سلام
قولاً من رب رحيم ، قلت لها : يرحمك الله ما تصنع في هذا المكان ؟ قالت : ومن
يضل الله فلا هادي له ، فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت لها : أين ت يريدين ؟ قالت :
سبحان الذي أسرى بيده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، فعلمت أنها
قضت حجتها وتريد بيت المقدس .

قلت لها : أنت منذكم في هذا الموضوع ؟ قالت : نلاط ليالى سوياً ، قلت : ما
أرى معك طعاماً تأكلين قالت : هو يطعمني ويسقين ، قلت : فبأي شيء تتوضين ؟ قالت :
فإن لم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً قلت : إن هي طعاماً فهل تأكلين ؟ قالت :
وأنتموا الصيام إلى الليل ، قلت : ليس هذا شهر رمضان قالت : ومن تطوع خيراً
 فهو خير له ، قلت : قد أتيح لنا الأفطار في السفر قالت : وأن تصوموا خيراً لكم
قلت : فلم لا تتكلمين مثل كلامي ؟ قالت : ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب
عيدي ، قلت : من أى الناس أنت ؟ قالت : ولا تتفق ما ليس لك به علم إن السمع
والبصر والرؤا كل أولئك كان عنه مسؤولاً ، قلت : قد أخطأت فاجعلني في حل

قالت : لا تشرب عليكم اليوم يغفر الله لكم ، قلت : فهل لك أن أحملك على ناقتي فتدركى القافلة ؟ قالت : وما تفعلوا من خير يعلمه الله .

فأنهخت ناقتي : فقالت : قل للمؤمنين يغدو من أبصارهم ، فغضضت بصرى عنها فلمـا أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت : وما أصحابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ، قلت لها : اصبرى حتى أعقلها ، قالت : ففهمـناها سليمان .

فسعدت لها الناقة قلت : اركبـي ، فركبت فقالت : سبحان الذي سخر لنا هذا وما كـنا له مقربـين وإنـا إلى ربـنا لمنقلبون ، قال : فأخذـت بزمام الناقة وجعلـت أسعـى وأصبحـ ، فقالـت : واقتـدـ في مشـيكـ وأغضـضـ من صـوتـكـ ، فجعلـت أمشـى روـيدـاـ وأترـنـم بالـشـعـرـ فقالـت : فـاقـرأـ ما تـيسـرـ من الـقـرـآنـ ، قـلتـ لهاـ : لـقـدـ أـوـتـ خـيـراـ كـثـيرـاـ ، قـالتـ وما يـتـذـكـرـ إـلـاـ أـولـاـ الـأـبـابـ .

فلما مشـيتـ بهاـقـيلـاـ قـلتـ : أـلـكـ زـوـجـ ؟ قـالتـ : يـاـ أـيـاهـ الـذـيـنـ آـمـنـواـ لـاتـسـئـلـواـ عـنـ أـشـيـاءـ إـنـ تـبـدـلـكـمـ تـسـوـهـكـ ، فـسـرـتـ حـتـىـ أـدـرـكـتـ الـقـافـلـةـ قـلتـ لـهـاـ هـذـهـ الـقـافـلـةـ فـمـنـ لـكـ فـيـهـاـ ؟ قـالتـ : الـمـالـ وـالـبـنـونـ زـيـنةـ الـحـيـوـيـةـ الدـنـيـاـ ، فـعـلـمـتـ أـنـ لـهـاـ أـوـلـادـ أـلـاـ قـلتـ : وـمـاـ شـائـعـ فـيـ الـحـجـ ؟ قـالتـ : وـعـلـامـاتـ وـبـالـنـجـمـ هـمـ يـهـتـدـونـ ، فـعـلـمـتـ أـنـهـمـ أـوـلـادـ الرـكـبـ فـقـصـدـتـ بـهـاـ الـقـيـابـ وـالـعـمـارـيـاتـ (١)ـ .

وقـلتـ : هـذـهـ الـقـيـابـ فـمـنـ لـكـ فـيـهـاـ ؟ قـالتـ : وـاـنـخـذـالـلـهـ إـبـرـاهـيمـ خـلـيـلاـ وـكـلـمـ اللـهـ مـوـسـىـ تـكـلـيـمـاـ يـاـ يـحـيـيـ خـذـالـكـتـابـ بـقـوـةـ ، فـنـادـيـتـ يـاـ إـبـرـاهـيمـ يـاـ مـوـسـىـ يـاـ يـحـيـيـ فـاـذـاـ بـشـيـانـ كـائـنـ الـدـنـانـيـرـ قـدـ أـقـبـلـواـ .

فلـمـاـ اـسـتـقـرـبـهـمـ الـجـلوـسـ قـالتـ : فـابـعـشـواـ أـحـدـكـمـ بـوـرـقـكـمـ هـذـهـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ فـاـيـسـطـرـ أـيـهـاـ أـزـكـىـ طـعـامـاـ فـلـيـأـتـكـمـ بـرـزـقـ هـنـهـ ، فـمضـىـ أـحـدـهـمـ وـاشـتـرـىـ طـعـامـاـ فـقـدـمـهـ فـقـالـتـ كـلـواـ وـاـشـبـواـ هـنـيـاـ بـمـاـ أـسـلـفـتـمـ فـيـ الـأـيـامـ الـخـالـيـةـ قـلتـ الـأـنـ طـعـامـكـ حـرـامـ عـلـىـ هـتـىـ تـخـبـرـ وـنـيـ بـأـمـرـهـاـ قـالـاـ : إـنـهـاـ أـمـسـنـاـ وـلـهـاـ هـنـذـ أـرـبـعـينـ سـنـةـ لـاتـكـلـمـ إـلـاـ بـالـقـرـآنـ مـخـافـةـ أـنـ تـزـلـ فـيـسـخـطـ عـلـيـهـاـ الرـحـمـنـ .

تبسيط وتحقيق

قال الشارح المعتزلي في شرح هذا الكلام له ^{بيانه}: وهذا الفصل كله رمز إلى عايشة ولا يختلف أصحابنا في أنها أخطأت فيما فعلت ثم تابت وماتت تائبة وأنها من أهل الجنة.

قال قال كل من صنف في السير والأخبار إن عايشة كانت من أشد الناس على عنمان حتى أنها اخرجت ثوباً من ثياب رسول الله ^{الله عز وجل} فنصبته في منزلها وكان يقول للد أخلين إلهاهذا ثوب رسول الله ^{الله عز وجل} لم يبل وعنمان قد أبلى سنته. قالوا أول من سمي عنمان نعشلا عايشة والنعشل الكثير شعر اللحمة والجسد، وكانت تقول أقتلوا نعشلا قتل الله نعشلا.

و روى المدائني في كتاب الجمل قال : لما قتل عنمان كانت عايشة بمكّة وبلغ قتلها إليها وهي بشرف فلم تشک في أن طلحة هو صاحب الأمر و قالت بعدها لنعشل و سحقاً ايها ذا الاصبع ايها أباشبليه يابن عم (١) لكتنى انظر إلى اصبعه و هو يباعع له حثوا الابل و دعدتها (٢) قال و قال أبو مخنف : إن عايشة لما بلغها قتيل عنمان وهي بمكّة أقبلت مسرعة وهي تقول ايها ذا الاصبع لله أبوك أما أنتم وجدو اطلحة لها (٣). كفوا

١- أراد به طلحة لأن طلحة وعايشة كلاهما من بنى تم و لذلك كانت هواهافى كون الامر بطلحة منه (رد).

٢- في نسخة ابن أبي الحديد التي عندى حثوا الابل بالثان، المثلثة و دعد عنها بالدال المهملة و على ذلك فلعل حثوا الابل من كلام عايشة امر بسوق الابل وحثها على السير و لفظة دعدتها من كلام الراوى اي حركت عايشة ابليا للعدو و قال في القاموس والدعدع عدو في بطوه ولكن في البخار عن ابن أبي الحديد حثوها لابل و ذعنوها قال المجلسى (رد) في تفسيره اي جعلوا اصبعه منحنية للبيعة لابل و ذعنوها اي كسروها و بدروها لجوهم على البيعة اتى فعلى ما ذكره حثوها باللون المهملة و ذعنوها بالذالين المعجمتين من الدندع منه (رد) .

٣- اي للخلافة .

فَلَمَّا انْتَهَتِ إِلَى شَرَافِ اسْتِقْبَلِهَا عَبْيَدُ بْنُ أَبِي سَلْمَةَ الْلَّيْثِي فَقَالَتْ لَهُ : مَا عَنْدَكَ ؟
 قَالَ : قُتِلَ عُثْمَانَ قَالَتْ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : ثُمَّ جَازَ بِهِمُ الْأَمْوَارُ إِلَى خَيْرٍ مَجَازٍ بِإِيمَانِهِ عَلَيْهِ
 فَقَالَتْ : لَوْدَدْتُ أَنَّ السَّمَاءَ انْطَبَقَتْ عَلَى الْأَرْضِ إِنْ تَمَّ هَذَا وَيَحْكُمَ انْظَرْ مَاذَا تَقُولُ
 قَالَ : هُوَ مَا قَلْتُ لَكَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فَوَلَوْلَاتُ ، فَقَالَ لَهَا : مَا شَأْنُكَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهُ
 مَا أَعْرَفُ بَيْنَ لَابْتِيهَا أَحَدًا أَوْلَى بِهَا مِنْهُ وَلَا أَحَقُّ وَلَا أَرَى لَهُ نَظِيرًا فِي جَمِيعِ حَالَتِهِ
 فَلَمَّا ذَاقَ تَكْرِهِينَ وَلَا يَتَّهِيَهُ قَالَ : فَمَا رَدَّتْ عَلَيْهِ جَوَابًا .

وَفِي رَوْضَةِ الصَّفَا وَقَالَ عَبْيَدَةُ بْنُ أَبِي سَلْمَةَ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَبِيَاتٍ مِنْهَا قَوْلُهُ :

فَمِنْكَ الْبَدَارُ وَمِنْكَ الْمَغْرِبُ
 وَمِنْكَ الرِّيحُ وَمِنْكَ الْمَطَرُ
 وَأَنْتَ أَمْرَتَ بِقَتْلِ الْأَمَامِ

قال أبو مخنف : وقد روى من طرق مختلفة أن عايشة لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة
 قالت : أبعده الله ذلك بما قدمت يداه وما الله بظلام للعيين.

قال : وقد روى قيس بن أبي حازم أنه حج في العام الذي قتل فيه عثمان
 و كان معه عايشة لما بلغتها قتلته فتحمل إلى المدينة قال فسمعها تقول في بعض
 الطريق : أيد ذالاصبع وإذا ذكرت عثمان قالت : أبعده الله حتى أتها خبر بيعة علي
 فقالت : لوددت إن هذه وقعت على هذه ، ثم أمرت برد ركابها إلى مكة فرددت معها
 ورأيتها في مسيرةها إلى مكة تخطاطب نفسها كأنها تخطاطب أحداً : قتلوا ابن
 عفان مظلوما .

فقللت لها : يا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ألم اسمعك آنفًا تقول أبعده الله وقد كنت قبل أشد
 النَّاسِ عَلَيْهِ وَأَتَبْحَثُمْ فِيهِ قَوْلًا فَقَالَتْ : لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ وَلَكِنِّي نَظَرَتْ فِي أَمْرِهِ فَرَأَيْتُهُمْ
 اسْتِقْبَالَهُ حَتَّى تَرَكُوهُ كَالْفَضَّةِ الْبَيْضَاءِ أَتُوْهُ صَائِمًا مَحْرُمًا فِي شَهْرِ حَرَامٍ فَقُتْلُوهُ .
 ثُمَّ قَالَ : قَالَ أَبُو مَخْنَفَ جَاءَتْ عَائِشَةَ إِلَى أُمَّ الْسَّلَامَةَ تَخَادِعُهَا عَلَى الْمُخْرُجِ لِلْطَّلَبِ
 بِدِمِ عُثْمَانَ ، فَقَالَتْ لَهَا : يَا بَنْتَ أَبِي أُمِيَّةَ أَنْتَ أَوْلَى مَهَاجِرَةً فِي أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ وَالشَّفَقَةُ وَأَنْتَ
 كَبِيرَةُ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ وَالشَّفَقَةُ يَقْسِمُ لَنَا مِنْ يَمِّنَكَ وَكَانَ جَبْرِيلُ أَكْثَرَ
 مَا يَكُونُ فِي مِنْزِلِكَ فَقَالَتْ : أُمَّ السَّلَامَةَ : لَا مِرْ مَا قَلْتُ هَذِهِ الْمَقَالَةَ ؛ فَقَالَتْ عَائِشَةَ :

إنَّ عبدَ الله أخْبَرَنِي أَنَّ الْقَوْمَ اسْتَابُوا عَلَى عَشْمَانَ فَلَمَّا تَابَ قَتَلُوهُ صَائِمًا فِي شَهْرِ حَرَامٍ وَقَدْ عَزَّمَتُ الْعَرْوَجَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَمَعِي الزَّبَرُ وَطَلْحَةُ فَاحْرَجَنِي مَعْنَا لِعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَصْلِحَ هَذَا الْأَمْرَ عَلَى أَيْدِينَا وَبَنَا.

فَقَالَتْ إِنَّا مَسْلَمَةٌ إِنْكَ كُنْتَ بِالْأَمْسِ تَهْرُضُنِي عَلَى عَشْمَانَ وَتَقُولُ فِيهِ أَخْبَثَ الْقَوْلَ وَمَا كَانَ أَسْمَعَنِي عَنْكَ إِلَّا نَعْشَلَ وَإِنْكَ لَتَعْرَفَنِي مِنْزَلَةً عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَانَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَادْكَرْكَ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ .

قَالَتْ : أَنْذَرْكِ بْنَ يَوْمِ أَقْبَلِ عَلَيْهِمُ الْمَسَاءُ وَنَحْنُ مَعَهُ حَتَّى إِذَا هَبَطْتَ مِنْ قَدِيدِ ذَاتِ الشَّمَالِ خَلَالَ بَعْدِ عَلَيْهِمُ الْمَسَاءُ يَنْاجِيَهُ فَأَطَالَ فَأَرْدَتَ أَنْ تَهْجُمَنِي عَلَيْهِمَا فَنَهَيْتُكَ فَهَجَمْتَ عَلَيْهِمَا فَمَا لَبِثْتَ أَنْ رَجَعْتَ بِاَكِيَةً فَقَلْتَ : مَا شَأْنُكَ ؟ قَالَتْ : إِنِّي هَجَمْتَ عَلَيْهِمَا وَهُمَا يَتَنَاجِيَانِ ، فَقَلْتَ لِعَلَيِّ : لَيْسَ لِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا يَوْمَ مِنْ تِسْعَةِ أَيَّامٍ أَفْمَاتُ دُعْنِي يَابْنَ أَبِي طَالِبٍ وَيَوْمِي فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ وَهُوَ غَضِيبٌ مُحْمَرٌ الْوَجْهُ فَقَالَ : أَرْجِعْنِي وَرَاءَكَ وَاللَّهُ لَا يَغْضُضُهُ أَحَدْمَنِي أَهْلَ بَيْتِي وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا هُوَ خَارِجٌ مِنَ الْإِيمَانِ ، فَرَجَعْتُ نَادِمَةً ساقِطَةً.

فَقَالَتْ عَائِشَةُ : نَعَمْ اذْكُرْ ذَلِكَ.

قَالَتْ وَادْكُرْ أَيْضًا كُنْتَ أَنَا وَأَنْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْتَ تَخْسِلِينَ رَأْسَهِ وَأَنَا أَحِيسَ لَهُ حِيسًا ^(١) وَكَانَ الْحَيْسُ يَعْجِبُهُ فَرَفَعَ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ وَقَالَ : لَيْتَ شِعْرِي أَيْتَكَنْ صَاحِبَ «صَاحِبَةَ ظَلَّةِ الْجَمْلِ الْأَذْنَبِ» ^(٢) تَنْبِيَحُهَا كَلَابُ الْحَوَّبِ فَتَكُونُ نَاكِبَةً عَنِ الْصِّرَاطِ فَرَفَعَتْ يَدِي مِنَ الْحَيْسِ فَقَلْتُ أَعُوذُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُنَّ ذَلِكُمْ ذَلِكُمْ ، نَمْ ضَرَبَ عَلَى ظَهْرِكَ وَقَالَ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَنِيهَا ، نَمْ قَالَ : يَا بَنْتَ أَبِي أُمِيَّةَ إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَنِيهَا ، يَا حَمِيرَاءَ أَمَا

١- الحَيْسُ تَمَرُ يَخْلُطُ بِسِمْنٍ وَأَقْطَعُ فِيهِ جُنُونًا شَدِيدًا ثُمَّ يَنْدَرُ مِنْهُ نَوَافِرُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ السُّوْرِقَقُ .

٢- فِي نَسْخَةِ ابْنِ ابْيِ الْحَدِيدِ الَّتِي عَنْدِي لَفْظُ الْأَذْنَبُ بِالذَّالِّ وَالْنُونِ وَلِعَلَّهُ تَصْحِيفُ الصَّحِيفِ مَا فِي الْقَامُوسِ قَالَ وَالْأَدْبُ الْجَمْلُ الْكَثِيرُ الشِّعْرُ وَبِاظْهَارِ التَّضْعِيفِ جَاءَ فِي الْحَدِيدِ صَاحِبِ الْجَمْلِ الْأَدْبُ مِنْهُ .

أني فقد أذنك.

قالت عايشة ؟ نعم اذكر هذا .

قالت و اذكرك أيضاً كنت أنا و أنت مع رسول الله ﷺ في سفر له و كان عليٌّ يتعاهد نفلي رسول الله ﷺ فيخصصها و يتعاهد أنوابه فيغسلها ، فبقيت له نعل يومئذ يخصصها و بعد في ظل سمرة (١) وجاء أبوك و معه عمر فاستأذنا عليه فقمنا إلى الحجب و دخلا يحادثاه فيما أرادا ، ثم قال : يا رسول الله إنا لاندرى قدر ما تصحبنا فلو أعلمتنا من يستخلف علينا ليكون بعده لنا مفزعًا ، فقال لهم : أما آنئى أرى مكانه ولو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرقتم بنو اسرائيل عن هارون بن عمران ، فسكتنا نم خرجا ، فلما خرجن إلى رسول الله قلت له : و كت أجر ، عليه مني من كنت يا رسول الله مستخلفا عليهم ؟ فقال ﷺ : خاصف النعل ، فنزلنا ولم نر أحداً إلا عالياً ، ققلت : يا رسول الله ما نرى إلا عالياً ، فقال : هو ذاك .

قالت عايشة : نعم اذكر ذلك .

قالت فأي خروج تخرجين بعد هذا ؟ فقال : إنما أخرج للإصلاح بين الناس و أرجو فيه الأجر إن شاء الله ، فقالت : أنت و رأيك فانصرفت عايشة عنها فكتبت أم سلمة ما قالت و قيل لها إلى علي .

قال الشارح بعد نقل هذه الرواية : فان قلت فهذا نص صريح في إمامته على ^{عليه السلام} فما تصنع أنت و أصحابك المعتزلة فيه ؟

قلت : كلام إنما ليس بنص كما ظنت لا أنه لم يقل قد استخلفت وإنما قال لو استخلفت أحداً لاستخلفته ، و ذلك لا يقتضي حصول الاستخلاف و يجوز أن يكون مصلحة المسلمين متعلقة بالتبعد عليه لو كان النبي مأموراً بأن ينص على إمام بعينه من بعده فيكون من مصلحتهم أن يختاروا لأنفسهم من شاؤوا إذا تركهم النبي وأراهم ولم يعين أحداً .

ثم قال : قال أبو مخنف : و ارسلت إلى حفصة تسأليها الخروج والمسير فبلغ

ذلك عبد الله بن عمر فأتى اخته فلزم عليها فاقامت وحيطت الرحال بعد ماهمت
قال : وكتب الاشتراك من المدينة إلى عايشة وهي بمكة : أمّا بعد فانك ظعينة
رسول الله وقد أمرك أن تقرئ في بيتك فان فعلت فهو خير لك ، فان أتيت إلا أن
تأخذ هنستك (١) و تلقى جلباك و تبدي للناس شعير اتك قاتلتك حتى أردىك إلى
بيتك والموضع الذي يرضاه لك ربك.

فكثبتت إلى في الجواب أمّا بعد فانك أول العرب شب الفتنة ودعا إلى الفرقة
و خالفت الأئمة وقد علمت أنك لن تعجز الله حتى يصيبك منه بنقمة ينتصر بها منك
للخليفة المظلوم ، وقد جائني كتابك وفهمت ما فيه و سيفينك وكل من أصبح
ممثلا لك في ضلالك و غيرك إنشاء الله .

قال أبو مخنف : لما انتهت عايشة في مسيرةها إلى الحبيب وهو ماء لبني عامر
ابن صعصعة بتحتها الكلاب حتى نفرت صعباً إبليها فقال قائل من أصحابها الآترون
ما أكثر كلاب الحبيب وما أشد نباحها ، فأمسكت زمام بغيرها وقالت : و إنها
لكلاب الحبيب ردوني ردوني فاني سمعت رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول ، و ذكرت الخبر ،
فقال قائل . يرحمك الله فقد جزنا ماء الحبيب فقالت فهل من شاهد ؟ فلافقوا الـ ٥٥
أعرايساً جعلوا لهم جعلا فحملوا أن هذا ليس بماء الحبيب فسارط لوجهها .
انتهى ما أهمنا نقله من كلامه هبط مقامه .

أقول لا يخفى على الناقد البصير والذكي الغبير المراقب للعدل والانصاف
والمحاجب للتغصّب والاعتساف وجوه الدلالة فيما أورده الشارح ورواه على مطاعن
عايشة أم الفاسقين وفضائح المتخلفين الذينهم أئمة النصارى وجنود ابليس اللعين ،
ولا يخفى عليه أيضاً عصبية الشارح و من حذا حذوه من أصحاب المعتزلة في حق
الخطيئة وأوليائهم ثلاثة ولا يأس بالتنبيه على بعض تلك الوجوه فأقول :
أولاً أن ما ذكره من خطأ الخطئة مسلم وما عقبه به من توبتها وكونها من
أهل الجنة ممنوع ولابد للمدعى لها من الآيات وأتي لهم بذلك ، بل الظاهر من

حالات عايشة و فرط بغضها و شدة عداوتها لعليٰ هو العدم و يؤيد ذلك أنها كانت في مقام الملاجاة والعداوة مع خليفتهم عثمان حتى سمعت نعيلا ، والنعش على مافي القاموس الشيئ الأحمق ويهودي كان بالمدينة و رجل لحياني كان يشبه به عثمان اذا نيل منه وكانت تقول : اقتلوا نعيلا قتل الله نعيلا ، و كانت باقية على عداوتها بعد وفاته أيضا حيث إنها كانت تقول بعداً لنعش و سحقا و تقول أبعد الله ذلك بما قدّمت يداه و ما ربيك بظلام للعبيد و كذلك نار غضبها و نايرة حسدها لا هير المؤمنين عليهما لم تكن بحث تطفى .

يدلك على ذلك ما رواه الحميدي في الجمع بين الصحيحين أن ابن الزبير دخل على عايشة في مرضها فقالت له إني قاتلت فلانا و سمت المقاتل برجل قاتلته وقالت لوددت أنني كنت نسياً منسيأ ، فإنْ تغيرها عنه عليه السلام بالرجل و بفلان من دون أن يذكر لقبه الشريف أو اسمه السامي مقروناً بالتعظيم تدل على فرط عصبيتها واستنكافها من التصرّح بالاسم واللقب .

و أظهر من ذلك ما رواه الشزار في هذا المقام من أنه لما بعث أمير المؤمنين ابن عباس بعد انتهاء حرب الجمل إلى عايشة يأمرها بالرُّحيل إلى المدينة قال لها: إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام أرسلني إليك يأمرك بالرُّحيل إلى المدينة فقالت : وَأَيْنَ أمير المؤمنين ذاك عمر، فقال: عمر وعلى، قالت: أثبت إلى أنْ قالت إني معجلة الرُّحيل إلى بلادي انشاء الله والله ما من بلد أبغض من بلد أنتم فيه.

فإن استكرّاها من إطلاق لفظ أمير المؤمنين عليه الذي لقبه الله تعالى به وأمر رسوله بأن يأمر أصحابه على السلام عليه بأمرة المؤمنين ، على ما ورد في غير واحد من الروايات ، دليل على كراحتها لحكم الله و إنكارها لأمر رسوله و ما ذلك إلا من فرط الحقد والحسد.

و ببابى إنّي رأيت في بعض الروايات (١) أنها سمت بعد وفات أمير المؤمنين

١- وهو رواية مسروقة المروية في البخار من تلخيص الشافعى قال روى عن مسروق انه قال

و شهادته أحد غلاماته عبدالرحمن أخذها من اسمه عبدالرحمن قاتل أمير المؤمنين
شعفأ بقتله و تيمتنا باسمه .

و هنا لطيفة وهي أن بهلول العاقل مرّ يوما بجماعة يذاكرون الحديث ويررون
عن عاشرة أنها قالت : لو أدركت ليلة القدر لما سألت ربِّي إِلَّا العفو والعافية ،
فقال بهلول : و الظفر بعلي بن أبي طالب يعني أنها كانت أهؤ مسؤولاً عنها الظفر عليه عَلَيْهِ الْمَنَاءُ .
هذا كله مضافا إلى أن توبتها لا يمكن أن تحصل بمجرد الندم
على الخروج من البيت و الحرب بل يتوقف على التفصي عمما أرافقها
من دماء المسلمين من الأنصار والمهاجرين و ما نهبت من بيت هال المسلمين
إلى غير ذلك من المفاسد والمظالم ، ولم يتحقق منها شيء من ذلك وأنت لها بذلك .
وثانية أنها إن كانت صادقة في قولها أن عثمان قد أبلى سنة رسول الله وَالله أعلم
فعليه لعنة الله ، وإن كانت كاذبة فعليها غضب الله .

وثالثاً أن اللازم عليها أن تكون سالمة لمن سالمه رسول الله وَالله أعلم وحربا
لمن حاربه محبة لمن أحبه و مبغضة لمن أبغضه و شفها بكون الخلافة لطلحة
واستنكافها من كونها لأمير المؤمنين يدل على عكس ذلك .

و ذلك لأن رسول الله وَالله أعلم توفى وهو ساخط على طلحة المكلمة التي قالها
يوم نزلت آية المحجوب على ما قدّمتها روايتها في تذليل الشانى من تذليلات الفصل
الثالث من فصول الخطبة الثالثة ، وفي الطعن الثالث عشر من مطاعن عثمان التي أوردها
في التذليل الثاني من تذليلات كلامه الثالث والأربعين و مات وهو راض عن
أمير المؤمنين طلاقاً فكانت عاشرة ساخطة لأمير المؤمنين راضية عن طلحة موذية
لرسول الله مخالفة لرأيه طارحة للغيرة والحمية .

ورابعاً أن هجومها على رسول الله و علي حين ما يتناجيان و قولها لعلي

دخلت على عاشرة فجلست إليها فحدثتني واستدعت غلاما لها اسود يقال له عبدالرحمن فجاء حتى
وقف فقالت يا مسروق اتدري لم سميتها عبدالرحمن قلت لا فقالت جامنی بعد الرحمن بن
ملجم منه .

ليس لي من رسول الله إلا يوم من تسعة أيام ألماتدعني يابن أبي طالب ويومي ، يدل على قلة حيائنا وعدم مبالاتها .

وخامساً أنَّ قول رسول الله لها وهو غضبان محممر الوجه : ارجعى ورائك والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلا و هو خارج من الإيمان ، تدل على كونها بغضلاً مير المؤمنين لبيك يا مخلوق خارجة من الإيمان ورجوعها بعد إلى الإيمان محتاج إلى البينة والبرهان ولم يثبت بالبديهة والعيان .

و سادساً أنَّ سؤال رجلين عن رسول الله من الخليفة والخلافة في حال السفر مع عدم اقتضاء الحال والمقام لذلك لما عليهم من تعب السفر ووصيته إما أن يكون رعاية لمصلحة الإسلام وإشراكاً للامة وشدة في الدليل والإيمان أم استخباراً من وقت وفات الرسول وتحصيلاً للعلم بأنهما متى يكونان مطلقي العنان ، أم طمعاً منهم في الخلافة وحرصاً في الولاية ورجاء لأن ينص على أحدهما ويفيد البينة .

لا سيل إلى الأول حتىأ زعمه الشارح المعتزلي وصرح به في كلامه الذي حكيناه في أوآخر المقدمة الثانية من مقدمات الخطبة الشيشقية وفي غيره من كلماته أيضاً في تضاعيف الشرح إذ لو كان غرضهما الرعاية لجانب الدين و الشفقة على الأمة كان اللازم عليهم الاصرار على السؤال والاكمال في الكلام حتى يسفر لهما وضح الحق ، وكان ينبغي لهم بعد ما اجتذبواهما رسول الله بقوله : إني قد أرى مكانه ولو فعلت لتفرقتم عنه أن يقولا : دلنا يا رسول الله على مكانه نعرفه و نلazمه و كيف يمكن أن تتفرق عنك بعد تعينك إيه وأمرك باتباعه ، فلما لم يصر على السؤال ولم يتفوهها بشيء من ذلك وسكتا وخرجما بمجرد أن قال لهم رسول الله : أرى مكانه علم أنَّ غرضهما لم يكن الاشغال على الأمة لحفظ مصلحة الإسلام وإنما كان الطمع في الخلافة فلما قال أرى مكانه يأسفونهما وعلما أنَّ الخليفة غيرهما فسكتا وخرجما وسابعاً أنَّ قوله : لتفرقتم عنه كما تفرق بنو اسرائيل عن هارون ، لا يخفى ما في هذا التشبيه من النكتة ، فان هارون كان وصيَّ موسى و بنو اسرائيل قد تفرقوا عنه و اتخذوا عجلة جسداً له خوار ، لا يكلّهم ولا يهدّهم سبلاً فاظهر

صلوات الله عليه بهذا الكلام ما في قلبهما من النفاق وأعلمهم أنهم يتفرقون عن وصيّه ولا يطعون أمره كما خالف بنو إسرائيل موسى وتفرقوا عن هارون .
وناتنا أن إنكار الشارح لدلالة الرواية على خلافة أمير المؤمنين لمعنى له ،
إذ قوله : لفعلت لتفرقتم وإن لم يكن مستلزمًا لوقوع الفعل إلا أن الضمير في
أرى مكانه راجع إلى المسؤول عنه وقدس الأعن المستخلف والمفزع فقال : أرى مكانه
فيبدل على أن المستخلف والمفزع كان موجوداً حين السؤال وإلا لزم أن يكون
كلامه غير مطابق للواقع وننحو بالله من ذلك .

وهذا كلامه بعد الفض عن صحة الرواية وعن تصحيح العامة فيها وإلا فقد
قدمنا هذه الرواية من الاحتجاج في التنبئي الثاني من تنبئات الكلام الثالث عشر
وفيها أنّ ما قالا : يارسول الله فهل استخلفت أحدا ؟ قال : ما خلقيت فيكم إلا خاص
النسل فمرأ على علي وهو يخصف نعل رسول الله ، وعليه فالرواية ناصحة على خلافته
من هذه الجهة أيضاً .

وتقاسعاً ما زعمه الشارح من جواز كون المصلحة في اختيار الامة لا نفسم
من شاؤوا وترك النبي لهم فارائهم فاسد جداً ، إذ قد أثبتنا في المقدمة الثانية من
مقدّمات الخطبة الشّقشيقية وجوب عصمة الامام ، والعصمة ملكة خفية لا يمكن أن
يبلغها الجهل والضلال ويدركوها بأوهامهم فيقيموا إماماً بآرائهم .

وقد مر في شرح الخطبة الثانية بطال الرضا عليه السلام لهذا الزعم الفاسد
والرأي الكاسد حيث قدّمنا هناك منه رواية شريفة في معرفة شأن الامام و قوله عليه السلام
فيها : إن الامامة أجل قدرأ وأعظم شأنأ وأعلا مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من
أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماماً باختيارهم إلى آخر ما
قاله ، وفيه كفاية لمن له علم ودرأية هذا .

وقد مر في شرح الكلام الثالث عشر بعض مطاعن عايشة وشطر من الكلام
فيها فليراجع ثمة .

الترجمة

ازجمله خطبهای آن حضرتست بعداز انقضاء حرب جمل در مذمت زنان میفرماید و مقصود آن حضرت طعن بر عایشه بود و توبیغ باهل بصره که تابع آن خاطئه بودند :

جماعـة مردان بدرستی که طایفـة زنان ناقص الایمانـد و ناقص النصـبـند و ناقص العـقـلـند اـمـا ناقص اـیـمـان اـیـشـان پـس نـشـسـتـن اـیـشـان اـسـت اـز نـماـز وـرـوزـه درـاـیـام حـيـضـشـان ، وـأـمـا نـقـصـان عـقـل اـیـشـان پـس شـهـادـه دـو زـن مـثـل شـهـادـت يـكـمـرـدـاست ، وـأـمـا ناقص بـودـن نـصـيب اـیـشـان پـس مـیرـانـهـای اـیـشـان بـرـنـصـفـهـاست اـز مـیرـاث مـرـدان ، پـس بـتـرسـید اـز بـدـتـرـین زـنـان و بـیـاشـید اـز خـوـبـتـرـین آـنـها بـرـحـذـر ، وـاطـاعـت نـکـنـید آـنـهـارـا درـکـارـهـای پـسـنـدـیدـه تـا اـینـکـه طـمـع نـنـمـایـنـد درـکـارـهـای نـاـپـسـنـدـیدـه ، وـنـعـمـ ماـقـیـل :

هـمـدـرـین عـالـمـسـتـدـوـزـخـ اوـ	زـنـ بـدـ درـ سـرـای مـرـدـ نـکـوـ
وـقـنـا رـبـنـا عـذـابـ النـارـ	زـنـهـارـ اـزـقـرـین بـدـزـنـهـارـ

و من خطبة له عليه السلام وهي الثمانون من المختار في باب الخطب

أَيُّهَا النَّاسُ الزَّاهِدُهُ قَصْرُ الْأَمْلِ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النَّعْمِ، وَالْوَرَعُ عِنْدَ
الْمَحَارِمِ، فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَغْلِبُ الْحَرَامُ صَبَرَكُمْ، وَلَا
تَنْسَوْا عِنْدَ النَّعْمِ شُكْرَكُمْ، فَقَدْ أَعْدَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَّ مُسِفِرَةٍ وَكُتُبٍ
بَارِزَةٌ الْعُذْرِ وَاضِحَّةٌ.

اللغة

(الزَّاهِدَةُ) كسعادة والزَّهَد بمعنى وهو ترك الميل إلى الشيء وفي الاصطلاح

إعراض النفس عن الدنيا وطيباتها ، وقيل : هو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة
 و (عزب) الشيء بالعين المهملة والزاء المعجمة غاب وذهب و (أعذر الله إليكم)
 أظهر عذرها والأظهر أن يكون الهمزة للسلب كما قيل في الحديث : أعذر الله إلى
 من بلغ من العمر ستين سنة ، أى أزال عنده قال في النهاية أى لم يبق فيه موضع
 للاعتذار حيث أمهله طول هذه المدة ولم يعتذر.

الاعراب

الواو في قوله والشكر والورع عاطفة تقييد الجمع مع المصاحبة ، قوله :
 وكتب بارزة العذر واضحة ، اعلم أنه قد حقق في الأدبية أن النعت لابد أن يطابق
 معنوطه في وجوه الاعراب الثلاثة الرفع والتنصب والجر وفي التعريف والتشكير
 تقول جاء زيد الفاضل بالرُّفع فيهما وجائني رجل فاضل كذلك وهكذا .
 و أن يطابقه في الأفراد والتثنية والجمع والتدكير والتأنيث أيضاً إن اسند
 النعت إلى ضمير المعنوت حقيقة أو تأويلاً وتعنى بالاسناد الحقيقى ان يجري النعت
 على من هو له ، تقول جائتني امرأة كريمة ورجل كريم ورجلان كريمان ورجال
 كرام وهكذا ، ففي الوصف في الجميع ضمير مستتر عايد إلى الموصوف باعتبار حاله
 في التأنيث ونقضه والأفراد ونقضيه ، وتعنى بالاسناد التأويلى أن يجري النعت على
 غير من هو له إذا حاول الاستناد عن الظاهر إلى ضمير المعنوت .
 و جر الظاهر بالإضافة إن كان معرفة ونصب على التمييز إن كان نكرة تقول
 جائتني امرأة كريمة الاب بالإضافة أو كريمة أبا بالتمييز وجائني رجالان كريما الاب
 أو كريمان ابا ورجال كرام الآباء أو كرام آباءفان الوصف في جميع ذلك رافع
 ضمير الموصوف تحويلاً وتأويلاً .

و ان اسند النعت إلى الاسم الظاهر أو إلى الضمير البارز لا يلاحظ حال
 المعنوت في الأفراد ونقضيه والتدكير ونقضه بل يعطى الوصف حكم الفعل تقول :
 مررت برجل قائمة امه وبامرأة قائم أبوها كما تقول قامت امه وقام أبوها وهكذا
 تقول أيضاً جائني غلام امرأة ضاربة هي وأمة رجل ضاربها هو ، كما تقول ضربته هي

و ضربه هو هكذا .

إذا عرفت ذلك فأقول : إن قوله عليه السلام بارزة العذر صفة للكتب مسند إلى ضمير موصوفه تأويلا ، و قوله واضحة صفة أيضا لكنها مسندة إلى الضمير حقيقة أو محذوفة الفاعل بقرينة المذكور و لذلك وافقنا مع الموصوف في الاعراب و التأنيث و التثنكير و إنما اتي بهما مفردا إما باعتبار فاعلهمما أو باعتبار تأويل الموصوف بالمفرد فافهم .

المعنى

اعلم أنَّ مقصوده بهذه الخطبة بيان معنى الزَّهْد والتَّنبِيَّه على لزومه لكونه من عظائم مَكَارِم الصالحين وجلالـ صفات المتقين وعمدة مقامات السالكين إلى الله تعالى بقدمي الطاعة واليقين ، والرَّغبة ضدَّه والأول من جنود العقل و الثاني من جنود الجهل وقد فسره بقوله (أيَّهَا النَّاسُ الزَّهادَةُ قُصْرُ الْأَمْلِ وَالشَّكْرُ عَنِ النَّعْمَ وَالْوَرْعُ عن المحارم) و هذه التَّلائِةُ من لوازِم الزَّهادَةِ فيكون تعرِيفاً بالخاصَّةِ المركبة وإنماقلنا إنَّها من لوازِمِه لأنَّ الزَّهادَةَ في الحقيقة عبارة عن اعراض النَّفْسِ عن الدُّنْيَا و إقبالها إلى الآخرة ، و من هنا يقال إنَّه جعل القلب حيَّاً بمناشدة هدة أحوال الآخرة وهيستا في طمع الدنيا ، و من المعلوم أنَّ اعراض النَّفْسِ عن الدُّنْيَا مستلزم لقصر الْأَمْلِ فيها ، والاقبال إلى الآخرة مستلزم للشَّكْرِ إذ الكفران موجب للعذاب باعث للسُّخط والعقاب كما قال تعالى :

« وَلَئِنْ كَفَرُتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ».

و كذلك يلزم الورع عن المحارم و الكف عنها إذ لا ينال ما عند الله إلا بالورع قال الصادق عليه السلام في رواية الوسائل : عليكم بالورع فإنه الدين الذي نالزمه وندين الله تعالى به ونزيده ممن يوالينا لاتتبعونا بالشفاعة وفي حديث أبي ذر قال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يا أباذر من لم يأت يوم القيمة بشلال فقد خسر ، قلت : و ما الثالث فدالك أبي وأمي ؟ قال : ورع يمحجزه عمما حرم الله عز وجل عليه ، وحلم يرد به جهل السفهية ، وخلق يداري به الناس ، هذا .

و لما كان ملازمة هذه الأمور الثلاثة بأجمعها شاقة صعبة في حق الأغلب من الناس لاجرم رخص لهم في طول الأمل بقوله (فان عزب) وبعد (ذلك عنكم فلا يغلب العرام صبركم ولا تنسوا عند النعم شكركم) يعني أنكم إن لم تتمكّنوا من الاتيان بالامور الثلاثة فلامحالة لا ترکوا الاثنين إذ ما لا يدرك كله لا يترك كله، وإنما رخص في ترك طول الأمل ولم يرخص في ترك الشكر أو الورع لأن طول الأمل ليس محراً بالذات وإن كان ينجر إلى المحرم أحياناً بخلاف الكفران والتقطيع في المحارم ، فأنهم ما محترمان بالذات والترخيص فيما موجب للاغراء بالقبيح . ثم أكد ملازمة الزهادة و عمل لزومها بقوله (فقد أعد الله إليكم بحجج مسافرة و كتب بارزة العذر واضحة) يعني أظهر عندهم إليكم في تعذيبكم لو خالقتم تكاليفه باقامة الحجج الظاهرة المضيئة وإنزال الكتب الواضحة التي أبرز فيها عذره ، ليهلك من هلك عن بيته و يحيى من حي عن بيته ، و لثلايكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

أو أنه سبحانه أزال عنده باقامة البراهين العقلية والنقلية والحجج الباطنية والظاهرية فلم يبق لكم مقام للاعتذار وأن تقولوا يوم القيمة ربنا لو لا أرسلت اليهار سولا فتتبع آياتك من قبل أن نذل و نخزي .

تبصرة

ينبغي أن نشير إلى بعض ما ورد في فضيلة صفة الزهادة و ذم نقيضها أعني الرغبة من الآيات والأخبار و نرد ذلك بذكر اقسام الزهد .
فأقول قال سبحانه:

« فَخَرَجَ عَلَى قَوْمٍ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا أَيُّهُمْ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونَ إِنَّهُ لَذُو حَظٍ عَظِيمٍ ، وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَدِكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ أَمْنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقِيَ إِلَّا

الصَّابِرُونَ».

فنسب الزَّهْد إلى العلماء ووصف أهله بالعلم ، و هو غاية المدح والثناء و قال :

« وَلَا تَمْدُنَ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتَنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى» و قال «مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ» .

وأما الأخبار في الكافي في باب ذم الدُّنْيَا والزَّهْد فيها باسناده عن الهيثم بن واقد المحريري عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من زهد في الدُّنْيَا أثبت الله الحكمة في قلبه وأنطق بها السانه وبصره عيوب الدُّنْيَا داعها ودوائها وأخرجه من الدُّنْيَا سالماً إلى دار السلام .

و عن حفص بن غياث عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول جعل الخير كله في بيت و جعل مفتاحه الزَّهْد في الدُّنْيَا .

و عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام إنَّ من أعون الأخلاق على الدِّين الزَّهْد في الدُّنْيَا .

و عن عليٍّ بن هاشم بن البريد عن أبيه أنَّ رجلاً سأله عليٌّ بن الحسين عليهما السلام عن الزَّهْد فقال : عشرة أشياء فأعلى درجة الزَّهْد أدنى درجة الورع ، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين ، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرُّضا ألا وإنَّ الزَّهْد في آية من كتاب الله عزَّ وجلَّ :

« لَكَيْلَا تَأسُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرُحُوا بِمَا آتَيْتُكُمْ» .

و عن سفيان بن عيينة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام وهو يقول : كلُّ قلب فيه شَكٌ أو شرك فهو ساقط ، وإنَّما أرادوا بالزَّهْد في الدُّنْيَا لتفريح قلوبهم في الآخرة

و عن مخدين مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام إن علامة الراغب في ثواب الآخرة زهذه في عاجل ذهرة الحياة الدنيا ، أما إن زهدا زاهد في هذه الدنيا لا ينفعه مما قسم الله عز وجل له فيها وإن زهد ، وإن حرص الحريص على عاجل ذهرة الدنيا لا يزيدده فيها و إن حرص ، فالمحبون من حرم حظه من الآخرة .

إلى غير ما في هذا المعنى من الروايات ، وقد عقد في الكافي با بالها ومضى شطر منها في شرح الخطبة الثامنة والعشرين إذا عرفت ذلك فلنذكر أقسام الزهد .
فأقول أنه ينقسم على ما ذكره أبو حامد الغزالى في أحياء العلوم ، تارة بالنظر إلى نفسه ، و أخرى بالنظر إلى المرغوب فيه ، و ثالثة بالنظر إلى المرغوب عنه .
اما الاول فهو أنه يتفاوت بحسب الشدة والضعف والكمال والنقصان على مراتب ثلاثة .

المরتبة الأولى وهي السفلية أن يزهد في الدنيا وهو لها راغب والقلب إليها مأيل ونفسه لها مشتهية ولكنها يجاهدها ويكتف بها وهذا يسمى المترهد .
المরتبة الثانية ترك الدنيا طوعا لاستحقاقه إياها بالإضافة إلى ما طمع فيه كالذى يترك درهما لأجل درهمين فأنه لا يشق عليه ذلك وإن كان يحتاج إلى انتظار قليل ولكن هذا الزهد لامحالة يرى زهذه ويلتفت إليه و يكون معجبًا بنفسه ويزهذه ويظن في نفسه أنه ترك شيئا له قدر لما هو أعظم قدرًا منه .
المরتبة الثالثة وهي العليا الـ هـ د طـ عـ اـ زـ هـ دـ فـيـ الزـ هـ دـ بـأـنـ لـ يـ رـ يـ زـ هـ دـ إـ ذـ لـ يـ رـ يـ آـ نـهـ .
ترك شيئاً لمعرفته بأن الدنيا لاشيء كمن ترك قذرة وأخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيئاً إذا لدنيا بالنسبة إلى الآخرة أحسن من قذرة بالنسبة إلى الجوهرة فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة .

واما الثاني فهو أنه ينقسم بالنسبة إلى المرغوب فيه أيضا على ثلاثة مراتب .
المরتبة الأولى أن يكون المرغوب فيه التسعة من النوار و من سایر الآلام

كعذاب القبر و طول الحساب و خطر الصراط و سائر ما يمتن يدى الإنسان من الأهوال على ما وردت في الأخبار.

المرتبة الثانية أن يكون المرغوب فيه المذايذ الموعودة والنعم الموجودة في الجنة من الحور والقصور والأنهار وأشجار وساير ماء العذاب للمتقين وهذا زهاد الراجح فأنهم لم يتربوا الدنيا قناعة بالعدم و خلاصا من الألم وإنما تركوها رغبة في وجود دائم و طمعا في نعمة غير منقطعة.

المرتبة الثالثة أن لا يكون له رغبة إلا في الله وفي لقائه فلا يكون له توجّه إلى الآلام ليقصد الخلاص منها، ولا التفات إلى النعم ليقصد الفوز بها، بل هو مستغرق في الله وهو الذي أصبح و همه هم واحد، وهو الموحد المحقّقي الذي لا يطلب غير الله إذ طلب غيره سبحانه لا يخلو من شرك خفي.

و هذه المرتبة مختصة بالتأمين في المحبة والكمالين في مقام الرضا، وليس غرضهم إلا تحصيل الرضوان ولا لهم نظر إلى الحور والقصور و سائر المذايذ الموجدة في الجنان لأنّ المذايذ الجنّة كلّها عندهم بالنسبة إلى لذة الاستغراق و الفناء مثل لذة اللعب بالعصفور والاستيلاه عليه بالنسبة إلى لذة الملك والاستيلاه على أطراف الأرض و رقب الخلق، والطالبون لنعيم الجنّة عند أهل المعرفة والكمال كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذلة السلطنة والملك من حيث قصوره عن ادراك هذه اللذة وإلى هذه أشير في قوله:

« وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ
وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ». »

إى الرضوان من الله أكبر من جميع ما في الجنّات من المذايذ و هو الفوز العظيم إذ هو غاية كل لذة و منتهى كل سعادة يستحق دونه كل بهجة.

واما الثالث أعني الانقسام بالنسبة إلى المرغوب عنه فنقول : إنَّ الأقسام بالنسبة إلى ذلك كثيرة غير محصورة إلا أنَّ هناك مجتمع محيطة بها إجمالاً وهي أيضاً متفاوتة المراتب بعضها أجمل وبعضها أشرح لآحاد الأقسام وأقرب إلى التفصيل .

أما الاجمال في الدرجة الأولى فهو كلُّ ماسوى الله فينبغي أن يزهد فيه حتى يزهد في نفسه أيضاً .

وأما الاجمال في الدرجة الثانية فهو أن يزهد في كل صفة للنفس فيها تمنع وشهوة ، وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها .

وأما الاجمال في الدرجة الثالثة فهو أن يزهد في المال والجاه وأسبابهما إذ إليهما ترجع جميع حظوظ النفس .

وأما الاجمال في الدرجة الرابعة فهو أن يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم والجاه إِذ الأموال وإن كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم ، والجاه وإن كثرت أسبابه فيرجع إلى العلم والقدرة وأعني به كل علم وقدرة يتعلق بملك القلوب فانَّ المقصود بالجاه ملك القلوب والقدرة والاستيلاء عليهما مع الشعور بذلك كما أنَّ المقصود بالمال ملك الأعيان والقدرة عليها ، فان جاوزنا عن هذا التفصيل الاجمالي إلى شرح و تفصيل أبلغ من ذلك يكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر ، وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال :

« زُينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهْوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقْنَطَرَةِ مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذِلِكَ مَتَّاعٌ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْآبِ ». »

نَمْ رَدَّهَا فِي آيَةِ أُخْرَى إِلَى خَمْسَةِ فَقَالَ عَزْ وَجْلُ:

«إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بِيَنْتَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي
الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ».

نَمْ رَدَّهَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ إِلَى اثْنَيْنِ فَقَالَ تَعَالَى:

«إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ».

نَمْ رَدَ الْكُلُّ إِلَى وَاحِدٍ فَقَالَ:

«وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهُوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى»

فالهوى لفظ جامع لجميع حظوظ النفس في الدُّنيا فينبغي أن يكون الزَّهد فيه، فأعلى مراتب الزَّهد بالنسبة إلى المرغوب عنه هو الزَّهد عن ماسوى الله، وبعدها الزَّهد عن حظوظ النفس وأدنىها الزَّهد عن المحرمات الشرعية، والله ولئل التوفيق.

الترجمة

از جمله خطب آن مقتدى عالیان است که ترغیب فرموده مردم را باز بورع و زهادت و شکر و سپاس حضرت عزت باین نحو که:

ای مردمان زاهد بودن کوتاهی آرزوهاست و شکر کردن است بر نعمتها و پرهیز کاریست از حرامها، پس اگر بعید باشد استجماع این امور از شما پس لازم است که غالباً نشود حرام صیر شمارا و فراموش ننمایند نزد نعمتها شکر گذاری خود را، پس به تحقیق که اظهار فرمود حضرت گرد کار عذر خود را بسوی شما در تعذیب شما بمحاجتها روش نمایان و کتابهای سماویه که عذر آن ظاهر است و عیان در میان مردمان.

وَ مِنْ كَلَامِ لِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صَفَةِ الدُّنْيَا
وَ هُوَ الْحَادِيُّ وَالثَّمَانُونَ مِنْ الْمُخْتَارِ فِي

باب الخطب

مَا أَصِفُّ مِنْ دَارِ أَوْلُهَا عَنَاءً، وَآخِرُهَا فَنَاءً، فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ،
وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ، مَنِ اسْتَغْنَىٰ فِيهَا فُقِنَّ وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزَنَ، وَمَنِ
سَاعَاهَا فَاتَّهُ، وَمَنْ قَدَّ عَنْهَا وَاتَّهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَتُهُ، وَمَنِ
أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَةً.

قال السيد: أقول: و إذا تأمل المتأمل قوله ﷺ: من أبصر بها بصرته،
و جد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد ما لا يبلغ غايتها ولا يدرك غوره، ولا
سيما إذا قرئ إليه قوله: ومن أبصر إليها أعمتها، فإنه يجد الفرق بين أبصر بها وأبصر إليها
واضحاً نيراً وعجبياً باهراً.

اللغة

(العناء) بالمد التشعب والمشقة و (فتن) بالبناء على المجهول من الفتنة بمعنى
الضلال و (حزن) بالبناء على المعلوم من باب فرح (واتته) من المواتاة قال الطريحي:
و هو حسن المطاوعة والموافقة وأصله الهمزة خفف و كثر حتى يقال بالله أو المخالصة
و هذه الحديث: خير النساء المواتية لزوجها، وفي المصباح اتيته على الأمر وافتقدوه في لغة
لأهل اليمن تبدل الهمزة و اوأ فيقال و اتيته على الأمر مواتاة وهي المشهورة على ألسنة
الناس و (الغور) بالفتح من كل شيء، قعره

الاعراب

الضمير في قوله فاتته منصوب الم محل بنزع المخافض أى فاتت منه ، و الباء في قوله من أبصر بها للاستعانة أعني الداخلة على آلة الفعل ، و تعدية أبصر بالحرف في قوله و من أبصر إلها مع كون الفعل في أصله متعدّياً بنفسه إما من أجل تضمينه معنى التوجّه و الالتفات ، أو من أجل تضمين معنى النّظر و الأول أنسّب و أقرب لزيادة ظهور الفرق الذي أشار إليه السيد بين الفعلين أعني الجملتين على ذلك ، و ان كان الثاني صحيحاً أيضاً ، و غايته و غوره إما بالرفع على النيابة عن الفاعل و إما بالنّصب على كون الفعلين مبنيّاً للمعلوم و فاعلهما الضمير المستتر الرّاجع إلى المتأمّل .

المعنى

اعلم أنَّ هذا الكلام له طلاق مسوق للتّنفير عن الدّنيا والذّم لها وقد ذكر من أوصافها اموراً عشرة .

الأول قوله (ما أصف من دار أو لها عناء) أى مشقة و تعب و ذلك لأنَّ
مبده نشور الإنسان على ما حقّق في الطّب هو الماء الدافق يخرج من بين الصّلب
و التّرائب ، و ذلك الماء إذا وقع في الرّحم اختلط بما في المرأة ودمها وغاظ نم الريح
يمخض ذلك الماء حتى يتراكم كالرّأب الغليظ ، ثم يقسمه في الأعضاء ، فان كان
ذكراً فوجهه قبل ظهور امهه ، وإن كان انشي فوجهها قبل بطن امهها وذقنه على ركبتيه
ويدها على جنبيه مقبض في المشيمة كأنه مصروف في صرة ويتنفس من متنفّس شاق
وليس منه عضو الا كأنه مقموط (١) فوقه حرّ البطن وتحته ما تحته ، وهو منوط بمعاه
من سرّته إلى سرّة امهه ومهما يمتّص ويعيش من طعام امهه وشرابها .

فهو بهذه الحالة في الغمّ والظلمات والضيق حتى إذا كان وقت ولادته سلط الله
الريح على بطن امهه وقوى عليه التحرير فتصوب رأسه قبل المخرج فيجد من ضيق
المخرج وعصره ما يجده صاحب الرّهن ، فإذا وقع على الأرض فأصابته ريح أومسته

١- هومن القماط وهي العرقـة العريضة التي يقطـع أي يشدـ بها الصـبـ، لغـة

(ج)

في ذم الدنيا وذكر عشرة امور من أوصافها

(٣٣٥)

يتوحد من ذلك من الألّم مالا يوجده من سلخ جلدك .

نَمْ هو في ألوان من العذاب إن جاع فليس له استطاعه وإن عطش فليس له استسقاء أو وجع فليس له استغاثة مع ما يلقاه من الرفع والوضع واللُّف والحل إذا أُنيم على ظهره لا يستطيع تقلباً أو أقعدها لا يستطيع تمدداً.

فلا يزال في أصناف هذا العذاب مادام رضيعاً فإذا أفلت من ذلك أخذ بعذاب الآدب فإذا ذيق منه ألواناً ، وإذا أدرك فهم المال والأولاد والشربة والحرص ومخاطرة الطلب والسعى .

و كلّ هذا يتقلب فيها معه أعدائه الأربع : المرة والبلغم والدم والريح ، والسم المميت والحيات اللاذعة مع خوف السباع والناس و خوف البرد والحر ثم ألوان أوصاب الهرم إن بلغه .

(و) الثاني إن (آخرها فناء) إذ كل نفس ذائقه الموت ، مشرفة على الفوت و مفارقة للأهل والأولاد مهاجرة عن الوطن والبلاد ، و كل شيء هالك إلا وجهه و كل إنسان ملاق ربـه .

والثالث أنه (في حلالها حساب) قال سبحانه :

«إِنَّ إِلَيْنَا أُبْرَأُونَ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ» و قال أيضاً «وَإِنْ كَانَ مِتْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حِسَابَيْنَ» و قال «وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابٌ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ»

قال الطبرسي لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الجميع على أفعالهم في حالة واحدة وسئل أمير المؤمنين عليه السلام كيف يحاسبهم في حالة واحدة ؟ فقال : كما يرزقهم في حالة واحدة .

و اعلم أن الحساب في القيمة مما يعجب أن يؤمن به و أما أن المحاسب عليه والممسؤل عنه ماذا فقد اختلف فيه الأخبار بعضها كالأيات واردة على نحو العموم أو الأطلاق و بعضها مخصوصة أو مقيضة .

ففي النبوي المعروف بين الخاصة وال العامة قال رسول الله ﷺ لا يزال قدم عبد يوم القيمة من بين يدي الله عز وجل حتى يسأل عن أربع خصال: عمرك فيما أفيته وجسدك فيما أبلطيه ، و هالك من أين اكتسبته وأين وضعته ، و عن حبّنا أهل البيت ، فقال عمر بن الخطاب : و ما علامه حبكم يا رسول الله ؟ فقال : محبّة هذا ، و وضع يده على رأس أمير المؤمنين عليه السلام .

و روى الصدوق بسانده عن ابراهيم بن العباس الصولي قال : كنا بين يدي علي بن موسى الرضا عليهما السلام فقال : ليس في الدنيا نعيم حقيقي ، فقال له بعض

الفقهاء ممن بحضرته : قول الله عز وجل :

« ثم لتسألن يومئذ عن النعيم »

أما هذا النعيم في الدنيا وهو الماء البارد ، فقال له الرضا عليه السلام و علاصوته هكذا فسترتموه أنتم و جعلتموه على ضروب فقالت طائفة : هو البارد من الماء ، وقال غيرهم هو الطعام الطيب ، وقال آخران : هو النوم الطيب .

ولقد حدثني أبي عن أبيه أبي عبدالله عليه السلام إن أقوالكم هذه ذكرت عنده في قوله تعالى :

« لتسألن يومئذ عن النعيم »

فغضب و قال : إن الله تعالى لا يسأل عباده عمّا تفضل عليهم به ولا يمن بذلك عليهم والامتنان مستقبح من المخلوقين فكيف يضاف إلى المخالق عز وجل ما لا يرضي به للمخلوقين ، ولكن النعيم حبّنا أهل البيت و موالاتنا يسأل الله عنه بعد التوحيد و النبوة لأن العبد إذا وافى بذلك أداء إلى نعيم الجنة الذي لا يزول .

ولقد حدثني بذلك أبي عن محمد بن علي عن أبيه عن الحسين بن علي عن أبيه عليهم السلام أنه قال له وقال رسول الله ﷺ يا علي أول ما يسأل عنه العبد بعد موته شهادة السلام أنّه قال له رسول الله عليه السلام : يا علي أول ما يسأل عنه العبد بعد موته شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنك ولهم المؤمنين بما جعله الله « فجعلته نعيم لك فمن أقر

(ج)

في ذم الدنيا وذكر عشرة امور من أوصافها

(٣٣٧)

بذلك و كان معتقده صار إلى النعيم الذي لا زوال له.

وفي جامع الأخبار وغيره عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : إذا كان يوم القيمة أمر الله تعالى منادياً فينادي أين الفقراء ؟ فيقوم عنق من الناس فيؤمر بهم إلى الجنة فيقول خزنة الجنة قبل الحساب . فيقولون ما أعطونا شيئاً فيحاسبونا عليه ، فيقول الله تعالى : صدقوا عبادى ما أفترتم هوا نابكم ولكن ادخرت بهدا لكم بهذا اليوم انظر و اتصفحو وجوه الناس فمن أنى إليكم معروفا فخذلوا بيده و ادخلوا الجنة .

و عن الارشاد عن النبي ﷺ تدخل الفقراء على الجنـة قبل الأغنياء بمنصف يوم وقداره خمسـمة عام هذا .

و قال المحدث المجلسي في كتاب حق اليقين : إن المعلوم من الآيات والأخبار أن الحساب والسؤال حق و أما المخصوصية في المسئول والمسئول عنه والمحاسب والممحاسب عليه فغير معلومة .

فذهب جمع إلى أن السؤال من جميع النعم والأموال الدنيوية ، و يدل عليه الأخبار الخاصة والعامة daß على أن في حلالها حساباً و في حرامها عقاباً ، والمستفاد من طائفة من الروايات أن المؤمن لا حساب عليه ، و في بعضها أنه لا حساب في المأكول والمملبوس والمنكوح ، و يستفاد من بعض الأخبار أن قوماً يدخلون الجنـة بغير حساب كما هو في رواية جامع الأـخبار ومن بعضها أن بعض الأعمال الصالحة يوجب دخول صاحبـه على الجنـة بالحساب ، فهذه مخصوصة لعمومات أدلة الحساب .

و يمكن الجمع بين الروايات بوجهين .
أحدهما حمل الأخبار التـافية للحساب على انتفاءه في حق المؤمن والأـخبار المثبتة على ثبوته في حق غير المؤمن .

والثاني حمل الأخبار الأولـة على عدمـه في الأمور الضـرورية مثل الشـاة السابقة و حمل الأخبار الثانية على وجودـه في غير الأمور الضـرورية كالإسراف والتـبذير والصرف في المحرـمات والكسب من غير الوجـوه المشـروعة أو زـايدـاً على

قدر الحاجة الموجب تحصيله لتضييع العمر وتفويت الزمان فافهم.

(د) الرابع أنه (في حرامها عقاب) وهو واضح لاغبار عليه، وإلى هذا الوصف وسابقه نظر الشاعر في قوله:

الدّ هر يومان في يوم مضى
حلال يوميك حساب و في
تجمع ما يأكله و ارت
أنى لغير واعظ تارك
حلاوة الدنيا و لذاتها
عنك بما فيه ويوم جديد
حرام يوميك عقاب شديد
و أنت في القبر وحيد فريد
نفسى و قولى من فعالى بعيد
تكلف العاقل مala يريدى

الخامس أنَّ (من استغنى فيها فلن) لأنَّ الاستغناء شاغل عن ذكر الله تعالى
عن سبيل الله فهو بلاء ابتلاء الله به كما نطق به القرآن الكريم .

«إِنَّا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ».

(د) السادس أنَّ (من افتقر فيها حزن) لظهور أنَّ الافتقار فيها طالبها موجب لشدة المحننة ومتنهى الحزن والكآبة .

وفي جامع الأخبار قال النبي ﷺ عليه السلام الفقر أشدُّ من القتل ، و قال أوحى الله إلى إبراهيم فقال يا إبراهيم خلقتك و ابتليتك بنار نمرود فلو ابتليتك بالفقر و رفعت عنك الصبر فما تصنع ؟ قال إبراهيم : يا رب الفقر إلى أشد من نار نمرود قال الله تعالى : فبعزّتي و جلالي ما خلقت في السماء والأرض أشد من الفقر الحديث .
و قال عليه السلام الفقر الموت الأكبر ، وقال لولارحمة ربى على فقراء امتهى كاد الفقر أن يكون كفراً هذا .

و لشدته دعا سيد العابدين و زين الساجدين سلام الله عليه و على آبائه الطاهرين أن يصرفه الله عنه ولا يبتليه به حيث قال :

اللهم لا طاقة لي بالجهد ولا صبر لي على البلاء ولا قوّة لي على الفقر فلا تخطر على رزقي ولا تكتفي إلّي خلقك بل تفرّد ب حاجتي وتولّ كفايتي وانظر إلى واظناري في جميع

اموري فانك إن وكلتني إلى نفسي عجزت عنها ولم اقم ما فيه مصلحتها وإن وكلتني إلى خلقك تبعهم على إلٰي قرابتى حرمونى وإن أعطونى اعطونى قليلاً نكداً و منتو على طويلاً و ذموا كثيراً فبفضلك اللهم فأغشنى و بعزمتك فانعشنى ، دبرستك فابسط يدي وبما عندك فاكتفى.

(و) السابع ان (من ساعاها فاتته و الثامن ان) (من قعد عنها واتته) و علّهم الشارح البحرياني بأن أقوى أسباب هذا الفوات أن تحصيلها أكثر ما يكون بمنازعة أهلها عليهما مجدًا بتهم (١) إيهًا وقد علمت ثوران الشهوة والغضب والمرص عند المجاذبة للشيء و قوّة منع الإنسان له و تجاذب الخلق للشيء و عزّته عندهم سبب لتفويت بعضهم له على بعض ، والقعود عنها و تركها و إن كان الغرض منها المواجهة سبب لمواتها كما يفعله أهل الزهد الظاهري المشوب بالرّيا الذي ترك الدنيا للدّنيا ، فإن الزهد الظاهري أيضًا مطلوب الشارع إذ كان وسيلة إلى الزهد الحقيقي كما قال الرّسول ﷺ : الرّيا نظرية الأخلاق.

أقول والأظهر عندي غير هذا المعنى و هو أن يكون المراد بفواتها في حق الساعين لها عدم بقائها في حقهم لسرعة زوالها و فنائهما فيصبحون مع شدة رغبتهم إليها و طلبهم إليها و أيديهم عارية من حطامها خالية من زبر جها و زخرفها المحلول الموت و نزول الفوت.

و يحتمل إرادة فواتهما عنهم في حال الحياة فيكون كلامه عليهما محمولاً على الغالب فان أكثر الناس وأغلبهم مع كونهم تابعين للدنيا راغبين عن الآخرة لا يقنع الدنيا في أيديهم و إن خلعوا عن أيديهم الكرى و طال لهم الشهر ، وهذا بخلاف التماركين لها والزاهدين فيها زهدًا حقيقياً ، فإن الدنيا مطيبة لهم مقبلة إليهم وهم معرضون عنها غير ناظرين إليها.

ألا ترى إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام يا دنيا إليك عنى أبي تعرضت أم إلى تشوّق لاحان حينك هيهات غري غيري لاحاجة فيك قد طلقتك نلانا لارجعة فيها .

١- تجاذبوا الشيء جذبه كل واحد إلى نفسه ومنه .

و في النبوي قال رسول الله ﷺ إنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالَهُ أَوْحَى إِلَى الدُّنْيَا أَنْ
اعبُي مِنْ خَدْمَكَ وَ اخْدُمِي مِنْ رَفْضِكَ.

و في رواية أخرى أَخْرَى الَّذِي أَهْدَى فِي الدُّنْيَا يُرِيحُ قَلْبَهُ وَ بَدْنَهُ، وَ الرَّاغِبُ فِيهَا يَتَعَبُ
قَلْبَهُ وَ بَدْنَهُ.

التاسع والعشر ما أشار إِلَيْهِ بِقُولِهِ (وَ مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَتْهُ وَ مَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا
أَعْمَتْهُ) يَعْنِي مَنْ جَعَلَهَا آلَةً لِابْصَارِهِ وَ هُر آتَاهُ الْوَصْولُ إِلَى الْغَيْرِ يَجْعَلُهَا الدُّنْيَا صَاحِبَ
بَصِيرَةٍ وَ مَنْ كَانَ نَظَرُهُ وَ تَوْجِهُ إِلَيْهَا وَ هُمْتَهُ مَعْطُوفًا عَلَيْهَا يَجْعَلُهَا الدُّنْيَا أَعْمَى .
تَوْضِيْحُ ذَلِكَ أَنَّ النَّظَرَ إِلَى الدُّنْيَا يَتَصَوَّرُ عَلَى وَجْهَيْنِ .

أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ الْمَطْلُوبُ بِالذَّاتِ مِنْ ذَلِكَ النَّظَرِ هُوَ الدُّنْيَا نَفْسُهَا وَ لَا شَكَّ
أَنَّ الدُّنْيَا حِينَئِذٍ تَكُونُ شَاغِلَةً لَهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ صَارِفَةً عَنْ سُلُوكِ سَبِيلِ الْحَقِّ، فَيَكُونُ
ضَالًاً عَنِ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ نَاكِبًاً عَنْ قَصْدِ الْهُدَىِ، وَ هُوَ الْمَرَادُ بِكُونِهِ أَعْمَى يَعْنِي أَنَّ
الدُّنْيَا حِينَئِذٍ تَكُونُ هُوَجَبَةً لِعُمَّاءِ عَيْنِ قَلْبِهِ عَنْ إِدْرَاكِ الْمَطَالِبِ الْحَقِيقَةِ وَ عَنِ الْإِهْتِدَاءِ
إِلَى سُلُوكِ سَبِيلِ الْآخِرَةِ وَ لِذَلِكَ خَاطَبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ النَّبِيُّ ﷺ ظَاهِرًاً وَ أَرَادَ أَعْمَتَهُ
بَاطِنًا بِقُولِهِ :

« وَ لَا تَمْدَنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
لِنَفْتَنَهُمْ فِيهِ ». »

وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ الْغَرْضُ بِالنَّظَرِ إِلَى الدُّنْيَا هُوَ التَّبَصُّرُ بِهَا وَ الْإِهْتِدَاءُ إِلَى الْمُبْدِءِ
وَ الْمَعَادِ إِذْمَا مِنْ شَيْءٍ فِيهَا إِلَّا وَ هُوَ مِنْ آثارِ الصُّنْعِ وَ أَدَلَّةِ الْقُدْرَةِ وَ عَلَامَةِ الْعَزَّةِ
وَ السُّلْطَانَةِ .

فِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدْلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ
وَ سُنْرِيَّهُمْ آيَاتُهَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ فِي الْمَنَاظِرِ إِلَى الْأَنْفُسِ وَ الْآفَاقِ يَحْصُلُ الْبَصِيرَةُ
وَ الْكَمَالُ، وَ يَقْمَكِنُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَ الْوَصْولِ إِلَى حَضُورِ ذِي الْجَلَالِ كَمَا يَهْتَدِي إِلَى
الْآخِرَةِ وَ يَرْغُبُ عَنِ الدُّنْيَا بِالنَّظَرِ إِلَى الْأَمْمِ الْمَاضِيَّةِ وَ الْقَرُونِ الْفَانِيَّةِ وَ الْمُلُوكِ

العاية كيف انتسقفهم الايام فاُفناهم الحمام فامتحن من الدّنيا آثارهم و بقيت فيها أخبارهم.

تكلمة

يستفاد من كشف الغمة أنَّ هذا الكلام له عَذَابٌ أَلِيمٌ ملقط من كلام طويل أُسقط السَّيِّد بعض فقراته على عادته قال : قال علي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ يوماً وقد أحدق به الناس : أَحَذْرُكُمُ الدّنيا فانْتَهَا مِنْزَلُ قَلْعَةٍ وَلَيْسَ بِدارٍ نَجْعَةٍ هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا فَخَلَطَ شَرُّهَا بِخَيْرِهَا وَحَلَوْهَا بِمَرْهَا ، لَمْ يَصْفُهَا اللَّهُ لَا وَلِيَاهُ وَلَمْ يَضْنَ بِهَا عَلَى أَعْدَاهُ ، وَهِيَ دَارٌ مَمْرُّ لَادَارٍ مُسْتَقْرٌ ، وَالنَّاسُ فِيهَا رَجَالٌ : رَجُلٌ بَاعَ نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا وَرَجُلٌ ابْتَاعَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا ، إِنْ أَعْدُو ذَبْ جَانِبَ مِنْهَا فَحَلَّاً أَمْرٌ مِنْهَا جَانِبَ فَأَوْبَيْ ، أَوْ لَهَا عَناءٌ وَآخْرَهَا فَنَاءٌ ، مَنْ أَسْتَغْنَى فِيهَا فَتَنٌ وَمَنْ أَفْتَرَ فِيهَا حَزْنٌ ، وَمَنْ سَاعَ فَاتَّهُ وَمَنْ قَدَ عَنَّهَا وَأَنْتَهُ وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَتَهُ وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتَهُ ، فَالإِنْسَانُ فِيهَا غَرْضٌ الْمَنَائِيَا مَعَ كُلَّ جَرْعَةٍ شَرْقٌ ، وَمَعَ كُلَّ أَكْلَةٍ غَصْصٌ ، لَا يَنْالُ مِنْهَا نِعْمَةٌ إِلَّا بِفَرَاقٍ أُخْرَى .

الترجمة

از جمله کلام آن حضرتست در مقام ذم دنیا و تنفیر از آن که میفرماید : چه تعریف کنم سرایی را که اول آن رنج است و عنا ، و آخر آن فوتست و فنا ، در حلال آن حسابست و در حرام آن عذاب ، هر کس غنی شد در آن مبتلا شد بانواع بلا و افتاد در فتنه و ضلال ، و هر کس محتاج گردید در او گرفتار شد باندوه و هلال ، و هر که سعی نمود و شناخت بسوی آن فوت شد از آن بسبب حلول موت ، و هر که قدم پس نهاد و ترک کرد آنرا موافقت نمود او را و مساعدت ، و هر که دنیا را آلت بصیرت و واسطه معرفت خود گردانید دنیا او را صاحب بصیرت نمود ، و هر که نظر همت خود را بدنیا مصروف داشت کور نمود دنیا اورا .

و من خطبة له عليه السلام عجيبة وهي الثانية والشهانون من المختار في باب الخطب

و شرحها في ضمن فصول و بعض فصولها مروي في البحار بتفاوت واختلاف لما في الكتاب تطلع عليه عند الفراغ من شرح الخطبة في التكملة الآتية فانتظر.

الفصل الأول

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ، وَ دَنَا بِطَوْلِهِ، مَا نَحْنُ كُلُّ غَنِيَّةٍ وَ فَضْلٍ
وَ كَاشِفٍ كُلُّ عَظِيمَةٍ وَ أَزْلٍ، أَحْمَدُهُ عَلٰى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ، وَ سَوَابِغِ
نِعِيمِهِ، وَ أَوْمَنْ بِهِ أَوْلًا بَادِيًّا، وَ أَسْتَهْبِدِيهِ قَرِيبًا هَادِيًّا، وَ أَسْتَعِينُهُ قَاهِرًا
قَادِرًا، وَ أَتُوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِيًّا نَاصِرًا، وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا بِإِنْهَاكِ اللّٰهِ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ
أَرْسَلَهُ لِإِنْفاذِ أَمْرِهِ، وَ إِنْهاءِ عُذْرِهِ، وَ تَقْدِيمِ نُذْرِهِ.

اللغة

(الحول) القوة و (الطول) الفضل والمسحة و (منحه) أعطاه و (الأزل) بفتح المهمزة
و مكون الزاء المعجمة الشدة والضيق و (عطفته) عطاها ثنيتها و (أسبع نعمه) عليكم
أى أتمه و (البادي) الظاهر و منه قوله تعالى : بادي الرأى، أى ظاهره يقال بداعيبدو
بدوا أى ظهر فهو باد أو من البداية مقابل النهاية (و الانهاء) البلاغ و (العذر)
و (النذر) في قوله تعالى عذرًا أو نذرًا، أى حجة و تخوييفا أو إعذاراً وإنذاراً، أى
تخوييفا و عيدها .

الاعراب

أولا و باديأا إما منصوب على الظرفية ف تكون متعلقة باو من وعليه فيكون

باديا من البداءة أى أو من به ابتداء قبل كل شيء أو منصوبان على الحالية من الصّميم في به فيكونان في المعنى وصفين لله سبحانه ، وهذا هو الأظْهُر من حيث السياق لأنَّ المنصوبات الستة بعدهما من أوصاف الله تعالى إلَّا أنَّ الْأَوَّل أقرب من حيث المعنى فافهم وتأمل.

المعنى

اعلم أنَّ هذه الخطبة له يُبَيِّنُ كما ذكره السيد من الخطب المحبية مشتملة على نكبات بدعة و مطالب أنيقة حسبما تعرف إليها الاشارة ، وهذا الفصل منها مسوغ للثناء على الله سبحانه باعتبار نعوت جلاله و صفات كماله.

فقوله (الحمد لله الذي علا بحوله) إشارة إلى علوه عز وجل على كل شيء ولكن لا بالمعنى المتعارف في التخلق من الفوقية الحسّيسية والخيالية بل العلو بالغلبة والقهر والاستعلاء بالقدرة والقوّة ، و قوله (و دنا بطوله) إشارة إلى قربه من كل شيء لكن لا بالمعنى المتعارف في الأَجسام المترادفة بل القرب بالفضل والسعنة والدنون بالاحسان والعطية.

وقد قدّمنا الكلام في علوه سبحانه و دنوه بما لا يزيد عليه في شرح الفصل الخامس والسادس من فصول الخطبة الأولى ، وفي شرح الخطبة التاسعة والأربعين أيضاً ، وإن رجعت إلى ما حققناه هناك عرفت أن علوه سبحانه على الأشياء لا ينافي قربه منها ، وأنَّ قربه بها لا ينافي بعده عنها ، فهو تعالى في كمال علوه على خلقه منهم قريب ، وفي متهى قربه إلى التخلق عنهم بعيد.

و هو سبحانه (مانح كل غنية و فضل و كاشف كل) داهية (عظيمة وأذل) لأنَّ كل نعمة مبدئها وجوده ، و كل عطية منشؤها كرمه وجوده ، فهو منزل النعم الجسم و منفس الكرب العظام ، و هو الصارف لطارق البلاء والداعف للبأساء والضراء . و هو مجتب المضطر إذا دعاه و كاشف السوء عنه حين ناداه .

« وَمَا يَكُونُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَكُوكُ الْمُرْثُ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ ،

(٣٤٤)

المختار الثاني و الثمانون

(جـهـ)

لَمْ إِذَا كَشَفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشَرِّكُونَ (١) » .

(أحمده على عواطف كرمه) والكرم من أسمائه تعالى و هو الجود المعطى الذي لاينفد عطاوه ، ويفيض الخير عنه من غير بخل و منع على كل قابل بقدر قابلته، وعواطف كرمه سبحانه عبارة عن فيوضاته العائدة إلى العباد مرّة بعدها مرّة وعن خيراته النازلة إليهم تقرى فانه تعالى لايفقر عن كثرة العطاء ولاتعجز عن الجزاء ، وجوده يعلو كل جود و به جاد كل من جاد:

« وَ مَنْ يَشْكُرُ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢) » .

(و) نشكره على (سوابغ نعمه) أي نعمه التامة الكاملة وآلاه الظاهرة والباطنة كما قال عز من قائل:

« أَلَمْ تَرَوْ أَنَّ اللَّهَ سَخَرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ أَنْسَبَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لَا هُدًى وَ لَا كِتَابٌ مُنِيرٌ (٣) » .

قال الطبرسي : النعمة الظاهرة مالا يمكنكم جحده من خلقكم و إحيائكم وإقداركم وخلق الشهوة فيكم و غيرها من ضروب النعم ، و الباطنة مالا يعرفها إلا من أمعن النظر فيها .

و عن ابن عباس الباطنة مصالح الدين و الدنيا مما يعلمه الله و غاب عن العباد علمه .

١ - الآية في سورة النحل .

٢ - اقتباس من الآية في سورة لقمان

٣ - في سورة لقمان .

و عنـه قال سـائلـتـ النبي ﷺ عـنـهـ فـقـالـ : يـاـ بـنـ عـبـاسـ أـمـاـ مـاظـهـرـ فـالـاسـلـامـ وـسـوـىـ اللـهـ منـ خـلـقـكـ وـ هـاـ أـفـاضـ عـلـيـكـ مـنـ الرـزـقـ ، وـ أـمـاـ بـطـنـ فـسـقـرـ مـسـاوـيـ عـمـلـكـ وـ لـمـ يـفـضـحـكـ بـهـ يـاـ بـنـ عـبـاسـ إـنـ اللـهـ تـعـالـىـ يـقـولـ ثـلـاثـةـ جـعـلـتـهـ لـلـمـؤـمـنـ وـ لـمـ تـكـنـ لـهـ : صـلـاتـةـ الـمـؤـمـنـينـ عـلـيـهـ مـنـ بـعـدـ اـنـقـطـاعـ عـلـمـهـ ، وـ جـعـلـتـ لـهـ نـاثـةـ مـالـهـ يـكـفـرـ خـطاـيـاهـ ، وـ الـثـالـثـةـ سـتـرـتـ مـسـاوـيـ عـلـمـهـ فـلـمـ اـفـضـحـهـ بـشـيـءـ مـنـهـ وـ لـوـأـبـدـ يـتـهـ عـلـيـهـ لـنـبـذـهـ أـهـلـهـ فـمـنـ سـواـهـ .

وـ قـيلـ الـظـاهـرـةـ تـخـفـيـفـ الشـرـائـعـ وـ الـبـاطـنـةـ الشـفـاعـةـ وـ قـيلـ الـظـاهـرـةـ نـعـمـ الدـنـيـساـ وـ الـبـاطـنـةـ نـعـمـ الـآـخـرـةـ وـ قـيلـ الـظـاهـرـةـ ظـهـورـ الـاسـلـامـ وـ الـنـصـرـ عـلـىـ الـأـعـدـاءـ وـ الـبـاطـنـةـ الـامـدـادـ بـالـمـلـائـكـةـ وـ قـيلـ الـظـاهـرـةـ نـعـمـ الـجـوـارـحـ وـ الـبـاطـنـةـ نـعـمـ الـقـلـبـ .

وـ قـالـ الرـازـيـ فـيـ التـفـسـيرـ الـكـبـيرـ : الـظـاهـرـةـ هـيـ مـاـ فـيـ الـأـعـضـاءـ مـنـ السـلـامـةـ ، وـ الـبـاطـنـةـ مـاـ فـيـ الـقـوـىـ فـانـ الـعـضـوـ ظـاهـرـ وـ فـيـ قـوـةـ بـاـطـنـةـ الـأـتـرـىـ أـنـ الـعـيـنـ وـ الـأـذـنـ شـحـمـ وـ غـضـرـوفـ ظـاهـرـ وـ الـلـسانـ وـ الـأـنـفـ لـحـمـ وـ عـظـمـ ظـاهـرـ وـ فـيـ كـلـ وـاحـدـ مـعـنـىـ بـاـطـنـ مـنـ الـابـصـارـ وـ الـسـمـعـ وـ الـذـوقـ وـ الـشـمـ وـ كـذـالـكـ كـلـ عـضـوـ وـ قـدـ تـبـطـلـ الـقـوـةـ وـ يـبـقـىـ عـضـوـ قـائـمـاـ .

أـقـولـ وـ الـكـلـ لـبـاسـ بـهـ إـذـ الجـمـيعـ مـنـ نـعـمـ اللـهـ عـلـىـ عـبـادـهـ ، وـ فـيـ تـفـسـيرـ أـهـلـ الـبـيـتـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ النـعـمـةـ الـظـاهـرـةـ الرـسـالـةـ ، وـ النـعـمـةـ الـبـاطـنـةـ الـوـلـاـيـةـ (وـ أـوـ مـنـ بـهـ أـوـ لـاـ بـادـيـاـ) أـئـىـ أـصـدـقـ بـهـ وـ أـعـتـقـدـ بـالـهـيـةـ وـ وـحـدـانـيـتـهـ أـوـ لـاـ وـ اـبـتـدـاءـ قـبـلـ الـاستـهـداءـ وـ الـاسـتـعـانـةـ مـنـهـ مـقـدـمـاـ عـلـىـ التـوـكـلـ عـلـيـهـ إـذـمـالـمـ يـؤـمـنـ بـهـ وـ لـمـ يـصـدـقـ لـاـيمـكـنـ الـاسـتـهـداءـ وـ الـاسـتـعـانـةـ وـ التـوـكـلـ ، لـأـنـ ذـلـكـ كـلـهـ فـرـعـ الـمـعـرـفـةـ وـ الـإـيمـانـ وـ هـوـ ظـاهـرـ بـالـعـيـانـ ، وـ عـلـىـ جـعـلـ اـنـتـصـابـهـمـاـ عـلـىـ الـحـالـ فـالـاشـارـةـ بـهـمـاـ إـلـىـ الـجـهـةـ الـتـيـ هـيـ مـبـدـءـ الـإـيمـانـ إـذـ بـاعـتـبـارـ أـوـلـيـةـ وـ جـبـ وـجـودـهـ وـ بـاعـتـبـارـ كـوـنـهـ بـادـيـاـ ظـاهـرـ الـمـوـجـودـاتـ وـ ظـاهـرـ مـنـهـ الـآـيـاتـ فـبـاعـتـبـارـ أـوـلـيـةـ يـجـبـ الـإـيمـانـ بـوـجـوبـ وـجـودـهـ وـ الـأـذـعـانـ بـالـهـيـةـ .

(وـ أـسـتـهـدـ يـهـ قـرـيـبـاـهـادـيـاـ) وـ الـاـشـارـةـ بـهـذـيـنـ الـوـصـفـيـنـ كـمـاـ فـيـ سـابـقـيـمـاـ إـذـ مـنـ لـاـيـتـصـفـ بـالـهـدـاـيـةـ كـيـفـ يـتـصـوـرـ الـاسـتـهـداءـ مـنـهـ وـ مـنـ كـانـ بـعـيـدـاـ كـيـفـ يـطـلـبـ مـنـهـ الـاـرـشـادـ

إلى الرشاد والدلالة على المسداد (و أستعينه قاهراً قادرأً) والكلام فيهما كما في سوابقهما إذا العاجز والضعف لا يمكن من نفسه فكيف يكون معاوناً للغير أو يطلب منه الاعانة (و أتو كل عليه كافياً ناصراً) والكلام فيهما أيضاً كما فيما تقدم إذا توكل عبارة عن الوكول والاعتماد فيما يخاف و يرجى على الغير فلا بد من اتصف المعتمد عليه بالكافية والنصرة ليكفي المعتمد فيما رجاه و ينصره فيما يخاف.

و إليه يرجع ما عن معانى الأخبار مرفوعاً إلى النبي ﷺ وهو أنه جاء جبرئيل إليه فقال له : يا جبرئيل وما التسوك ؟ قال : العلم بأن المخلوق لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع واستعمال اليأس من الناس ، فإذا كان العبد كذلك لم يعتمد على أحد سوى الله و لم يرج و لم يخف سوى الله ، ولم يطمع على أحد سوى الله و قال سبحانه :

« وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بِالْعُمُرِ قَدْ جَعَلَ اللَّهَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ».

يعني من يفوض أمره إليه سبحانه وونق بحسن تدبیره فهو كافيه يكفيه أمر الدنيا والآخرة أنه يبلغ أمره وما أراده من قضائه وتدبیره على ما أراده ولا يقدر أحد على منعه مما أراده ، لاراد لقضائه ولا مبدل لحكمه ، وقد ظهر مما ذكرنا أن التسوك من شؤونات الإيمان ومن فروع المعرفة ، و بذلك وصف سبحانه المؤمنين بذلك حيث قال :

« إِنَّا لِمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقْبَلُونَ الصَّلَاةُ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ».

(وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبده ورسوله) قد تقدّم الكلام في ثواب الشهادة بالرِّسالة في شرح الخطبة الثانية وممضى تحقيق معنى العبد والرسول في شرح الخطبة العادية والسبعين فليراجع .

ثم أشار إلى بعض دواعي الرِّسالة بقوله (أرسله لإنفاذ أمره) يعني أرسله الله سبحانه لإجراء أحكام الشرعية وأحكام قرائينه العدلية في الخلق ليقرَّ الله بالعبودية وليمحي حضنوا له بالطاعة (وإنها عذرها) أي اعلام معذرتها وابلاغ عذرها إلى الخلق في تعذيبهم إن عصوه ، وقد مضى تحقيق ذلك في شرح الخطبة الشهانية (وتقديم نذرها) أي ليقدم انذار الله إلى الخلق وتخويفه لهم من عقابه وليبلغهم ذلك قبل يوم لقاءه ليكون ذلك جاز بالهم إلى الطاعة رادعاً لهم عن المعصية .

الترجمة

از جمله خطبه‌های عجیب آن حضرتست: حمد وثنا هر معبود بحق را سزاست که بلند است بر همه خلق باقدرة وقوّه، ونزدیک است از همه بافضل وعظمة، وعطای کنفده هر منفعت است وزایل سازنده هر بالی بزرگ وشدة.

حمد می‌نمایم اورا بر مترکر رات کرم او و بر تمامهای نعم او، و ایمان می‌آورم باو سبحانه در حالتی که او لست و هویدا، و طلب هدایة می‌کنم از او در حالتی که نزدیکیست و راهنمای، و طلب یاری می‌کنم از او در حالتی که غالب است و قادر، و توکل می‌کنم باو در حالتی که کفاية کننده است و ناصر، و گواهی میدهم باینکه محمد بن عبد الله عليه السلام بندۀ بر گزیده اوست و رسول پسندیده او که فرستاد او را بجهت اجرا، امر شریعت او و اعلام عذر و معذرت او و مقدم داشتن ترسانیدن از عقوبت او پیش از لقاء روز آخرت

الفصل الثاني

أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال، وَوقتَ

لَكُمُ الْأَجَالَ ، وَأَلْبَسْكُمُ الرِّيَاشَ ، وَأَرْفَعْ لَكُمُ الْمَعَاشَ ، وَأَحاطْ بِكُمُ
الْإِحْصَاءَ ، وَأَرْصَدَ لَكُمُ الْجَزَاءَ ، وَأَثْرَكُمْ بِالنَّعْمِ السَّوَابِعَ ، وَالرُّفْدِ
الرَّوَافِعَ ، وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحِجَاجِ الْبَوَالِغِ ، فَأَخْصَاصَكُمْ عَدَدًا ، وَوَظَفَ
لَكُمْ مُدَدًا ، فِي قَرَارِ خَبْرَةٍ ، وَدَارِ عَبْرَةٍ ، أَنْتُمْ مُخْتَبِرُونَ فِيهَا ،
وَمُحَاسِبُونَ عَلَيْهَا ، فَإِنَّ الدُّنْيَا رِنْقٌ مَشْرُعُهَا ، رَدْعٌ مَشْرُعُهَا ، يُوْنِقُ
مَنْظُرُهَا ، وَيُوْبِقُ مَخْبُرُهَا ، غَرُورٌ حَائِلٌ ، وَضَوْءٌ آفَلٌ ، وَظِلٌّ زَائِلٌ ،
وَسِنَادٌ مَائِلٌ ، حَتَّى إِذَا أَنْسَ نَافِرُهَا ، وَأَطْمَنَ نَاكِرُهَا ، قَمَصَتْ
بِأَرْجُلِهَا ، وَقَنَصَتْ بِأَحْبِلِهَا ، وَأَفْصَدَتْ بِأَسْهِمِهَا ، وَأَعْلَقَتْ الْمَرْأَةُ أَوْهَاقَ
الْمِنِيَّةِ ، قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمُضْجَعِ ، وَوَحْشَةُ الْمَرْجَعِ ، وَمُعَايَنَةُ
الْمَحَلِّ ، وَثَوَابُ الْعَمَلِ ، وَكَذِلِكَ الْخَلَفُ بِعَقِيبِ السَّلَفِ ، لَا تُقْلِعُ الْمِنِيَّةُ
أَخْتِرَامًا ، وَلَا يَرْعُوي الْبَاقُونَ اجْتِرَامًا ، يَحْتَذُونَ مِثْلًا ، وَيَمْضُونَ
أَرْسَالًا ، إِلَى غَايَةِ الْإِنْتِهَا ، وَصَيْوِرِ الْفَنَاءِ .

اللغة

(الرياش) و الريش واحد قال تعالى : و ريشاً ولباس التقوى ، و هو ما ظهر
من الملبس الفاخر ، وفي المصباح الرئيس الخير و الرياش بالكسر المال و الحالة
الجميلة .

أقول : ومنه قوله ارتاش فلان أى حسنت حاله و (ارفع) بالغين المعجمة من
الرفع وهو السعة والخصب يقال رفع عشه بالضم رفاغة اتسع و (الرفد) جمع

رفدة وهي العطية والصلة و(التوظيف) التّعبيين و (القرار) والقرارة ما قرّ فيه و المطمئن من الأرض و (الخبرة) بالضمّ و الكسر اسم من الاختبار كالعبرة من الاعتبار يقال اختبرت فلاناً واعتبرته امتحنته ، قال ويكون الاعتبار بمعنى الاتّهاظ ومنه قوله تعالى « فاعتبروا يا أولى الأُبصار » قال الغليل العبرة و الاعتبار بما مضى اي الاتّهاظ والتذكرة (رنق) الماء من باب فرح ونصر رنقاً ورنقاً ورنقاً كدر فهو رنق ورنق كيدل وكتف و جبل و مكان (رددغ) ككتف كثير الوحش و (يونق) مضارع باب الافعال يقال آنقني الشّيء أعجبني والمجرّد أني كفرح يقال آنق الشّيء إنقاً أى راق حسنه وأعجب و (يويق) من باب الافعال أيضاً والمجرّد و بق من باب وعد ووجل وورث يقال و بق الرجل وبيق ويويق ويوقا هلك و (المخبر) كالمنظّر مصدر او اسم مكان و (الغرور) بالفتح من غرّته الدّنيا غروراً من باب قعد خدعته بزيتها فهي غرور مثل رسول اسم فاعل مبالغة و (الحائل) المتغيّر اللون و (أفل) افولاً من باب ضرب ونصر وعلم غاب و (الستّاد) والستّند بفتحتين ما استندت إليه من حايط و نحوه .

و (انس) به انساً من باب علم و في لغة من باب ضرب و الانس بالضمّ اسم منه واستأنست به و تأنسَت به إذ اسكن القلب ولم ينفر ورجل (ناكر) ونكر فاعل من نكر الأمر من باب فرح أى انكره و (قدص) الفرس وغيره عند الرّكوب قمّاصاً من باب ضرب وقتل وهوأن يرفع يديه معها ويضعهم ماماً و (قصصه) يقصصه صاده فهو قانص و قنيص و قناص و (أقصد) السهم أصاب فقتل مكانه و فلاناً طعنـه فلم يخطـه و (الادهـاق) جمع و حق مجرـّكة ويسـكن وهوـ الجـيل يرمـي في عنـقـ الشخصـ يؤخذـ بهـ وـ يـونـقـ وـ أـصلـهـ للـدـوـابـ وـ يـقالـ فـيـ طـرـفـهـ النـشوـطـهـ،ـ وـ هـيـ بـالـضـمـ رـبـطةـ دونـ العـقدـةـ إـذـاـ مدـدتـ بـأـحدـ طـرـفيـهاـ انـفـتحـتـ .

و (الضنك) بسكون النون الضيق و (ضجع) ضجعاً وضجوعاً من باب منع وضع جنبه بالأرض كاضطجع والمضجع كمقدّع موضع الضجع و (المرجع) كمنزل مصدر من رجع رجوعاً كالمراجعة وهم شاذان لأنَّ المصادر من فعل يفعل بالفتح

وكذلك الخلف بعقب السلف (العقب) بكسر القاف وبسكونها للتخفيف يقال
جاءني عقبه وأصل الكلمة جاء زيد يطأعقب عمرو ، والمعنى كلما رفع عمرو قدماً وضع
زيد قدمه مكانها ، ثم كثر حتى قيل جاء عقبه ثم كثر حتى استعمل بمعنيين :
أجددهما المتابعة والمواارة فإذا قيل جاء في عقبه فالمعنى في اثره قال ابن
الستكيت بنوفلان يسوق لهم عقب بنى فلان أى بعدهم ، وقال ابن فارس فرس ذوعقب
أى جرى بعد جرى ، وذكر تصاريف الكلمة ثم قال والباب كله يرجع إلى اصل
واحد وهو أن يجيء الشيء بعقب الشيء أى متاخرأ عنه ومنه قوله خلف فلان بعقبى
أى أقام بعدي وعقبت زيداً عقباً وعقوباً من باب قتل جئت بعده
والمعنى الثاني إدراك جزء من المذكور معه يقال جاء في عقب شهر رمضان إذا
جاء وقد بقى منه بقية و يقال إذا برأ المريض وقد بقى شيء من المرض هو في
عقب المرض .

إذا عرفت ذلك فمعنى قوله لِفْلِي (وكذلك الخلف بعقب السلف) كذلك جاء
الخلف متاخرأ عن السلف وبعدهم أو جاؤوا وقد بقى منهم بقية ، وفي بعض النسخ
يعقب السلف بصيغة المضارع أى يجيء بعد السلف ويتأخر عنهم أو مع بقاء بقية
منهم و (قلعه) قلعاً من باب منع انتزاعه من اصله والاقلاع عن الامر الكف عنه
و (احترمه) المنية أخذته و القوم استاصلتهم و اقتطعهم و (ارعوي) عن القبيح
ارتدع و (الاجترام) اكتساب العجرم و الذنب و (احتذيت) به إذا اقتديت به في
اموره و اصله من حذوت النعل بالنعل قدرتها بها وقطعتها على مثالها و قدرها
و (الأرسال) جمع رسائل بفتحتين مثل سبب وأسباب وهو القطيع من الأبل و شبهه به
الناس فقيل جاؤوا أرسلاً أى متتابعاً و (صير) الامر بالكسر ويفتح مسيرة وعاقبته
الصيغة والصيغة .

الاعراب

قوله لِلَّاتِلَةِ وأحاط بكل الاحصاء قال الشارح المعتمد لي يمكن أن ينصب الاحصاء
على أنه مصدر فيه اللام والعامل فيه غير لفظه ، وبجوز أن ينصب بأنه مفعول به ويكون

ذلك على وجهين :

أحدهما أن يكون من حاط ثالثياً يقول حاط فلان كرمه أى جعل عليه حائطاً فكأنه جعل الأحصاء والعدد كالحائط المدار عليهم لا نهم لا يدعونه ولا يخرجون عنه الثاني أن يكون من حاط يحوط بالواو بمعنى جمع فدخل الهمزة كأنه جعل الأحصاء يحوطهم ويجههم يقول ضربت زيداً واضربته أى جعلته ذا ضرب كأنه جعل الأحصاء ذا تحويط عليهم بالاعتبار الاولى أو جعله ذا جمع لهم بالاعتبار الثاني و يمكن فيه وجه آخر وهو أن يكون الأحصاء مفعولاً له ويكون في الكلام محدود تقديره وأحاط بهم حفظته و ملائكته للأحصاء ودخول اللام في المفعول له كثير انتهى .

والأظهر هو الانتساب بالمصدر ، ومثله قوله **لُبْلَبٌ وأحصاكم عدداً** فانه أيضاً مصدر بغير لفظة الفعل على ما ذهب إليه الزجاج من تجويز كون العدد مصدراً مستدلاً بقوله تعالى سنين عدداً و على هذا فيكون أصل كلامه أحصاكم وعدكم عدداً على حد قوله تعالى : لقد أحصيتم وعدهم عدداً .

وأما على مذهب المشهور وهو الحق من كون العدد كالعديد اسم مصدر فهو تمييز منقول من المفعول به كقوله تعالى : وفِجَرْنَا الْأَرْضَ عِيُونًا ، والأصل أحصا عدكم ، ويمكن أن يكون حالاً أى أحصاكم معدوداً محصوراً .

وجوز هذا الوجه مع الوجه الأول صاحب الكشاف في قوله وأحاط بهم بالديهم وأحصى كل شيء عدداً حيث قال : عدداً حال أى وضبط كل شيء معدوداً محصوراً أو مصدر في معنى الأحصاء .

قوله وأعلقت المرء أو هاق المنيّة بنصب المرء والأوهان على المفعولية والفاعل الضمير الرّاجع إلى الدّنيا والباء في قوله بعقب السلف بمعنى في كما في قوله بالبكاء الكبير بالاطلال ، و اختراماً واجتراها منصوبان بنزع الخافض أى لا تكت عن احترام ولا يرتدعون عن اجترام ، وأرسلاً منتصب على الحال .

المعنى

اعلم أنَّ هذا الفصل من الخطبة مسوق للوصيَّة بالتقى و الخشية من الله و متضمن للتنفير عن الدُّنيا بذكر معائبها ومثالبها فأمرأ أو لا بالتقى بقوله (أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال) أى ضربها لكم في القرآن للتذكرة والموعظة كما قال تعالى :

«وَلَقَدْ ضَرَبَنَا لِلنَّاسِ فِيهَا الْقُرْآنَ مِنْ كُلِّ مَتَّلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ»

اي ليتذكروا بذلك الأمثال و يتذمروا فيها فيعتبروا ، والأمثال التي ضربها لهم فيه كثيرة منها قوله تعالى بعد الآية السابقة .

« ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءٌ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا

لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِي مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » .

فاته مثل ضربه سبحانه لعبدة الآصنام وللمخلصين بتوحيده ، ويعني بقوله رجالاً فيه شركاء أنه يعبد آلهة مختلفة وأصناماً ، وهم متشاجرون متعارضون هذا يأمره وهذا ينهاه ويريد كل واحد منهم أن يفرد بالخدمة ثم يكل كل منهم أمره إلى الآخر ويكل الآخر إلى آخر فيبقى هو خالياً من المنافع وهذا حال من يخدم جماعة مختلفة الآراء والأهواء وهو ممثل الكافر .

و أمثل المؤمن الموحد فرجل سلم أي خالص يخدم مالكاً واحداً لا يشوب بخدمته خدمة غيره ولا يأمل سواه ومن كان بهذه الصفة نال ثمرة خدمته لاسيما إذا كان المخدوم قادراً كريماً حكيمـاً .

و منها قوله تعالى في سورة يونس :

« إِنَّا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَاءٌ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتٌ

الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخْدَتِ الْأَرْضَ زُخْرُفَهَا
وَازْيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَيْهَا أَمْرُنَا لَيْلًاً أَوْ نَهارًاً فَجَعَلْنَاهَا
حَصِيدًاً كَانَ لَمْ تَفَنْ بِالْأَمْسِ كَذِلِكَ تُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»
فَانْ هَذَا مِثْلُ ضرَبَهُ اللَّهُ لِلتَّزْهِيدِ فِي الدُّنْيَا وَالتَّرْغِيبِ فِي الْآخِرَةِ فَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْمَقصُودَ
بِهَذِهِ الْآيَةِ نَشِيهُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالْمَاءِ فِيمَا يَكُونُ بِهِ مِنَ الْإِنْتِفَاعِ نَمَّ الْانْقِطَاعِ وَقِيلَ
إِنَّ الْمَشْبِهَ بِهِ النِّسَابَاتِ عَلَىٰ هَا وَصَفَهُ مِنَ الْأَغْتَرَارِ بِهِ نَمَّ الْمَصِيرُ إِلَى الزَّوَالِ وَقِيلَ
إِنَّ الْمَقصُودَ تَشْبِيهُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِحَيَاةِ مَقْدَرَةٍ عَلَىٰ هَذِهِ الْأَوْصَافِ.

وَ عَلَىٰ أَيِّ تَقْدِيرٍ فَمَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ مِثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِثْلَ الْمَاءِ النَّازِلِ مِنَ
السَّمَاءِ الْمُخْتَلَطِ بِسَبِيلِهِ نِباتُ الْأَرْضِ بِعَضِهِ بِعَضٍ حَتَّىٰ إِذَا أَخْدَتِ الْأَرْضَ حَسْنَهَا
وَبِهِجَتْهَا وَتَزَيَّنَتْ فِي نَظَرِ أَهْلِهَا وَظَنَّ مَا لَكُوهُمْ قَادِرُونَ عَلَى الْإِنْتِفَاعِ بِهَا بِاقْتِطَاعِهَا
وَ حَصَادِهَا أَنَّهَا أَمْرُ اللَّهِ سَبِيحَانَهُ أَيْ عَذَابٌ وَ بِلَاوَهٌ مِنْ بَرْدٍ أَوْ بَرْدٍ فَصَادَتْ مَحْصُودَةٌ
مَقْلُوعَةٌ يَابِسَةٌ كَانَ لَمْ تَقْمِ عَلَىٰ تِلْكَ الصَّفَةِ بِالْأَمْسِ.

وَنَحْوُهُ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ : « وَأَصْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَاءَ
أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذَرُوْهُ الرِّياحُ
وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا » .

وَنَحْوُهُمْ قَوْلَهُ سَبِيحَانَهُ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ : « أَعْلَمُوا أَنَّا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
لِبَبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخِرٌ يَئْتُكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ كَمَنَّ
غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرِيهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي

الآخرة عذاب شديد ». .

ومنها قوله تعالى : « ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلام طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بادن ربهما ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلام خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ». .

فائزه تعالى شبه الكلمة الطيبة أعني شهادة أن لا إله إلا الله أو كل كلام أمر به الله بالشجرة الطيبة التي أصلها ثابت راسخ في الأرض وأغصانها في السماء ، وأراد به المبالغة في الارتفاع تخرج هذه الشجرة ما يؤكّل منها في كل ستة أشهر أو في كل سنة أو كل غدوة وعشية . .

و شبه الكلمة الخبيثة وهي كلمة الكفر والشرك أو كل كلام في معصية الله بالشجرة الخبيثة اقتلعت جسدها من الأرض مالها من ثبات يعني أن الكلمة الطيبة مثل الشجرة الطيبة ينتفع بها صاحبها عاجلاً وآجالاً والكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة لا ينتفع بها صاحبها ولا يثبت لها منها نفع ولا ثمر . .

و في تفسير أهل البيت عليهم السلام (١) أن الشجرة الطيبة رسول الله ﷺ و فرعها على عياله و عنصر الشجرة فاطمة و ثمرة أولادها و أغصانها و أوراقها شيعتنا ثم قال : إن الرجل من شيعتنا لم يموت في سقط من الشجرة ورقه وإن المولود من شيعتنا ليولد فيورق مكان تلك الورقة ، و على هذا فالمراد بقوله سبحانه : تؤتي أكلها كل حين ما يقتى به إلا إمة من آل محمد شيعتهم في النحل والحرام . .

و في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر ع عليهما السلام في قوله : كلمة خبيثة كشجرة خبيثة ، إن هذا مثلبني أمينة ، وكيف كان فان المقصود من هذه الأمثال المضروبة في القرآن و نحوها مما هي فوق حد الاحماء هو تنبئه الخلق و تذكيرهم

١- هذه الرواية مروية في تفسير مجتبى البيان عن ابن عقدة عن أبي جعفر (ع) منه . .

وأيقاظهم من نوم الغفلة و الجمالة و حشوم و ترغيبهم على ملازمة المعرفة والتقوى و الطاعة .

ولذلك قال **يَعْلَمُكُمْ أَوْ عِسِّيكُمْ** بـ**يَقْوِيَ اللَّهُ الَّذِي ضَرَبَ لَكُمُ الْأَمْثَالَ** ، فـ**فَإِنَّ** في التعمير بهذه اللفظة إشارة إلى أن ضربها للتقى مما يجري أن يتقيه الخلق ، و كذلك المقصود بالأوصاف التي يذكرها بعد ذلك هو الجذب إليه (١) والحق عليه أعني قوله (و وقت لكم الآجال) أي عينها لكم و كتبها بقلم القضاء في **أُمُّ الْكِتَابِ** كما قال تعالى :

« وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ » .

فمن علم أن له أجلا إذا جاء لا يؤخر وأن له إيايا إلى ربـه الذي يؤخذ بما قد مـوا خـر فأـجدـر أن يخاف منه و يـحذر (و أـلسـكـمـ الرـيـاشـ و أـرـفـعـ لـكـمـ الـمعـاـشـ) أـيـ أـنـزـلـ عـلـيـكـمـ لـبـاسـاـ يـوارـىـ سـوـآـتـكـمـ وـ رـيـشاـ وـ لـبـاسـ التـقـوىـ (٢) وـ أـوـسـعـ عـيـشـكـمـ وـ رـزـقـكـمـ مـنـ الطـيـبـاتـ لـتـطـيـعـوهـ فـيـ السـرـ وـ الـاعـلـانـ وـ لـاتـجـاهـرـوـهـ بـالـكـفـرـ وـ الـعـدـوـانـ كـمـالـ قـالـ :
« لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ » .

(و أحاط بكم الأحصاء و أرصد لكم الجزاء) يعني أنه سبحانه محيط بكل عالم بعد نفووسكم لا يشده منكم أحد ، و هو تعالى أعد لكم جزاء أعمالكم من جاء بالحسنة فله خير منها وهم (٣) من فزع يومئذ آمنون ، و من جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون (و آثركم بالنسع السوابغ والرفد

١- أى التقى .

- ٢- اقتباس من الآية في سورة الأعراف و هو قوله تعالى يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم و ريشا و لباس التقى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون منه .
- ٣- اقتباس من الآية .

الرافع) أى أنه تعالى اختاركم بنعمه التامة الكاملة وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة (١) وأعطاكـم الصلـات الجـليلـة الرـفـيـعـة العـالـيـة (وأنـدرـكـمـ بالـحجـجـ الـبـوـالـغـ) ليـهـلـكـ منـ هـلـكـ عنـ يـتـيـةـ وـ يـحـيـيـ منـ حـيـ عنـ يـتـيـةـ (٢) وـ لـئـلاـ يـكـونـ لـلـنـاسـ عـلـى اللـهـ حـجـةـ بـعـدـ الرـسـلـ (٣) وـ كـانـ اللـهـ عـزـيزـ حـكـيـمـاـ (فـأـحـصـاـكـمـ عـدـدـاـ وـ وـظـفـ لـكـمـ مـدـدـاـ) يـعـنـيـ أـنـهـ أحـصـاـ عـدـدـكـمـ وـ عـيـنـ مـدـدـةـ عمرـكـ)

وـ إـنـسـمـاـ أـعـادـ تـكـرـ ذـكـرـ هـذـينـ الـوـصـفـيـنـ مـعـ اـغـنـاءـ قـوـلـهـ : وـ وـقـتـ لـكـمـ الـآـجـالـ وـ أـحـاطـ بـكـمـ الـاحـصـاءـ عـنـهـ ، لـلـتـساـكـيدـواـ لـمـبـالـغـةـ ، لـأـنـ ذـكـرـ توـقـيـتـ المـدـدـ وـ توـظـيـفـ الـآـجـالـ مـنـ أـشـدـ الـجـوـاـذـ إـلـىـ التـسـقـوـيـ ، وـ كـذـلـكـ الـمـعـرـفـةـ بـاـحـاطـةـ عـلـمـهـ بـجـزـئـيـاتـ الـنـفـوسـ وـ عـدـمـ شـذـوذـ شـيـءـ مـنـهـاـ عـنـ دـارـعـةـ لـهـاـ عـنـ الـمـهـالـكـ وـ الـمـعـاطـبـ .
فـانـ قـيـلـ : أـيـ نـكـتـةـ فـيـ الـإـتـيـانـ بـالـسـمـيـزـ أـعـنـ عـدـدـاـ بـعـدـ لـفـظـ الـاحـصـاءـ مـعـ أـنـهـ لـاـبـهـامـ فـيـهـ وـلـاخـفـاءـ بـلـ هـوـ مـفـنـ عـنـهـ ؟

قلـتـ : الـسـرـ فـيـ ذـلـكـ كـمـاـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : وـ أـحـصـيـ كـلـ شـيـءـ عـدـدـاـ ، وـهـوـيـانـ أـنـ عـلـمـهـ تـعـالـىـ بـالـأـشـيـاءـ لـيـسـ عـلـىـ وـجـهـ اـجـمـالـيـ بـلـ عـلـىـ وـجـهـ تـقـصـيـلـيـ ، فـانـ الـاحـصـاءـ قدـ يـرـادـ بـهـ الـاحـاطـةـ الـاجـمـالـيـةـ كـمـاـ قـالـ تـعـالـىـ : وـ إـنـ تـعـدـ وـنـعـمـةـ اللـهـ لـاـتـحـصـوـهـاـ ، أـيـ لـاـتـقـدـرـ وـ اـعـلـىـ حـصـرـهـاـ إـجـمـالـاـ فـضـلـاـ عـنـ التـقـصـيـلـ .

وـ ذـلـكـ لـأـنـ أـصـلـ الـاحـصـاءـ أـنـ الـحـاسـبـ إـذـبـلـغـ عـقـدـاـ مـعـيـنـاـ مـنـ عـقـودـ الـأـعـدـادـ كـالـعـشـرـةـ وـالـمـائـةـ وـالـأـلـفـ وـضـعـ حـصـةـ لـيـحـفـظـ بـهـاـ كـمـيـةـ ذـلـكـ الـعـقـدـ فـيـنـيـ عـلـىـ ذـلـكـ حـسـابـهـ وـ قـوـلـهـ (فـيـ قـرـارـ خـبـرـةـ وـ دـارـ عـبـرـةـ) أـرـادـ بـهـ أـنـهـ سـبـحـانـهـ عـيـنـ لـكـمـ الـمـدـدـ فـيـ مـقـرـ الـبـلـاهـ وـالـاـخـتـيـارـ وـ دـارـ الـاتـعـاظـ وـ الـاعـتـبارـ .

وـهـيـ الدـارـ التـيـ (أـتـمـ مـخـتـبـرـ وـ فـيـهـ) بـمـاـ أـعـطـاـكـمـ اللـهـ فـيـهـ لـيـمـيـزـ اللـهـ الـخـيـثـ مـنـ الطـيـبـ وـ الـمـفـسـدـ مـنـ الـمـصـلـحـ حـتـىـ يـزـيدـ فـيـ إـحـسـانـ الـمـحـسـنـ وـ يـؤـخـذـ بـعـصـيـانـ الـمـسـيءـ

١- اقتباس من الآية .

٢- اقتباس من الآية .

٣- اقتباس من الآية في سورة النساء .

(و محسبيون عليها) أى على نعيها كلاً أو بعضاً على مامضى تحقيقاً و تفصيلاً في شرح كلامه الشمرين ومضى هناك أيضاً توضيح الاتعاظ بالدُّنيا واعتبار فيها فليراجع ثمة. ثم إنَّه ~~لله~~ لما وصَّى بالتقوى و أمر بذرومه بذكر بعض الجواذب ~~إليه~~ أكدَه وعلمه بقوله : (فان الدُّنيا رنق مشربها) و هو كنایة من كدر لذاتها من حيث شوبها بالشعب والمصابب والهموم والأحزان (ردد غم شرعها) لأنَّ مواردتنا ولها الشروع فيها من مزالق الأقدام عن سوء الصراط إلى طرف التفرط والإفراط، و ذلك لكثرة الشبهات وغلوة المشتبهات (يونق منظرها) لما في ظاهرها من الحسن والبهجة والرُّدُغ والنمرة الموجبة لاعجاب الناظرين ~~إليها~~ والتداوِل بها (ويوقن مخبرها) لما في باطنها من السُّم القاتل البائع على وبوق المتناولين لها وهلاك المفتتنين بها، ووقعهم في الخزي العظيم والعذاب الأليم.

وهي (غروع حائل) لأنَّها تغُرِّ الخلق و تخدعهم بزخرها و زبر جهافيتها همون دوامها و ثباتها ثم تنتقل عنهم و تتغير في زمان يسير وعده قليلة (وضوء آفل) استعار لفظ الضوء لما يظهر منها من الحسن في عيون الغافلين من قولهم على فلان ضوء إذا كان حسن المنظر يعني إنَّها ذو حسن و ضياء، إلا أنَّ حسنهما قليل لا يدوم وينتسب فلا ينتسب (و ظل زائل) أى يستريح فيها أهلها و يستظلُّون بها إلا أنها في معرض الفناء والزوال (و سناد مائل) يستند إليها الغافلون و يعتمدون عليها مع أنها لاثبات لها ولا قرار.

(حتى إذا أنس نافرها واطمئنَّ ناكرها) أى إذا استأنس بها من كان باقتضاء عقله نافراً عنها و سكن إليها من كان بمقتضى فطرته منكرأً لها (قمصت بأرجلها) كالدابة القامضة الممتنعة عن ركوب الإنسان المولية عنه.

و قصصها كنایة عن امتناعها على الإنسان حين حضور أجله كأنَّها تدفعه برجلها ممثل الدابة الموصوفة ، والبيان بصيغة الجمع مع أنَّ الدابة لها رجالان من بباب التغلب و اعتبار اليدين و إنَّما عبر بالرجل دون اليد لكون القصص إلى الرجل أنساب.

(و قنصلت بأحبلها) كالقناص الذي يقتضي الصيد ويصيده بشركه و محاباته و هو كنایة عن تمكّن العلائق الدنيوية و حبائل محبتها والهيآت الرديّة المكتسبة عنها في عنقة بحيث لا يتمكّن من الامتناع والتجنّب عنها كالصيّد الواقع في الشرك (و أقصدت بأسمها) كالرّامي الذي يرمي بسهامه فيصيب الغرض ولا يخطئه وأسمها كنایة عن الأَمراض وأسباب الموت .

(و أغلقت المرء أذهاق المنية) أي أغلقته حبالها يعني ما تجذب بها إلى الموت من سائر أسبابه أيضاً (قائدة) بملك العبال (له إلى ضنك المضجع) وضيق القبر (و وحشة المرجع) و هو إشارة إلى ما يجده أهل الدنيا من الوحشة عند مفارقة الأموال والأولاد والأحبة (و معاناة المحل) أي مشاهدة الموضع الذي يحلّ به بعد الموت وهو دار الآخرة (و نواب العمل) أي جزائهم خير أو شر لا العجزاء بالمعنى الأَخص الذي هو عوض الطاعة .

(و كذلك الخلف بعقب السلف) أي هكذا حال الخلف بعد السلف يفعل الدنيا بهم مثل ما فعلت بآسلافهم ، و كذلك هم في الدنيا يعملون مثل ما عمله آبائهم (فلاتقلع المنية) منهم (اختراهماً ولا يرجعون الباقيون اجتراهماً) يعني لا يكفُ المنية عن إهلاكم واستيصال نفوسيّهم ولا يرتدع الباقيون منهم عن جرمهم وجرايرهم بل (يحتذون مثلاً) و يقتدون بأمثالهم الماضين في الأفعال والأفعال (ويمضون) على ذلك (أرسالاً) و متتابعاً (إلى غاية الاتهاء وصيود الفناء) أي إلى متته ما يسيرون إليه بطيأياً الأبدان و عاقبة ما يكون أمرهم عليه من الفناء والعرض على الملك الدّيان أقول : و نرجو من الله سبحانه عند ذلك الرحمة والغفران بالكرم والامتنان .

الترجمة

وصیت میکنم شما را ای بند کان خدا بقوی و پرهیز کاری خدا چنان خدائی
که نیان فرمود از برای شما مثل ها ، و معین کرد از برای شما أجل هاو پیوشانید
شما را لباس های فاخر و دوستدار بشما با طعام های طیب و ظاهر ، و احاطه کرد
بشما احاطه کردندی و مهیا نمود از برای شما جزای عمل های شمارا و برگزید

شما را بنعمت های تامه کامله و عطا یابی جلیله عالیه ، و ترسانند شما را با حجت های واضحه بالغه و شمرد شما را شمردنی و تعیین نمود از برای شما مدت های اعمار در مقر امتحان و اختبار و در سرای اعتبار.

شما امتحان شد گانید در دار فانی و حساب کرده شد گانید در آن بنعمت ها و زندگانی ، پس بدرستی دنیا ناصاف است محل آب غوردن آن کل آلو داست محل آب برداشت آن تعجب می آورد در نظر جاهلان تماشا گاه آن و هلاک می سازد محل آزمایش آن در وقت التذاذ بلذات آن ، و آن فربینده است تغییر یابنده ، و صاحب حسن است فرورونده ، و سایه ای است زائل شونده و تکیه گاهی است میل نماینده .

تا زمانی که انس کیرد باؤ نفرت کشنه از او و خواطر جمع مشود باؤ انکار کشنه او ، بر جهد پیاهای خود که ییندازد او را بر زمین مذات ، و شکار کند اورا بدامهای خود تا گرفتار شود به هشقت و محنت ، و بر ساند باو تیرهای مرک و هلاکت در حالتی که کشنه باشد او را بضيق و تنگی خوابکاه و وحشت باز گشت و به مشاهده کردن جای جزا و نواب کردار.

و همچنین است حال پس آیندگان بعداز پیش رفتگان و رحلت نمایندگان نه امساك می کند مرک از استیصال نمودن ، و نه باز می ایستند باقی ماندگان از جرم و کناه کردن ، بلکه اقتدا می کنند بر مثال گذشتگان و میگذرند پیاپی تابعیت نهایت که عبارت است از موت و عاقبت امر که عبارت است از فنا و فوت .

الفصل الثالث

حَتَّىٰ إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ، وَ تَقْضَتِ الدُّهُورُ، وَ أَزْفَ النُّشُورُ،
أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِيجِ الْقُبُورِ، وَ أَوْكَارِ الطُّيُورِ، وَ أَوْجَرَةِ السَّبَاعِ،
وَ مَطَارِحِ الْمَهَالِكِ، يُسْرَاعُ إِلَى أَمْرِهِ، مُهْطَعِينَ إِلَى مَعَادِهِ، رَعِيَّا لَصُمُوْتَهَا،

قِياماً صُفوفاً، يَنْفَذُهُمُ الْبَصَرُ، وَيَسْعِهُمُ الدَّاعِي، عَلَيْهِمْ لَبُوسُ الْأَسْتِكَانَةِ
وَضَرَعُ الْإِسْتِسْلَامِ وَالذَّلَّةِ، قَدْ ضَلَّتِ الْحِيَلُ، وَانْقَطَعَ الْأَمَلُ،
وَهَوَّتِ الْأَقْيَدَةُ كَاظِمَةً، وَخَسَّتِ الْأَصْوَاتُ مُهْيَنَةً، وَأَلْجَمَ الْعَرَقُ،
وَعَظُمَ الشَّفَقُ، وَأَرْعَدَتِ الْأَسْمَاعُ لِزَرْبَةِ الدَّاعِي إِلَى فَصْلِ الْخَطَابِ،
وَمُقاَيِضةُ الْجَزَاءِ وَنَكَالِ الْعِقَابِ، وَنَوَالِ النَّوَابِ.

اللغة

(صرمت) النَّخْل قطعته وانصرم الميل وتصرم ذهب و (قضم) الشيء يقضمه
قطعه و (أزف) شخص فلان يازف أزفا من باب تعب قرب ودنا ومنه قوله : أزفت
الآزفة ، أى قربت القيامة ودنت ، سميت بذلك لأنَّ كلَّ ما هو آت قريب و (نشر)
الموتى نشوراً من باب قعد حيوا ونشرهم الله يتعدى ولا يتعدى ، وقد يتعدى بالهمزة يقال
أنشرهم الله و قال تعالى : وإذا شاء أنشأه ، أى أحياه بعد إماتته .
و (الضريح) الشق في وسط القبر في جانب فعالب بمعنى مفعول و (اوجرة)
السباع جمع وجار بالكسر وهو جحرها الذي تأوى إليه و (هطع) يهطع من باب
منع أسرع مقبلاً وأهطع في عدوه أسرع منه قوله تعالى : همطعين إلى الداع ، أى
مسرعين إليه في خوف .

و (الرُّعِيل) القطعة من الخيل والجماعة من الناس و (الصَّمُوت) جمع
صامت كالصممت والصممات مصدر بمعنى السكوت من صمت يصمت من باب قتل
و (الْلَّبُوس) بفتح اللام ما يلبس قال تعالى : وَعَلَّمَنَاهُ صنعةُ لَبُوسٍ ، يعني
الدرع و (الاستكانة) الخضوع و (ضرع) له ضرع من باب منع ضراعة ذل و خضع ،
و ضرع ضرعاً من باب تعب لغة و ضرع ضرعاً وزان شرف ضعف ، و تضرع إلى الله
ابتله و (كظم) يكظم كظمماً من باب ضرب و سكت و رجل كظيم و مكظوم
مكروب .

و (المهينة) الصوت الخفي و (الجم العرق) بلغ الفم فصار كاللجماء و (الشفق) الخوف و (ارعدت الاسماع) بالبناء على المجهول أخذتها الرعدة و (الزبرة) من زبره زبراً من باب ضرب زجره ونهره و (قا يضته) به بالياء الممنوعة التسخينية عارضته عرضابعرض و (نكل) به تنكيلًا صنع به صنعوا يحضر غيره ، والنكل اسْم منه أو هو العقوبة و (النّوال) العطا .

الاعراب

سراعا ، منتصب على الحال من مفعول أخرج وكذلك المنصوبات بعده ، ولبوس الاستكانة مرفوع على الابتداء قدّم عليه خبره للتوسيع ، و قوله إلى فصل الخطاب متعلق بالداعي .

المعنى

اعلم أنَّ هذا الفصل من الكلام قد ساقه عليه لبيان ما يحلُّ على الناس بعد الموت ويتحقق بهم من شدائد القيامة وأهوالها وأشار به إلى النشر والمعاد فقال (حتى إذا تصرّمت الأمور وتقضى الدُّهور) أي تعطلت أمور الناس بموتهم وانقضت الأزمان وتقطعت (و أزف النشور) أي دني وقرب وقت احياهم بعد إماتتهم أمر الله سبحانه بنفح الصور فنشرهم وحشرهم .

و (آخر جهنم من ضرائح القبور) ان كانوا مدفونين فيها (وأوكار الطيور) ان كانوا أكيل طير (وأوجرة السباع) إن كانوا فريسة سبع (ومطارح الممالك) ان قتلوا في معركة حرب ونحو ذلك وبالجملة ينشرهم الله ويا تبّ لهم جميعاً إنما كانوا (سراعاً إلى أمره) وقضائه غير لا يثنين (مهطعين إلى معاده) غير مما كيسن كما قال تعالى في سورة ق «يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَسْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ»

أى يسرعون إلى أمره بلا حكث وتأخير ، وفي سورة القمر :

«يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُكَرٍ خَشْعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَمَا هُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا

يَوْمَ عَسِيرٍ » .

(رعياً صموماً قياماً صفوفاً) أى جماعة ساكتين قائمين صافين لا يقدرون على الكلام ولا يرخص لهم في القعود كما قال تعالى في سورة النبأ

« يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ » أى بنو آدم على أحد التفاسير « وَالْمَلِئَكَةُ صَفَا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا » وفيها أيضاً « يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجًا » .

روى في المجمع عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سُئل عن هذه الآية فقال: يحشر عشرة أصناف من أمتى أشتان أقديميهم الله من المسلمين وبذلك صورهم وبعضهم على صورة القردة ، وبعضهم على صورة الخنازير ، وبعضهم منكسون أو جثثهم من فوق وجوههم من تحت نم يسحبون عليها ، وبعضهم عمى يتربدون ، وبعضهم صم بكم لا يعقلون ، وبعضهم يمضغون ألسنتهم يسيل اللقيح من أفواههم لعاباً يتقدّرهم أهل الجمع ، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم ، وبعضهم مصلبون على جذوع من النار ، وبعضهم أشدّ تتنا من الجيف ، وبعضهم يلبسون جباباً سابغاً من قطران لازقة بجلودهم .

فأمّا الذين على صورة القردة فالقتاة من الناس ، وأمّا الذين على صورة الخنازير فأهل السحت ، وأمّا المنكسون على رؤوسهم فآكلة الرّبا ، والعمى الجائرون في الحكم ، والصم البكم المعجبون بأعمالهم ، والذين يمضغون ألسنتهم العلماء والقضاة الذين خالف أعمالهم أقوالهم ، والمقاطعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران ، والمصلبون على جذوع من نار فالسعادة بالناس إلى السلطان ، و الذين أشدّ تتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات و يمنعون حق الله في أموالهم ، والذين هم يلبسون الجباب فأهل الفخر والخيلاء

(ينفذهم البصر) بصر الجبار تعالى أى لا يخفى أحدهم مع كثرتهم عن ادراكه سبعاً و لا يعزب عن علمه كما قال في سورة الحاقة: يَوْمَئِذٍ تُعرَضُونَ لَا يَغْفِي مِنْكُمْ

خَافِيَةً (ويسمعهم الداعي) يعني أنهم مع هذه الكثرة أيضاً يশمّلهم ويحيط بهم عموم دعاء الداعي إلى فصل الخطاب ويسمع آخرهم كما يسمع أولهم نداء المنادي إلى الموقف والحساب، وإليه الاشارة بقوله تعالى في سورة ق

«يَوْمَ يُنادِي الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصِّحَّةَ بِالْحَقِّ

ذَلِكَ يَوْمُ الْخُروجِ».

قال الطبرسي : وإنما قال من مكان قريب لأنّه يسمعه الخلايق كلامهم على حد واحد فلا يخفى على أحد قريب ولا بعيد فكان لهم ندوة من مكان يقرب منهم (عليهم لباس) الخضوع والخشوع و (الاستكانة و ضرع) التذلل و (الاستسلام والذلة) من هول هذا اليوم وفزعه كما قال سبحانه في سورة طه :

«وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيْوِمِ وَقَدْخَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا»

قال الطبرسي أي خضعت وذلت خضوع الأسير في يد من قهره والمراد خضع أرباب الوجه واستسلموا الحكم للحي الذي لم يمت ولا يموت ، وإنما اسند الفعل إلى الوجه لأنّ أثر الذل يظهر عليها ، وقيل المراد بالوجه الرئيس والقادة والملوك أي يذلون وينسلخون عن ملتهم وعزّهم ، وفي سورة المعارج :

«يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَبَّاهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوْفِضُونَ

ـ خَائِشَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهِقُهُمْ ذِلَّةً ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ»

أي يخرجون من القبور هسرعين كانوا منهم يسعون إلى علم نصب لهم خاصةً بأصادهم لا يستطيعون النظر من هول ذلك اليوم وتخشيم المذلة (قد ضلت الحيل) أي الحيل الدنيوية فلا يستطيعون الخلاص منها هم فيه بالحيلة والتدبیر كما كانوا يخلصون من بعض آلام الدنيا بها (وانتفع الأمل) أي أملهم في الدنيا الامتناع عودهم إليها وانتقطاع طعمهم عنها (وهوت الأفئدة كاظمة) أي خلت من الفرح والسرور بل ومن كل شيء حالكونها ساكتة أو مكروبة ومحزونة وهو مأخوذ من قوله تعالى

في سورة إبراهيم :

« مُهْطِئِينَ مُقْنِي رُؤُسِهِمْ لَا يَرَنَّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْتَدَهُمْ هَوَاهُ ».

قال الطبرسي: هو طعن أى مسرعين وقيل يريدها تم النظر إلى ما يرون لا يطرفون مقتني رؤوسهم أى رافق رؤوسهم إلى السماء حتى لا يرى الرجل مكان قدمه من شدة رفع الرأس وذلك من هول يوم القيمة وقال مورج: معناه ناكسي رؤوسهم بلغة قريش لا يرى إليهم طرفهم أى لا يرجع إليهم أعيتهم ولا يطبقونها ولا يغمضونها وإنما هو نظر دائم وأفتدتهم هواه أى قلوبهم حالية من كل شيء وقيل حالية من كل سور و طمع في الخير لشدة ما يرون من الأهوال كالهوا الذي بين السماء والأرض وقيل معناه وأفتدتهم زائلة عن مواضعها قد ارتفعت إلى حلوتهم لا تخرج ولا تعود إلى أماكنها بمنزلة الشيء الذاهب في جهات مختلفة المتعدد في الهوا وقيل معناه حالية عن عقولهم (وخشت الأصوات مهينة) أى حال كونها ذات هينة وخفاء قال :

« وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِرَحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً ».

قال في مجمع البيان : أى خضعت الأصوات بالسكن لعظمته الرحمن، والمهم هو صوت الأقدام أى لا تسمع من صوت الأقدام أى لأنسمع من صوت أقدامهم إلا صوتا خفيا كما يسمع من أخفاف الأبل عند سيرها وقيل الهمس إخفاء الكلام وقيل معناه إن الأصوات العالية بالأمر والنهي في الدنيا ينخفض ويذلل أصحابها فلا يسمع منهم إلا الهمس (والمجم العرق) أى بلغ أفواههم ، قال الشارح المعتزلي : وفي الحديث أن العرق ليجري منهم حتى أن منهم من يبلغ ركبتيه ، ومنهم من يبلغ صدره ، ومنهم من يلجمه وهم أعظمهم مشقة .

أقول : وعن الارشاد عن الصادق عليه السلام في حديث إن الغنى ليوقف للحساب وسييل منه العرق حتى لو شرب منه أربعون بغيرا لصدره ، ويأتي لهذا مزيد تفصيل في شرح المختار المأة و التاسع و الثمانين إنشاء الله (وعظم الشفق) وفي بعض الروايات أن شعر رأس الناس و بدنهم يبيض من شدة الخوف والاشفاق بعد ما

كان أسود (١) (و ارعدت الاسماع لزبرة الداعي إلى فصل الخطاب) أى أخذتها الرعدة والاضطراب من زجر الداعي ونهره وهيبة صوته قال الطبرسي في تفسير قوله « وأَسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِيَ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ » .

قيل إنه ينادى المناد من صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والأوصال الممنوعة واللحوم المتمرقة قومي لفصل القضاء وما أعد الله لكم من الجزاء وقيل إن المنادي هو إسرائيل يقول يامعشر الخلائق قوموا والحساب (مقاييسالجزاء) مبادلتها ومواضتها (ونكال العقاب) إن كسبت يداه في الدنيا سيئة (ونوال الشواب) إن افترف فيها حسنة .

« فَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ قَالَ ذَرَّةً خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ قَالَ ذَرَّةً شَرًّا يَرَهُ »

تنبيه وتحقيق

اعلم أن هذا الفصل من المخطبة كبعض المخطب الآتية نص صريح في ثبوت المعاد الجسماني وعليه قد دلت الآيات القرآنية هماذكرناها ومالم يذكر ، والستن

١ - روی في الكافي باسناده عن يزيد اكناسی عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن فتية من أولاد ملوك بنى اسرائیل كانوا متعبدین وكانت العبادة في أولاد ملوك بنى اسرائیل وأنهم خرجوا يسرون في البلاد ليعتبروا فمرروا بقبر على ظهر الطريق قد سفى عليه السافى ليس منه الا رسمه فقالوا لودعونا الله الساعة فنشر لنا صاحب هذا القبر فسائلنا كيف وجد طعم الموت فدعوا الله تعالى قال فخرج من ذلك القبر رجل أبيض الرأس واللحية ينقض رأسه من التراب فز عاشا خصا بصره الى السماء ، فقال لهم : ما يوكلكم على قبرى فقالوا : دعوناك لنسألك كيف وجدت طعم الموت فقال لهم : لقد سكنت في قبرى تسعه وتسعون سنة ما ذهب عنى ألم الموت وكربه ولاخرج مرارة طعم الموت من حلقي

قال «لواظ» له : مت يوم مت وأنت على مانرى أبيض الرأس واللحية ؟ قال : لا ، ولكن لما سمعت الصبيحة اخرج اجتمعت تربة عظامي الى روحى فبقيت فيه فخرجت فزععا شاخصا بصرى مهطمها الى صوت الداعي فایپن لذلك رأسى ولجيئنى منه

النبيوية المتواترة بل هو ضروري الدين وعليه إتفاق المسلمين ومع ذلك كله لا يعبأ به بخلاف الحكمة ومنعهم منه بناء على امتناع اعادة المعدوم من حيث امتناع عود أسبابه بعينها من الوقت والدورة الفلكية المعينة وغيرهما وربما قال بعض الحكمة أى حكمة الاسلام بجواز عود المثل وربما قلّد بعضهم ظاهر الشريعة في أمر المعاد الجسماني، وإنبات السعادة والشقاوة البدنية ثمة مع الروحانية

قال الصدر الشيرازى في شرح الهدایة للمبیدي : و اعلم أنه قد ذرمت الفلسفه الطبيعيون و اوسعوا الدّهريّة الذين لا اعتقاد بأقوالهم و آرائهم في الملة ولا في الفلسفه انكار المعاد مطلقاً للانسان زعماً منهم أنه متكون من مزج و امتزاج لهذا الهيكل المحسوس بما له من القوى والأعراض وذلك يعني بالموت ولا يبقى فيه إلا الموارد العنصرية ولا إعادة للمعدوم فمهما فسدا لايرجى له عايدة فحكموا بأنه إذا مات مات و نيل سعادته أو شقاوته قدفات كما حكى الله عنهم في كتابه المجيد :

« ما هي إلا حيو تنا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَ نَحْيِي »

مثل العشب والمرعى فيصير غباء أهوى فلهذا السبب أنكروا النبيّة المنذرة بالبعث وفوايدها وأصرّوا صرحاً على منع نشرها يدها ، و في هذا تكذيب العقل على ما يراه المحققون من أهل الفلسفه والشرع على ما قررها المحققون من أهل الملة .

و اتفق المحققون من الفلسفه والملين على ثبوت المعاد و حقّيته لكنهم اختلفوا في كيفيةه.

فذهب جمهور المسلمين على أنه جسماني فقط ، لأنّ الروح عندهم جسم سار في البدن سريان الزّيت في الزّيتون و ماء الورد في الورد والنّثار في الفحم .

و ذهب جمهور الفلسفه إلى أنه روحاني فقط ، لأنّ البدن ينعدم بصورةه وأعراضه فلا يعاد النّفس جوهر مجرد باق لا سبيل إليه للفساد .

و ما تزّين به كثير من علماء الاسلام كاصحابنا الامامية والشيخ الغزالى

والكعبي والحلبي والراغب الأصفهاني هو القول بالمعادين : الرّوحاني والجسماني جمِيعاً ذهاباً إلى أنَّ النَّفْس جوهر مجرَّد يعود إلى البدن ، وهذا رأيُ كثير من الصَّوفية والكراميه و به يقول جمهور النَّصارى والتَّسنيميين .

قال الإمام الرَّازِي إِلَّا أَنَّ الفرقَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَقُولُونَ بِعِدُوتِ الْأَرْوَاحِ وَرَدَّهَا إِلَى الْبَدَنِ لَا فِي هَذَا الْعَالَمِ بَلْ فِي الْآخِرَةِ ، وَالتَّسَاسِيَّةُ بِقَدْمِهَا وَرَدَّهَا إِلَيْهِ فِي هَذَا الْعَالَمِ وَيَنْكِرُونَ الْآخِرَةَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ .

أقول : وَمَمَّنْ قَالَ بِالْمَعَادِينَ الشَّيْخُ الرَّئِيسُ أَبُو عَلَىٰ بْنُ سِينَا قَالَ فِي مُحَكَّمٍ كَلَامَهُ مِنَ الشَّفَا : يَجْبُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْمَعَادَ مِنْهُ مَا هُوَ مَقْبُولٌ مِنَ الشَّرْعِ وَلَا سَيْلٌ إِلَى إِبْنَتِهِ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الشَّرِيعَةِ وَتَصْدِيقِ خَيْرِ النَّبِيَّ وَهُوَ الَّذِي لِلْبَدَنِ عِنْدَ الْبَعْثَةِ وَخِيرَاتِ الْبَدَنِ وَشُرُورِهِ مَعْلُومَةٌ لَا تَحْتَاجُ أَنْ تَعْلَمَ ، وَقَدْ بَسَطَ الشَّرِيعَةُ الْحَقَّةَ الَّتِي أَنْتَانَا بِهَا سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٌ ﷺ حَالُ السَّعَادَةِ وَالشَّقاوةِ الَّتِيْنِ بِحَسْبِ الْبَدَنِ .

وَمِنْهُ مَا هُوَ مَدْرَكٌ بِالْعُقُولِ وَالْقِيَاسِ الْبَرَهَانِيِّ وَقَدْ صَدَقَهُ النَّبِيُّ وَهُوَ السَّعَادَةُ وَالشَّقاوةُ الْبَالِفَقَانُ الثَّابِتَتَانُ بِالْمَقَائِيسِ الْمُتَنَانُ لِلأنْفُسِ وَإِنْ كَانَتِ الْأَوْهَامُ مُنْتَهَى تَقْصُرَ عَنْ تَصْوِرِهَا إِلَّا ، لَمَّا نُوَضِّحَ مِنَ الدَّلِيلِ وَالْحُكْمَاءُ الْأَلَهِيُّونَ رَغَبُوهُمْ فِي اصْبَابِ هَذِهِ السَّعَادَةِ أَعْظَمُ مِنْ رَغْبَتِهِمْ فِي إِصَابَةِ السَّعَادَةِ الْبَدَنِيَّةِ بِلَ كَانُوهُمْ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى تِلْكَ وَانْ اعْطُوهُمَا وَلَا يَسْتَعْظِمُونَهَا فِي جَنْبِ هَذِهِ السَّعَادَةِ الَّتِي هِيَ مَقَارِيَةُ الْحَقِّ الْأَوَّلِ اتَّهَى كَلَامَهُ .

وَقَالَ الْمَحْقُوقُ الشَّيْرِازِيُّ أَيْضًا فِي شَرْحِ الْهُدَىِّيَّةِ : أَعْلَمُ أَنَّ إِعَادَةَ النَّفْسِ إِلَى بَدْنِ مُثْلِ بَدْنِهِ الَّذِي كَانَ لَهَا فِي الدُّنْيَا مُخْلُوقٌ مِنْ سُنْخِ هَذِهِ الْبَدَنِ بَعْدَ مَفَارِقَتِهَا عَنْهُ فِي القيَامَةِ كَمَا نَطَقَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ مِنْ نَصوصِ التَّنزِيلِ وَرَوَايَاتِ كَثِيرَةٍ مُتَظَافِرَةٍ لِأَصْحَابِ الْعَصْمَةِ وَالْهُدَىِّيَّةِ غَيْرَ قَبْلَةِ اللَّتَّاؤِيلِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى :

(قَالَ مَنْ يُخْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُخْيِيَهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوْلَـ)

مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلَيْهِ) (فَإِذَا مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ)
 (أَيْخَسَبُ الْأَنْسَانُ أَنَّ لَنْ تَجْمَعَ عَظَامَهُ بَلِّيْ قَادِرِينَ عَلَى أَنْ تُسَوِّيَ بَنَائَهُ)

أمر ممکن غير مستحيل فوجب التصديق بها لكونها من ضروريات الدين وإنكاره كفر هين ولا استبعاد أيضاً فيها بل الاستبعاد والتوجه من تعلق النفس إليه في أول الأمر أظهر من تعجب عوده إليه إلى أن قال : ولا يضرنا أيضاً كون البدن المعاد غير البدن الأول بحسب الشخص لاستحالة كون المعدوم بعينه معاداً و ما شهد من النصوص من كون أهل الجنة صرداً مرداً ، و كون ضرس الكافر مثل جبل أحد ، و كذا ما روى من قوله يحشر بعض الناس يوم القيمة على صورة يحسن عند ها القردة والخنازير ، يقصد ذلك ، و كذا قوله : كلما نضجت جلودهم بدلت ناهم جلوداً غيرها .

فإن قيل فعلى هذا يكون المثاب والمعاقب باللذة والآلام الجسمانية غير من صدرت منه الطاعات والخيرات وارتكب المعاishi والشروع.

قلنا : العبرة في ذلك الجوهر المدرك وهو النفس ولو بواسطة الآلات وهي باقية بعينها و كذا المادة و السنخ كالأجزاء الأصلية في البدن أو غيرها ولهذا يقال للشخص مع انتقاله من الصبا إلى الشيوخية والتتجددات والاستحالات الواقعة فيما بين أنه هو بعينه وإن تبدلت الصور والهيئات وكثير من الأعضاء والآلات ولا يقال لمن جنى في الشباب و عوقب في المشيب أنه عقاب بغير الجاني انتهى . و أنت إذا أحطت خبراً بالأقوال في المسألة فلا بأس بالإشارة إلى بعض شبه المنكرين مع إبطال شبههم حسبما أشير إليه في الكتاب العزيز قال سبحانه :

(أَوَلَمْ يَرَ الْأَنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ)

و ضرب آنا مثلاً و نسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ، قل

يُحِيِّهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَالِمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ
مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ).

روى أنّ أمية بن خلف أو العاص بن وائل السهمي أو أبي بن خلف وهو المروي عن الصادق عليه السلام أيضاً بضم بال متنقّت وقال : يامثل أتزعم أنّ الله يبعث هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم و يدخلك جهنّم فنزلت الآية ، وهو المراد بالانسان في الآية وإن كان الحكم جاريها في حق كل من ينكر البعث والحساب إذا العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب على ما تقرّر في الاصول فالمعنى :

أولم يعلم الانسان أنا خلقناه من نطفة ثم نقلناه من النطفة إلى العلقة، ومن العلقة إلى المضفة ، ومن المضفة إلى العظام، وكسونا العظام لحمها ، ثم أنشأناه خلقا آخر كامل العقل و الفهم ، فاذ أكملا عقله و فهمه صار متكلما مختصما ، فمن قدر على مثل هذا فكيف لا يقدر على الاعادة و الاحياء مع أنها أسهل من الانتهاء والابتداء ؟

ثم أكد سبحانه الانكار عليه فقال : و ضرب لنا مثلا ، أي ضرب المثل في إنكار البعث بالعظم البالى وفته بيده ، و نسي خلقه ، أي ترك التنظر في خلق نفسه مع أنه من أدل الدلائل على جواز البعث و إمكانه ، لما ذكرناه من أنه مخلوق من نطفة متشابهة الأجزاء مع كونه مختلف الأعضاء إذ لو كان خلقه من أشياء مختلفة الصور لا ممكن أن يقال العظم خلق من جنس صلب اللحم من جنس رخو وكذلك الحال في كلّ عضو ، ولما كان خلقه من متشابهة الأجزاء مع اختلاف صوره كان ذلك دليلا على كمال الاختيار والقدرة.

مضافا إلى القوة المعاقلة والفاهمة والناطقة التي أعطاها الله لها بدعها فيه وقدر معها على المخاصمة والاحتجاج مع أن تلك القوة لم تكن في النطفة أصلا ولم تكن من مقتضياتها و دلالة ذلك على الاختيار والاقتدار أقوى .

نم إن المنكرين للبعث منهم من لم يذكر فيه دليلا ولا شبهة وإنما اكتفى

بمجرد الاستبعاد وادعى الضرورة والدهاءة في استحالة المعاد وهم الاكثرون ويبدل عليه ماحكاه تعالى عنهم في غير موضع كما قال : و قالوا مَنْ اذ اظللنا في الأرض، إِنَّا لَفِي خلقٍ جَدِيدٍ، إِذَا مَتْنَا وَ كَنَاتْرَابَا وَ عَظَامًا إِنَّا لَمْ يَعْشُنَا، إِنَّكَ لَمْنَ المُصْدِقِينَ إِذَا مَتْنَا وَ كَنَاتْرَابَا وَ عَظَامًا إِنَّا لَمْ يَدِنُونَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

و مثلها ما حكاه هنا بقوله : قَالَ مَنْ يَحْيِي الْعَظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ ، على طريق الاستبعاد ، و هو المراد بالمثل الذي ضربه الانسان المذكور ولما كان استبعاده من جهة التفتت والتفرق اختيار العظم للذكر ليبعده عن الحياة لعدم الاحساس فيه ووصفه بما يقوى جانب الاستبعاد من البلا والتفتت و قال : هي رميم ، وقد دفع الله سبحانه بقوله : و نسي خلقه ، إذ لو كان تدبر في خلقه و عرف قدرة خالقه واختياره وعلمه لما استبعد ذلك.

و منهم من ذكر شبهة وإن كان مرجعها بالأخرة إلى الاستبعاد أيضاً و هي على وجهين :

أحدهما أنه بعد العدم لا يبقى شيء فكيف يصح على المعدوم الحكم بالوجود ودفعها بقوله . قل يحييها الذي أنشأها أول مرّة ، يعني كما خلق الانسان ولم يكن شيئاً مذكوراً كذلك يعيده وإن لم يبق شيئاً مذكوراً .

وثانيهما أن من تفرق أجزاء في مشارق الأرض ومقاربها وصار بعضه في أبدان السباع وبعضه في جدران الرّباع وبعضه في ضرائح القبور وبعضه في أو كار الطيور كيف يجمع . وأبعد من ذلك أنه قد يأكل الانسان سبع و يأكل السبع طاير ويأكل الطاير إنسان آخر ، ومن المعلوم أن أجزاء المأكول يصير جزء بدن الآخر فإذا حشر الانسان والحيوان على ما هو المذهب الـ فتلك الأجزاء المفروضة إنما أن تعاد في بدن الآخر أو في بدن المأكول أوهما معاً ، فان اعيدت في بدن الآخر لازم أن لا يعاد المأكول ، وإن اعيد المأكول لازم أن لا يعاد الآخر وإن كان الثالث لازماً لمحال ، لأنَّ الجزء الواحد لا يكون في موضعين .

فقال تعالى في إبطال هذه الشبهة : و هو بكل خلق عليم ، و توضيحه أنَّ في

بَدْنَ الْآكَلُ أَجْزَاءُ أَصْلِيَّةٍ وَأَجْزَاءُ فَضْلِيَّةٍ، وَفِي الْمَأْكُولِ كَذَلِكَ ، فَإِذَا أَكَلَ الْإِنْسَانُ سَبْعَ صَارِ الْأَصْلِيِّ مِنْ أَجْزَاءِ الْمَأْكُولِ فَضْلِيًّا مِنْ أَجْزَاءِ الْآكَلِ وَالْأَجْزَاءُ الْأَصْلِيَّةُ لِلْآكَلِ هِيَ مَا كَانَ لَهُ قَبْلَ إِكْلِهِ كُلُّ خَلْقٍ عَلَيْهِمْ، يَعْلَمُ الْأَصْلِيِّ مِنَ الْفَضْلِيِّ فَيُجْمِعُ الْأَجْزَاءُ الْأَصْلِيَّةُ لِلْآكَلِ وَيُنْفَخُ فِيهَا رُوحٌ، وَيُجْمِعُ الْأَجْزَاءُ الْأَصْلِيَّةُ لِلْمَأْكُولِ فِيهَا رُوحٌ فِيهَا رُوحٌ، وَكَذَلِكَ يُجْمِعُ الْأَجْزَاءُ الْمُتَفَرِّقُونَ الْبَقَاعُ وَالْأَصْقَاعُ بِحُكْمِهِ الشَّامِلَةُ وَقُدْرَتِهِ الْكَامِلَةُ . ثُمَّ بِالْغَيْرِ سُبْحَانَهُ فِي إِبْطَالِ إِنْكَارِهِمْ بِقَوْلِهِ : الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ هُنَّ تَوَقُّدُونَ ، وَوَجْهُ الْمِبَالَغَةِ هُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ مُشَتَّمٌ عَلَى جَسْمِهِ يَحْسُنُ بِهِ وَحَيَاةً سَارِيَّةً فِيهِ وَهِيَ كَحْرَارَةً جَارِيَّةً فِيهِ ، فَإِنْ اسْتَبَعْدُتُمْ وَجُودَ حَرَارَةٍ وَحَيَاةً فِيهِ فَلَا تَسْتَبِعُوهُ فَإِنَّ النَّارَ فِي الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ الَّذِي يَقْطَرُ مِنْهُ الْمَاءُ أَعْجَبُ وَأَغْرِبُ وَأَنْتُمْ تَشَهِّدُونَهُ حِيثُ إِنْكُمْ مِنْهُ تَوَقُّدُونَ .

وَإِذَا حَقَّتْ مَا ذَكَرْنَاهُ وَوضَعَ لَكَ صِحَّةُ الْمَعَادِ الْجَسْمَانِيِّ وَضُوحُ الشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ :

ظَهَرَ لَكَ فَسَادُ مَارِبٍ مَاقِيلٍ أُوْيَقَالٌ : مِنْ أَنَّ الْآيَاتِ الْمُشَعَّرَةُ بِالْمَعَادِ الْجَسْمَانِيِّ لَيْسَتْ أَكْثَرُ وَأَظَهَرُ مِنَ الْآيَاتِ الْمُفَيَّدَةِ لِلتَّجَسِّمِ وَالتَّشَبِيهِ وَالْجَبَرِ وَالْقَدْرِ وَنَحْوَذَلِكَ وَقَدْ وَجَبَ تَأْوِيلُهَا قَطْعًا وَصِرْفُهَا عَنْ ظَواهِرِهَا .

قَلَّنَا دَلَّهُذِهِ الْآيَاتِ أَيْضًا إِلَى بَيَانِ الْمَعَادِ الرَّوْحَانِيِّ وَأَحْوَالِ سَعَادَةِ النَّفْسِ وَشَقاوِتِهَا بَعْدَ مَفَارِقَةِ الْأَبْدَانِ وَالْأَجْسَامِ عَلَى وَجْهِ يَفْهَمُهُ الْعَوَامُ ، فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَبْعَثُونَ إِلَى كَافَةِ الْخَلْقِ لِلْإِرْشَادِ بِقَدْرِ الْاسْتَعْدَادِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَتَكْمِيلِ النُّفُوسِ بِحَسْبِ الْقُوَّةِ النَّظَرِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ وَتَبَقِّيَّةِ النَّظَامِ الْمُفَضِّيِّ إِلَى صَلَاحِ الْكُلِّ .

وَذَلِكَ بِالْتَّرْغِيبِ وَالْتَّرْهِيبِ بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَالْبَشَارَةِ بِمَا يَعْتَقِدُونَهُ لَذَّةً وَكَمَالًا وَالْإِنْذَارِ عَمَّا تَعْدُونَهُ أَلْمًا وَنَقْصَانًا وَأَكْثَرُهُمْ عَوَامٌ تَقْصُرُ عُقُولُهُمْ لَا يَفْهَمُونَ عَالَمَ الْأَشْبَابِ وَالْمَحْسُوسَاتِ عَنْ ذَاتِ الْمِبْدَهِ الْأُولَى وَالشَّرِيعَةِ تَحَاكِيمُهَا بِمَثَالَتِهَا الْمَأْخُوذَةِ مِنَ الْمِبَادِيِّ الْجَسْمَانِيَّةِ وَتَحَاكِيَ الْأَفْعَالِ الْأَلْهَمِيَّةِ بِأَفْعَالِ الْمِبَادِيِّ الْمَدِينَيَّةِ مِنَ الْمُلُوكِ وَالسَّلاطِينِ الْقَهَّارِيَّنِ وَهَكُذا .

فوجب أن يخاطبهم الأنبياء في باب المعاد بما هو مثال للمعاد الحقيقة ترغيباً وترهيباً للعوام و تتميم للنظام و لهذا قيل إنَّ الكلام مثل وأشباه الفلسفة. وجه ظهور الفساد أنَّ الذهاب إلى المجاز إنما هو عند تعدد إرادة الحقيقة والمصير إلى التأويل عند عدم إمكان الظاهر كما في آيات الجبر والقدر والتجمسم ، ومانحن فيه ليس من هذا القبيل إذ لا تغدر هنا سيماعلى قول من يقول بكون البدن المعاد مثل الأول لاعينه .

وتحمل كلام الشريعة ونصوص الكتاب على الأمثل والأسباب والاشارة إلى معاد النفس والرعاية لمصلحة العامة التوجُّب «توجب ظاهنة نسبة المتضددين للشرع إلى الكذب فيما يتعلق بالتبليغ و القصد إلى تضليل أكثر الخلق و التعصُّب طول العمر لنرويج الباطل وإخفاء الحق لاً نهم لا يفهمون من الكلام إلا ظاهره الذي لا حقيقة له على ما زعمه هذا القائل ، وما هذه إلا فرية بيته وبهتان عظيم .

وبذلك كله ظهر أنَّ ما حكاه في شرح البحرياني من تأويل بعض الفضلاء كلام الإمام علي عليه السلام في هذا الفصل على ما يناسب مذهب القائلين بالمعاد الروحاني مما لا طائل تحته بل تطويل الكتاب بمثل تلك التأويلات الباردة الفاسدة موجب لتفويت الوقت وتضييع القوة القدسية .

عصمنا الله سبحانه من هفوات الجنان ، و عثرات اللسان بحق محمد وآلـه البررة الكرام عليهـم وعليـهم السلام إلى يوم البعث والقيـام .

هدایة وارشاد

في الاشارة إلى معنى الحشر على ما حققه صدر المتألهين في كتابه المسمى بمفاتيح الغيب و ايراد بعض الأخبار الواردة في ذلك وما يناسب ذلك فاعلم أنَّ الزَّمان علَّة التَّشْفِير و التَّعَاقِب و الاحتجاج بوجهه، والمكان علَّة التَّفَرْق و التَّكْثُر و الاغتياب بوجهه ، فهمـا سببان لاختفاء الموجودـات و احتجاجـ ببعضـها عن بعض ، فإذا ارتفعا في القيـمة ارتفعـ الحجبـ بينـ الخلاقـ فيـجتمعـ الخلاقـ كـلـهمـ وـالـأـولـونـ والـآخـرونـ قـلـ إنـ الـأـولـينـ وـالـآخـرـينـ لـمـجـمـوعـونـ إـلـيـ مـيقـاتـ يـومـ مـعـلـومـ فـهيـ يـومـ الجـمـعـ

ذلك يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن .
وبوجه آخر ، ذلك يوم الفصل لأنَّ الدُّنْيَا دار مغالطة و اشتباه يتشارب فيها الحق والباطل ويتعانق فيها الوجود والعدم والخير والشر والنور والظلمة وفي الآخرة يتقابل المتخاصمان ويترافق المتخالفان ، ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون .
وفيها يتميز التشابهان ، ليميز الخبيث من الطيب ؛ وينفصل الخصمان ، ليحقق الحق ويبطل الباطل ، ليهلك من هلك عن يمنة ويحيى من حي عن بيته
ولا منفأة بين هذا الفصل وذلك الجمع بل هذا يوجب ذلك ، هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين ، والحشر أيضاً بمعنى الجمع ، وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً
إذا عرفت ذلك فأقول قال سبحانه :

« وَنَفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا
مَنْ شَاءَ اللَّهُ شَاءَ ثُمَّ نَفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ
بِنُورٍ رَّبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَيَءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهِدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ
بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ، وَوُفِيتَ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا
يَفْعَلُونَ » .

قال الطبرسي في تفسير الصور : و هو قرن ينفح فيه إسرافيل وجده الحكمة في ذلك أنها عالمة جعلها الله ليعلم بها العقلاء آخر أمرهم في دار التكليف ثم تجديد الخلق فشبه ذلك بما يتعارفونه من بوق الرحيل والنزول ولا يتصوره النفوس بأحسن من هذه الطريقة ، قوله : فصعق من في السموات ومن في الأرض ، أى يموت من شدة تلك الصيحة التي تخرج من الصور جميع من السموات والأرض يقال : صعق فلان إذا مات بحال هائلة شبيهة بالصيحة العظيمة .

و اختلف في المستثنى بقول إلا من شاء الله ، وفي المجمع روى مرفوعاً هم جبريل و ميكائيل و إسرافيل وملك الموت و في رواية أنَّ النَّبِيَّ ﷺ سأله سأل جبريل

عن هذه الآية من ذالذى لم يشاء الله أن يصعّبهم ؛ قال : هم الشهداء متقلدون أسيافهم حول العرش .

وقوله : ثم نفح فيه أخرى فاذهم قيام ينظرون ، أراد النفخة الثانية و يسمى النفخة الأولى بنفخة الصعق ، والثانية بنفخة البعث أى ثم نفح فيه نفخة أخرى فاذهم قائمون من قبورهم يقلبون أبصارهم في الم giovانب ، وقال الطبرسي أى ينتظرون ما يفعل بهم وما يؤمرن به .

وفي تفسير علي بن إبراهيم القمي باسناده عن ثوبان بن أبي فاخته عن علي بن الحسين عليهما السلام قال :

سئل عن النفختين كم بينهما ؟ قال : ما شاء الله ، فقيل له فأخبرني يا بن رسول الله كيف ينفح فيه ؟ فقال : أما النفخة الأولى فأن الله يأمر إسرافيل فيحط إلى الأرض ومعه الصور وللصّور رأس واحد و طرفان وبين رأس كل طرف منهما إلى الآخر ما بين السماء والأرض ، فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا : قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء

قال : فهبط إسرافيل بحظيرة القدس وهو مستقبل الكعبة فإذا رأوه أهل الأرض قالوا : قد أذن الله عز وجل في موت أهل الأرض ، فينفح فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلا صعق ومات ، ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي السموات ، فلا يبقى في السموات ذو روح إلا صعق ومات إلا إسرافيل .

قال : فيقول الله لا إسرافيل : يا إسرافيل مت ، فيما موت إسرافيل فيمكثون في ذلك ما شاء الله ، ثم يأمر السموات فتمور ويأمر الجبال فتسير وهو قوله :

« يَوْمَ تُمُرُ السَّمَاوَاتِ مَوْرًا وَ تَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا » .

يعنى يبسط ويبعد الأرض غير الأرض يعني بأرض لم تكسب عليها الذنب بارزة ليس عليها جبال ولا نبات كما دحها أول مرة ويعيد عرشه على الماء كما كان أول مرة

مستقلاً بعظمته وقدرته .

قال : فعند ذلك ينادي الجبار جل جلاله بصوت من قبله جوهرى (جوهرى خل) يسمع أقطار السماءات والأرضين : لمن الملك اليوم ؟ فلا يجيء مجىب ، فعند ذلك يقول الجبار عز وجل مجبيا لنفسه : لله الواحد القهار ، وأناقررت الخالق كلهم وأمتهن إني أنا لله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي ولا وزير وأنا خلقت خلقي بيدي وأنا ألمتهم بمشيتي وأنا أحياهم بقدرتي .

قال : فينفع الجبار نفحة أخرى في الصور فيخرج الصوت من أحد الطرفين الذي يلى السماء فلا يبقى في السماءات أحد إلا حي وقام كما كان ، ويعود حملة العرش ، ويحضر الجنة والنار ويحضر الخالق للحساب .

قال الرأوى : فرأيت عليًّ بن الحسين يبكي عند ذلك بكاءً شديداً .

فإن قلت إذا فنت الأجياد وانعدمت الأجسام فما الفائدة في خطاب لمن

الملك ؟

قلنا : ما يصدر عن المحكيم العليم لا بد وأن يكون متضمنا للحكمة والمصلحة وإن كانت مخفية عندنا ، ويمكن أن يكون فيه اللطف بالنسبة إلى المكلفين من حيث إن المخبر الصادق إذا أخبرهم بوقوع ذلك الخطاب يوجب ذلك حقاره الدنيا في نظرهم و عدم اغترارهم بملكتها و سلطتها و يوجب زيادة علمهم بقدرة الله وعزته وبتفرقده في تدبير العالم ، تعالى علواً كبيراً هذا .

وروى علي بن إبراهيم أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال : وأتى جبرئيل رسول الله وأخذ بيده وأخرجه إلى البقيع فانتهى به إلى قبر فصوت بصاحبها فقال : قم باذن الله فخرج منه رجل أبيض الرأس واللحية يمسح التراب عن وجهه وهو يقول : المحمد لله والله أكبر ، فقال جبرئيل : عد باذن الله تعالى ، ثم انتهى به إلى قبر آخر فقال : قم باذن الله ، فخرج منه رجل مسود الوجه وهو يقول : يا حسرتاه يا نبوراه ، ثم قال له جبرئيل : عد إلى ما كنت فيه باذن الله تعالى ، فقال : يا مخلد هكذا يحشرون يوم القيمة ، فالمؤمنون يقولون هذا القول وهؤلاء يقولون ماتري .

وفي الأنوار النسخة الأولى للسيد الجزائري قال روى شيخنا الكليني قدس الله روحه وتغمده الله برحمته في الصحيح عن بعوب الأحمر قال : دخلنا على أبي عبدالله عليه السلام نعزّيه باسماعيل فترحم عليه نم قال : إن الله تعالى نهى إلى نبيه نفسه فقال : إنك ميت وإنهم ميتون ، وكل نفس ذاتة الموت ثم أنشأ عليه السلام يحدث فقال : إنه يموت أهل الأرض حتى لا يبقى أحد ، ثم يموت أهل السماء حتى لا يبقى أحد إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل قال : فيجيء ملك الموت حتى يقف بين يدي الله تعالى فيقول له ، من بقي ؟ وهو أعلم ، فيقول : يارب لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل فيقال له قل لجبرئيل وميكائيل فليموتا فتقول الملائكة عند ذلك يا رب رسولك وأمينيك ، فيقول تعالى : إنني قضيت على كل نفس فيها الروح الموت . ثم يجيء ملك الموت حتى يقف بين يدي الله عز وجل فيقول له : من بقي ؟ وهو أعلم ، فيقول : يارب لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش ، فيقول : قل لحملة العرش فليموتوا ، ثم يجيء كثيرا حزينا لا يرفع طرفه فيقول له من بقي ؟ وهو أعلم ، فيقول : يارب لم يبق إلا ملك الموت ، فيقول له : مت يا ملك الموت ، فيموت ثم يأخذ الأرض بيمنه والسماءات بشماله فيقول : أين الذين كانوا يدعون معى شريكا ؛ أين الذين يجعلون معى لها آخر ؟

وفي الأنوار أيضاً إن النسخة الأولى هي الثانية للهلاك تأتي الناس بغنة وهم في أسواقهم وطلب معيشتهم فإذا سمعوا صوت الصور تقطعت قلوبهم وأكبادهم من شدّه فيما تروا رفة واحدة ، فيبقى الجبار جل جلاله فيأمر عاصفة فتقشع الجبال من أماكنها وتلقاها في البحر وتغور مياه البحر وكلما في الأرض وتسطح الأرض كلها للحساب فلا يبقى جبل ولا شجر ولا بحر ولا وردة ولا لبلة فتكون أرضًا بيضاء حتى أنه روى لو وضعت بيضة في المشرق رأيت في المغرب ، فيبقى سبحانه على هذا الحال مقدار أربعين سنة .

فإذا أراد أن يبعث الخلق قال مولينا الصادق عليه السلام أمطر السماء على الأرض

أربعين صباحاً فاجتمعت الأوصال ونبتت المدحوم و يأمر الله تعالى ريحها حتى تجمع التراب الذي كان لاحما و اختلط بعضه ببعض و تفرق في البراري والبحار وفي بطون السباع فتجتمعه تلك الريح في القبر .

فعند ذلك يجيء إسرافيل وصوره معه ويأمره بالنفخة الثانية ، وينفخ فيه النفخة الثانية فإذا نفخ تركت اللحوم والأعضاء وأعيدت الأرواح إلى أجسادها وانشقت القبور فخرج الناس خائفين من تلك الصيحة ينفضون التراب عن رؤوسهم ، فيجيء إلى كل واحد مكان عذاب خروجه من القبر يقبض كل واحد منها عضداً منه فيقولان له : أجب رب العزة ، فيتحير من لقائهم ويأخذه الخوف والفزع حتى أنه في تلك الساعة يمطر شعر رأسه وبذنه بعد ما كان أسود .

وعند ذلك يكثُر في الأرض الزلزال حتى يخرج ما فيها من الأنفال ويشيب كل الأطفال وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد .

وفي روضة الكافي بسانده عن ثوير بن أبي فاختة قال : سمعت عليَّ بن الحسين عليهما السلام يحدث في مسجد رسول الله ﷺ فقال : حدثني أبي أنه سمع أبا عليَّ بن أبي طالب عليهما السلام يحدث الناس .

قال إذا كان يوم القيمة بعث الله تبارك وتعالى الناس من حفرهم عزلاً مهلاجرداً في صعيد واحد يسوقهم النور ويجمعهم الظلمة حتى يقفوا على عقبة المحشر ، فيمر كثيرون بهم بعضأ ويزدحمون دونهم فيمنعوا من المضي فيشتبد أنفاسهم ويكثر عرقهم ويضيق بهم أمرهم ، ويشتد ضجيجهم ويرتفع أصواتهم .

قال عليهما السلام وهو أول هول من أحوال القيمة قال : فتشرف الجبار تبارك وتعالى عليهم من فوق عرشه في ظلال من الملائكة فيأمر ملكاً من الملائكة فينادي فيما : يا عشر الخلق انصتوا واستمعوا مناد الجبار ، قال : فيسمع آخرهم كما يسمع أولهم .

قال : فتنكسر أصواتهم عند ذلك ويخشع أبصارهم ويضطرب فرائصهم وتفرز

قلوبهم ويرفون رؤوسهم إلى ناحية الصوت همطعين إلى الداعي قال : فعند ذلك يقول الكافر : هذا يوم عسر .

قال : فيشرف الجبار عز ذكره عليهم فيقول : أنا الله لا إله إلا أنا الحكم العدل الذي لا يجوز اليوم أحكام يبنكم بعدل و قسط لا يظلم اليوم عندي أحد ، اليوم آخذ للضعيف من القوي بحقة ولصاحب المظلمة بالظلمة بالقصاص من المحسنات والسيئات و أنيب على الهبات ولا يجوز هذه العقبة عندى ظالم ولا أحد عنده مظلمة إلّا مظلمة بمظالمكم عندهم ظلمكم بهافي الدنيا ، و أنا شاهد لكم عليهم و كفى لي شهيداً .
قال : فيتعارفون ويتأذمون فلا يبقى لأحد له عند أحد مظلمة أو حق إلا لزمه بها .

قال : فيمكثون ماشاء الله فيشتت حالهم و يكثرون عرقهم و يشتت غمامهم ويرتفع أصواتهم بضجيج شديد فيتمنون المخلص منه بترك مظالمهم لا هلها .

قال : و يطلع الله عز وجل على جهدهم فينادي مناد من عند الله تبارك يسمع آخرهم كما يسمع أولهم : يا معاشر الخالقين انصتو الداعي الله تبارك و تعالى و اسمعوا إن الله تبارك و تعالى يقول : أنا الوهاب إن أحبيت أن تواهبا فواهبو وإن لم تواهبا أخذت لكم بمظالمكم .

قال : فيفرحون بذلك لشدة جهدهم و ضيق مسلكهم و تزاحمهم .
قال يُبَيِّنُونَ فيهب بعضهم مظالمهم رجاء أن يتخلصوا مما هم فيه وبقي بعضهم فيقول : يا رب مظالمنا أعظم من أن نهبهما .

قال يُلْتَلِّي فينادي مناد من تلقاء العرش أين رضوان خازن الجنان جنان الفردوس قال : فيأمر الله عز وجل أن يطلع من الفردوس قصر من فضة بما فيه من الآنية والخدم قال : فيطلعه عليهم في حفافة القصر الوصايف والخدم .

قال فينادي مناد من عند الله تبارك و تعالى : يا معاشر الخالقين ارفعوا رؤوسكم فانظروا إلى هذا القصر ، قال : فيرفعون رؤوسهم فكلهم يتمنأه ، قال : فينادي مناد

(ج٥)

فيأخذ حق الناس في القيمة

(٣٧٩)

من عند الله يا معاشر الخالقين هذا لکل من عفى عن مؤمن ، قال : فيعفون كلهم
إلا القليل.

قال : فيقول الله عز وجل لا يجوز إلى جنتي اليوم ظالم ولا يجوز إلى ناري
اليوم ظالم ، ولا أحد من المسلمين عنده مظلمة حتى يأخذها منه عند المحساب أيها
الخالق استعد للمحساب.

قال : ثم يخلّى سبيلهم فينطلقون إلى العقبة يلوذ بعضهم ببعض حتى ينتهي إلى العرصة
والمحبار تبارك وتعالى على العرش قد نشرت الدوافين ونصبت الموازين احضر النبيون
والشهداء وهم الأئمة يشهد كل إمام على أهل عالمه بأنهم قد قام فيهم بأمر الله عز وجل
ودعاهم إلى سبيل الله.

قال : فقال له رجل من قريش : يا بن رسول الله إذا كان للرجل المؤمن عند
الرجل الكافر مظلمة أى شيء يأخذ من الكافر وهو من أهل النار ؟ قال : فقال
له علي بن الحسين عليهما السلام : تطرح من المسلم من سيئاته بقدر ما له على
الكافر فيعدن الكافر بها مع عذابه بكفره عذاب بقدر ما للمسلم قبله من مظلمة.

قال : فقال له القرشي فإذا كانت المظلمة لمسلم عند مسلم كيف يؤخذ مظلمته
من المسلم ؟ قال : يؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر حق المظلوم فيزاد على
حسنات المظلوم.

قال : فقال له القرشي : فإن لم يكن للظالم حسنات ، قال : للمظلوم سيئات
يؤخذ من سيئات المظلوم فيزاد على سيئات الظالم.
الترجمة

تا آنکه چون بریده شود کارها و بسر آید روزگارها و نزدیک شود زنده
شدن هردها ، خارج مینماید ایشانرا خدای تبارک و تعالی از میانهای قبرها و از
آشیانهای مرغها و ماواهای درندها و محل افتادن و هلاکشدن آنها ، در
حالیکه شتابان باشند بسوی أمر پروردگار سرعت کننده باشند بمعاد آفرید کار
جسم شوند کان ساكت شد کان استاد کان صفت کشید کان.

نافذ پ شود در ایشان نظر رب الارباب میشنو اند ایشان را خواننده بسوی فصل خطاب ، بر ایشانست لباس خضوع و فروتنی و زاری تسلیم و خواری بتحقیق که کم شده باشد در آن روز حیل ها و بردیده شود آرزو ها .
و خالی می شود قلبها از فرح و سرور در حالتی که ساکت باشند و ترسان باشد صوتها در حالتی که نهان باشند و رسیده شود عرق بدhan و بزرگ شود ترس از گناهان و مضطرب می باشد گوشها بجهت زجر و هیبت صوت ندا کننده بسوی حکم و خطاب فاصل در میان حق و باطل و به عوض دادن جزا آنچه کرده اند از خیر و شر در دنیا ، و گرفتار شدن حذرناک عذاب و عقاب و عطا کردن أصناف ثواب .

الفصل الرابع

عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ أَقْتِدارًاً، وَمَرْبُوبُونَ أَقْتِسَارًاً، وَمَقْبُوضُونَ
أَحْتِضَارًاً، وَمُضْمِنُونَ أَجْدَانًاً، وَكَايْنُونَ رُفَاتًاً، وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَادًاً،
وَمَدِينُونَ جَزَاءً، وَمُمِيزُونَ حِسَابًا، قَدْ أَمْهَلُوا فِي طَلَبِ الْمَحْرَجِ،
وَهُدُوا سَبِيلَ الْمَنْهَاجِ، وَعُمِّرُوا مَهْلِلَ الْمُسْتَعْتَبِ، وَكُشِّفَتْ عَنْهُمْ
سُدَفُ الرَّيْبِ، وَخُلُوا لِمِضَارِ الْجِيَادِ، وَرَوَيَةُ الْإِرْتِيَادِ، وَأَنَاءُ الْمُقْتَبِسِ
الْمُرْتَادِ، فِي مُدَّةِ الْأَجْلِ، وَمُضْطَرِبُ الْمَهَلِ، فَيَا لَهَا أَمْتَالًا صَائِبَةً،
وَمَا يُعِظُّ شَافِيَةً، لَوْصَادَفَتْ قُلُوبًا زَاكِيَةً، وَأَسْهَاعًا وَاعِيَةً، وَآرَاءً
عازِمَةً، وَأَلْبَابًا حَازِمَةً، فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقْيَةً مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ، وَاقْتَرَبَ
فَاعْتَرَفَ، وَجَلَ فَعَمِلَ، وَحَاذَرَ فَبَادَرَ، وَأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ، وَعُرَّ

فَاعْتَبِرْ ، وَمُحَذِّرَ فَازْدَجَرْ ، وَأَجَابَ فَأَنَابَ ، وَرَاجَعَ فَتَابَ ، وَأَقْتَدَى
فَاحْتَدَى ، وَأَرِيَ فَرَأَى ، فَأَسْرَعَ طَالِبًا ، وَنَجَا هارِبًا ، فَأَفَادَ ذَخِيرَةً ،
وَأَطَابَ سَرِيَّةً ، وَعَمَرَ مَعَادًا ، وَاسْتَظْهَرَ زَادًا ، لِيَوْمِ رَحِيلِهِ ، وَوَجَهَ
سَبِيلِهِ ، وَحَالَ حَاجِتِهِ ، وَمَوْطِنِ فَاقِتِهِ ، وَقَدَمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ، فَاتَّقُوا
اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ جَهَةَ مَا خَلَقَكُمْ لَهُ، وَاحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَرَ كُمْ مِنْ نَفْسِهِ،
وَاسْتَحِقُوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالْتَّنَجِزِ لِصِدْقِ مِيعَادِهِ ، وَالْحَذَرِ مِنْ
هُولِ مَعَادِهِ .

اللغة

(فسره) على الاًمر قسراً من باب ضرب قهره واقتسره كذلك و (حضره) الموت
و احتضره اشرف عليه فهو في النزع وهو محضور و محضر بالفتح.
قال الطريحي : وفي الحديث ذكر الاحتضار وهو السوق سمى به قيل لحضور
الموت والملائكة الموكلين به و إخوانه و أهله عنده ، و فلان محضر أى قريب من
الموت إذا احتضر الإنسان وجه يعني جهة القبلة و (الاجداد) جمع الجدث
كمأباب و سبب وهو القبر و هذه لغة أهل تهامة و أما أهل نجد فيقولون جدف بالفاء
و (الرفات) كالافتات بالضم لفظاً و معناً و هو ما تنشر من كل شيء و (المنهج) كالنهج
والمنهج الطريق الواضح و (العتبي) بالضم الرضا و استعيشه أعطاه العتبى
كاعتبيه و طلب إليه العتبى من الأضداد.

قال الفيومي عتب عليه عتبأ من بابي ضرب وقتل لامه في تسخيط و اعتبني الهمزة
للسبب أى أزال الشكوى والعتاب و استعيشه طلب الاعتراض والعتبي اسم من الاعتراض
و (السدف) جمع سدفة ، كفرفة و غرف وهي الظلمة و (ضمر) الفرس ضموراً من

باب قعدو ضمر ضمر أمن بباب قرب قل لحمه وهزل، وضمراته وأضمراته أعددته للمسابق وهو أن تخلفه قوتا بعد السمن أى يعلف حتى يسمن ثم يرد إلى قوته الأولى ليخف لحمه و ذلك في أربعين يوما ، والمضارع الذي تضمر فيه الخيل.

و (الروية) الفكر والتذبذب وهي كلمة جرت على السنتهم بغير همز تخفيفاً وهي من دوائر في الأمر بالهذاوى نظرت فيه و (الارتياد) الطلب و (تأني) في الأمر تمكث ولم يتعجل والانارة وزان حصاة اسم منه و (المقتبس) كائناً بحسب هو طالب العلم والنار و (صاب) السنتهم الغرض عموماً من باب قال وصابه يصيبه من باب باع كأصابه وصل الغرض و ما أخطاه ، وفي المثل قوله في الخواطي سهم صائب و (حزم) فلان رأيه حزم ما أتقنه و (الحقيقة) كالشقوى اسم من اتقى الله اتقاء و (اقترف) لا هله اقترافاً اكتسب من مال حلال أو حرام و (حدن) الشيء و حاذره خافه.

ويحتمل أن يراد من حاذر كثرة المخوف بناء على أن زيادة المبني تدل على زيادة المعنى و (عبر) أي أرى العبر كثير أبناء على أن التشدد دليل المبالغة و (زجره) زجرأ منعه ونهاه كازدجر فائزجر وازدجر فازدجر يستعمل مطابعاً ازدجر و هو غريب و (أفاد) المال استفاده و أعطاوه وهو من الأضداد و (استظهرت) به استعانت و (المقام) بضم الميم مصدر كالإقامة يقال قام بالمكان اقامة و مقاماً و (كنه) الشيء حقيقته وغايته و نهايته يقال عرفته كنه المعرفة .

و (نجز) الوعد نجزاً من باب قتل تعجل والنجز مثل قفل اسم منه و يعدى بالهزة والحرف فيقال أنجزته و نجزت به إذا أعلنته واستنجز حاجته و تنجز ها طلب قضاءها همن وعده إياها .

الاعراب

عبد خبر مبتدأ محدود ، و اقتداراً و اقتساراً منصوبان على التمييز ، و احتصاراً منصوب على الحال المؤكدة من قبيل قوله ولئن مدبراً فيؤول بالمشتق أي مقبوضون محظوظين ، مثل قوله اجهد وحدك أي منفرداً ، وأجداناً مفعول فيه و هو وإن لم يكن من ظروف المكان المبهمة أعني الجهات الست و ما أشبهها من عند ولدي

(ج)

فِي شَرْح حَال النَّاس وَالثَّنَيَّة عَلَى مَا خَلَقُوا أَجْلَه

(٣٨٣)

وَنَحْوَهُمَا إِلَّا أَنَّه قد انتصب بِفِي مَقْدَرَة لِمَا فِي الْكَلَامِ مِنْ مَعْنَى الْاسْتِقْرَارِ كَمَا
قَالَ الرَّضِيُّ .

وَأَمَّا انتصار نَحْو قَعْدَتْ مَقْعِدَه وَجَلَسَتْ مَكَانَه وَنَمَتْ هَبَيْتَه فَلَكُونَه مَتَضَمِّنًا
لِمَصْدَرِ مَعْنَاه الْاسْتِقْرَارِ فِي ظَرْفِ فَمَضْمُونِه هَشْعُورٌ بِكَوْنِه ظَرْفًا لِحَدَثٍ بِمَعْنَى الْاسْتِقْرَارِ
كَمَا أَنَّ نَفْسَه ظَرْفٌ لِمَضْمُونِه بِخَلَافِ نَحْوِ الْمَضْرُبِ وَالْمَقْتُولِ فَلِاجْرَمِ لَمْ يَنْصُبْهُ عَلَى
الظَّرْفِيَّةِ إِلَّا مَا فِيهِ مَعْنَى الْاسْتِقْرَارِ إِه ، وَإِفْرَادًا مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ كَانَ انتصارًا فَرْدًا

فِي قَوْلِه تَعَالَى :

« وَكَلَمُهُمْ آتَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَرْدًا » .

وَجَزَاءُ مَصْدَرٍ عَلَى غَيْرِ لَفْظِ فَعْلِه وَحْسَابًا مَنْصُوبٌ بِنَزَعِ الْخَاصِّ وَمَا قَالَهُ الْبَحْرَانِيُّ مِنْ
أَنَّه مَصْدَرٌ مَنْصُوبٌ بِغَيْرِ فَعْلِه لَيْسَ بِشَيْءٍ وَفِي طَلَبِ الْمُخْرَجِ فِي الْمَظَرِفِيَّةِ الْمَجازِيَّةِ
كَمَا فِي قَوْلِهِمْ فِي نَفْسِ الْمُؤْمَنَةِ مَأْةً مِنَ الْأَبْلَى فِي قَتْلَهَا ، فَالسَّبِيلُ الَّذِي هُوَ القَتْلُ
مَتَضَمِّنٌ لِلْدِيَّةِ تَضَمِّنُ الظَّرْفَ لِلْمَظْرُوفِ ، وَهَذِهِ هِيَ التِّي يُقَالُ إِنَّهَا لِلْسَّبِيلِيَّةِ .

وَمَهْلِ الْمُسْتَعْتَبِ بِحَذْفِ الْمَوْصُوفِ مَفْعُولٌ مَطْلُقٌ مَجَازِيٌّ مِنْ غَيْرِ الْمَصَادِرِ أَيْ
أَمْهَلُوا وَأَمْرُوا مِثْلَ مَهْلِ الْمُسْتَعْتَبِ ، وَمَا تَوَهَّمَهُ الشَّارِحُ الْبَحْرَانِيُّ مِنْ أَنَّه مَصْدَرٌ
فَأَمْدَدَ ، وَقَوْلُهُ فِي مَدَّةِ الْأَجْلِ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ خَلُوا ، وَقَوْلُهُ فِي الْهَا أَمْثَالًا صَائِبَةٌ مَسَادِيٌّ
تَفْخِيمٌ وَتَعْجِيبٌ ، وَانتصارٌ أَمْثَالًا عَلَى التَّمِيزِ مِنَ الضَّمِيرِ الْمَبْهُومِ .

قَالَ الرَّضِيُّ فِي بَابِ التَّمِيزِ مِنْ شَرْحِ الْكَافِيَّةِ : وَقَدْ يَكُونُ الْاِسْمُ فِي نَفْسِهِ تَامًا
لِالشَّيْءِ ، آخَرُ أَعْنَى لَا يَجُوزُ إِضَافَتِهِ فَيُنْصَبُ عَنْهُ التَّمِيزُ وَذَلِكُ فِي شَيْئَيْنِ : أَحَدُهُمَا الضَّمِيرُ
وَهُوَ الْأَكْثَرُ وَذَلِكُ فِي الْأَغْلَبِ فِيمَا فِيهِ مَعْنَى الْمِبَالَغَةِ وَالتَّفْخِيمِ كَمَوَاضِعِ التَّعْجِيبِ نَحْوِ
يَا لَهُ رَجَلًا وَيَا لَهَا قَصَّةً وَيَا لِكَ لِيَلًا إِلَى آخرِ مَا قَالَ ، وَذَخِيرَةً وَسَرِيرَةً مَنْصُوبَانِ
عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ .

وَقَوْلُهُ : جَهَةُ مَا خَلَقُوكُمْ إِه قَالَ الشَّارِحُ الْمُعْتَزَلِيُّ نَصَبَ جَهَةً بِفَعْلٍ مَقْدُرٍ تَقْدِيرِهِ
وَأَقْصَدُوكُمْ جَهَةً مَا خَلَقُوكُمْ لَهُ يَعْنِي الْعِبَادَةَ فَحَذْفُ الْفَعْلِ وَاسْتِغْنَيَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ

فَاتَّقُوا اللَّهُ لَا إِنَّ التَّقْوَى مَلَازِمَ الْمَكَافَرِ الْعِبَادَةِ فَدَلَّتْ عَلَيْهِ وَاسْتَغْنَى بِهَا
عَنْ إِظْهَارِهِ.

قيل و يجوز انتسابها على الظرفية أى اجعلوا تقواكم في تلك الجهة أى نظراً
إلى تلك الجهة لا للمرأة والسمعة ، والمحذر بالجر عطف على التجوز .

المعنى

اعلم أن هذا الفصل مسوق لشرح حال الناس والكشف عن
أوضاعهم والتغطية على ما خلقوا لأجله وما يصبو أمرهم إليه واستدرج ذلك بمواعظ
شافية ونصائح وافية ، والمقصود بذلك كله تنبيههم عن نوم الغفلة والجهالة وافتقارهم
من سكر الحيرة والضلال .

قوله (عباد مخلوقون اقتداراً) يعني أن الناس الذين شرحنا حالهم وذكرنا
كيفية حشرهم ومعادهم هم عباد خلقهم الله سبحانه من قدرته الشاملة الكاملة
وحكمته الجامعة البالغة وليس خلقهم لذواتهم ومن اتصف بذلك لا يجوز له العصيان
لخالقه وبارئه .

(ومرءوبون اقتصاراً) أى مملوكون من قهر وغلبة ورباتهم الله سبحانه من
صغرهم إلى كبرهم لاعن اختيارهم حتى يكون لهم الخيرة في معصية ربهم وما يحكمهم
(ومقبوضون احتصاراً) أى مقبوضون بالموت ممحضون إلى حضرة ذي العزة فيجاز بهم
بالحسنة والسيئة (ومضمضون أجداننا) أى في قبور هي دار الوحدة والوحشة
(وكانتون رفاتنا) وعظامنا فاتانا أى أجزاء شتنا (ومبعونون افراداً) أى وحدانا لامال
لهم ولا ولد كما فسر بذلك قوله تعالى :

« وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادِيًّا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا حَوَّلْنَاكُمْ
وَرَاءَ ظُهُورَكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءِكُمْ وَالَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيهِمْ شُرَكَاءٌ
لَقَدْ تَقْطَعَ يَمِنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَرْعُونَ ». »

قال في مجتمع البيان : أى جئتمونا وحدانا لا مال لكم ولا خول ولا ولد ولا حشم وقيل واحداً واحداً ملأ عيده وقيل كل واحد منكم منفردًا من شريكه في الغي وشقيقه كما خلقناكم أول مرة أى خلقناكم في بطون أممها تكم لا ناصر لكم ولا معين وقيل معناه ما روى عن النبي ﷺ أنه قال : تحشرون حفاناعر اتاعزلا ، و العزلهم الغلف .

وروى إن عايشة قالت لرسول الله ﷺ حين سمعت ذلك : واسوأناه ينظر بعضهم إلى سوء بعض من الرجال والنساء قال ﷺ : لكل امرء منهم يومئذ شأن يغطيه ويشغل ببعضهم عن بعض .

وتركتم ماخوكنام وراء ظهوركم ، معناه تركتم ما ملکناكم في الدنيا مما كنتم تتبااهون به من الأموال خلف ظهوركم ، والمراد تركتم الأموال في الدنيا وحملتم من الذُّنوب الأَهْمَال واستمتع غيركم بما خلقتم وحوسيتم عليه في الماحسدة (ومدينون جزاء) أى مجزيُّون بأعمالهم جزاء إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشرّاً .

« مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالْسَّيِّئَةِ فَلَا يُبَطِّنُ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ».

(ومميزون حساباً) أى في حساب يعني يتميز المؤمن من المجرم والتقي من الشقي والجيد من الردي في يوم الحساب ومقام المحاسبة كمقالات سبعانة :

« وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيْهَا الْمُجْرِمُونَ ».

أى اعتزلوا من أهل الجنة وكونوا فرقة على حدة نقل أنَّه إذا جمع الله الخلق يوم القيمة بقوا قياماً على أقدامهم حتى يلجمهم العرق فينادون يا ربنا حاسبنا ولو إلى النار فيبعث الله ربنا فتضرب بينهم وينادي مناد : وامتازوا اليوم أيها المجرمون ، فتميّز بينهم فصار المجرمون إلى النار و من كان في قلبه إيمان صار إلى الجنة .

(قد امْهَلُوا فِي طَلَبِ الْمُخْرَجِ) يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ أَمْهَلَهُمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لِتَطَلُّبِ نِجَاجِهِمْ وَخَلَاصِهِمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَخَرْجِهِمْ مِنَ الْضَّلَالَةِ إِلَى السَّدَادِ وَمِنَ الْغَوَايَا إِلَى الرِّشادِ (وَهَدَوَا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ) أَى هَدَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا جَعَلَ لَهُمْ مِنَ الْعُقُولِ وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسُولِ إِلَى الْمَنْهَجِ الْقَوِيمِ وَالصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الْمَوْصَلِ لِسَالِكِهِ إِلَى حَظِيرَةِ الْقَدْسِ وَجَنَّةِ الْفَرْدَوسِ .

(وَعُمِرُوا وَاهْمَلُوا الْمُسْتَعْتَبِ) يَعْنِي أَعْطَاهُمُ اللَّهُ الْعُمُرَ وَأَمْهَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا مِثْلَ مَهْلَةِ مِنْ يَطْلُبُ رِضَاَهُ وَاعْتَابَهُ أَى إِزَالَةِ الْلُّومِ وَالشَّكُوكِ عَنْهُ وَلَمَّا كَانَ مِنْ يَطْلُبُ إِزَالَةَ الْلُّومِ عَنْهُ وَيَقْصُدُ رَجُوعَهُ عَنْ غَيْرِهِ بِمَهْلَةِ طَوِيلًا وَيَدَارِي شَبَهَهُ لِلْفَلَلِ مَهْلَةَ اللَّهِ لِخَلْقِهِ مَدَّةَ أَعْمَارِهِمْ لِيَرْجِعُوا إِلَى طَاعَتِهِ وَيَعْمَلُوا صَالِحًا بِذَلِكَ فَافْهُمْ جَيِّدًا .

(وَكَشَفَتْ عَنْهُمْ سَدِيفُ الرَّبِّ) أَى أَذْبَلَتْ عَنْهُمْ ظُلُمَاتِ الشَّكُوكَاتِ وَالشَّبَابِهَاتِ بِمَا مَنَعَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْعُقُولِ مُؤْيِدًا بِالرَّسُولِ (وَخَلَوُا مِنْ ضَمَارِ الْجِيَادِ) أَى خَلَاهُمُ اللَّهُ وَتَرَكُوهُمْ فِي الدُّنْيَا لِيَضْمُرُوا أَنفُسَهُمْ وَيَسْتَعْدِدُوا السَّبِيقَ فِي الْآخِرَةِ كَمَا يَتَرَكُ الْجِيَادُ مِنَ الْخَيْلِ فِي الْمَضْمَارِ وَتَضَمِرُ لِيَحْصُلَ لَهَا الْاسْتِعْدَادُ لِلْمُسَابِقَةِ وَيَحْازِمُ بِهَا قَصْبُ السَّبِيقِ وَيُؤْخَذُ بِهَا السَّبِيقَ .

وَفِي الْإِتِيَانِ بِالْفَلَظَةِ الْجِيَادِ تَنبِيهُ عَلَى أَنْ يَكُونُوا مِنْ جِيَادِ ضَمَارِهِمْ وَقَدْ مَرَ تَوْضِيحُ تَشْبِيهِ الدُّنْيَا بِالْمَضْمَارِ فِي شَرْحِ الْخَطْبَةِ السَّابِعَةِ وَالْعَشْرِينَ فَلَيَرَاجِعْ (وَ) كَذَلِكَ خَلَوُا (أَرْوَيْةُ الْأَرْتِيادِ وَأَنَّةُ الْمَقْبِسِ الْمُرْتَادِ) أَى لِلتَّسْفِكُرِ فِي طَلَبِ الْحَقِّ وَلِيَقْاتُوا أَنَّهَا الْمُتَعَلِّمُ لِلْعِلُومِ الْحَقِيقَةِ الْمُحْتَاجُ فِي تَعْلِمِهِ إِلَى التَّائِنِيِّ وَالْمَهْلَةُ الطَّالِبُ لِلْأَنْوَارِ الْإِلهِيَّةِ لِيَهْدِيَ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْجَهَلِ وَالْغَفْلَةِ (فِي مَدَّةِ الْأَجْلِ) الَّذِي عَيْنَهُ سَبَحَانَهُ لَهُمْ (وَمُضْطَرِّبُ الْمَهْلِ) الَّذِي قَدَرَ فِي حَقَّهُ .

ثُمَّ نَبَهَ يَلْتَبِيَّهُ عَلَى كَمَالِ كَلَامِهِ وَفَضْلِ مَوْعِظَتِهِ وَعَرَضَ عَلَى عَدَمِ الْقُلُوبِ الْحَامِلَةِ لِهَا بِقَوْلِهِ (فِيَالَّا هُا أَمْثَالًا صَائِبَةٌ وَمَوَاعِظٌ شَافِيَّةٌ) أَى أَمْثَالًا مَطَابِقَةٌ لِمَمْثَلَاتِهَا مَتَّصِفَةٌ بِالصَّوَابِ الْخَالِيَّةِ عَنِ الْخَطَاءِ وَمَوَاعِظِ شَافِيَّةٍ لَا يَمْرُضُ الْجَهَلَ مُبَرِّئَةً عَنْ آلَامِ الْهُوَى (لَوْصَادَفَتْ) تَلَكَ الْأَمْثَالُ وَالْمَوَاعِظُ (قُلُوبًا) طَاهِرَةً (زَاكِيَّةً وَأَسْمَاعًا) حَافِظَةً

(واعية) أي قلوبًا مستعدة لقبول الهدایة وأسماءًا قابلة لحفظ النصيحة (وآراء عازمة) قاصدة على الرُّشد والسداد (والبابا حازمة) متقدمة لما فيه الصلاح والرشاد.

وعن معانٍ الآخبار : الحزم أن تنتظِر فرصةك وتعاجل ما أمكنك .

وفي الحديث: الحزم بضاعة والتَّواني اضاعة وفيه: الظفر بالحزم والحفر «الحزم ظ» باجالة الرأى والرأى بتحصين الأسرار .

قال بعض شراح الحديث أشار إلى أسباب الظفر القريب والمتوسط والبعيد فالحزم أن تقدم العمل للحوادث الممكنة قبل وقوعها بما هو أبعد عن الغرور وأقرب إلى السَّلامة ، و هو السبب الأقرب للظفر بالمطالب فالمتوسط هو إجالة الرأى وإعماله في تحصيل الوجه الآخر و هو سبب أقرب للحزم ، والأبعد هو اسرار ما يطلب و هو سبب أقرب للرأى الصالح إذ قل ما يتم رأى و يظفر بمطلوب مع ظهور إرادته ، هذا .

وفي رواية الحزم في القلب والرَّحمة والغلط في الكبد ، والحياء في الرَّيبة .
نم إنْه ^{يَتَبَعُ} بعد التَّنبِيَّه على فضل موعظته والاشارة إلى أسباب قبول الموعظة
حتَّى على التَّقوِيَّ أيضًا ورغبة فيها لكونها الغرض الأصلِي من هذه الخطبة فقال .
(فانتَقُوا اللَّهُ) تقىيَّة مثل (تقىيَّة من سمع) نداء الله (فمخشع) قلبَهُ اللَّهُ (واقترف)
الاتِّم والشَّقاء (فاعتبر) بالتصْصير والخطاء (ووجل) العقبي (فعمل) الحسني
(وحاذر) العقوبة (فبادر) المثوبة (وأيقن) أجله (فأحسن) عمله (وعبر) بما
فيه انْتَعاظ واعتبار (فاعتبر) وحصل له انباهة وانزجار (وحذر) بالسَّخط والنُّكال
(فازدجر) وانزجر عن سوء الأفعال (وأجاب) دعوة الدَّاعِ إذا دعا (فأناب) إلى
ربِّه حين ناداه (وراجع) عقله وتفكير (فتَاب) عمَّا فرط وقصر (واقتنى) بالأنبياء
والمرسلين (فاحتذى) حذ وعباد الله المتَّقين (وارى) الآيات في الآفاق والآنس
(فرأى) الحقيقة بعيان المحس .

(فأسَرَّع) إلى الخبر (طالباً) راغباً (ونجى) من الشر (هارباً) راهباً

(فافاد ذخيرة) لسلوك سبيل الرّحمن (وأطاب سريرة) من الرّحيم ودنس الشّيطان (وعمر معاداً) بصالح الأعمال (واستظهر زاداً) من التّقوى ومكارم المصال (ليوم رحيله من الدّنيا) (ووجه سبيله) إلى العقبى (وحال حاجته) في المحرر والمعاد (ومواطن فاقته) يوم التّساد (وقدم) التّقوى (أمّاه) ليكون عدّة (لدار) مقيله و (مقامه فاتّقوا الله) سبحانه وتعالى (عبد الله) واقتدوا (جهة ماخلكم له) من تحصيل العرفان واليقين وتكميل الاخلاص في الدين كما قال عزّ من قائل «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُوْنَ» «وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوْا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّيْنَ».

(واخذروا منه كنه ما حذركم من نفسه)

بقوله: «فَلَيَحْذِرُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» وقوله: «كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوْنَ الْجَهَنَّمَ ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ثُمَّ لَتَسْتَأْنُ يَوْمَ مِنْدٍ عَنِ النَّعِيمِ».

(واستحقوا منه) تعالى (ما أعدّ) هـ (لكم) وهياه في حقكم ويشير به بقوله «لِلَّذِينَ اتَّقُوا إِنَّهُ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطْهَرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ».

واستحقاق ذلك إما (بالتجزّ لصدق معناه) أي بطلب انجاز وعده الصّادق والتماس وفائه بالجزء الباقي ، وذلك الطلب إنما هو بعد الاقبال بالطاعات والاجتهاد في إتيان الصالحات (و) إما با (الخذل من هول معاده) وهو إنما يكون بالارتداد من الخطئات والازدجاج عن السّيئات ، وفقنا الله سبحانه للاقبال والابتهاج واللانهار والانزجار وأئمّي لنا بذلك مع ما نحن عليه من الاغترار بالدنيا ولذاتها والافتتان

بشهواتها .

كانت نرى أن لا نشور و أنتنا
ألا لا ولكننا نغير نفوسنا
وكيف يلذ العيش من هوموقن

الترجمة

سدی مالنا بعد الفناء بصائر
وتشغلنا اللذات عما نحاذر
بموقف عدل حين تبلی السرائر

ایشان بندگانند مخلوق شده از روی قدرت فاعل مختار ، و مملوک از روی
قهر و جبر بی اختیار ، وقبض کرده شده در حالتی که مهتضرند و مرتحل بدارقرار ،
ونهاده شده اند در درون قبور و گردیده اند اجزاء متفرقه چون هباء منثور ، و مبعوث
شده اند در حالتی که منفردند از اهل و مال ، و جزاده شده اند جزا دادنی بحسب
اعمال ، و تمیزداده شده اند در مقام حساب رب الارباب .

بتحقیق که مهلت داده شده اند در دنیا بجهة طلب خروج از ظلمت جهالت
وراه نموده شده اند برای راست رشادت و معمر شده اند و مهلت داده شده همچو مهلت
کسی که طلب کشنه باشد رضا و ازاله ملامت حضرت عزت را از خود بتوبه و انبات
وزایل گردانیده شده است از ایشان ظلمات شک و گمان بایسته و برهان ، و واگذاشته
شده اند در دنیا از برای ریاضت دادن نفس امباره بواسطه حمل کردن بأسباب تقوی
و انتقال طاعت چون ریاضت دادن ولا غر نمودن اسبابی خوب از برای سبقت در میدان
مسابقات .

و همچنین واگذاشته شده اند از برای تفکر در طلب حق و از برای تائی کردن
همچو تائی کردن طالب نور الهی بتحصیل سعادت و جوینده آن بکسب کمالات
در مدت اجلی که معین شده است برایشان ومحل اضطراب مهلتی که مقدر شده است
در حق ایشان ، پس ایقوم تعجب نمایم از این پنهانها از حیثیت مثلمهای موصوفه
بدرسنی و صواب و نصیحتهای شفا دهنده بأمراض نادانی وجهات اگر برسد بقلوب
متصرفه بجودت و ذکالت ، و بگوشها حفظ کشنه نصیحت ، و برایهای صاحب عزم
و علو همت ، و بعقلهای صاحب حزم و بلند مرتبت .

پس پر هیزید از خدا همچو پرهیز نمودن کسی که شنید امر خدارا پس فروتنی نمود بخدا و کسب گناه کرد پس اعتراض بتحقیر نمود و بر سیداز آخربت پس عمل شایسته نمود و حذر نمود از عقوبت پش بشتابت بسوی طاعت، و یقین کرد باجل پس نیکو کرد عمل را و عبرت داده شد پس قبول عبرت نمود و ترسانیده شد از عذاب و سخط پس هنوز جر شد از معصیت و إجابت نمود دعوت را پس رجوع نمود بزبان معذرت، و مراجعت نمود به عقل خود پس توبه کرد از خطیث و اقتدا نمود بائیها و مرسلین پس تابع شد بسلف صالحین.

و نموده شد به وی آیات قدرت پس معرفت رسانند بحقیقت پس سرعت کرد بسوی خیر در حالتی که طالب و راغب بود و نجات یافت از شر در حالتی که گریزان و هارب بود، پس کسب نمود ذخیره را از برای سلوك سبیل رحمان، و پاکیزه نمود باطن خود را از رحس و شرک شیطان، و معمور نمود معاد خود را بصالح اعمال، و پشت قوی کرد بتوشہ برداشتن از تقوی و محسن خصال از برای رحلت خود در دنیا و جهت راه خود به عقبی و برای حال احتیاج خود و موضع درویشی خود و فرستاد پیش از خود توشہ طاعت از برای سرای اقامت

پس پر هیزید از خدا ای بند کان خدا، و قصد نمائید جهت آنچه را که خلق نمود شما را از برای آن که عبارت است از تحصیل معرفت و عبادت بالخلاص نیست، و بر سید از خدا بنها یت آنچه ترسانید شما را از نفس خود و استحقاق پیدا کنید از او آنچه زیرا که مهیا کرده است از برای شما با طلب وفا نمودن مروعه صادق اورا و با حذر نمودن از هول معاد او.

و معلوم است که این طلب وفا و این حذر متصوّر نمی شود مگر با اقبال بطاعات، و با ارتداع از سیّئات، اللهم وفقنا بحق مهد سید السادات.

الفصل الخامس

جَعَلَ لَكُمْ أَنْسِاعًا لِتَعْيَّ مَا عَنَّا هَا، وَأَبْصَارًا لِتَجْلُوا عَنْ عَشَاهَا، وَأَشْلاَةً

جَامِعَةً لِأَعْصَانِهَا، مُلَائِمَةً لِأَخْنَانِهَا، فِي تَرْكِيبِ صُورِهَا، وَمُدَدِّعِهَا،
 بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا، وَقُلُوبٍ رَائِدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا، فِي مُجَالَاتٍ نَعِيمَهُ،
 وَمُوجِباتٍ مِنْنِيهِ، وَحَوَاجِزٍ عَافِيَتِهِ، وَقَدْرٌ لَكُمْ أَعْمَارًا سَتَرَهَا عَنْكُمْ،
 وَخَلْفٌ لَكُمْ عِبَرًا مِنْ آثارِ الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ مِنْ مُسْتَقْبَلٍ خَلَاقِهِمْ،
 وَمُسْتَقْسِحٌ خَنَادِيقِهِمْ، أَرْهَقَتْهُمُ الْمَنَابِيادُونَ الْآمَالِ، وَشَدَّبِهِمْ عَنْهَا تَخْرُمُ
 الْآجَالِ، لَمْ يُمَدِّدُوا فِي سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ، وَلَمْ يَعْتَبِرُوا فِي أُنْفِ الْأَوَانِ،
 فَهُلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاطِ الشَّبَابِ إِلَّا حَوَافِي الْهَرَمِ، وَأَهْلُ غَضَارَةِ الصَّحَّةِ
 إِلَّا نَوَازِلَ السَّقَمِ، وَأَهْلُ مُدَدِّ الْبَقَاءِ إِلَّا آوَانَةُ الْفَنَاءِ مَعَ قُرْبِ الزِّيَالِ،
 وَأَزُوفِ الْأِنْتِقالِ، وَعَلَزِ الْقَلْقِ، وَأَلَمِ الْمَضَضِ، وَغُصَصِ الْجَرَضِ،
 وَتَلْفُتِ الْإِسْتِغَاثَةِ بِنُصْرَةِ الْحَفَدَةِ وَالْأَقْرَباءِ، وَالْأَعِزَّةِ وَالْقُرَنَاءِ،
 فَهُلْ دَفَتِ الْأَقْارِبُ؟ أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ؟ وَقَدْ غُودِرَ فِي مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ
 رَهِينًا، وَفِي ضِيقِ الْمَضْجَعِ وَحِيدًا، قَدْ هَتَّكَتِ الْهَوَامِ جِلْدَهُ، وَأَبْلَتِ
 النَّوَاهِكُ جِدَّهُ، وَعَفَتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ، وَمَحَى الْحَدَّاتُ مَعَالِمَهُ،
 وَصَارَتِ الْأَجْسَادُ شَحِيَّةً بَعْدَ بَصِّتها، وَالْعِظَامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتها،
 وَالْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةٌ بِتَقْلِيلِ أَعْبَانِها، مُؤْقَنَةٌ بِغَيْبِ أَنْبَانِها، لَا تُسْتَرَادُ
 مِنْ صَالِحِ عَمَلِها، وَلَا تُسْتَغْتَبُ مِنْ سَيِّئِهِ ذَلِيلًا، أَوْ لَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ

وَالآبَاءِ؟ وَإِخْوَانُهُمْ وَالْأَقْرَبَاءِ؟ تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ، وَتَرْكَبُونَ قِدَمَهُمْ
وَتَطَاوِنَ جَادَتِهِمْ؛ فَالْقُلُوبُ قَاسِيَّةٌ عَنْ حَظْهَا، لَا هِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا، سَالِكَةٌ
فِي غَيْرِ مِضَارِهَا، كَانَ الْمَعْنَى سِواهَا، وَكَانَ الرُّشْدُ فِي إِنْهَازِ دُنْيَاها.

اللغة

(عنيته) عنياً من باب رمي قصته و عناء الأمر أهمه و (عشى) عشا من باب تعب ضعف بصره و أبصر نهاراً ولم يبصر ليلاً فهو أعشا والمرأة عشواه و (الأشلاء) جمع الشسلو مثل أحمال و حمل و هو العضو و قال في القاموس الشسلو بالكسر العضو والجسم من كل شيء.

و (الخنو) بالفتح والكسر كل ما فيه اعوجاج من البدن كعظم الحجاج واللعن والضلع و من غيره كالقف والحقف وكل عود معوج في الققب والرجل والسرج والخنو أيضاً الجانب و عن النهاية ملائمة لاحتئتها إي معاطفها و (الرفق) النفع يقال ارتتفقت به اي انتفعت و قال في القاموس : الرفق بالكسر ما استعين به ، و يروى بارماقا ببدل بارفاها و هو جمع الرمق بقية الروح.

و (المجللات النعم) ما تعم الخلق من جلل الشيء تجليلاً أي عم ؛ و منه السحاب المجلل و هو الذي يجعل الأرض بماه المطر أي يعمه و في حديث الكافي و العيون الامام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم و (المستمتع) اسم مكان من استمتعت بكذا انتفعت به و (الخلق) بالفتح النصيبي و (المستفسح) محل الفسحة و هي السعة (و الخناق) ككتاب العجل الذي يخنق به يقال خنقه يخنقه خنيقاً ككتفت إذا عصر حلقة حتى يموت فهو خناق و خناق ، و ربما يطلق الخناق على المخلق يقال اخذنه بخناقه و مخنقه أي بحلقه.

و (أرهقت) الشيء أدركته و أرهقت الرجل أمرأ يتعدى إلى مفعولين أزعجهاته و كلفته حمله و (الأنف) بضمتين أول الأمر و (بضم) الرجل بالفتح والكسر بضاضة

(ج) ٥

في التذكير لبيان حال السلف ليعتبر به الخلف

و بوضوحة فهو بضم أي رخص الجسد رقيق الجلد همقلي و (الحواني) جمع الحانية وهي العلة التي تتحلى شطاط (١) الجسد و تمنعه عن الاستقامة و (الهرم) محركة أقصى الكبر و (الغضارة) طيب العيش والسعادة والنسمة و (الادنة) جمع أوان كأزمنة و زمان و (العلز) بالتحريك خفة و هلم يصيب المريض والأسير والمحضر ورجل علز أي هلم لابنام و (المضفن) محركة وجع المصيبة (جرض) بريقه ابتلעה بالجهد على هم و حزن و أجرضه الله بريقه أحصنه و (التلتفت) والالتفات بمعنى وهو الانصراف يقال التفت إلى النفاثا انصرف بوجهه نحوه والتلتفت أكثر منه و (الحفدة) الأعون والخدم ، و قيل أولاد الأولاد .

والنساء (النسواحب) اللاتي يرفعن أصواتهن بالبكاء من النحيب و هو شدة البكاء و يروى النسواب بدلها و (غادره) مغادرة تركه و بقاء و (هتك) الستر و غيره جذبه قطعه من موضعه و (الهامنة) من الحيوان مثاله سم يقتل كالحيتان و الجمجم الهوام كدابة و دواب و ربما يطلق على ما لا يقتل كالحشرات و (نهاكته) العمى نهاكا من باب ضرب هزلته وجهه وأضنته (٢) و نهكه السلطان بالغ في عقوبته النهايات و النهايك المبالغ في الأشياء و (الجدة) بكسر الجيم مصدر يقال جديده من باب ضرب يضرب جدة إذا صار جديدا و هو ضد البلى و (عفت) بالتشخيص و يروى بالتشديد و (شحوب) لونه من باب جمع و نصر و كرم شحوبا و شحوبة تغير من هزال أو جوع أو سفر و (تستعقب) بالبناء على المفعول و (القدرة) بكسر القاف والدال المهملة الطريقة و (المعنى) بالتشديد المعنى والمعناة والمعنية بمعنى واحد.

الأعراب

لفظة عن في قوله لتجلو عن عشاها إمسازاً يادة أو بمعنى بعد كما جوزه الشارح المعترلي مستشهدًا بقول الشاعر لعجب حرب وائل عن حيال اي بعد حيال فيكون قد حذف المفعول والتقدير لتجلو الاذى بعد عشاها ، والأظهر ما قاله الشارح

١- الشطاط كصحاب و كتاب القامة و حسن القوم .

٢- ضن ضنا من باب رضى مرض مرضًا محامرًا كلما ظن بيرئه نكس .

البحرياني من أنَّ عن ليست بزايدة لأنَّ الجلاء يستدعي مجلوأً و المجلوَ عنه فذكر المجلوَ و أقامه مقام المجلوَ عنه فكانه عليه السلام قال لتجلو عن قواها عشاها ، و في تركيب صورها متعلق بملائمة ، و قوله : بأبدان متعلق بجعل والباء للمساعدة، والباء في بأرفاقها اللصلة وعلى رواية بأرماقها إمسال لاسببية أو الاستعانة.

و قوله في مجللات نعمه متعلق بمقدار حال من فاعل جعل أو من ضمير الخطاب في لكم أى جعل لكم الأسماع حالكونكم في مجللات نعمه ، ومن مستمتع خلاقوهم بيان للعبر ، و دون في قوله دون الآمال بمعنى عند ، و جملة لم يمهدوا في محل النصب على الحال من مفعول أرهقتم.

فهل يتضليل استفهام انكاريٍ توييحيٍ من قبيل قوله سبحانه : أَتَبْعَدُنَّ هَا تتحتون ، و كلمة إِلَّا في الواقع الشّلّاثة أعني قوله : إِلَّا حوانى الهرم ، و إِلَّا نوازل السّقّم ، و إِلَّا آوْنَةُ الْفَنَاءِ إِنْ كَانَ لِلْاسْتِئْنَاءِ فَيَتَوَجَّهُ عَلَيْهِ أَنَّ الْاسْتِئْنَاءَ الْمَفْرَغُ غَيْرُ جَائِزٍ فِي الْكَلَامِ الْمَوْجُوبِ ، و إن كانت بمعنى غير كما يظهر من شرح البحرياني ففيه أنَّ إِلَّا بمعنى غير لا يجوز حذف موصوفها كما يجوز حذف موصوف غير يقال جائني غير زيد ولا يصح أن يقال جائني إِلَّا زيد كما صرَّح به ابن هشام وغيره، وبذلك فرقوا بين إِلَّا و كلمة غير.

و يمكن توجيهه بأن يقال إنَّ إِلَّا للاستثناء و إنَّ جواز التّسْفِيرِيَّع هنا الاستقامة المعنى و حصول الفايدة كما جوزه في قوله قرأت إِلَّا يوم كذا معللين بأنَّه لا يبعد أن يقرء في جميع الأَيَّامِ إِلَّا اليوم المعين ، فعلى هذا التّسْوِيجِيَّه يكون المراد بالكلام أنَّه يتضليل هؤلاء جميع اللذين الدّينويَّة والشهادات النفسانية إِلَّا حوانى الهرم و نوازل السّقّم فافهم.

والباء في قوله بنصرة الحفدة ، متعلق بالاستثناء ، و قوله فهل دفت إِلَّا قارب استفهام انكاريٍ بطالٍ على حد قوله أَفَاصْفِيكَمْ رَبِّكُمْ بِالْبَيْنَ ، و قوله وقدغور في محل النصب على الحال والعامل نعمت ، وكذلك رهيناً وحيداً متصبان على الحال و العامل غودر ، و هكذا جملة قد هتفت و أبلت و عفت و محى اه ، و قوله : و صارت عطف

(ج)

في التذكير لبيان حال السلف ليعتبر به الخلف

(٣٩٥)

على غور ، و جملة لاستزداد ولانتعقب في محل النصب أيضاً على الحالية ، و قوله
أولستم استفهمتم تقريري .

المعنى

اعلم أنَّ صدر هذا الفصل تذكير لعباد الله بضروب نعم الله سبحانه و مهنته عليهم
و تنبيه على الغاية من تلك النعم ، و ذيله مسوغ لبيان حال السلف ليعتبر به الخلف قوله
﴿فَلَمْ يَرَهُ﴾ (جعل لكم أسماعاً لتعى ما عندها و أبصاراً لتجلو عن عشادها) إشارة إلى
النعمتين العظيمتين اللتين أعطاهما الله سبحانه لخلقه مع الاشارة إلى ما هو
الغرض منها .

فالمقصود أنَّه سبحانه خلق لانتفاعكم قوَّةً سامعةً لتحفظ مَا همْ بها و قوَّةً
باضرة لتجلو العشا عن الأبصار ، فعلى هذا يكون قوله و أبصاراً اه من باب الاستخدام
حيث أريد بالأبصار القوَّة و بضمير عشادها الرابع إليه العضو المحسوس المخلوق
من الشَّحْم المركب من السُّواد والبياض ، فبذلك القوَّة حصل له الادراك والأبصار
بعد ما لم يكن في نفسه مبصرًا مدركاً فكانت جلاء عن عشادها .

و يوضح ذلك ما رواه في البحار من المناقب لابن شهر آشوب مما أحباب
الرضا عليهما السلام بحضور الإمامون أضباع بن نصر الهندي و عمران الصابي عن مسامعهما
قال عمران : العين نور مركبة أم الروح تبصر الأشياء من منظرها ؟ قال عليهما السلام : العين
شحمة و هو البياض والسواد والنظر للروح دليله إنك تنظر فيه و ترى صورتك في
وسطه والانسان لا يرى صورته إلا في ماء أو مرآة و ما اشبهه بذلك .

قال أضباع إذا عميت العين كيف صارت الروح قائمة والنظر ذاهب ؟ قال عليهما
الشمس طالعة يغشاها الظلم ، قالا : أين تذهب الروح ؟ قال عليهما ، أين يذهب
الضوء الطالع من الكوة في البيت إذا سدت الكوة ، قالا : أوضح لنا ذلك ، قال عليهما
الروح مسكنها في الدُّماغ و شعاعها منبثق في الجسد بمنزلة الشمس دارتها (١) في المسحاء

١- قال في القاموس الدار المجل يجمع البناء والعرضة كالدارة و في المصباح الدارة دارة
القمر و غيره سميت بذلك لاستدارتها منه .

و شعاعها منبسط على الأرض فإذا غابت الدارسة فلا شمس و إذا قطعت الرأس (١) فلا روح.

فإن غرض السائل أن المدرك هو العضو أم الروح تبصر الأشياء وهذا منظره ، فاختار ^{عليه} الثاني و علله بأن العضو مثل سائر الأجسام الصقيقة يرى فيها الوجه كالماء والمرآة فكما أنها ليست مدركة لما ينطبع فيها فكذا العين وغيرها من المشاعر هذا

وقد أشير إلى منافع السمع والبصر وبعض حكمهما في حديث المفضل المعروف عن الصادق ^{عليه} حيث قال:

انظر يا مفضل إلى هذه الحواس الخمس التي خص بها الإنسان في خلقه وشرف بها على غيره كيف جعلت العينان في الرأس كالمصابيح فوق المنارة ليتمكن من مطالعة الأشياء ولم يجعل في الأعضاء التي تتحتنن كاليدين والرجلين فتعرضها الآفات ويصيبها من مباشرة العمل والحركة ما يعللها ويؤثر فيها وينقص منها ، ولا في الأعضاء التي وسط البدن كالبطن والظهر فيسر تقليبيها واطلاعها نحو الأشياء فلما لم يكن لها في شيء من هذه الأعضاء موضع كان الرأس أنسى الموضع للحواس وهو منزلة الصومعة لها ، فجعل الحواس خمسا تلقى خمسا لكيلا يفوتها شيء من المحسوسات فخلق البصر ليدرك الألوان فلو كانت الألوان ولم يكن بصر يدركها لم يكن فيها منفعة .

و خلق السمع ليدرك الأصوات فلو كانت الأصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن فيها ادب وكذلك سائر الحواس . ثم يرجع هذا متكلفا فلو كان بصر ولم يكن الألوان لما كان للبصر معنى ، ولو كان سمع ولم يكن أصوات لم يكن للسماع موضع فانظر كيف قدر بعضها يلقى ببعضها فجعل لكل حاسة محسوسا يعمل فيه ولكل محسوس حاسة تدركه .

١ - الرأس مذكر و تأنيث الفعل كانه لا شتماله على الأعضاء الكثيرة ان لم يكن من تعريف النساخ، بحار .

ومع هذا فقد جعلت أشياء متوسطة بين الحواس والمحسوسات لا يتم الحواس إلا بغير كمثل الضياء والهواء فانه لو لم يكن ضياء يظهر اللون للبصر لم يكن البصر يدرك اللون ، ولو لم يكن هواء يؤدي الصوت إلى السمع لم يكن يدرك الصوت فهو يخفى على من صبح نظره واعمل فكره أن مثل هذا الذي وصفت من تهيئة الحواس و المحسوسات بعضها يلقى بعضًا أو تهيئة أشياء اخربها يتم الحواس لا يكون إلا بعمد و تقدير من لطيف خبير ؟

فذكر يا مفضل فيمن عدم البصر من الناس وما يناله من الخلل في اموره فانه لا يعرف موضع قدمه ولا يبصرا ما بين يديه فلا يفرق بين الألوان وبين المنظر الحسن والقبيح فلا يرى حفرة إن هجم عليها ولا عدوًّا إن هوى إليه بسيف ، ولا يكون له سبيل إلى أن يعمل شيئاً من هذه الصناعات مثل الكتابة والتسباحة والصياغة حتى أنه لو لاذنه ذهنه لكان كالحجر الملقي .

و كذلك من عدم السمع يختل في امور كثيرة فانه يفقد روح المخاطبة والمحاورة و يعدم لذة الأصوات والمعون الشجية المطربة ، و تعظم المؤنة على الناس في محاورته حتى تبرّموا به ولا يسمع شيئاً من اخبار الناس وأحاديثهم حتى يكون كالغائب وهو شاهد وكالميت وهو حي .

وقوله (وأشلاء جامعة لاعضائها) الظاهر أن المراد بالشلة هنا العضو وليس كنایة عن الجسد كما زعمه البحرياني إذا لا بد ان مذكورة بعد ذلك فيلزم التكرار مع أن اراده الجسد على تقدير صحتها لاحاجة فيها إلى الكنایة لما قد عرفت من اشتراكه لغة بين الجسد والعضو .

فإن قلت : إرادة العضو ينافيها قوله عليه السلام جامعة لاعضائها ، إذ الشيء لا يجمع نفسه .

قلت : يمكن توجيهه بما وجّهه الشارح المعتزلي من جعل المراد بالأشلاء الأعضاء الظاهرة وبالأعضاء الباطنة ولاريـ،ـ أن الأعضاء الظاهرة تجمع الأعضاء الباطنة (ملائمة لأحجامها في تركيب صورها ومدد عمرها) أي جعل الأعضاء مناسبة

موافقة للجهات والجوانب التي جعلت فيها ملائمة لها في صورها التركيبية. مثلاً جعل اليدين في اليمين واليسار أنساب من كونهما في الرأس، وكون العينين في الرأس أولى من كونهما في الظهر أو البطن وكذلك كون ثقب الأنف في أسفله أنساب وأحسن من كونه في أعلى، وكون المثانة والمعدة في أسفل البدن أليق وهكذا وقد مر حكمة بعض ذلك في رواية المفضل وستعرف البعض في التبصرة الآتية مضافاً إلى الحسن والبهجة والاتيان والمناسبة المقررة في هذه الصور المجنولة إلا ترى أن من لم يكن له حاجب فوق عينه أو سقطت الأشفار من طرف عينه كيف يكون قبيح الصورة كريه المنظر، وهكذا سائر الأعضاء، هذا كلّه لو كان الجنوبي كلامه بمعنى المجانب والجهة، ولو جعلناه بمعنى العضو المعوج فيكون المراد أنه تعالى جعل الأعضاء المستقيمة من البدن ملائمة للأعضاء المعوجة في صورها المركبة فلابد مناسب المستقيمة موضع المعوجة ولا المعوجة موضع المستقيمة ولا يصادم حسن الاستقامة للاعوجاج ولا الاعوجاج للاستقامة، إذ كلّ منهما في موقعه محسن وأحسن فتبarak الله أحسن الخالقين.

وأما قوله تعالى : و مدد عمرها ، فالظاهر أنه أراد به أن الله جعل مدد عمر كلّ من الأعضاء ملائمة للأخر مقارنة له بحيث لا يغنى بعض الأعضاء قبل فناء الآخر فيكون الكلام محمولاً على الغالب فأفهم .

وقوله عليه السلام (بأبدان قائمة بأرفاقاً لها قلوب رائدة لأرزاقها) أي قائمة بمصالحها ومنافعها وأن قوامها باستعانته أرواحها على الرواية الأخرى السالفة في بيان اللغة وقلوب طالبة لأرزاقها جالبة لها إليها .

والضمير في أرزاقها يحتمل رجوعه إلى الأبدان ورجوعه إلى نفس القلوب ، وعلى الأول فالمراد بالرُّزق الرُّزق الجسدي ، وعلى الثاني فالمراد به الرُّزق الروحاني أعني العلوم الحقيقة والمعارف الشرعية والعقائد الإلهية الموجبة للسعادة في الدارين ، والمحصلة للعزّة في النشترين ، فإن القلب هو الطالب الجالب لتلك الأرزاق إلى نفسه كما أنه هو الطالب الجالب للأرزاق إلى البدن ولو بتوسيط الآلات البدنية

إذ هو العالم بالله ، و هو المتقرّب إلى الله ، وهو المحصل لرضوان الله ، وهو الساعي إلى الله ، وهو المكاشف بما عند الله ، وهو في الحقيقة سلطان مملكة البدن يستخدم الآلات والجوارح يأمرها بنيها ويستعملها استعمال المالك لعبده والسلطان لرعيته ، وتحقيق ذلك موقف على شرح حال القلب ومعرفة عجائب صفاتيه .

فأقول : إنَّ القلب كما حققه الغزالي يطلق على معينين : أحدهما اللحم الصنوبرى الشكّل المودع في الجانب الأيسر من الصدر ، وهو لحم مخصوص وفي باطنها تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه ، وهو بهذا المعنى موجود للإنسان والحيوان والحي والميت ، ومرئي بحسن العيان ويدركه الحيوان بحاسة البصر كما يدركه الإنسان ولا يتعلق به غرضنا في المقام .

الثاني هو جوهرة لطيفة ربانية نورانية روحانية لها تعلق بالقلب الجسماني الذي ذكرناه وهي حقيقة الإنسان وبهَا تمامه وكماله وهو المدرك العالم العارف وهو المخاطب والمطالب ، وله جنود وأعون وأنصار فمن تلك الجنود ما يرى بالأبصار كالأعضاء الظاهرة من اليدين والرجل والعين والأذن واللسان ونحوها ، وما لا يرى بالأبصار كالحواس الباطنة والشّمّة والغضب ونحوها ، فجميعها خادمة للقلب مقادة لحكمه مسخرة له وقد خلقت مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافاً ولا عليه تمرداً .

فإذا أمر العين بالانفتاح انفتحت وبالانطباق انطبقت والرجل بالحركة تحركت وبالسكن امتنعت واللسان بالكلام تكلّم وبالسكوت أمسك ، وكذا سائر الأعضاء .

وإنما افتقر إلى هذه الجنود من حيث افتقاره إلى المركب والزاد لسفره الذي يجب له سلوكه ولا جل مسيره خلق وهو السفير إلى الله وقطع المنازل إلى لقائه ومركيبه البدن وزاده المعرفة والأسباب التي توصله إلى الزاد وتمكّنه من التزوّد هو العمل الصالح .

فليس يمكن العبد أن يصل إلى الله ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا ، فان المنزل الأدنى لابد من قطعه للوصول إلى المنزل الأقصى ، فالدنيا مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى وإنما سميت الدنيا لكونها أدنى المنزلتين فاضطر إلى أن يتزود من هذا العالم .

فالبدن مر كبه الذي يصل به إلى هذا العالم فافتقر إلى تعميد البدن وحفظه وإنما يحفظ البدن بأن يجعل إليه ما يوافقه من الغذاء ويطلب له ما يناسبه من الرزق وأن يدفع عنه ما ينافيه ويضاده من أسباب الهلاك ، فافتقر لأجل جلب الغذا إلى جندين باطن وهو الشهوة ، وظاهر والأعضاء الجالبة للغذا من اليد ونحوها فخلق في القلب من الشهوات ما كان يحتاجا إليه وخلقت الأعضاء لكونها آلة للشهوة وافتقر لأجل دفع المضار والمهملات أيضاً إلى جندين : باطن و هو الغضب الذي به يدفع المهملات وينتفم من الأعداء وظاهر وهو الم gioارح التي بها يعمل بمقتضى الغضب من اليد والرجل ونحوهما .

ثم المحتاج إلى الغذا مالم يعرف الغذا لم يحصل له شهوة الغذا فافتقر للمعرفة إلى جندين ، باطن وهو إدراك السمع والبصر والشم واللمس والذوق ، وظاهر وهو العين والأذن والأنيف وغيرها .

فجملة جنود القلب منحصرة في ثلاثة أصناف : صنف باعت ومستحب إما إلى جلب النافع الموافق كالشهوة ، وإما إلى دفع الضار المنافي كالغضب ، وقد يعبر عن هذا الباب ثالث بالارادة ، والصنف الثاني هو المحرك للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عنه بالقدرة وهي مبنية في سائر الأعضاء لا سيما العضلات منها والأوتار ، والصنف الثالث هو المدرك المترعرع للأشياء كالجوايس وهي قوة البصر والسماع والشم والذوق واللمس المبنية في الأعضاء المعينة وقوّة التخيل والتّحّفظ والتّفكير ونحوها المودعة في تجاويف الدّماغ .

وهذه كلّها مما قد أنعم الله بها على سائر أصناف الحيوان سوى الآدمي إذ

للمحیوان أيضاً الشهوة و الغضب والحواس الظاهرة والباطنة فكلاهما شريكان فيها وإنما اختص الإنسان بما لا يجله عظم شرفه وعلا قدره واستأهل القرب وهو راجع إلى علم وإرادة أمّا العلم فهو العلم بـالآمور الدينية والأخروية والحقائق العقلية وهذه أمور وراء المحسوسات ولا يشار كـفيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل إذ يحكم الإنسان بأنَّ الشخص الواحد لا يتصور أن يكون في مكائن في حالة واحدة ، وهذا حكم منه على كل شخص معلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الأشخاص فحكمه على الجميع زايد على ما أدركه الحس ، وإذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات أظهر .

و أمّا الإرادة فـإنه إذا أدرك بالعقل عاقبة الأمر وجهة المصلحة فيه انبعث من ذاته شوق إلى جهة المصلحة وإلى تعاطي أسبابها والإرادة لها ، وذلك غير إرادة الشهوة وإرادة الحيوانات ، بل ربما يكون على ضد الشهوة .

ألا ترى أنَّ الشهوة تنفر عن الفصد والجحاجمة ، والعقل يريد لها ويطلبها وينبذ لها المال ، والشهوة تميل حين المرض إلى لذائذ الأطعمة والعقل يردعها عنها ، ولو خلق الله العقل العارف بـعواقب الأمور ولم يخلق هذا الباعث المحرّك للأعضاء على العمل بمقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعاً على التّحقيق .

فإذاً اختص قلب الإنسان بـعلم وإرادة يمتاز بهما من سائر الحيوان ، ومن هذه الجملة ظهر أنَّ خاصيَّة الإنسان العلم والحكمة ، وللعلم مراتب ودرجات لا تحصى من حيث كثرة المعلومات وقلتها وشرف المعلوم وخشته ، و من حيث إنَّ حصوله قد يكون بالهَمَامِ ربَّاني على سبيل المكاشفة كما للأنبياء والأولياء وقد يكون بطريق الكسب والاستدلال ، وفي الكسب أيضاً قد يكون سريعاً الحصول وقد يكون بطيء الحصول .

وفي هذا المقام تباين منازل العلماء والحكماء والأولياء والأنبياء ، فدرجات الترقي غير محصورة إذ معلومات الله سبحانه غير متناهية ومراتق هذه الدرجات

هي منازل السّايرين إلى الله ولا حصر لتلك المنازل وإنما يعرف كل سالك منزله الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل.

وإنما ما بين يديه فلا يحيط به علما كما لا يعرف الجنين حال الطفل، ولا الطفل حال المميت ولا المميت حال المراهن، ولا المراهن حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية، فكذا لا يعرف العاقل ما افتتح الله على أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته «ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها» وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه غير مضمون بها على أحد ولكن إنما تظهر في القلوب المعرضة لنفحات الرحمة كما قال ﷺ:

إن لربكم في أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوها، والتعرض لها إنما هو بتطهير القلب وتركيته من الكدر والخبث المحاصلين من الأخلاق المذمومة.

فظهور بذلك معنى تمام الإنسان وكماله وخاصته التي بها امتاز عن سائر أفراد الحيوان وتحقق أنّ البدن مركب للقلب، والقلب محل للعلم، والعلم هو مقصد الإنسان وأن العلم والمعرفة هو الذي خلق الإنسان لأجله كما قال:

«وما خلقتُ الجنَّ وَالْإِنْسَنَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ».

أى ليعرفون كما ظهر لك معنى رزق البدن و زاد القلب، واتضح أن القلب هو الطالب الجالب للرزق والزاد لصلاح المعاش والمعاد.

وقوله ﷺ (في مجللات نعمه و موجبات منه) العطف بمنزلة التفسير يعني أنكم متعممون بنعمة العامة الشاملة و آلاء التامة الكاملة الموجبة لامتنان سبحانه عليكم فالمراد بمجللات النعم ما أنعم بها على جميع الموجودات و المخلوقات بمقتضى رحمته الرحمانية كما قال سبحانه : «أعطي كل شيء خلقه نعم هدى».

وبموجبات الممن أن تلك النعم موجبة لمنة الله سبحانه عليهم فلا بد أن يقوم العبد بلوام الشكر والامتنان ، ولا يقابل بالطغيان والكفران ، وأعظم ما من الله به على عباده أن هداهم للإسلام والإيمان و أرشدهم إلى سلوك سهل الجنان وبعث فيهم

رسولا يدّلهم على الهدى و ينحيهم من الرّدى كما قال تعالى:

« لَقَدْ مِنَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذَا بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتَلَوُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَهُ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ».

وقوله (و حواجز عافيتها) قال الشّارح المعتزلي : أى في عافية تحجز و تمنع عنكم المضار .

أقول : و هو مبني على كون الاضافة من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف ، والأظهر الأقوى أن الاضافة لامية ، والمراد الموانع التي تمنع العافية عن الرّوى والعدم ، وتكون عائقه عن طريان المضار والألام و عروض الأوجاع والأسقام على الأبدان والأجسام ، وعلى أى تقدير فالمراد بها نعمة الصحة والسلامة التي هي من أعظم نعم الله سبحانه ، بل هي رأس كل نعمة و بها يدرك كل لذة و بهجة .

قال (وقد رأكم أعماراً سترها عنكم) وهذا أيضاً من أعظم ما أنعم الله تعالى به على خلقه إذ في إظهار مدة العمر عليهم مفاسد لا تمحى كما أن في إخفائها منافع جاوزت حد الاستقصاء كما أشار إليها سادس الأئمة و صادق الامامة أبو عبد الله جعفر بن محمد سلام الله عليهما و على آباءهما و أولادهما الطيبين الطاهرين حيث قال في حديث المفضل : تأمل الآن يا مفضل ما ستر عن الإنسان علمه من مدة حياته ، فإنه لو عرف مقدار عمره و كان قصيراً لم يتنه بالعيش مع ترقب الموت و توقيعه لوقت قد أعرفه ، بل كان يكون بمثابة من قدمي ماله أو قارب الفناء ، فقد استشعر الفقر والوحـلـ من فنـاءـ مـالـهـ و خـوفـ الفـقـرـ عـلـىـ أـنـ الـذـيـ يـدـخـلـ عـلـىـ الـإـنـسـانـ من فنـاءـ الـعـمـرـ أـعـظـمـ مـمـاـ يـدـخـلـ عـلـيـهـ من فـنـاءـ الـمـالـ لـأـنـ مـنـ يـقـلـ مـالـهـ يـأـمـلـ أـنـ يستخلـفـ مـنـهـ فـيـسـكـنـ إـلـىـ ذـالـكـ وـ مـنـ أـيـقـنـ بـفـنـاءـ الـعـمـرـ اـسـتـحـكـمـ عـلـيـهـ الـيـأسـ .

و إن كان طويلاً عمره ثم عرف ذلك و ثق بالبقاء و انهمك في اللذات والمعاصي و عمل على أنه يبلغ من ذلك شهوته ثم يتوب في آخر عمره و هذا مذهب لا يرضاه

الله من عباده ولا يقبله ألا ترى لأنّ عبداً لك عمل على أنّه يسخطك سنة ويرضيك يوماً أو شهراً لم تقبل ذلك منه ولم يجعل عندك محلّ العبد الصالح دون أن يضمّر طاعتك ونصحك في كلّ الأمور في كلّ الأوقات على تصرّف الحالات.

فإن قلت : أو ليس قد يقيم الانسان على المعصية حينما يتوب قبل توبته ؟
قلنا : إنّ ذلك شيء يكون من الانسان لغيبة الشهود له وتركه وتركه مخالفتها من غير أن يقدّره في نفسه ويبني عليه أمره فيصفح الله عنه ويغفر له عليه بالغفرة.

فاما من قدر أمره على أن يعصي ما بدهاته ثم يتوب آخر ذلك فانما يحاول خديعا من لا يخادع (١) أن يتسلّف التلذذ في العاجل و يعد و يمنى نفسه للتوبة في الآجل ولا أنه لا يفوي بما يعد من ذلك ، فإن النزوع من الترفه والتلذذ ومعاناة (٢) التوبة ولا سيما عند الكبر و ضعف البدن أمر صعب ولا يؤمّن على الانسان مع مدافعة التوبة أن يرهقه الموت فيخرج من الدنيا غير تائب كما قد يكون على الواحد دين وقد يقدر على قضائه فلا يزال يدافع بذلك حتى يصلّى وقد نفذ المال فيبقى الدين قائما عليه.

فكان خيرا للأشياء للانسان أن يستر عنه مبلغ عمره فيكون طول عمره يتربّص الموت فيترك المعاصي و يؤثر العمل الصالح .

فإن قلت : وما هو الآن قدستر عنه مقدار حياته وصار يتربّص الموت في كلّ ساعة يقارب الفواحش و ينتهي المحرام .

قلنا : إنّ وجه التدبير في هذا الباب هو الذي جرى عليه الأمر فيه ، فان كان الانسان مع ذلك لا يرعوي ولا ينصرف عن الله ما ورثه فانما ذلك من مرحة ومن قساوة لامن خطاء في التدبير كما أنّ الطبيب قد يصرف للمريض ما ينفع به فان كان المريض مخالفًا لقول الطبيب لا يعمل بما أمره ولا ينتهي عمّا ينهاه عنه ولم ينفع بصفته لم يكن

١- اي الله سبحانه وتعالى .

٢- اي مشقته .

الإسامة في ذلك للطبيب بل للمريض حيث لم يقبل منه.
ولئن كان الإنسان مع ترقبه الموت كلّ ساعة لايمتنع عن المعاصي فانه لو وفق
بطول البقاء كان أخرى أن يخرج إلى الكبائر الفظيعة فترقب الموت على كلّ حال
خير له من الثقة بالبقاء.

و إن كان صنف من الناس ينهون عنه ولا يتغذون به فقد يتغذى به صنف آخر
منهم و ينزعون عن المعاصي و يؤثرون العمل الصالح و يعودون بالأموال والعقایل
النفيسة والصادقة على الفقراء والمساكين فلم يكن من العدل أن يحرم هؤلاء الانتفاع
بهذه الخصلة ليضيع أولئك حظهم.

و بالجملة فقد وضح ، و اتضح كلّ الوضوح أنَّ ستر مدد الأعمار عن الخلق

من جلائل النعم وأعظم ما منَّ الله سبحانه به عليهم.

و مثله نعمة أخرى هي أيضاً من أسباب الآلام وأسباب النعماء من حيث كونها
موجبة للتوجافى عن دار الغرور جاذبة إلى دار السرور باعثة على السعادة الأبدية
موقعة في العناية السترمية (و) هي أنه سبحانه (خلف لكم عبراً) تعتبرون بها
وابقى آثاراً تتذكرون منها (من آثار الماضيين قبلكم) من الأهلين والأقربين
والآولين والآخرين ومن كان أطول منكم أعماراً وأشدّ بطشاً وأعمر دياراً (من
مستمتع خلاقهم و مستفسح خناثتهم) أى الدنيا التي كانت محل استمتاعهم بخلافهم
و انتفاعهم بحظوظهم و انصباتهم و محل الفسحة لاغناائهم من ضيق حبائل الموت ودار
امهالهم من انشاب مخالب الفناء والفتور.

فأنت فيما كالذين من قبلكم كانوا أشدّ منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا
بخلااتهم فاستمتعتم بخلاقوكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلااتهم وخضم كالذي خاضوا (١)
أولئك حبّطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون (٢) (أرهقتم المنيا
دون الآمال و شدّبّهم عنها تخربم الآجال) اى اخترتمهم أيدي المنون (٣) من قرون بعد

١- اي كالخوض الذي خاضوه .

٢- اقتباس من الآية في سورة التوبه

٣- المنون البنية لأنها تقطع المدى قال الفرا، المنون مؤنة و تكون واحداً و جمعاً .

قرنون فحالات بينهم وبين الآمال و فرقتهم من الأولاد والأموال:
 تخرّمهم رب المون (١) فلم تكن
 لتنفعهم جناتهم و الحدائق (٢)
 ولا حملتهم حين ولوا بجمعهم
 نجائبهم و الصافنات السوابق
 و زاحوا (٣) عن الأموال صفراء خلفوا
 ذخائرهم بالرغم منهم و فارقوا
 (لم يمددوا في سلامه الأبدان ولم يعتبروا في انف الأوان) أى لم يهياوا في حال الصحة
 والسلامة ليوم المعاد ولم يعتبروا في أول الأزمنة بالعبر النافعة بل الكل مال عنها
 وحاد ، فالشباب للهرم و الصحة للستّم و الوجود للعدم بذلك جرى في
 اللوح القلم .

(فهل ينتظر أهل بضاعة الشباب إلا حوانى الهرم ، و أهل غضارة الصحة
 إلا نوازل الستّم ، وأهل مدة البقاء إلا آونة الفناه) وعدم استفهام على سبيل الانكار
 والتسبیح عما ينتظر الشبان الناعمة الجسد الرقيقة الجلد غير حوانى الهرم التي
 تحني ظهورهم و عما ينتظر أهل النعمة والصحة غير نوازل الستّم التي تنزل عليهم
 و عما ينتظر المعمرون بطول أعمارهم غير الفناه وعدم الذى يفنيهم .
 و إنما وبخهم على ذلك لأنّ من كان يصير أمره إلى الهرم والستّم والفناء
 والزوال ينبغي أن يأخذ العدة والذخيرة لنفسه و ينتظر ما يصير أمره إليه و يراقبه
 ولا يشغله بغيره .

فهؤلاء لما قصروا همهم في غير ذلك وأوقعوا أنفسهم في مطارات المهالك

١- رب المون حدثاته .

٢- اعلم أنّ هذا البيت وسائر الأبيات التي أشدها في شرح هذا الفصل و هكذا بعض
 القراءات التي أوردناها مأخوذة من مناجاة الإمام زين العابدين على بن الحسين (ع) و ندبته
 التي رواها أبو عبيدة الزهرى ؛ و إنما اقتبسنا كل ذلك من كلامه لأنّ كلام الموصوم يصدق بعضه
 بعضا ، واث الهادى لى سواه السبيل ، منه .

٣- أى زواله .

و بخَلْقِهِ بذلَكَ و أكَّدَ بقوله (مع قرب الزِّيَال) و ازْوَفَهُ (و ازْوَفَ الانتِقال) و قرْبَهُ (و عَلَزَ الْقَلْاق) و هَلْعَهُ (و ألمَ المَضْض) و وجْعَهُ (و غَصَصَ الْجَرْض) و شَجَاهُ (و تَلَفَّتَ الْاسْتِغَاثَةَ بِنَصْرَةِ الْحَفَدَةِ وَالْأَقْرَبَاءِ وَالْأَعْزَةِ وَالْقُرَنَاءِ) أَرَادَ أَنَّهُمْ فِي حَالٍ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ يَلْتَفِتونَ إِلَى أَهْلِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَيَقْبَلُونَ زُجُوهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَاءِ إِلَى أَحْبَبِهِمْ وَعَوْادِهِمْ يَسْتَغْشِيُونَهُمْ وَيَسْتَنْصِرُونَهُمْ فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى النَّصْرَةِ وَالْإِغْاثَةِ وَيَسْتَعِيْنَهُمْ وَيَسْتَجِدُونَهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ الْانْجَادَ وَالْإِعْانَةَ:

أَحْاطَتْ بِهِ آفَاتُهُ وَهُمُومُهُ
فَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ كَرْبَلَةِ الْمَوْتِ فَارِجٌ
وَلَيْسَ لَهُ مِمَّا يَحْذَرُ نَاصِرٌ
وَقَدْ جَشَّاتْ خَوْفَ الْمِنْيَةِ نَفْسَهُ
(فَهُلْ دَفَعَتْ الْأَقْارِبُ أَوْنَفَعَتْ النَّوَاحِبُ) أَوْ اتَّفَعَ بِسُلْطَانَهُ أَوْذَبَ الْمَوْتَ عَنْهُ جَنْوَدَهُ
وَأَعْوَانَهُ .

فَمَا صَرَفَتْ كَفَّ الْمِنْيَةَ إِذْ أَنْتَ
وَلَا دَفَعَتْ عَنْهُ الْحَصُونَ الَّتِي بَنَاهُ
وَلَا قَارَعَتْ عَنْهُ الْمِنْيَةَ خَيْلَهُ
(وَقَدْ غُوَرَ فِي مَحْلَةِ الْأَمْوَاتِ رَهِينًا وَفِي ضِيقِ الْمُضْبَحِ وَحِيدًا) وَ التَّحْقِيقُ بِمَنْ هَضَى
مِنْ أَسْلَافِهِ وَمِنْ وَارِتَهِ الْأَرْضِ مِنْ الْأَفَهِ .

وَأَضْحَوْا رَعِيمًا فِي التَّرَابِ وَأَقْفَرْتَ(٤)
(مَجَالِسُهُمْ عَطَلَتْ وَمَقَاصِرُ(٥)

١- والابلاس اليأس من رحمة الله و منه سمى ابليس والابلاس ايضا الانكسار والحزن والمعاذر جمع العذر و جثث النفس انهضت وجاشت النفس ارتفعت من حزن او فزع واللهات الهيئة المطبقة في أعلى سقف الفم والحنجرة الجلقوم منها .

٢- فاعل صرفت
٣- الدمسكرا القرية والصومعة والارض المستوية وبيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي والجمع دساكر ق
٤- اي خلت

٥- لمَّا جَمَعَ الْمَقْصُورَةَ هِيَ الدَّارُ الْوَاسِعَةُ

و حلوا بدار لا تزارو ينهم و أنى لسكان القبور التزارو
 فما ان ترى إلا جنى (١) قد نودا بها (٢) مسنتة (٣) تسفى عليه الا عاصر (٤)
 (قد هتك المهام جلدته و ابلت النواهك جدته) أى قطع هو ام الأرض جلده
 وصار طعمة للعقارب و الحيّات و الحشرات المؤذيات و اخلقت مبالغات الدهر التي
 أجهدته وأضنته و هزلته جدته و نصرة شبابه، فصار خلقاً بالياً بعد ما كان جديداً غصضاً
 طريباً بمصالب الدهر و نوابيه وأوصابه و أتعابه (و عفت) الرّياح (العواصف آثاره
 ومحى) النوايب و (الحدثان معالمه) فلم يبق في وجه الأرض منه خبر ولا عن قبره
 عين ولا أثر، حيث فقدته العيون وتولّت عليه السنون (و صارت الأجساد شحنة)
 هنفيسرة هزلة (بعد بضتها) ونومتها و امتلائها (والعظم نخرة) بالية متفتة (بعد
 قوتها) و شدّتها (و الأرواح مرتهنة) مقبوضة (بتقل أعمالها) وأحمالها كما
 قال تعالى :

« كُلُّ أَمْرٍ يَا كَسَبَ رَهِينٍ ».

أى محبوس بعمله حتى يعامل بما يستحقه و يجازي بما عمله إن عمل طاعة ائب
 وإن عمل معصية عوقب ، وفي سورة المدثر

« كُلُّ نَفْسٍ يَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابُ الْيَمِينِ »

قال الطبرسي : أى مرهونة بعملها محبوسة به مطالبة بما كسبته من طاعة أو
 محصية ، فالرّهن أخذ الشيء بأمر على أن لا يرد إلا بالخروج منه فكذلك هؤلاء
 الضلال قد اخروا برهم لافراك له ، والكسب هو كل ما يحصل به نفع أو يدفع به

١- جمع جثوة اي تربة مجموعة ، لفة

٢- اى اقاموا

٣- اى مرتفعة ومنه قبر مسنت

٤- هي ريح تشير الغبار برفع الى السماء كأنه عمود .

ضرر ويدخل فيه الفعل واليافع .

ثم أستثنى سبحانه أصحاب اليمين فقال : إِلَّا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ، وَهُمُ الَّذِينَ يُعْطَوْنَ كِتَبَهُم بِأَيْمَانِهِمْ قَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : نَحْنُ وَشَيْعَتَنَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ، وَقَوْلُهُ (موقنة بغيب أنبياءها) أَئِ مِتْيقَنَةً بِالْأَخْبَارِ الْغَيْبِيَّةِ الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا الرَّسُولُ وَأَبْنَاهُ الْكِتَبُ مِنْ أَخْبَارِ الْقِيَامَةِ مِنَ الْبَرْزَخِ وَالْبَعْثِ وَالْمَحْسَابِ وَالْكِتَابِ وَالْجِنَّةِ وَالنَّاسِ وَسَايِرِ مَا كَانَتْ غَايَةً عَنْهُ مَخْتَفِيَةً لَهُ حَتَّى رَآهَا بِحَسْنِ الْعَيْنِ فَحَصَّلَ لَهُ الْيَقِينُ بَعْدَ مَا كَانَتْ مِنْهَا فِي رَيْبٍ وَظَنٍّ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :

« وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبٌ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرَي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُ إِلَّا ظَنًا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَقِيقِينَ ». »

وقال سبحانه حكاية عن الكفار والمجرمين :

« قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلَّيْنَ وَلَمْ نَكُ نُطْعَمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَدِّبُ لِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ ». »

أى كُنَّا نُكَدِّبُ يَوْمَ الْجَزَاءِ حَتَّى جَاءَنَا الْعِلْمُ الْيَقِينُ بِأَنَّ عَيْنَاهُ ، وَقَالَ سبحانه في حق المُتَقِيقِينَ :

« أَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ». »

قال الطبرسي وإنما خصمهم بالأدلة بالآخرة وإن كان الإيمان بالغيب قد شملها لما كان من كفر المشركيين بها وتجدد لهم آياتها في نحو ماحكمي عنهم في قوله « وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حِيوٌ مُّنَادٍ لَّهُ نَدِيْنَا نَمُوتُ وَنَحْيِي ». »

فكان في تخصيصهم بذلك مدح عظيم (لا تستزاد من صالح عملها و لا تستعقب من سيئها) أى لا يطلب منها زيادة في العمل الصالح ولا يطلب منها التوبة من العمل القبيح كما كان يطلب ذلك منها في الدنيا ، وذلك لأنَّ التكليف والعمل إنما هو في الدنيا والآخرة دار الجزاء لاتكليف فيها كما قال تعالى في سورة المجانية :

« فَالْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْبَطُونَ » .

أى لا يخرجون من النار ولا يطلب منهم الاعتبار والاعتذار لما قلناه من أنَّ التكليف قد زال ، وفي سورة الرحمن :

« فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْبَطُونَ » .

و كما أنهم لا يطلب منهم التوبة والمعذرة فكذلك لا ينفعهم الاعتذار والانابة كما قال سبحانه :

« إِنَّمَا يَنْفَعُ رَبَّ الْأَرْضَ مَتَّوِيَ لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ » .

أى إن يطلبوا إزالة اللوم والعقوبة ويسألوا رضا الله عنهم فليس لهم طريق إلى الاعتبار ولا لهم نجاة من العقاب .

موارد سوء ما لهن مصادر بلى أوردته (١) بعد عز ومنعة

هو الموت لا ينجيه منه الموازر (٢) فلما رأى أن لانجاة وأنه

تندم لو يغنيه طول ندامة

« وَقَالَ رَبُّ ارْجِعُونَ لَعَلَّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ

هُوَ قَاتِلُهُ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمٍ يُبَعَّثُونَ » .

(أولستم أبناء القوم) الذين وصفنا حالهم وشرحنا حالهم (والآباء و إخوانهم والأقرباء) وأمثالهم .

١- أى أوردته الدنيا

٢- الموازر: الناصر

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها
خلت دورهم منهم وأقوت عراصهم
وخلوا عن الدنيا وما جمعوا لها
فلكم اليوم بالقوم اعتبار ، وسوف تحلون مثلهم دار البوار ، فالبدار البدار والحدار
الحدار من الدنيا و مكايدها و ما نصب لكم من مصاددها و تجلّى لكم من زيتها
واستشرف لكم من فتنتها

و في دون معاينت من فجعلتها
إلى رفضهادع و بالزهد أمر
فجد و لا تغفل فعيشك زائل
وأنت إلى دار المنية صائر
فهل يحرض عليها لبيب ، أو يسر بلذتها أريب ، وهو على نفقة من فنائهما وغير طامع
في بقاءها ، أم كيف تنام عين من يخشى البيات أو تسكن نفس من يتوقع الممات أم
كيف (تحتذون أمثلتهم وتركبون قدمتهم وتطاون جادتهم) تفعلون مثل أفعالهم وتقتفون
آثارهم وتسلكون مسالكهم وتقولون : « إنما جدنا آباتناعلى أمة وإنما على آثارهم
مقتدون » (فالقلوب قاسية عن حظها) جافية عن إدراك نصيبيها الذي ينبغي لها
إدراكه (لا هيبة عن رشدتها) غافلة عن طلب هدايتها (سالكة في غير مضمارها) الذي
يلزم عليها سلوكه .

يعني أنَّ اللازم على القلوب تحصيل المعارف اليقينية و العقائد الحقة
والتفكير في آثار الجبروت والقدرة والاتزان بالحكم والمواعظ الحسنة فهي لقسونها
وجفاوتها بكثرة الذُّنوب التي اقترفتها لم يبق لها قابلية و استعداد لادراك حظها
ونصيبيها الذي ذكرناه وغفلت عن الاهتمام بالآثار الالمية وسلكت في غير جادة الشريعة
(كانَ المعنى) والمقصود بالأحكام الشرعية والتکاليف الاليمية (سواء و كان الرشد)
الذى امرت به (في إحراز دنياهما) .

١- جمع بالية

٢- من الدنور وهو الدروس

٣- لعله جم الحفر وهو القبر

فياعاولاً راحلاً ولبيباً جاهلاً ومتيقظاً فاما هذه الحيرة والسبيل واضح والمشير
ناصح، والصواب لاجع، عقلت فاغفلت وأعرفت فأنكرت، وعلمت فامهلت «فاهرملت»
هذا هو الداء الذي عزّ دواؤه، و المرض الذي لا يرجى شفاءه، إلى كم ذالت الشاغل
بالتتجابر والأرباح، إلى كم ذا التشهُّر بالسرور والأفراح، و حثّم التغير بالسلامة
في مراكب النياح، كيف تنهي نابحياتك وهي مطيةتك إلى مماتك أم كيف تسيخ طعامك
وأنت متظر حمامك (١)

وأنت على حال وشيكًا مسافر (٢)
ولا ذاك موفور ولا ذاك عامر
ولم تكتسب خير لدى الله عاذر
ودينك منقوص ومالك افر
وعمرى فان والردى (٣) لي ناظر
يجازى عليه عادل الحكم قاهر
علىم حكيم نافذ الأمر قادر
فكل عزيز للمهيمين (٤) صاغر
لعزّة ذى العرش الملوك الجبار

ولم تتوسد للرحيل وقد دنا
تخرّب ما يبقى و تعمّر فانياً
وهل لك إن وافقك حتفك بغمة
أترضى بأن تفني ألمحية وتنقضى
فيما ويبح نفسى كم أسوّف توبي
وكل الذي أسلفت في الصحف مثبت
مليك عزيز لا يردّ قضاوه
عنى كل ذى عزّ بعزة وجهه
لقد خشعـت واستسلمـت وتضـالـت

فيك إلينا نستجير يا عليـم يا خـيرـ، من نـؤـمل لـفكـاكـ رـقـابـناـ غـيرـكـ، وـ من نـرجـوبـ فـرقـانـ
ذـنـوبـناـ سـواـكـ، وـ أـنـتـ الـمـفـضـلـ الـمـنـانـ الـقـائـمـ الـدـيـانـ الـعـادـ عـلـيـنـاـ بـالـاحـسـانـ بـعـدـ الـإـسـاءـةـ
مـنـاـ وـالـعـصـيـانـ ، يـاـ العـزـةـ وـالـسـلـطـانـ وـالـقـوـةـ وـالـبـرهـانـ أـجـرـنـاـ مـنـ عـذـابـكـ الـأـلـيـمـ
وـاجـعـلـنـاـ مـنـ سـكـانـ دـارـ النـعـيمـ يـاـ أـرـحـمـ الرـاحـمـينـ.

١ - الحمام: الموت

٢ - الوشيك: السريع

٣ - الردى: الملاك

٤ - المهيمن: القائم على خلقه بأعمالهم وآجالهم وأرزاقهم أو الشاهدو الرقيب والحافظ
والصاغر الذليل وتضائلت أي صارت ضئيلاً حقيراً ذليلاً منه

تبصرة

لما كان صدر هذا الفصل متضمناً للإشارة إلى بعض الحكم والمصالح فيما جعله الله سبحانه للإنسان من الأعضاء والجوارح و كان توضيحاً ذلك موقفاً على التشريح أحبت أن أورد هنا شطرأيسيرأهن ذلك مما مصدر عن مصدر الولاية إذ تشريح جميع الأعضاء على ما حققه الحكماء والأطباء مما يوجب الطول ويخرج عن الغرض و فيما نورده هداية للمسترشد : كفاية للطالب.

فأقول : روى في البخاري من العمل والخلال عن محمد بن إبراهيم الطالقاني عن الحسن ابن علي العدوبي عن عباد بن صحيب بن عباد بن صحيب عن أبيه عن جده عن الربيع صاحب المنصور قال :

حضر أبو عبد الله عليه السلام مجلس المنصور يوماً وعنه رجل من الهند يقرئ كتب الطب فيجعل أبو عبد الله عليه السلام ينصل لقراءته ، فلما فرغ الهندي قال له يا أبو عبد الله أتريد مما معى شيئاً ؟ قال عليه السلام : لا ، فإن معى ما هو خير مما معك قال : وما هو ؟ قال عليه السلام :

أدوى الحر بالبارد والبارد بالحر والرطب باليابس واليابس بالرطب ؛ وأورد الأمر كله إلى الله عز وجل وأستعمل ما قاله رسول الله عليه السلام : واعلم أن المعدة (١) بيت الداء والحمية هي الدواء واعود البدن ما اعتاد ، فقال الهندي : وهل الطب إلا هذا.

فقال الصادق عليه السلام : أفتراني من كتب الطب أخذت ؟ قال : نعم قال عليه السلام : لا والله ما أخذت إلا عن الله سبحانه فأخبرني أنا أعلم بالطب أم أنت ؟ قال الهندي : لا بل أنا ، قال الصادق عليه السلام : فأسألتك شيئاً ؟ قال : سل ، قال الصادق عليه السلام : أخبرني يا هندي لم كان في الرأس شيئاً (٢) قال : لا أعلم ، قال عليه السلام : فلم جعل الشعر عليه من فوق ؟ قال : لأنعلم.

١- المعدة بالكسر والفتح موضع الطعام .

٢- الشأن واحد الشئون وهي موافق قبائل الرأس وملتقاها و منها يخرج الدموع ، صلاح

قال **يَسِيرٌ** : فلم خلت العجيبة من **الشِّعْرِ** ؛ قال : لا أعلم قال **يَسِيرٌ** : فلم كان لها **الْتَّخْطِيطُ** و **أَسَارِيرُ** ؟ (١) قال : لا أعلم ، قال **يَسِيرٌ** : فلم كان العاجبان من فوق العينين ؟ قال : لا أعلم ، قال **يَسِيرٌ** : فلم جعل العينان كاللوزتين ؟ قال : لا أعلم ، قال **يَسِيرٌ** : فلم جعل الأنف بيئمما ؟ قال : لا أعلم .

قال **يَسِيرٌ** : فلم كان ثقب الأنف في أسفله ؛ قال : لا أعلم ، قال **يَسِيرٌ** : فلم جعلت الشفة والشارب من فوق الفم ، قال : لا أعلم ، قال **يَسِيرٌ** : فلم أحد السن (٢) وعرض الصرس والناب ؟ قال : لا أعلم قال **يَسِيرٌ** : فلم جعلت اللامحة للمر جال ؟ قال : لا أعلم ، قال **يَسِيرٌ** : فلم خلت الكفاف من **الشِّعْرِ** ؟ قال : لا أعلم ، قال **يَسِيرٌ** : فلم خلا الظفر والشعر من الحياة ؟ قال : لا أعلم ، قال **يَسِيرٌ** : فلم كان القلب كحب الصنوبر ؟ قال : لا أعلم .

قال **يَسِيرٌ** : فلم كانت الرية قطعتين وجعل حركتها في موضعها ؟ قال : لا أعلم قال **يَسِيرٌ** : فلم كانت الكبد حدباء (٣) قال : لا أعلم ، قال **يَسِيرٌ** : فلم كانت الكلية كحب اللؤبها ؟ قال : لا أعلم ، قال **يَسِيرٌ** : فلم جعل طى الركبة إلى خلف ؟ قال : لا أعلم ، قال : فلم انحضرت (٤) القدم ؟ قال : لا أعلم ، فقال الصادق **يَسِيرٌ** : لكنني أعلم ، قال : فأجب .

فقال الصادق **يَسِيرٌ** : كان في الرأس شئون لأن المجووف إذا كان بألفضل أسرع إليه الصداع فإذا جعل ذا فصول كان الصداع منه أبعد ، وجعل الشعر من فوقه ليوصل بوصوله (٥) الادهان إلى الدماغ ويخرج بأطرافه البخار منه ويرد الحر والبرد

١- الاسارير خطوط العجيبة جمع الاسرار وهي جمع السرير صحاح .

٢- المفهوم من الاخبار اختصاص السن بالمقاديم الحداد والضرس بالماخير العراض والمفهوم من كلام أهل اللغة تردد فيما .

٣- حدب الاسنان من باب تعب إذا خرج ظهره وارتفع عن الاستواء فالرجل أحذب والمرأة حدباء في يومي .

٤- رجل محضر القدمين اذا كانت قدمه تمس الأرض من مقدمها وعقبها وتحوى أحصصها مع دقة فيه صحاح .

٥- اي بسبب وصول الشعر الى الدماغ تصل اليه الادهان او هو جمع الوصل الى

الواردين عليه وخلت الجبهة من الشعر لأنها مصب النور إلى العينين وجعل فيها التخطيط والأساير ليحبس العرق الوارد من الرأس عن العين قدر ما يميشه (١) الإنسان من نفسه كالنهار في الأرض التي تحبس المياه.

و جعل الحاجبان من فوق العينين ليوردا من النور عليهم ما قدر الكفاية الاترى يا هندي إن من غلبه النور جمل يده بين عينيه ليردعليهم ما قدر كفايته مامنه ، و جعل الأنف فيما بينهما ليقسم النور قسمين إلى كل عين سواه وكانت العين كالجوزة ليجري فيها الميل بالدواء و يخرج منها الداء ، ولو كانت مربعة أو مدوّرة ماجرى فيها الميل و ما وصل إليها دواء ولا خرج منها داء.

و جعل ثقب الأنف في أسفله لينزل منه الأدواء المنحدرة من الدماغ و يصعد فيها الأرایح (٢) إلى المشام ولو كان في أعلىه لما ينزل داء ولا وجدر اتحة ، و جعل الشارب والشفة فوق الفم لمحبس ما ينزل من الدماغ عن الفم لشأ يتغصن على الإنسان طعامه و شرابه فيميشه (٣) عن نفسه و جعلت اللحية للرجل ليستغنى بها عن الكشف (٤) في المنظر (٥) ويعلم بها الذكر والأنثى .

و جعل السن حادا لأن به يقع العض و جعل الضرس عريضا لأن به يقع الطحن والمضغ و كان الناب (٦) طويلا ليعد الأضراس والأسنان كالاسطوانة ، في البناء ، و خلا الكفان من الشعر لأن بهما يقع اللمس فلو كان بهما شعر مادرى

منابته و اصوله ولا يبعد ان يكون في الاصل باصوله فصحيح بقرينة مقابلة أطرافه ، بحاره
١- اي يزيله وينحيه

٢- جمع أرباح وهو جمع الربح .

٣ - اي يحتاج إلى ازالة ما ينزل من الدماغ عند الأكل والشرب عن نفسه

٤ - عن كشف العورة

٥ - متعلق بقوله يستغنى .

٦ - لعل وجه كونه سندان بين ساير الاسنان أنه اطواله يمنع وقوع الاسنان بعضها على بعض في بعض الاحوال كما أن الاسطوانة يمنع السقف من السقوط ، بتجار

الانسان ما يقابلها (١) ويلمسه، وخلال الشعر والظفر من الحياة لأن طولهما سمح بفتح
وقصّهما حسن فلو كان فيما حياة لآل الانسان لقصّهما.

وكان القلب كحب الصنوبر لأنّه منكس فجعل رأسه رقيقة ليدخل في الرّيبة
فيتروح عنه ببردها لثلا يشيط (٢) الدماغ بحرّه، وجعلت الرّيبة قطعتين ليدخل
مصاصاتها (٣) فتروح عنه بحرّ كتها، وكانت الكبد حدباء ليقل المعدة وتقع جميعه
عليها فتعصرها فيخرج ما فيها من البخار.

و جعلت الكلية كحب اللوبيا لأنّ عليها مصب المنى نقطة (٤) بعد نقطة فلو
كانت مرّبة أو مدورة لاحتبس النقطة الأولى الثانية فلا يلتذ بخروجها الحى إذ
المنى ينزل من فقار الظهر إلى الكلية فهو كالدودة تنبض وتبسطتر منه أو لا فاؤلا إلى المشانة
كالبندقة من القوس.

و جعل على الرّيبة إلى خلف لأنّ الانسان يمشي إلى ما بين يديه (٥) فتعدل
الحركات ولو لا ذلك لسقط في المشي، و جعلت القدم متحضرة لأن الشّيء إذا وقع
على الأرض جميعه نقل (٦) نقل حجر الرّحى و إذا كان على حرفه دفعه الصّبي

١ - كأنه كان يعامله فصحت مع أن أكثر ما يلمس يكون مقابلًا بحار

٢ - أى يحترق منه

٣ - أى بين قطعتي الرّيبة

٤ - استعيرت النقطة هنا للشيء القليل والقطرة بحار

٥ - أى يبيل في المشي إلى قدامه ولو كان على الرّيبة من القدام لا تنتهي أيضًا من هذا
الجانب فيسقط بحار

٦ - وذلك لامتناع الخلاء لانه اذا لم يكن بين السطحين هواء أصلاليم يمكن دفع
احدهما عن الآخر فيرتفعان معاً ولو كان بينهما هواء قليل يرتفع لكن بعسر لتوقفه على
تخلل هذا الهواء ودخول الهواء من خارج أيضا فحضر القدم يوجب وجود هواء كثير
تحت القدم فإذا دفع القدم يدخل تحت مالصق بالارض من قدام القدم و عقبه الهواء من

و إذا وقع على وجهه صعب نقله على الرجل.

فقال الهندى : من أين لك هذا العلم ؟ فقال بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : أخذته عن آبائى عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن جبريل عن رب العالمين جل جلاله الذى خلق الأجسام والأرواح ، فقال الهندى : صدقت وأناأشهد أن لا إله إلا الله وأن مَحَمَّداً رسول الله وأنك أعلم من أهل زمانك.

الترجمة

گردانید حق سبعانه و تعالی از برای شما گوشها را تا اینکه حفظ نمایند و نگه بدارند آنچه که مهم باشد ایشانرا ضروری ، و آفرید چشمها را تا اینکه روشنی بخشند از شب کوری ، و خلق فرمود اعضاء ظاهره که جمع کننده اعضا باطنه بودند در حالتی که مناسب و موافق بودنبا اطراف و جوانب متناهی خود در ترکیب صورتهای آنها و مدتھای عمرھای آنها با بدنها یکه قائمند بمنافع خود و با قلبها یکه طالبند مررزمھای خود را در حالتیکه شما در توی نعمت های کامله می باشید و اسباب متنھای شامله و موانع صحت بدن از امراض و محن.

و مقدر فرمود از برای شما عمرها که پوشانید آنها را از شمارد باقی گذاشت از برای شما عبرتها از آثار گذشتکان پیش از شما لازم محل لذت یافتن ایشان بانصیب خودشان و از مکان گشاده بودن رسیمان مرک از گردن ایشان.

شتاب نمود ایشانرا مر گها بی رسیدن با آرزوها ، و متفرق ساخت ایشانرا از آرزوها بریده شدن أجلها در حالتیکه مهیا نساختند از عمل های شایسته در سلامتی بدنها ، و عبرت نگرفتند از عبرت های نافعه در اول زمانها.

پس آیا انتظار میکشند اهل قوت و امتلاه جوانی مگر قدح کنندهای پیری و ناتوانی را ، و اهل خوشی صحت و تن درستی مگر نازل شوندھای بیماری را ، و اهل مدت بقا مگر زمانهای فنا و نابودی را با وجود تزدیکی مفارقت و قرب

انتقال بسوی آخرت و با وجود جزع اضطراب و درد مصيبة و بسیار بگلو ماندن آب دهان از انده و محنت و با وجود این طرف و آنطرف نگریستن برای فریادرس خواستن بیاری دادن اعوان و خویشان و اولاد و عزیزان.

پس آیا دفع نمود مرک را ازا و خویشان، یافع بخشید گریه کنندگان و حال آنکه ترک کرده شد در محله مردگان محبوس گناه و در تنگی خوابگاه بی یارو همراه بتحقیق که پاره نمود حشرات الأرض پوست تن او را ذکر نمود لاغر کنندگان تازگی بدن او را، و مندرس نمود بادهای سخت جهنه اثرهای اورا و محو نمود حوادث روزگار علامتهای او را، و بگردید بدنها متغیر و لاغر بعد از تازگی و قوت، و استخوانها پوسیده و متفرق بعداز توانائی و شدت.

و روحها گرد کرده شد بیار گران گناهان در حالتیکه یقین کننده باشند باخبر غایبه از ایشان، طلب نمیشود از آنها زیاده تردن از اعمال صالحه، و طلب نمیشود از ایشان راضی کردن حق از اعمال باطله، آیا نیستیدشما پسران قوم خود و پدران ایشان، و برادران قوم خود و خویشان ایشان، اندازه میگیرید در کارها بر مثلهای آنها، و سوار می شوید بر طریقه ایشان در اقوال و افعال، و سلوك میکنید در راههای ایشان بهمه حال.

پس قلبها سختند از قبول بهره سودمند خود، غافلند از طلب هدایت خود صالحند در غیر میدان با هنفعت خود، گویا که مخاطب و مقصد بآامر و نواهی غیر از آن دلهاست، و گویا که رشادت و مصلحت آنها در حفظ متاع دنیاست.

هذا آخر الجزء الخامس من هذه الطبيعة الجديدة الشمينة القيمة، تم تصحيجه و تهدئيه و ترتيبه بيد العبد «السيد ابراهيم الميانجي» عفى عنه وعن والديه و وقع الفراغ في العشر الاول من شهر رجب الاصب ١٣٧٩
ويليه ان شاء الله الجزء السادس واوله : « الفصل السادس» من المختار الثاني والثمانين، والحمد لله رب العالمين

فهرس ما في هذا الجزء من المطالب

العنوان	الصفحة	العنوان	الصفحة
المختار السادس والستون	٨١	المختار الرابع والستون	٦
ترجمة		في ذكر جملة من الصفات الالهية	
في معنى الانصار	٨٢	الترجمة	٢١
تبيهان الاول في اخبار السقيفة	٨٥	المختار الخامس والستون	
كلام للشارح المعتزل في حديث		في تعليه العرب والاشارة إلى كيفية	
السقيفة ورد الشارح «قد» إيه	٩١	القتال كان يقوله <small>يُكْبِلُهُمْ</small> لا صحابه	
التبيه الثاني في ذكر الروايات		في بعض أيام صفين	٢٢
الواردة في المقام	٩٤	تكلمة في نقل الخطبة على رواية غير	
ترجمة	١٠٢	السيد (ره)	٢٨
المختار السابع والستون	١٠٣	تدليل في كيفية وقعة صفين مضافاً	
تبيهان الاول في ترجمة مخدين		إلى ما تقدم في شرح بعض الخطب	
أبي بكر وهاشم بن عتبة	١٠٣	السابقة	٣٠
الثاني في الاشارة إلى بعض		مقاتلة عماد وهاشم بن عتبة	
الفتن الحادثة بمصر	١٠٥	المرقال (ره)	
إرساله <small>لِلْيَهُودِ</small> قيس بن سعد الـ نصاري		حديث عماد (ره) رواية رسول الله	
واليا إلى مصر	١٠٦	<small>وَالظَّنْتُ</small> أنه قال: عماد تقتلها الفتنة	
عزله <small>لِلْيَهُودِ</small> قيس بن سعد وارساله		الbagia، و ذلك بمحضر جماعة	
مخدين أبي بكر مكانه	١٠٩	من أصحاب معاوية	٧٠
عهده <small>لِلْيَهُودِ</small> إلى مخدين أبي بكر		شهادة هاشم المر قال وعماد (ره)	٧٤
حين ولاد مصر	١١١	عبد الله بن هاشم المر قال ومجلس	
كتاب معاوية و عمرو بن العاص		معاوية	٨٠

العنوان	الصفحة	العنوان	الصفحة
عبدالله العنيري و معاوية	١٤٠	إلى عمدين أبي بكر و جوابه	١١٣
دخول ابن ملجم الكوفة	١٤١	شهادة عمدين أبي بكر	١١٦
لما كانت ليلة تسعه عشر من شهر		خطبته <small>عليه السلام</small> بعد شهادة عمد بن	
رمضان	١٤٤	أبي بكر	١١٩
خروج علي <small>عليه السلام</small> إلى المسجد	١٤٦	الترجمة	١٢٠
ذكر أحواله <small>عليه السلام</small> و افعال ابن ملجم		المختار الثامن والستون	
ليلة تسعه عشر	١٥٠	في ذمته <small>عليه السلام</small> أصحابه بتناقلهم عن	
نداء جبريل بين السماء والأرض	١٥١	الجهاد	١٢٠
كيفية أخذ حذيفة ابن ملجم		الترجمة	١٢٤
اللعين	١٥٣	المختار التاسع والستون	
وصيته <small>عليه السلام</small> بالرفق في ابن ملجم	١٥٥	قاله <small>عليه السلام</small> في سحرة اليوم الذي ضرب فيه	١٢٥
اشعار حجر بن عدي (ره)	١٥٨	تنزييلات الاول في كيفية شهادته <small>عليه السلام</small>	١٢٧
وصاياه <small>عليه السلام</small> ليلة احدى وعشرين	١٥٩	كلامه <small>عليه السلام</small> مع ابن ملجم حين ما	
كيفية وفاته <small>عليه السلام</small>	١٦١	قدم من اليمن	١٢٩
أشعار الهاتف الغيبي	١٦٢	خروج ابن ملجم مع أمير المؤمنين	
في كيفية دفنه <small>عليه السلام</small>	١٦٣	<small>عليه السلام</small> إلى غزوة النهروان	١٣١
في أحوال ابن ملجم لعنة الله		ملاقاته مع قطام عليهمما اللعنة حين	
و كيفية قتله	١٦٦	ما رجع عن غزوة النهروان	١٣٢
قصة عجيبة	١٦٨	رجوع ابن ملجم إلى اليمن	١٣٦
التنزييل الثاني في موضع قبره		تماقد ابن ملجم والبرك والعنيري	
الشريف والاشارة إلى من بناه	١٦٩	على قتل علي <small>عليه السلام</small> و معاوية و عمرو	
وجه تسمية الغری	١٧١	ابن العاص	١٣٨
التنزييل الثالث في ذكر نبذ من		البرك و عمرو و بن العاص	١٣٨

العنوان	الصفحة	العنوان	الصفحة
الرابع في فضيلة الصلاة ونوابها	٢١٣	المعجزات الظاهرة منه <small>عليهم السلام</small> ومن قبره	
الترجمة	٢١٧	بعد وفاته	١٧٢
المختار الثاني والسبعون		الترجمة	١٨٢
قاله <small>عليهم السلام</small> لمروان بن الحكم	٢١٨	المختار السبعون	
نسب مرwan بن الحكم والسبب		في ذم أهل العراق بتشاقلم عن جهاد	
الموجب لنفي أبيه عن المدينة	٢١٩	معاوية وأتباعه	١٨٢
نقل المختار بنحو آخر	٢٢٠	الترجمة	١٨٧
الترجمة	٢٢١	المختار الحادي والسبعون	
المختار الثالث والسبعون		في تعليمه الناس الصلاة على	
قاله <small>عليهم السلام</small> لما عزّ موالى يعنة عثمان	٢٢٢	النبي <small>صلوات الله عليه</small>	١٨٩
اعتراض على الشارح المعترض	٢٢٣	في صفات الله تعالى و تمجيده	١٩٣
الترجمة	٢٢٥	في صفات النبي <small>صلوات الله عليه</small>	١٩٤
المختار الرابع والسبعون		في الأخبار الدالة على عرض اعمال	
في توبيخ بنى امية	٢٢٦	العباد على النبي <small>صلوات الله عليه</small> والأئمة	
الترجمة	٢٣٠	عليهم السلام	
المختار الخامس والسبعون		في أنواع المدعوبه	
في تعداده <small>صلوات الله عليه</small> جملة من الصفات		نبنيهات الاول أن الصلاة على النبي	
المحمودة	٢٣٠	<small>صلوات الله عليه</small> مما أمر الله تعالى به	٢٠٤
الترجمة	٢٤١	احتجاج بديع للعلامة	
المختار السادس والسبعون	٣٤٣	الحلّ (قد)	
بيان نسب بنى امية	٢٤٤	الثاني في معنى الصلاة لغة	
في ذكر بعض الآيات والأخبار		الثالث في أن غاية السؤال بالصلاحة	
الواردة في ذم بنى امية	٢٤٥	عايدة إلى النبي <small>صلوات الله عليه</small> أو إلى	
		المصلّى	

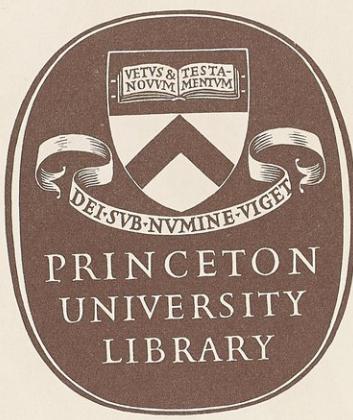
(ج) ٥٥

العنوان	الصفحة	العنوان	الترجمة
و عدمه	٢٤٩	المختار السابع والسبعون	كلمات له يدعوه بها
ابيات أن علم النجوم له أصل من طرق الأخبار	٢٧٧	٢٤٩	٢٨٣
ابيات أن علم النجوم له أصل بطريق الاستقراء والاعتبار	٢٨٥	٢٥٤	٢٨٣
في الاشارة إلى بعض العارفين بعلم النجوم	٢٨٧	٢٥٥	٢٨٧
امتناطات عجيبة من المنجمين و إصاباتهم في ذلك تحقيق الكلام في جواز العمل بالنجوم و عدمه	٢٩٢	٢٦٢	٢٩٢
في الجمع بين الأخبار النافية والمجوزة	٣٠٠	٢٦٣	٣٠١
الترجمة المختار التاسع والسبعون في ذم النساء	٣٠٢	٢٦٤	٣٠٢
في نقصان حظوظهن في بعض أوصاف النساء وبعض مكايدهن	٣٠٥	٢٦٧	٣٠٥
حديث المتكلمة بالقرآن أربعين سنة	٣١٣	٢٧٤	٣١٥
كلام للشارح المعترض في عايشة احتجاج أم سلمة (رض) على عايشة	٣١٦	٢٧٤	٢٧٤
		٢٥٤	٢٥٤
		٢٦٢	٢٦٢
		٢٦٣	٢٦٣
		٢٦٤	٢٦٤
		٢٦٧	٢٦٧
		٢٧٤	٢٧٤

العنوان	الصفحة	العنوان	الصفحة
أنيقة يذكر في ضمن فصول الفصل الاول في الثناء على الله تعالى باعتبار نعوت جلاله وصفاته كماله	٣٤٢	اعتراضات المصنف (قد) على الشارح المعزلي والاشارة إلى بعض مطاعن عايشة	٣١٩
في النعم الظاهرة والباطنة الترجمة	٣٤٤	المختار الشهانون في بيان معنى الزهد	٣٢٤
الفصل الثاني في الوصية بالتنقى والخشية من الله تعالى الأمثال التي ضربها الله سبحانه في القرآن للتذكير والموعظة الترجمة	٣٤٧	تبصرة في الاشارة إلى بعض ما ورد في فضيلة صفة الزهاده وذم نقيضها من الآيات والأخبار	٣٢٧
الفصل الثالث في ذكر شدائد القيمة وأهوالها الرواية الواردة عن النبي ﷺ يحشر عشرة أصناف من امته أشتاناً (الخ)	٣٥٢	في أقسام الزهد و مراتبه الترجمة	٣٢٩
في إثبات المعاد الجسماني في بيان شبهة المنكريين للمعاد والجواب عنها في شبهة الآكل والمأكل ودفعها في الاشارة إلى معنى الحشر في كيفية الحشر والاشارة إلى نفخ	٣٦٥	المختار الشهانون في الجمع بين الأخبار المختلفة في السؤال في القيمة في شرح قوله عليه السلام: من أبصر بها بصرته و من أبصر إليها أعمته الترجمة	٣٣٣
	٣٦٨		٣٣٥
	٣٧٠		٣٣٧
	٣٧٢		٣٤١
			مشتمل على نكات بدعة و مطالب

العنوان	الصفحة	العنوان	الصفحة
شرح حال القلب و معرفة عجائبه في خفاء الموت و أنه نعمة عظيمة و مثله نعمة أخرى هي أيضاً من أسبغ الآلاء و أنسى النعماء	٣٩٩	الصور على ما في الآيات والأخبار في كيفيةأخذ حق الناس في القيامة	٣٧٣
مواعظ شافية في الإيمان بالأخبار الغيبية التي أخبر بها الرسل و أنبأ بها الكتب الصادق <small>عليه السلام</small> و مجلس المنصور و عنده رجل من الهند يقر كتب الطبي	٤٠٦	الترجمة	٣٧٨
في تشريح أعضاء الإنسان	٤١٤	الفصل الرابع في شرح حال الناس والكشف عن أوصافهم والتبيه على ما خلقوه وأجله	٣٨٠
الترجمة	٤١٧	الترجمة	٣٨٩
		الفصل الخامس في التذكير لبيان حال السلف ليعتبر به الخلف	٣٩٠
		منافع السمع والبصر	٣٩٥
		حديث المفضل في منافع السمع والبصر	٣٩٦

گنترل شد



PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

